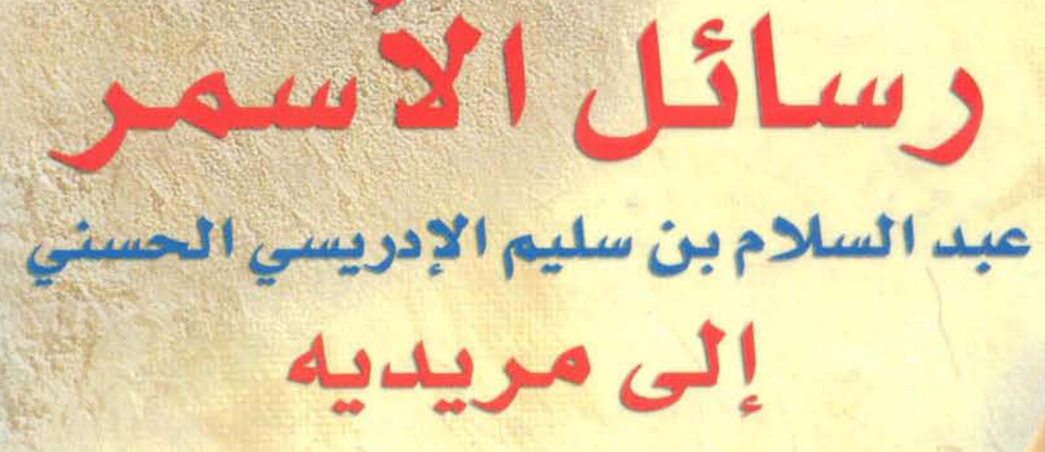


# رسائل الأسمر

## عبد السلام بن سليم الإدريسي الحسني

## إلى مريديه

جمع وتحقيق ودراسة

د. مصطفى عمران رابعة



رسائل الأسمر إلى مريديه

# رسائل الأسمر

## عبد السلام بن سليم الفيتوري الإدريسي الحسني

## إلى مريديه

جمع وتحقيق ودراسة
د. مصطفى عمران رابعة

دار المدار الإسلامي

**الطبعة الأولى**

كانون الثاني/يناير/أي النار 2003 إفرنجي

رقم الإيداع المحلي 5111/ 2002
ردمك (رقم الإيداع الدولي) ISBN 9959-29-121-9
دار الكتب الوطنية/ بنغازي ـ ليبيا

تصميم الغلاف: نقوش

**دار المدار الإسلامي**

أوتوستراد شاتيلا ـ الطيونة، شارع هادي نصر الله ـ بناية فرحات وحجيج، طابق 5،
خليوي: 933989 ـ 03 ـ هاتف وفاكس: 542778 ـ 1 ـ 00961 ـ بريد إلكتروني: szrekany@inco.com.lb
بيروت ـ لبنان

توزيع دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية. زاوية الدهماني، السوق الأخضر، ص.ب. 13498،
هاتف: 4448750 ـ 4449903 ـ 3338571. 21 . 00218 ـ فاكس: 4442758 . 21 . 00218، طرابلس ـ الجماهيرية العظمى

# مقدمة

تمثل هذه الرسائل القسم الثاني من أطروحتي الجامعية «زاوية الأسمر وإشعاعها العقدي والروحي في القرن العاشر الهجري» والتي تقدمت بها إلى جامعة محمد الخامس بالمملكة المغربية لنيل دكتوراه الدولة في الدراسات الإسلامية وقد تمت مناقشتها في خريف سنة 1997ف وأجزيت بتقدير حسن جداً «ممتاز» ونزولاً عند رغبة الكثير من الأصدقاء والباحثين الذين تمنوا عليَّ ضرورة الإسراع في طبع ونشر هذه الرسائل وذلك لما تمثله من إشعاعات علمية وروحية لزاوية الأسمر خارج بيئتها ومحيطها. وما قد تضيفه من فهم وتقييم جديدين لشخصية الأسمر وزاويته باعتبارها لم تنشر بعد ولم يتناولها الباحثون بالدراسة أو التعليق اعتزمت على نشرها ووضعها بين أيديهم وأيدي القراء والباحثين وقد صدرتها بفصلين استللتهما بتصرف من الأطروحة المشار إليها تضمن أولهما الحديث عن شخصية الأسمر وثانيهما الحديث عن الخصائص الفنية والموضوعية لهذه الرسائل وما إلى ذلك مما يجده القارىء مبسوطاً في مكانه.

أما عن النسخ المخطوطة لهذه الرسائل فإن مصدرها الوحيد والفريد هو كتاباً البرموني «روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب صاحب الطار سيدي عبد السلام الأسمر» و«الديوان في مناقب نجل سليم بن عمران» ويعد هذا الأخير من ضمن المؤلفات المفقودة وعسى الأيام أن تجود به كما جادت بغيره من مؤلفات كانت وإلى وقت قريب تحسب في عداد المؤلفات المفقودة. أما كتاب «روضة الأزهار» فقد وفقني الله سبحانه للعثور على

نسختين منه أولهما نسخة خاصة في حوزة آل أبي زبيدة بزليتن، وثانيهما نسخة مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس والمسجلة تحت رقم (810) كما عثرت على نسخ مفردة من هذه الرسائل نسخها مالكوها عن كتاب «روضة الأزهار» والتي أذكر منها على سبيل المثال: نسخة من رسالة الأسمر إلى عبد الحميد العوسجي وهي من مقتنيات دار الكتب الوطنية بتونس وقد سجلت تحت رقم (19492) وفيما يأتي بيانها:

## 1 ـ نسخة آل أبو زبيدة[1]:

- وهي عبارة عن النصف الثاني فقط من الكتاب.
- ناسخها: محمد بن محمد بن علي بن أحمد الحملاوي الجزائري المؤدب بمقام سيدي أبي لبابة.
- تاريخ نسخها: (1321هـ).
- مقاسها: 29× 19.
- مسطرتها: «20» ومعدل كلمات السطر «10 ـ 12» وعدد صفحاتها «500» صفحة.
- كتبت بخط مغربي واضح وبمداد صمغي أسود.
- تمتاز بالوضوح والسلامة من البلل والخرق.

## 2 ـ نسخة مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس:

ـ وهي أيضاً عبارة عن النصف الثاني من الكتاب، وقد أضيفت إليها بضعة أوراق من النصف الأول من بداية الكتاب من نسخة أخرى، كما سقط منها نص رسالة الأسمر إلى أصحابه بمدينة تونس، إلى جانب سقوط جزء يسير من رسالته إلى راشد المحجوبي، وكذا رسالته إلى أصحابه بالزاوية الغربية.

(1) وقد أعارني إياها الصديق الفاضل محمد منصور أبو زبيدة فجزاه الله عني خيراً وأجزل له العطاء والمثوبة.

- ناسخها: محمد بن عبد السلام بن محمد بن عبد الدائم الإزدوي نسباً البراهمي داراً.
- تاريخ نسخها: (1185هـ).
- مقاسها: 19.50× 15.
- مسطرتها: «21» ومعدل كلمات السطر «11 ـ 13» وعدد صفحاتها «390» صفحة.
- كتبت بخط مغربي وبمداد صمغي أسود.

وهذه النسخة كانت في البداية من ضمن مقتنيات مكتبة الأوقاف بطرابلس حيث نجدها ممهورة بختمها على عدة صفحات منها، كما جاء أيضاً في صفحتها الأولى اسم مالكها الذي حبّسها على هذه المكتبة ونص حبسيته ممهورة بختمه، ثم نقلت مؤخراً إلى مكتبة مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس.

### 3 ـ نسخة دار الكتب الوطنية بتونس من رسالة الأسمر إلى عبد الحميد العوسجي:

- لا يوجد بها اسم الناسخ ولا تاريخ النسخ.
- مقاسها: 24× 18.
- عدد أوراقها: 8 أوراق.
- مسطرتها: «19».
- كتبت بخط مغربي واضح.

### ■ منهاج التحقيق:

- التزمت قواعد المنهج العلمي للتحقيق وأساسه ـ كما قرّره أولو هذا الشأن. رعاية الأصل الذي كتبه المؤلف إن وجد، أو أقرب الأصول وأكملها إليه، وإخراجه على الصورة التي أرادها، والاقتصاد في

الحواشي والتعليقات حتى لا يضيع الأصل بينهما أو يثقل بما ليس منه.

- اتخذت النسخة الخاصة وهي نسخة آل أبو زبيدة أصلاً وذلك لكمالها ولما امتازت به من دقة ووضوح، ورمزت لها بكلمة «الأصل». أما نسخة مركز دراسة جهاد الليبيين فقد اتخذتها نصاً مساعداً، ورمزت لها بالحرف «ج» وأشرت إلى ما استعنت به من نسخ أخرى في تحقيق بعض الرسائل في محلها عند الاستعانة بها.
- قسمت الحواشي إلى قسمين: قسم خاص بملاحظات المقارنة وقد وضعته على حاشية الصفحة اليسرى، وأحياناً على حاشية الصفحة اليمنى حسبما تيسر والقسم الثاني يأتي مباشرة بعد سطور المتن. وقد خصَّصته للحواشي والتعليقات من تخريج الآيات والأحاديث، وترجمة الأعلام، وشرح المفردات، وما إلى ذلك ورقمت لملاحظات المقارنة بأرقام تنتهي عند كل صفحة، أما الحواشي والتعليقات فقد رقمت لها بأرقام تنتهي عند نهاية كل رسالة.
- التزمت نص نسخة الأصل طالما كان لها وجه من الصواب، ولم أعدل عن عبارتها إلاّ لخلل ما مع إثبات ذلك في الهامش.
- خرّجت شواهد الرسائل من آيات قرآنية، وأحاديث نبوية، وأبيات شعرية.
- خرّجت النصوص التي استشهد بها الأسمر من الكتب والمؤلفات كما وثقت الأقوال التي عزاها لأصحابها إلاّ فيما ندر.
- ترجمت معظم الأعلام الذين ذكروا في الرسائل ترجمة مختصرة مع الإحالة على بعض المصادر التي تناولت المترجم له.
- عرّفت ببعض الكتب التي ذكرت في الرسائل كما عرّفت ببعض الفرق والأماكن.
- وضّحت مفهوم بعض المصطلحات، وبعض التعابير العامية كما شرحت بعض المفردات الغامضة.

وأخيراً وضعت الفهارس الفنية اللازمة التي تعين على فهم الرسائل والوقوف على موادها ومحتوياتها.

هذا ما عنّ لي التقديم به لهذه الرسائل التي آمل لطالبيها أن يجدوا فيها ما يطمحون إليه وما يسدد خطاهم في البحث والدرس.

كما لا يفوتني أن أتقدم بجزيل الشكر ووافر التقدير لدار المدار الإسلامي ومديرها العام الأستاذ: سالم أحمد الزريقاني التي تبنت طبع هذه الرسائل وتقديمها إلى القراء والباحثين.

ولله الفضل والحمد ومنه العون والسداد

زليتن في: 19/ 10/ 2002 ف

**د. مصطفى عمران رابعة**



# الفصل الأول

## المبحث الأول
## حياته الاجتماعية

### 1 ـ اسمه ونسبه:

هو: أبو عمران عبد السلام بن سليم[1] بن محمد بن سالم بن حميدة ابن عمران[2] بن محيا[3] بن سليمان[4] بن سالم[5] بن عمران[6] بن أحمد[7]

---

(1) توفي سليم سنة «882هـ ـ 1477م» وقبره يقع شرقي مركز مدينة زليتن على مسافة 3 كلم على الطريق الذي يربط مدينة زليتن بمدينة مصراتة وقد أقيم بجواره في السنوات الأخيرة مسجد جامع يحمل اسمه. وسليم هذا كما يصفه المؤرخون كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب، وفي نفس الوقت كان يتكلم على معاني الكتاب والسنة كلاماً بليغاً يحيّر العلماء، كما كان يرد الغلط على قارئي القرآن، فإذا قيل له: كيف تعلم ذلك؟ يقول: إن القارىء إذا قرأ بإزائي أنظر نوراً متصلاً خارجاً من فيه إلى عنان السماء، فإذا غلط القارىء أو بدّل أو غيّر انقطع ذلك النور الخارج من فيه. محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 71.

(2) وهو الملقب بـ «الخليفة» وقبره في الجهة المقابلة لقبر سليم المشار إليه تفصل بينهما الطريق المذكورة.

(3) قبره بجوار إخوته بمدينة زليتن في الروضة التي تعرف باسم «روضة أولاد سليمان السبعة».

(4) توفي شهيداً وهو يصدّ إحدى غارات الافرنج على شاطىء طرابلس ودفن مكانه برباط الشعاب.

(5) دفين مقبرة عوسجة بالزاوية الغربية.

(6) دفين مقبرة عوسجة بالزاوية الغربية.

(7) دفين مقبرة عوسجة بالزاوية الغربية.

ابن خليفة[1] بن عبد الله[2] بن عمران[3] بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز ابن عبد القادر بن أحمد الملقب بعبد الرحيم [بن[4] محمد[5]] بن عبد الله بن إدريس[6] الأصغر بن إدريس الأكبر[7] بن عبد[8] الله[9] بن الحسن[10] المثنى

---

(1) وهو الملقب بـ «فيتور» وقبره بالصابرية في وسط الجامع الذي أسّسه والده ومن هذا اللقب استمد أبناؤه وأحفاده اسم الفواتير. يقول العلامة الشيخ سالم السنهوري في كتابه عن الأسمر: «حدثني أبو النجا سيدي سالم بن طاهر الزليتني على أن هذا اللقب الذي لقبت به هذه القبيلة التي تسمى الآن بالفواتير من عمل طرابلس الغرب. وذلك لما أغار أولاد سعيد على بني نبيل وأخذوا حيّهم وقتلوا من وجد منهم تحفظاً لقطع نسبهم حتى صاروا يبقرون على بطون الحوامل فدخل رجل منهم يعني من أولاد نبيل فاراً من القتل إلى معصرة فيها ثمال زيتون وهو المعبر عنه بالفيتورة في عرف البلد فلبث فيه حتى لا يرى منه إلا عينيه وفمه إلى أن افترق البغاة الصائلون فأخرجه أهله فوجدوه مغمى عليه كالميت ولم يرجع إلى البشرية إلا بعد عشرة أيام». شجرة الأشراف لدى آل بحيح بزليتن - محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 63 باختلاف يسير.

(2) وهو الملقب بـ «نبيل» دفين مكة المكرمة.

(3) دفين مدينة أغمات بالمغرب الأقصى.

(4) ما بين الحاصرتين ساقط من الشجرات المحلية لعقب عبد الله بن إدريس والزيادة أثبتها من شجرة الشرفاء المغاريون بالمغرب الأقصى. مصابيح البشرية في أبناء خير البرية لأحمد الإدريسي. ص: 254.

(5) دفين مدينة أغمات بالمغرب الأقصى.

(6) ثاني ملوك الأدارسة ومؤسس مدينة فاس توفي سنة «213هـ - 828م». الأعلام جـ 1 ص: 278.

(7) مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب. توفي مسموماً سنة 177هـ - 793م. الأعلام جـ 1 ص: 279.

(8) ويلقب بـ«المحض» لمحض شبهه بالنبي ﷺ وكما يلقب أيضاً بالكامل لكمال نسبه من جهتي أبيه وأمه لأن أباه الحسن بن الحسن بن علي وأمه فاطمة بنت الحسين بن علي توفي في سجن المنصور سنة «145هـ - 762م» ودفن بالقادسية وعلى قبره مشهد عظيم يزار الإصابة جـ 5، ص: 186 - الأعلام جـ 4 ص: 74.

(9) تذهب شجرات النسب المحلية إلى إقحام اسم «محمد» بين عبد الله والحسن المثنى الذي أسقطته كما أشرنا فيما بين اسمي أحمد وعبد الله بن إدريس الأصغر. والمعروف أن عقب الحسن المثنى انحصر في خمس من أبنائه وهم: عبد الله المحض وإبراهيم الغمر والحسن المثلث وأمهم فاطمة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب وداود وجعفر وأمهما أم ولد روميه تدعى حبيبه. عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب لأحمد بن علي الداودي الحسني. ص: 81.

(10) توفي بالمدينة حوالي سنة «90هـ - 708م». الأعلام جـ 2 ص: 187.

ابن الحسن[1] السبط بن الإمام علي بن أبي طالب[2] ـ كرم الله وجهه ورضي الله عنه ـ وابن السيدة البتول فاطمة الزهراء[3] بنت رسول الله ﷺ. المعروف بالأسمر[4].

كانت هذه السلالة الشريفة تعيش في المغرب الأقصى[5] في ظل الدولة الإدريسية، التي أسسها عميدها مولاي إدريس الأكبر، وعلى أثر انهيار هذه الدولة، ومطاردة أفراد البيت الإدريسي والتنكيل بهم، تفرقت هذه السلالة «في قبائل المغرب ولاذوا بالاختفاء إلى أن خلعوا شارة ذلك النسب الشريف واستحالت صبغتهم إلى البداوة»[6]. وفي أواخر القرن الرابع الهجري حل بأفريقية «تونس» بعض أفراد هذه السلالة وهم: عبدالله بن عمران الملقب ب«نبيل» الادريسي، وأسرته، وبعض من بني عمومته، وفي تونس وفي كنف أولاد سعيد ـ وهم يومها في غاية العز والمكانة ـ استقامت لنبيل وآله الحياة وأصبحوا موالي حلفاء لأولاد[7] سعيد. ثم حدث ما نغّص عليه عيشه، وأرّق ليله، وذلك من طمع أحد أولاد سعيد في الزواج من إحدى بناته، التي تمت خطبتها لأحد أبناء أخيه، وخشية من عنتهم قرّر الابتعاد عنهم والاحتماء بأسرته لدى إحدى القبائل المجاورة، وهي قبيلة «دريد» الهلالية، ثم انتهز فرصة مرور أحد أركاب الحجيج المتوجه تلقاء مكة المكرمة، فسار في ركابها مبتعداً ما أمكنه عن أولاد سعيد، وبالقرب من طرابلس، وبالتحديد بمدينة الزاوية الغربية اليوم، حط ركب الحجيج رحاله للراحة والتزود بما

---

(1) توفي أيضاً بالمدينة مسموماً سنة «50هـ ـ 670م». الأعلام جـ 2 ص: 199.

(2) قتل غيلة على يد عبد الرحمن بن ملجم بالكوفة في مؤامرة 17 رمضان سنة 40هـ ـ 661م. الأعلام جـ 4 ص: 295.

(3) توفيت بالمدينة سنة 11هـ ـ 632م. الأعلام جـ 5 ص: 132.

(4) يقول الأسمر عن تسميته هذه: «سميت بالأسمر لمبيتي الليالي سمراً في طاعة الله سبحانه» محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار، ص: 38.

(5) ابن خلدون، العبر، جـ 4 ص: 23.

(6) الناصري، الاستقصاء، جـ 1 ص: 186.

(7) مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 62.

يحتاجه، ويبدو أن الزاوية قد راقت لنبيل وأعجبته، فقرر الإقامة بها هو وآله، وحتى يضمن لنفسه، ولآله الأمن والاستقرار، كان إذا انتسب، انتسب إلى حلفائه أولاد سعيد، لأنهم وكما سبقت الإشارة كانوا في غاية المنعة والمكانة، وقد كان لموقف نبيل هذا من حلفائه أكبر الأثر في نفوسهم، فازدادت حنقاً وغيضاً، وما إن تناهى إلى سمعهم استقرار نبيل وآله بالزاوية الغربية، حتى أخذت غاراتهم تتوالى على مدينة الزاوية بحثاً عن حليفهم الآبق، وحسبنا أن نشير هنا إلى تلك الغارة الشنعاء، التي راح ضحيتها معظم أفراد آل نبيل ولم ينج منها سوى حفيديه خليفة الذي اختبأ في حثالة الزيتون، وهي المسماة في عرف البلد ب «الفيتورة» فكتبت له النجاة، ومن يومها أطلق عليه اسم «الفيتوري»، وأخيه يوسف الذي اختبأ في إحدى شجيرات العوسج، فكتبت له النجاة أيضاً، ومن يومها أطلق عليه اسم «العوسجي»[1].

ومع نهاية الثلث الأول من القرن السادس الهجري الذي تميز باشتداد هجمات البدو على الزاوية الغربية، قرر سليمان بن سالم ـ حفيد خليفة الملقب بالفيتوري ـ وقد رزقه الله سبعاً من الولد[2] أن يبتعد بهم عن هذه

---

(1) شجرة الأشراف لدى آل بحيح بزليتن.

(2) وهم: محمد الكبير ـ محمد الصغير ـ يعقوب ـ عبد العزيز ـ عبد الله ـ محيا ـ عبد الواحد. وقد أقبروا جميعاً ـ عدا الأخير ـ بموطن استقرارهم بمدينة زليتن تحفهم روضة تدعى بروضة أولاد سليمان السبعة. وفي حوالي سنة 1270هـ 1853م ابتنى الشيخ عثمان بن بركة وأخوه الشيخ محمد بن بركة زاوية بجوار هذه الروضة أطلقا عليها زاوية السبعة نسبة إلى هؤلاء الأبناء السبعة وقد كانت هذه الزاوية خير رافد لزاوية الأسمر فبعد أن يجيد الطالب فيها حفظ القرآن الكريم ويأخذ بطرف من مبادىء العلوم الأخرى يذهب لاستكمال تعليمه بزاوية الأسمر. وقد امتدح هذه الزاوية شاعر ليبيا ـ أحمد الشارف ـ بقصيدة منها:

لله زاوية بأسفل ماجر ... ذات الفتوح ومهبط الأمداد
الله شرفها بأكرم منزل ... يا حبذا المغنى وذاك الوادي
وبها المكارم لم تزل محروسة ... بجوارها للسبعة الأجداد
[illegible] ... [illegible] نسب النبي الهادي
خصت من السر المفاض بنفحة ... وحوت من البركات خير مراد

الزاوي، معجم البلدان الليبية. ص 162.

المنطقة المتوترة، وفي مدينة زليتن التي تبعد عن الزاوية الغربية بحوالي مائتي كيلومتر، حطّ سليمان وأبناؤه السبعة رحالهم، وقرروا الإقامة بها مجاورين لقبيلة العوامر، التي سرعان ما قلبت لهم ظهر المجن وناصبتهم العداء، وكان من إرادة الله سبحانه وتعالى أن أخذت هذه القبيلة في التلاشي والضمور، حتى كأنها لم تكن شيئاً مذكوراً، وأسبغ الله على سليمان وأبنائه نعمته، فأورثهم الأرض وبارك في نسلهم، فامتلأت بهم مدينة زليتن، وازدانت بسرهم وتقواهم.

وهذا الذي أشرت إليه هو ما أجمعت عليه كافة الوثائق المحلية وشجرات النسب[1]، ومعظم من ألف في سيرة الأسمر وتاريخ حياته[2]. ولكنا وللأمانة العلمية يجب أن نشير إلى ما أورده التاجوري[3] في كتابه «فتح العليم» وهو قوله: «وأما نسبة الفواتير القديمة، فشائع عندهم الانتساب إلى أولاد سعيد ينتمي إليهم في محاوراتهم الكبير منهم والصغير، وكذلك قماطة. وكنت أسمع من كثير من أولاد الشيخ «نحن من بني مخزوم» ثم سمعت أن ذلك شائع عند أولاد سعيد...»[4] ثم يردف قائلاً: «ورأيت في

---

(1) وثائق مكتبة زاوية الأسمر بزليتن - شجرة نسب الفواتير بدار الكتب المصرية تحت رقم 10956م - شجرة الأشراف لدى آل بحيح بزليتن.

(2) من هؤلاء: محمد مخلوف في كتابه «تنقيح روضة الأزهار ص: 61» والطيب المصراتي في كتابه «فتح العلي الأكبر ص: 18» وإسحاق المليجي في كتابه «على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر ص: 1» وسالم حمودة في كتابه «مختصر تاريخ الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر ص: 1» وأحمد حامد في كتابه «الطبقات العروسية الشاذلية ص: 9».

(3) التاجوري هو: عبد السلام بن عثمان التاجوري. ولد بتاجوراء سنة 1058هـ وبها توفي سنة 1129هـ 1716م يقول عنه معاصره المؤرخ ابن غلبون: «وممن كان بها من العلماء من أهلها الشيخ عبد السلام بن عثمان نشأ بتاجوراء وتفقه بسيدي محمد بن مقيل وغيره من أهل البلد ولم تكن له رحلة عنها وألف كتاباً في الفتاوى سماه التذييل زعم أنه ذيّل به المعيار وجمع فيه من الغث والسمين شيئاً لم يسبق به وكتاباً سماه «فتح العليم» في مناقب الشيخ عبد السلام بن سليم تعرض فيه لما فى البلد من الصالحين واعتمد في وفاتهم وخصائصهم على اخبار عوام المتفقرة وله حيل في المعاملات تدل على عدم اتقانه» ابن غلبون، التذكار ص: 237.

(4) كذلك شاعت هذه النسبة لدى بعض المؤرخين المتأخرين مثل: النائب في كتابه =

سفر عند بعض المغاربة مؤلف في ذكر أشراف المغرب لم أعرف مؤلفه ما نصه: سليمان بن عمران بن أحمد بن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد القادر ابن عبد الرحيم بن عبد الله بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن فاطمة بنت رسول الله ﷺ انتهى ثم قال وأولاد سليمان الفواتير بأرض طرابلس»[1].

والسر في انتماء الفواتير وأجدادهم من قبلهم إلى أولاد سعيد قد سبقت الإشارة إليه، ولا داعي لإعادته[2]، كذلك نشير إلى ما يذكره الصحفي الفرنسي «جورج ريمون» الذي أوفدته مجلة الـ «ILLUSTRATION» الباريسية إلى ليبيا لتغطية الأعمال الحربية بها وذلك خلال النصف الأول من سنة 1912م إبان الغزو الإيطالي لليبيا وقد جمع «ريمون» مقالاته التي كان يراسل بها مجلته ونشرها في كتاب أسماه[3] AUX CAMPS TURCO ET DE GERRE - ENCYRENAIQUE ARABES: NOTE DE ROUTE TRIPOLITAINE. PARIS 1913 والواقع أن هذه المقالات لم تكن رواية لما يجري من أحداث حربية وحسب بل هي إلى جانب ذلك تؤرخ للحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والعمرانية بليبيا والذي يهمنا منها هنا هو ما دبّجه عن شخصية الأسمر بقوله: «ولد سيدي عبد السلام الأسمر في القرن الحادي عشر الهجري وكان والده من الرقيق ولكنه عتق ويروي أيضاً أنه من أسرة شريفة تنحدر من نسل الرسول ﷺ. . .»[4].

والحقيقة أن هذه المعلومات التي أوردها ريمون عن شخصية الأسمر

---

= «المنهل العذب جـ 1 ص: 209» والزاوي في «أعلام ليبيا ص: 217» والبرغوثي في «تاريخ ليبيا، ص: 511» وأحمد مختار في «النشاط الثقافي في ليبيا، ص: 163».

(1) التاجوري، فتح العليم. ص: 14.

(2) ص: 14.

(3) نقل هذا الكتاب إلى اللغة العربية الدكتور محمد عبد الكريم الوافي ونشره تحت عنوان «من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا 1912م».

(4) جورج ريمون، من داخل معسكرات الجهاد في ليبيا، ص: 196.

لا تعدو في واقعها عن معلومات صحفية لا أساس لها، لأن الأسمر من مواليد القرن التاسع وليس القرن الحادي عشر، كما سيأتي تحقيقه عند الحديث عن مولده، وأنه فعلاً ينحدر من السلالة المحمدية الشريفة، كما سبق بيانه وتحقيقه. وأحسب أن الذي جعل «ريمون» يقول: بأن والده كان من الرقيق، ثم أعتق، هو لقب «الأسمر» الذي خصَّ به الشيخ عبد السلام، والأسمر في عرف الليبيين هو «الزنجي الأسود» وجنح الخيال الصحفي بريمون، فتوهم الشيخ عبد السلام أسود اللون، وما دام أسود اللون فلا بد وأن يكون والده رقيقاً، كما هو الحال بالنسبة لبعض الزنوج الليبيين المقيمين على طول الساحل الليبي.

كما نشير أيضاً إلى ما حدث في إبان العهد الاستعماري الإيطالي لليبيا وبالتحديد في الأشهر الأخيرة من سنة 1915م وعلى إثر الهزائم التي منيت بها الجيوش الإيطالية على أيدي الليبيين، ابتداء من الفشل الذريع الذي تعرضت له حملة «الكولونيل مياني»[1] على فزان وانتهاء بمعركتي «وادي مرسيط 6/ 4/ 1915م»[2] و«القرضابية 28/ 4/ 1915م»[3] وما ترتب عليهما من انحسار الاستعمار الايطالي، واقتصاره - بالنسبة لطرابلس الغرب - على مدينتي طرابلس والخمس، وجلائه عن كافة المدن والقرى الداخلية. الأمر الذي جعل إيطاليا تدرك استحالة اعتمادها على قواتها المسلحة في بسط

---

(1) هو: اللفتنانت كولونيل س.م. مياني. كان على رأس الحملة الإيطالية التي جردت لاسترداد واحات فزان، وقد منيت هذه الحملة بفشل ذريع وإخفاق كبير، نتيجة للمقاومة التي قادها وأشعلها المجاهد الورع محمد بن عبد الله البوسيفي، الذي تصدى لحملة مياني في معارك «الشب، 10/ 12/ 1913» و«أشكدة، 13/ 12/ 1913» و«محروقة، 24/ 12/ 1913» التي استشهد فيها، خاتماً بذلك سلسلة طويلة من المواقف الوطنية الصادقة التي رفضت الاستسلام والقبول بالصلح، وأعلنت الاستمرار في الكفاح والنضال ضد القوات المعتدية. التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا. ص: 406.

(2) وادي مرسيط: واد جنوبي غريان. الزاوي: معجم البلدان الليبية. ص: 246.

(3) القرضابية: بئر في بادية سرت، شرقي قصر سرت بقليل. الزاوي: معجم البلدان الليبية ص: 262.

نفوذها، وأصبحت نظرتها إلى «العنصر العربي» وإلى الأشراف منهم بصفة خاصة، نظرة ملؤها الريبة والخوف، خاشية من التفاف بقية العناصر حولهم، فهي تدرك تماماً أن ارتباط المسلمين بآل البيت جميعاً أو فرادى، أصل أصيل في الإسلام، جاء به القرآن الكريم صريحاً محكماً في قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾[1] وأن جمهور مفسّريهم على أن المراد بهم قرابة رسول الله ﷺ... وعليه فارتباط المسلمين بآل البيت، وولاؤهم إياهم دين من الدين، وإسلام من الإسلام، بنص القرآن فضلاً على أنه خلق من الخلق، ووفاء من الوفاء، وعاطفة من العاطفة، وفي ظل هذه المعطيات ركزت إيطاليا على العمل السياسي، الذي اقتضى منها إجراء مسح اجتماعي، لإدراك طبيعة التركيب البشري الاجتماعي للسكان، ووجدت ضالتها في أحد أعضاء المكتب السياسي العسكري لولاية طرابلس، الذي تحمَّس للقيام بهذا العمل، وهو العقيد «هنريكو أغسطيني» فجندت له ما يحتاجه من الأجهزة والأعوان، وكانت حصيلة جهده كتابيه: «سكان طرابلس» و«سكان برقة» وفي ظل الخشية التي أشرنا إليها، وفي تدبير محكم عمد أغسطيني إلى أقوى السلالات الشريفة «قماطة جفارة والفواتير وأولاد الشيخ عبد السلام الأسمر» وشكّك في صحة انتسابها إلى النبي ﷺ. يقول أغسطيني عن الفواتير: «هم عرب من بني سعيد من بطون رياح جذم بني هلال... ويقول عن الفواتير أنهم من الأشراف وهم معتبرون بصفة عامة من الأشراف إلا أن هذا النسب غير موثق بصفة عامة رغم تأكيد البرموني»[2] هذا ما قاله أغسطيني، ولم يزد عليه حرفاً واحداً، وواضح تذبذب أغسطيني في قوله، فهم تارة غير أشراف، وتارة معتبرون بصفة عامة من الأشراف، ثم يستدرك قائلاً: بأن نسبهم غير موثق، طاعنا في تأكيد البرموني إياه بدون أدنى حجة أو دليل. كذلك عمد أغسطيني إلى بعض القبائل العربية المشهورة بقوتها وحزمها، محاولاً سلخها من أرومتها العربية، مدعياً بأنها بربرية

(1) الشورى: 23.

(2) أغسطيني، سكان ليبيا ـ القسم الخاص بطرابلس الغرب. ص: 110.

الأصل، بحجج هي أوهى من بيت العنكبوت[1].

## ب ـ قبيلته:

ينحدر الشيخ عبد السلام الأسمر من قبيلة «المريقات» وبالتحديد من بيت «المجدة» وقبيلة «المريقات»[2] هي إحدى القبائل الثمان[3] التي تكوّن بمجموعها ما يسمى الآن بالفواتير نسبة إلى جدهم الجامع سيدي سليمان بن سالم بن خليفة الملقب بـ«فيتور». وقد تميّز الفواتير منذ ظهورهم على مسرح الحياة بالاستقامة، والتدين، والتخلق بالأخلاق الحميدة، مما جعلهم في نظر الكثير من الناس، بأنهم معدن الولاية والبركة، ومما يتناقلونه في شأنهم مقولة علامة المغرب الشيخ أحمد زروق البرنسي: «الفواتير والزاوية ينبتان الأولياء كما تنبت الأرض الطيبة الزعفران»[4] كما أشاد بهم وبسمو أخلاقهم، كثير من العلماء من أمثال الشيخ العالم العلامة شمس الدين اللقاني، والشيخ محمد عبد الرحمن الحطّاب والشيخ عبد الرحمن الشهير بالبشتي وأضرابهم[5].

---

(1) مثل ادعائه بأن معظم قبائل ورفلة العربية بربرية الأصل وأنها تنتمي إلى قبيلة ورفل بن بربر ـ هوارة جدم برانس ـ وحجته في ذلك انعدام القرابة بين قبائل ورفلة وبقية القبائل العربية بطرابلس وغيرها. وقد فنّد ادعاءات أغسطيني هذه الأستاذ التونسي محمد المرزوقي في كتابه «عبد النبي بالخير داهية السياسة وفارس الجهاد» منشورات الدار العربية للكتاب ـ 1978م» ص: 49.

(2) تنحدر قبيلة «المريقات» من سيدي محيا بن سليمان الفيتوري دفين روضة أولاد سليمان السبعة بزليتن. شجرة نسب الفواتير، بدار الكتب المصرية تحت رقم: 10956.

(3) وهي قبائل: العطايا ـ العبادلة ـ الصفران ـ اليعاقيب ـ الحجاج والسواعدية «جووابة» الحجاحجة ـ الصقوع. فالعطايا والعبادلة والصفران ينحدرون جميعاً من سيدي محمد الكبير بن سليمان الفيتوري دفين روضة أولاد سليمان السبعة بزليتن، وينحدر اليعاقيب من سيدي يعقوب بن سليمان الفيتوري دفين روضة أولاد سليمان السبعة بزليتن. أما الحجاج والسواعدية فينحدرون من سيدي عبد الله بن سليمان الفيتوري دفين روضة أولاد سليمان أيضاً بينما ينحدر الحجاحجة والصقوع من سيدي محمد «الصغير» بن سليمان الفيتوري دفين روضة أولاد سليمان السبعة بزليتن. شجرة نسب الفواتير، بدار الكتب المصرية تحت رقم: 10956.

(4) محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص 112.

(5) المصدر نفسه ص 12..

كما يحدثنا الرحالة العياشي[1] الذي زار منطقة الفواتير إبّان رحلاته الحجازية بقوله: «ولم تزل البلدة [الفواتير] مأوى الصالحين، ووكر العابدين من قديم الزمان، تواتر عند أهل البلد أنها لا تخلو من سبعة من أكابر الصالحين، قالوا: وهم ظاهرون بها حتى الآن، وليس علهم سمة متفقرة الوقت، بل هم على هيئة العوام في ملابسهم، ومسكنهم، وحرفهم، إلا أنهم قائمون على منهج الشريعة... الخ». كما يشير إلى أن بها «مزارات كثيرة للأحياء والأموات»[2].

## مولده وأسرته:

ولد الشيخ عبد السلام الأسمر، في يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول سنة 880هـ ـ 1475م. في مدينة زليتن[3]، ولم يكد يبلغ الستة والعشرين شهراً من عمره حتى فاجأ الموت والده سليم، فتولَّت والدته السيدة «سليمة بنت الشيخ عبد الرحمن الدرعي»[4] تربيته وكفالته ـ والسيدة سليمة كما يصفها المؤرخون «فاضلة، جليلة، حاذقة، كيِّسة، تصوم من السنة الأيام

(1) هو: أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر العياشي، نسبة إلى آيت عياش، ولد سنة «1037هـ ـ 1627م». طلب العلم بجامع القرويين ثم رحل إلى المشرق للاستزادة وأداء فريضة الحج كانت رحلته الأولى سنة 1059هـ ثم رحلته الثانية سنة 1064هـ وهي التي دوَّن فيها رحلته المسماة بـ «ماء الموائد» ثم عاد للمرة الثالثة سنة 1072هـ وكانت وفاته ـ رحمه الله ـ سنة «1090هـ ـ 1679م» الأعلام جـ 4 ص: 129.

(2) العياشي، ماء الموائد، جـ 1 ص: 94.

(3) وهو: ما أجمع عليه كافة المؤرخين الذين ألّفوا في حياة الأسمر، أو تعرّضوا لترجمته، وقد شذّ عن هذا الإجماع كل من: محمد البهلي النيال في كتابه «الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي ص: 276» والصادق الرزقي في كتابه «الأغاني التونسية. ص: 106» حيث جعلا الأسمر من مواليد مدينة فاس بالمغرب الأقصى، ولم يشيرا إلى مصادرهما في ذلك.

(4) ينحدر الشيخ عبد الرحمن الدرعي من سلالة الشيخ الوالي الصالح المربى سيدي عبد السلام بن مشيش، فهو: سيدي عبد الرحمن بن عبد الواحد بن عبد القادر بن عبد العزيز ابن علي بن سعد بن محمد بن عبد الله بن الشيخ الكبير سيدي عبد السلام بن مشيش، محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 69.

الكثيرة، وتتلو جزءاً من القرآن»[1] ـ فكانت تحنو على وليدها، وتحيطه بعطفها وتغذيه بشفقتها وحنانها، وحتى لا يشعر وليدها بمرارة اليتم وفقدان عاطفة الأبوة، نجدها سرعان ما لبَّت عرض عمه «الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الفيتوري» للزواج منها، وسرعان أيضاً ما تعلَّق الابن بعمه والعم بابن أخيه، وهذا ما أرادته السيدة سليمة. والشيخ أبو العباس هذا كما يصفه المؤرخون له باب «في الفهم، والحفظ، واتقان العربية، وغيرها من العلوم، وكان ماهراً في الشعر، وكان نظمه للشعر فيما هو غير مذموم كمدح النبي ﷺ»[2].

فالأسمر إذن تربى في أحضان أسرة كان لها ميراث علمي، وشرف أسري من الجهتين، جهة الأب وجهة الأم، ومن كان هذا شأنه فلا بد وأن يكون متأثراً بتوجيه أسرته له منذ نعومة أظفاره، ومن ثَمَّ لا نعجب إن رأينا الأسمر قد وصل إلى ما وصل إليه من العلم والعمل، ما دام قد تربى في أحضان هذه الأسرة العريقة في العلم والتقوى والصلاح والشرف.

(1) اسحاق المليجي، على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر، ص: 38.
(2) محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار، ص: 120.

# المبحث الثاني
## سيرتـــه

**ـ أوليته ودراسته:**

أشرنا إلى بيئة الأسمر العلمية، وأسرته المتّسمة بالفضل والصلاح، فعمّ الأسمر ومربيه الشيخ أبو العباس أحمد، كان من أعيان البلد، ومن أكابر علمائه، كما كانت له صلات ودّية تربطه برجال العلم في بلده وخارجها، من أمثال: الشيخ أحمد زروق البرنسي، والشيخ عبد الواحد الدكالي وغيرهما وصداقة متينة تربطه ببعض الأسر التي اشتهرت بالصلاح والتدين، وقد حرص على مصاحبة ابن أخيه له في جميع نواديه العلمية، التي يرتادها ملقناً إياه. كيفيّة الأدب مع الآخرين، وأسلوب التحدث معهم، فتعلم الأسمر ذلك منذ نعومة أظفاره حتى صار ذلك سجية فيه، كما كان يحفِّظه الشعر ويحبِّبه إليه، وهو بعد لم يكمل حفظه لكتاب الله عزّ وجلّ، ومن هنا نذهب إلى أن الفضل في توجيه الأسمر نحو الحياة العلمية، يرجع إلى عمِّه الذي لمس فيه الاستعداد الطبيعي للدراسة، فشجعه عليها، وقد قضى الأسمر طفولته الأولى في قريته، قبل أن ينتقل إلى زاوية الدكالي بمسلاتة، ويمكننا أن نقسم حياته الدراسية إلى مرحلتين:

**1 ـ المرحلة الأولى:**

في بلدته حيث حفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب على يد الفقيه «علي ابن عثمان الفيتوري» وهو لم يتجاوز السنة السابعة من عمره، ثم جلس إلى كثير من شيوخ بلده، متلقياً عنهم ضروب العلم والمعرفة، وذلك قبل أن يبدأ الرحلة في طلب العلم خارج بلدته.

## 2 ـ المرحلة الثانية في امسلاتة:

عندما بلغ الأسمر عامه الثاني عشر، أدرك عمّه أن ابن أخيه قد أصبح على أعتاب الدخول في مرحلة، تعدّ من أحرج مراحل العمر، وهي مرحلة المراهقة، التي تعدّ مرحلة دقيقة، وفاصلة في حياة الفرد، ومن ثم تحتاج لمزيد من العناية والاهتمام، لذلك قرّر أن يذهب به إلى الشيخ عبد الواحد الدكالي، الذي انتصب للتدريس بزاوية الشيخ عبد الله الدكالي بمسلاتة ليتولى تربيته، وصقله؛ وفاتح العم ابن أخيه في الموضوع، فرد عليه قائلاً:

وهل أنا جاهل يا عمي؟ فأجابه العم: لا ولكن لتثبيت علمك يا بني. واتخذا طريقهما معاً إلى زاوية امسلاتة.

## ـ الأسمر وشيخه الدكالي:

إن شهرة الأسمر الطفل في نبوغه وإدراكه، قد سبقته لدى شيخه الدكالي من قبل صديق أسرة الأسمر، وصديق الشيخ الدكالي، الشيخ أحمد زروق البرنسي، فقد كان الشيخ أحمد زروق ـ رحمه الله ـ دائم التردّد على أبناء وطنه «الفواتير» بصفة عامة، وعلى الشيخ أحمد الفيتوري، عمّ الأسمر ومربيه بصفة خاصة، فيجلس إليهم، ويأنس بهم، وأثناء هذه الزيارات المتكررة، لفت انتباهه شدة نبوغ الأسمر ونجابته، وفي ذلك يحدثنا العلامة شمس الدين اللقاني بقوله: «كنت إذا توجهت مع شيخي سيدي أحمد زروق لزيارة الفواتير، ولقيه سيدي عبد السلام، وهو صغير يقول: سيكون لهذا الولد شأن عظيم بطرابلس إلى أن يفوق أهل عصره»[1].

لذا ما كادت عينا الشيخ الدكالي تقع على عبد السلام، وعمه حتى انتابه الفرح الشديد وقام إليهما قائلاً: «مرحبا بأبي العباس، وابن أخيه عبد السلام»[2] وانتظم الأسمر في حلقات زاوية الدكالي العلمية، صحبة سبعين

(1) محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار ص: 76.

(2) عبد السلام الأسمر، الأنوار السنية. ص: 4 وتذهب بعض المصادر إلى أن الشيخ =

طالباً من مختلف مدن ليبيا وقراها، دارسين مختلف ضروب العلم والمعرفة.

وفي زاوية الدكالي اشتد عود الأسمر، ونضجت ثقافته، واكتمل علمه ودعّم هذا وذاك بما أخذه عن أشهر شيوخها، الشيخ الدكالي، الذي درس عليه ولازمه وأخذ عنه، وألم بشيء من حياته، التي أشار إلى نبذة منها في مراسلاته ووصاياه، وعن مقدرة شيخه العلمية، وطبيعة دروسه، يحدثنا الأسمر بقوله: «كان رضي الله عنه أوحد زمانه في الورع، والأحوال السنية وعلم النحو، والمعقول، والفقه، والحديث، والتصوف، وكان يقرىء الناس كل يوم سبع دولات «حصص» إلى ما قبل صلاة العشاء الأخيرة»(1). ظل الأسمر مع شيخه الدكالي مدة سبع سنوات كاملة، كان خلالها خير مثال للطالب المثالي، الذي لا يعصي لأستاذه أمراً، ولا يخرج له عن طاعة(2). ثم أسلكه في طريقته العروسية وخاطبه قائلاً: «يا عبد السلام اذهب لينتفع بك الناس الشيخ ما يخدم شيخاً»(3).

ذهل الأسمر لهذا الطلب من أستاذه وعزّ عليه فراقه، ولكن وكما يقال «لا بد ممّا ليس منه بد»، فغادر الأسمر أستاذه على كره ومضض، يعلوهما الكآبة والحزن، ولسان حاله يقول: «إلهي لقد خرجت من مكان أنت تملكه إلى مكان أنت تملكه، فخرجت من ضيافتك إلى ضيافتك، ومنك إليك، فأنا مخلوق وأنت خالقي، وأنا أعيش وأنت رازقي، وكل المخلوقات طوع إرادتك وجميعهم من جميل صنعتك، فكلنا ضيوفك وأنت صاحبنا، ولكن يا إلهي أناجيك في هذا الطريق، وليس معي إنسان ولا رفيق غيرك، أنت

---

= الدكالي هو الذي أرسل إلى عمه لكي يأتيه بابن أخيه عبد السلام. صغير المكي. ص: 9 مخطوط.

(1) عبد السلام الأسمر، الوصية الكبرى. ص: 71.

(2) تحدث المؤرخون عن كثير من التجارب والمحن التي تعرض لها عبد السلام من قبل أستاذه الدكالي ليتبين بها غثه من سمينه وخالصه من زيغه وقد كانت جميع نتائجها مشرفة لعبد السلام تبينت مدى صدقه في طاعة أستاذه وإخلاصه التام له. محمد مخلوف. تنقيح روضة الأزهار. ص: 77 ـ المصراتي، فتح العلي الأكبر. ص: 23.

(3) عبد السلام الأسمر، الأنوار السنية ص: 14.

المؤنس الحبيب، القريب المجيب، وها هي الجبال الرواسي تبجلك وتقدسك، وإن من شيء إلا يسبِّح بحمدك، يا رب يا كريم، يا عظيم يا عليم يا حكيم، إن الخير كله بيدك، والفضل جميعه منك، ليس لي إله غيرك فأدعوه، ولا رب كريم غيرك فأرجوه... إلهي قد تركت أستاذي الدكالي، وكنت قد تعلقت به، ولكن هي الإرادة التي كتبتها، فجعلت عبدك يمشي في البلاد قاصداً دعوتك، راجياً نصرتك، فأسألك العصمة في حركاتي، وسكناتي، وكلماتي، وإراداتي واحرسني بفضلك، واحفظني بعنايتك ورعايتك، واكتب لي التوفيق والطريق المستقيم إليك»(1).

ولم ييمِّم الأسمر وجهه شطر آله وذويه فرحاً مسروراً بإجازة شيخه له وإنما قرَّر أن يبحث له عن شيخ آخر، يتتلمذ عليه وينهل من معين علمه وأدبه.

## - شيوخه:

إن بمعرفة شيوخ الرجل يعرف قدره ويتبين في طريق القوم حاله وأمره ولله درّ ابن خلدون في قوله: «على قدر كثرة الشيوخ يكون حصول الملكات ورسوخها. والاصطلاحات أيضاً في تعليم العلوم مخلطة على المتعلم حتى لقد يظن كثير منهم أنها جزء من العلم، ولا يدفع عنه ذلك إلا مباشرته لاختلاف الطرق فيها من المعلمين، فلقاء أهل العلوم، وتعدد المشايخ يفيده تميز الاصطلاحات بما يراه من اختلاف طرقهم فيها، فيجرد العلم عنها ويعلم أنها أنحاء تعليم، وطرق توصيل، وتنهض قواه إلى الرسوخ والاستحكام في المكان، وتصحيح معارفه وتميزها عن سواها، مع تقوية ملكته بالمباشرة والتلقين، وكثرتهما من المشيخة عند تعددهم وتنوعهم»(2).

وقد أشرت إلى أن حياة الأسمر الدراسية لها مرحلتان، الأولى منهما

(1) اسحاق المليجي، على هامش حياة سيدي عبد السلام الأسمر. ص: 48 - 49.

(2) عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة. ص: 541.

قبل التحاقه بزاوية الدكالي، وقد أشارت المصادر إلى أن من مشايخه في هذه المرحلة كل من:

1 ـ الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد الفيتوري.

2 ـ الشيخ علي بن عثمان الفيتوري.

3 ـ الشيخ أحمد زروق البرنسي الفاسي. ت. 899هـ.

4 ـ الشيخ عبد الرحمن الوسلاتي[1].

أما المرحلة الثانية، فهي بعد التحاقه بزاوية الدكالي، ولم تشر المصادر بتلمذته فيها سوى على شيخه عبد الواحد الدكالي، أما بعد مفارقته لشيخه الدكالي، فقد اتصل الأسمر بثمانين[2] شيخاً، وجميعهم أجازوه واعترفوا بمقدرته العلمية ورسوخه، وأن عليه أن ينتقل من طور التلمذة إلى طور الإرشاد والتوجيه، ولم يمكّنه أحد منهم من التلمذة عليه وخدمته، ومن أبرز هؤلاء نذكر:

1 ـ الشيخ عبد الله العبادي.

2 ـ الشيخ محمد عبد الرحمن الحطاب. ت. 945هـ.

3 ـ الشيخ علي العوسجي. ت. 925هـ.

4 ـ الشيخ عبد النبي بن عبد المولى[3]... الخ.

## ـ سياحته ومحنته:

بعد أن فشلت جميع محاولات الأسمر في بحثه عن شيخ يرضى بتلمذته عليه بعد شيخه الدكالي، عاد الأسمر أدراجه إلى بلده زليتن، فوجد والدته قد أضناها المرض، وكف بصرها، فلزمها وأقام على خدمتها، حتى

---

(1) [illegible] الكبير، ص: 4، والنائب، المنهل العذب، ج: 1، ص: 61.

(2) عبد السلام الأسمر، الأنوار السنية، ص: 14.

(3) محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 120.

فاضت روحها الطاهرة والتحقت بالرفيق الأعلى، ثم لم يلبث حتى غادر زليتن سائحاً في أرض الله، إذ إن السياحة في الأرض تعتبر وسيلة من وسائل التربية النفسية، فهي مجاهدة للنفس، وقطعاً لمألوفاتها، ومغالبة لشهواتها وهذا ولا شك خليق بسموها وتهذيبها. سار الأسمر سائحاً في أرض الله زائراً كل من انتسب إليه، لعلّه بذلك ينال ذلك المقام الذي أشار إليه الحديث النبوي الشريف «وجبت محبتي للمتحابين فيَّ، والمتجالسين فيَّ، والمتزاورين فيَّ والمتباذلين فيَّ»[1] ومقتبساً في نفس الوقت من علومهم وآرائهم، وملتمساً دعاءهم وبركاتهم ومتأملاً في أحوال المسلمين وما هم عليه، وكانت نقطة النهاية في سياحته هذه جبل زغوان بتونس، هذا الجبل الذي يقول عنه ياقوت في معجمه بأنه «مأوى الصالحين وخيار المسلمين»[2]، عاد بعده أدراجه إلى بلده زليتن. حتى كان ذلك اليوم الذي يعتبر نقطة تحول في سموه الروحي، فبينما هو جالس غير بعيد عن روضة أجداده أولاد سليمان التي لا تبعد كثيراً عن منزله، إذ بطائفة من المغاربة[3] تضرب الدفوف وتنشد بعض الأناشيد الدينورية، واسترق الأسمر السمع، وبدأت عليه علامات التأثر، وفاضت عيناه وتداركه الجذب، وورد عليه وارد الحب، ونزل به من ذلك حال عظيم، وصدق عليه قول ابن العريف[4]: «إذا أراد الله أن يهيىء عبداً للإمامة والاقتداء، شغله في أيام غفلته بعلم الظاهر من القراءة، والعربية، والفقه، والحديث، ثم ينقله إلى علم الأحوال والمقامات، فعند ذلك يستحق الإمامة والتقدم»[5] واستغرب الجميع من حاله، فالأسمر بالأمس وعندما كان طالباً عند شيخه الدكالي يشدّد النكير

(1) أخرجه الإمام مالك في الموطأ «جـ 2 ص: 727» كتاب الشعر ـ عن معاذ بن جبل.

(2) ياقوت الحموي، معجم البلدان. جـ 3 ص: 144.

(3) المكي، البحر الكبير. ص: 10.

(4) هو: أبو العباس أحمد بن محمد الصنهاجي المعروف بابن العريف. فاضل شهير بالصلاح من [illegible] التشوف 118، وفيات الأعيان، 1: 54 الأعلام 1/ 215.

(5) الفاسي: ممتع الأسماع. ص: 191.

على أمثال هؤلاء، إلى درجة أنه يقوم بغسل الحصر التي يجتمعون عليها، وها هو اليوم يأخذه الجذب والهيام، ويصبح هؤلاء القوم من أحب الناس إلى قلبه، وطيِّر الخبر إلى شيخه الدكالي فاسترجع وقال:

«يضل من يشاء ويهدي من يشاء»[1] ائتوني بعبد السلام، ولم تكن إلا مسافة الطريق حتى كان الأسمر في حضرة أستاذه، الذي ما إن رآه حتى ابتدره معاتباً ومتهماً إياه بالبدعة والضلالة، واتباع هوى النفس، وحاول الأسمر أن يشرح حاله لأستاذه، وعبثاً حاول لأن شيخه أمر تلامذته فوراً بجره، وسجنه في إحدى الجبب التابعة للزاوية. وقد نسجت كثير من الأساطير والخرافات، حول سجن الدكالي لتلميذه الأسمر، وكيفيَّة خروجه من السجن، كتلك التي تقول: إن الأسمر طار من سجنه، ونزل على شجرة وبينما هو على الشجرة نزل عليه «بندير»[2] من السماء! وأن هذا البندير يحتوي على خمسة أوتار وخمسة جلاجل[3]. وقد أراد الطيب المصراتي - عفا الله عنه - أن يدلل على صحة هذه الخرافة بإيراده قصة طريفة - كما يقول - لها صلة بالموضوع، وقد أخبره بها صاحبها بنفسه، تقول القصة: «كان بعض علماء العصر يجلس بدكانه بسوق المنسوجات بمدينة طرابلس، وجلس قربه رجل يتحدث إليه في شؤون، إلى أن وصل الحديث في شأن بندير الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر، وقصة نزوله عليه، فأنكر الشيخ العالم ذلك على جليسه، وأغلظ له في الكلام، وقال هذا شيء لا أصل له، وهو من الخرافات، ولا يصح لأن الله ليس عنده معمل أخشاب في السماء حتى يسوي منه بندير وينزله على عبد السلام، وهنا وقف عليهم رجل دلاّل بالسوق يحمل بين يديه مجموعة من الأردية، واستمع إلى هذا الحديث، ثم

---

(1) المكي، البحر الكبير. ص: 10.

(2) البندير: آلة إيقاعية طبلية مستديرة الشكل، قطرها يتراوح ما بين 30 سم و50 سم، تغطي من جهة واحدة بجلد ماعز أو ضأن، ويوضع بداخلها غالباً وتر أو وتران. ويقول دوزي في معجمه ج[illegible] ص. [illegible]: بَنْدَيْر أو بَنْدير «إسبانية» وجمعها عند فوك بنادر. ضبط الباسك.

(3) محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 79.

قال: ما تقول يا سيدي الشيخ ـ مشيراً إلى الرجل العالم ـ فقال: قلت لهذا الرجل الذي يقول إن البندير نزل على الشيخ عبد السلام من السماء. أالله عنده معمل أخشاب في السماء؟ هذه خرافات لا أصل لها. قال الدلال: يا سيدي الشيخ، وهل كان لله في السماء مطعم؟ فسكت الشيخ برهة، ثم قال: ما معنى هذا الكلام الذي تقول؟ قال له الدلال: لا شيء إلا أنه إذا كان لله مطعم في السماء نزلت منه مائدة سيدنا عيسى[1]، فلا مانع أن يكون له معمل أخشاب ينزل منه بندير على عبد السلام. فانتبه الشيخ وتراجع وصار يكرر قوله: غلبتني يا بني غلبتني يا بني...» ويمضي الطيب المصراتي ضارباً على الأوتار الحساسة قائلاً: «وهكذا ظهرت الحكمة على يد هذا الرجل البسيط الدلال في السوق، والحكمة ضالة المؤمن، ويوجد في النهر ما لا يوجد في البحر، وعلى العموم فمن نوَّر الله بصيرته، وملأ قلبه بالإيمان الكامل، والصدق واليقين، والعلم النافع، والمعرفة التامة، فإنه لا يستبعد في قدرة الله شيئاً، ولله خرق العوائد، وما سيأتي إن شاء الله في الكلام على الكرامات وخوارق العادات، يفتح المجال أمام العقول المتحجرة، التي لا تستسيغ قبول مثل هذه الأخبار، أما العقول النيرة، والقلوب العامرة، فإنها تصدق أمثال ذلك، وتراه أمراً هيّناً، وليس بمستبعد في قدرة الله تعالى»[2].

وأقول للطيب المصراتي: إن أصحاب العقول المتحجرة هم الذين يستسيغون مثل هذا الهراء ويصدقونه، ثم هل الأمر مسألة ما هو واقع بقدرة الله وما هو بمستبعد عنها؟ أو أن الأمر إيمان بوقوع كرامة أو عدم الإيمان بها. إن الأمر ليس هذا ولا ذاك، وحتى على فرض أنها كرامة، فإنّي أقول ما قاله الشيخ محمد عبده بـ«أن أهل السنة وغيرهم في اتفاق على أنه لا

---

(1) بل حتى نزول المائدة على سيدنا عيسى عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأزكى السلام لا يشهد لها نص قطعي. وقد أوفى هذه المسألة حقها الشيخ عبد الوهاب النجار في كتابه: قصص الأنبياء ص: 414 وما بعدها.

(2) الطيب المصراتي، فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر. ص: 30 ـ 31.

يجب الاعتقاد بوقوع كرامة معيّنة، على يد ولي معيّن، بعد ظهور الإسلام فيجوز لكل مسلم بإجماع الأمة أن ينكر صدور أي كرامة، من أي ولي كان ولا يكون بإنكاره هذا مخالفاً لشيء من أصول الدين، ولا مائلاً عن سنة صحيحة، ولا منحرفاً عن الصراط المستقيم»[1].

هذا أولاً، وثانياً: إن الأسمر نفسه قد سجل لنا بقلمه قصة وضعه في السجن من قبل شيخه الدكالي، ولم يقل إني قد طرت من هذا السجن طيراناً ثم نزلت على شجرة، ونزل عليَّ البندير وأنا على الشجرة. وإنما قال:

«وقد أنكره ـ أي البندير ـ شيخنا الدكالي في أول بدايتي، وزجرني على شأنه، وقد ضربني وألقاني في السجن، وأخرجني الإله سبحانه من السجن»[2].

ويبدو أن بعض المتعاطفين مع الأسمر، قد عمل على إخراجه من الجب المسجون فيه، ولم يشأ الأسمر أن يفصح عنهم فاكتفى بقوله: «وأخرجني الإله من السجن» فأحال الإخراج إلى صاحب الإخراج الحقيقي، وهو الله سبحانه وتعالى، كما قال عزّ وجلّ حكاية عن نبيِّه يوسف ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ﴾[3]. وعلى كل فقد خرج الأسمر من سجنه المادي لا لينعم بالحرية التي كان ينشدها وهو داخل السجن، ولكن ليدخل سجناً آخر هو أضيق وأضيق، هذا السجن هو: سجن النفس عندما تضيق عليها الأرض بما رحبت، فها هو يعيش مبعداً ممقوتاً من قبل شيخه وتلاميذه يعاني أسوأ العذاب وأشدَّه، وفي خضم هذا العذاب النفسي، لاحت له بارقة أمل، لماذا لا يذهب إلى شيخ شيخه الشيخ فتح الله أبو راس القيرواني؟ فلعله يستطيع أن يقنع شيخه الدكالي بحقيقة حاله، فيعفو عنه

(1) محمد عمارة، الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده «الإصلاح الفكري والتربوي والإلّهيات» حـ 4 ص : 473 ـ 474.

(2) الأسمر، الوصية الكبرى ص: 19.

(3) يوسف: 100.

ويصفح. . . وقد كان ما أراد الأسمر، فقد استطاع القيرواني إقناع تلميذه الدكالي بحقيقة حال الأسمر، وأن جذبه هذا خارج عن طوعه وإرادته، وهو نفسه لا يفقه له معنى.

## ـ تأسيسه للزاوية وتصديه للتدريس وتربية المريدين:

بعد هذه المحنة القاسية التي تعرض لها الأسمر، وما سبقها من فترة السياحة في الأرض، ووقوفه على حقيقة الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة، أدرك الأسمر أنه لا بد له من القيام بعمل ما، يستهدف إصلاح الأوضاع والخروج بالمجتمع من المتاهات التي خلّفها الفراغ السياسي والتردي الاجتماعي. لذا عاد الأسمر إلى مسقط رأسه وبلده زليتن، وقام بوضع لبناته الأولى في دعوته الإصلاحية، فأسس زاويته بها، وابتدأ السير في دعوته من خلال مخطط مزدوج يستهدف أولهما: شريحة من كان في طور الدراسة والطلب، فإلى جانب تحفيظ القرآن الكريم لصغار السن انتظمت الحلقات الدراسية لكبارهم، لتتناول مباحث العقيدة، والتفسير والحديث، والفقه وأصوله، وعلوم اللغة العربية وآدابها. أما ثانيهما: فيستهدف الشريحة الأخرى من المجتمع، وهم كبار السن ومن فاته ركب التعليم بسبب مشاغل الحياة ومقتضيات المعيشة، وهم الفئة الأكثر في المجتمع يومها، فانتظمت بهم حلقات الوعظ والارشاد، التي يقوم الأسمر من خلالها بتبسيط قواعد الشريعة والسلوك إلى عقولهم، وتنبيههم إلى ما يدور حولهم ويستهدفهم في دينهم ولغتهم ووطنهم، كما انتظمت بهم حلقات الذكر الصوفي، وقد استعمل الأسمر في هذه الحلقات «السماع الصوفي صحبة البندير» وذلك بغية استقطاب مئات المريدين من الشباب ليجعل منهم كوادر تنظيمية تأخذ على عاتقها إعادة بناء المجتمع الذي اهتز «فترة حكم الشيوخ وما صاحبها من فوضى وانحلال» وتكوين نواة مؤمنة قوية للصُّمود والتصدي في وجه العدو الذي يتربص للانقضاض على البلاد «الاستعمار».

ولا شك أن عمل الأسمر من خلال هذين النمطين المختلفين في

وسائلهما يعدُّ عملا تربويا وإصلاحيا رائعا لأنهما يؤديان معا إلى الغايات المرجوة والنتائج المستهدفة.

## ـ التحدي للأسمر وزاويته:

أحدثت هذه الزاوية التي كوَّنها الأسمر ردة فعل قاسية، لدى كثير من العلماء[1] الذين كانت لهم حلقات علمية بمساجد زليتن، فقد هجرهم طلابهم ملتحقين بحلقات الأسمر العلمية، وأبى عليهم كبرياؤهم الانضمام إلى أسرة التدريس بزاوية الأسمر، فكان من الطبيعي والحالة هذه أن يناصبوا الأسمر العداء باحثين عن أي ثغرة ينفذون منها إلى ضرب الأسمر وزاويته، ووجدوا في استعمال الأسمر السماع لبعض مريديه، وذكره الله بالاسم المفرد المنفذ الذي من خلاله يسدِّدون سهامهم إليه، فاتهموه بخرق الشريعة المحمدية واتباع الهوى والشيطان، واستعدوا عليه السلطة الحاكمة التي لم يرقها ما يقوله الأسمر ويدعو إليه، وفي ظل هذه الظروف وهذا الجو المشحون بالتوتر عرض أحد فضلاء المواجر على الأسمر أن يبتعد قليلاً عن زليتن، وأن يقيم بينهم بالساحل حتى تهدأ الأمور، ويقضي الله بعدها ما يشاء. واستجاب الأسمر لهذا العرض، وانتقل معه إلى ساحل الأحامد، وبدأ تلاميذه وأتباعه والمعجبون به يتواردون عليه، ولم يرق هذا بطبيعة الحال لشيخ قبيلة الأحامد «همام»، ولا لمفتيها «مبارك» لأنهما رأيا في وجود الأسمر القضاء على نفوذهما في القبيلة، فأخذا جاهدين في الكيد له، وألبا عليه الرعاع والسفهاء وانتهى الأمر بمقتل أحد أبنائه بكل قسوة ووحشية[2].

## ـ الأسمر في طرابلس:

أدرك الأسمر أن وجوده في الساحل أصبح مستحيلاً بعد مقتل ابنه وفلذة كبده «عبد الدائم»، فغادره متوجهاً تلقاء طرابلس، واتخذ من مسجد

(1) أحمد جابر، الرشاش النوري. ص: 6.

(2) إسحاق المليجي، على هامش حياة عبد السلام الأسمر ص: 104.

الناقة ـ وهو من مساجد طرابلس العتيقة وله مكانة خاصة في قلوب أهلها ـ مستقراً ومنبراً لدعوته الاصلاحية، وكانت طرابلس في تلك الفترة تعيش ظاهرياً في ظل حكم أحد «الشيوخ» الذين جاءوا إلى سدة الحكم بعد انفصال طرابلس عن الدولة الحفصية سنة 866هـ ـ 1460م، بينما الحكم الفعلي يباشره كبار التجار، وأصحاب رؤوس الأموال الذين لا همَّ لهم إلا جمع المال والثراء، وقد بلغ من ثرائهم أن أحدهم ابتاع سفينتين محملتين بالبضائع لوحده ودفع ثمنهما فوراً، وآخراً استضاف أطقم هاتين السفينتين إلى مائدته الفاخرة حيث تناول لؤلؤة نفيسة، ودقها دقاً ناعماً في مدق على مشهد من ضيوفه، ثم ذرَّ مسحوقها على الطعام قائلاً: هذا مقام الفلفل[1]. وهذا البذخ والثراء والترف الذي كانت تعيشه طرابلس غداة نزول الأسمر بها، كان مدعاة للدعة والانحراف والتخنّث. فالترف ـ كما يقول العلامة ابن خلدون ـ: «مفسد للخلق بما يحصل في النفس من ألوان الشر والسفسفة وعوائدها»[2]. أما ما يشاع من أن «الإسبان» يعدّون العدَّة للاستيلاء على طرابلس، وأنهم أصبحوا منها قاب قوسين أو أدنى، فهذا أمر لا يعني شيوخ طرابلس ولا حكامها الحقيقيين.

لذا سارع الأسمر إلى انتقاد هذا الوضع، وأرسل صيحاته المدوية في جنبات جامع الناقة، محذراً من هذا الوضع الذي تعيشه المدينة، ومبيِّناً المآل الذي ستصير إليه إن استمر هذا الوضع على حاله. أقضَّت صيحات الأسمر هذه مضاجع الذين يحكمون المدينة من خلف الستار، ورأوا فيها ما يهدد كيانهم، ويهدم مصالحهم، فقرروا العمل بسرعة ضد الأسمر ودعوته قبل أن يستفحل الأمر، ويتسع الخرق على الراقع. وسرعان ما حيكت المؤامرات، ولفقت التّهم التي جعلت من الأسمر في صورة الخارج عن الجماعة، والساعي إلى قلب نظام الحكم، وانتهى الأمر باستصدار قرار من شيخ

(1) شارل فيرو، الحوليات الليبية. ص: 94.

(2) ابن خلدون، المقدمة. ص: 169.

طرابلس يقضي بنفي الأسمر من طرابلس وأحوازها، وسرعان ما تحركت بيادقة السلطة وعلى رأسها القاضي «أبو محمد» لتنفيذ قرار نفي الأسمر.

## ـ الأسمر في منفاه:

غادر الأسمر طرابلس منفياً عنها في ثلة من أصحابه الذين أبوا إلا مرافقته والسير معه، وهو مدرك تماماً لمصيرها الذي ستؤول إليه حتماً نتيجة لهذا السرطان الذي ينخر فيها، والذي حاول عبثاً استئصاله أو حتى مجرد إيقافه، غادر طرابلس وتوجه إلى بلدة غريان التي ما إن وصلها حتى وجد أخبار نفيه من طرابلس قد سبقته إليها، ففعلت فعلها في أخذ الحيطة والحذر من شخصيته، ومع هذا فقد وجد من بعض أهلها وهم «أولاد ساعد» و«أولاد بو سلامة» غاية الإكرام والبشر والترحاب، ومن غريان كرّ راجعاً إلى وادي بني وليد، حيث تلك الكتلة من الجبال التي تعانق السماء برؤوسها والتي اصطلح على تسميتها باسم «القلعة» حيث الهدوء والسكينة والانقطاع التام عن بني الإنسان. أقام الأسمر مع أصحابه الخمسة عشر في رأس هذه القلعة، وقد اصطحبوا معهم القليل من الزاد والماء وبقرة يقتاتون من حليبها كل صباح، وبدأ قليل الماء بالنفاد، وأمر الأسمر أصحابه بحفر بئر في أسفل القلعة لحل مشكلة الماء، يقول المكي: «فحفرنا ثلاثمائة قامة ولم نجد من الماء شيئاً فصعدنا إلى رأس القلعة، وانهمرنا بالبكاء، فأخذ الشيخ معوله وقال: أنتم غرباء وأنا رحمة لكل غريب، وضرب المعول في تلك الصخرة، وإذا بالماء صاعد فوق رؤوسنا»[1]. ولا زالت هذه العين التي تفجرت في أعلى هذه القلعة يبضّ ماؤها إلى يومنا هذا، مذكرة بني الإنسان بمعونة الله لهم عند اضطرارهم وصدق التجائهم. وعندما علمت بمقام الأسمر بالقلعة خالته السيدة «أم السعد»، وكانت تقيم بمشارف تاورغاء، أخذت ترسل له بين الفينة والأخرى ما يحتاجه وأصحابه من الطعام والميرة، ومضت الأيام واللّيالي، والأسمر وأصحابه في هذه الخلوة البعيدة، نهارهم في الدرس

---

(1) عبد الرحمن المكي، البحر الكبير. ص: 26.

والتحصيل ـ وللدرس والتحصيل لذة لو علمها الملوك لقاتلونا عليها، كما يؤثر عن الإمام أبي حنيفة ـ وليلهم في العبادة والمناجاة. ولئن نفي الأسمر «الجسد» من طرابلس، فإن أفكاره وآراءه التي بثَّها لا يستطيع أحد أن ينفيها، وصيحاته التي كان يرسلها في جنبات جامع الناقة لا زالت تجلجل في آذان سامعيها، ولم تغرب يوماً عن أفكارهم، بل ظلت محور لقاءاتهم وندواتهم، وأضحى كلُّ من لم يره ويستمع إليه يتمنى رؤيته ولقاءه، وهكذا اعتبر الأسمر مسؤولاً عن هذه الأفكار التي سرت في كثير من طبقات المجتمع سريان النار في الهشيم، واستقر أمر السلطات الحاكمة على القضاء على الأسمر الذي أصبح رمزاً يتشدق به كثير من الغوغاء ـ على رأيهم ـ وجردت لذلك حملة عسكرية يقودها الوالي نفسه، وقاضيه، وكبار رجال الدولة. سارت الحملة متجهة إلى «القلعة» حيث الأسمر وأصحابه الخمسة عشر، وخيَّم عليها ظلام الليل في «وادي سوسو» فأصدرت الأوامر لها بالنزول للمبيت، وقضى رجال الحملة ليلتهم في هذا الوادي هادئين مطمئنين، ما عدا الوالي الذي كانت ليلته هذه من أزعج ليالي حياته، فالكوابيس الرهيبة لم تجعله ينام مستريحاً، وقد تراءى له أن الأسمر قد دخل عليه خيمته، وأخذه من أذنه، ووضع عليه بردعة حمار وامتطاه، وجعل يطوف به بين رجال جيشه[1]. وأصبح الصباح ونفسه منقبضة مما تراءى له ولم يجد تفسيراً مقنعاً؛ وأذّن المؤذّن بالرحيل، وما كاد الجيش يستقيم في طريقه حتى عارضته أسرابٌ من الطيور المهاجرة[2]، فسدت عليه الأفق وتعالت همسات الجنود ما لنا ولهذا الشيخ؟ لقد جاءه نصر الله. ها هي طير أبابيل، وتناهت هذه الهمسات إلى سمع الوالي، فازداد اضطراباً على اضطرابه، وخشي من تفرق جنده عنه، فأصدر أوامره للحملة بالتوقف والرجوع، وأرسل رسولاً

---

(1) محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 94.

(2) [illegible] الهجرة التي [illegible] الطيور [illegible] أوروبا إلى أفريقيا الاستوائية [illegible]
ينظر: عبد الحميد الوسلاتي، هجرة الطيور، «مجلة العلم، تونس. العدد السابع عشر، 1973م ص: 46».

من لدنه إلى الأسمر يبلغه تحياته، ويعرض عليه أن يترك هذا المكان الموحش، ويصطفي ما يشاء من المدن العامرة لمقره وسكناه، ولقي هذا العرض قبولاً في نفس الأسمر وأصحابه، وبدأت رحلة العودة.

## ـ العودة من المنفى والاستقرار النهائي بزليتن:

كانت بلدة تاورغاء هي أول قرية ينزل بها الأسمر بعد هذه العزلة التي امتدت في عمر الزمن ما يربو على العامين. تاورغاء التي لم تنس الأسمر في أيام محنته وعزلته، فكانت تمدّه بين الحين والآخر بما يحتاجه من القوت والزاد، ومن تاورغاء وفي طريق العودة إلى زليتن نزل بمدينة مصراتة، وأقام بها عدة أيام ضيفاً على الشيخ علي أبو دبوس المصراتي، ومن مصراتة اتجه إلى بلده ومسقط رأسه زليتن بعد غيبة عنها قاربت نصف العقد من الزمان، وقد كانت هذه المدة الطويلة نسبياً، كفيلة بتغيير ذلك الموقف العدائي الذي وقفته منه هذه المدينة يوم ابتدأ دعوته الاصلاحية بها، فها هي اليوم تخف لاستقباله بكل مظاهر المحبة والاحترام. وبعودة الأسمر إلى زليتن عادت الحياة مرة أخرى إلى زاويته، فانتظمت الدراسة بها مرة أخرى، كما انتظمت بها حلقات الوعظ والذكر، وما كان لمن ناصبه العداء بالأمس من المشايخ والفقهاء، أن يستسيغوا تألُّق الأسمر في زاويته مرة أخرى، فدعوه إلى مناظرة علمية بينهم وبينه على رؤوس الأشهاد ولتحدّد نتائجها مصيرهم ومصيره، واستجاب الأسمر لهم، وعقدت عدة مناظرات بينهم وبينه، وشهدها كل من في البلد ممَّن ينتسب للعلم والعلماء، وكان النصر فيها حليف الأسمر، فأظهره الله عليهم، وأفحمهم بالحجة والبرهان، وما كان منهم إلا الاعتراف بمشيخته والتسليم له، وأنه البحر الذي لا يجارى، ومن يومها تبوّأوا المكانة اللائقة بهم في زاوية الأسمر، وأصبحوا خير معينين له في دعوته الإصلاحية[1].

(1) من هؤلاء العلماء الذين ناظروا الأسمر: الشيخ سالم عبد القادر الحامدي وهو ممن طلب العلم بالأزهر الشريف وبعد إجازته منه عاد إلى زليتن وجلس للتدريس بها. والشيخ =

## ـ الالتحاق بالرفيق الأعلى:

بعد عمر حافل امتد في حيِّز الزمان بما يناهز القرن أو يزيد، قضى الأسمر نحبه مريضاً بداء «القولنج»[1] بعد أن أشهده الله ثمار غرسه والمتمثل في عشرات العلماء الذين تخرجوا عليه، ومئات المريدين الذين أخذ بأيديهم إلى طريق الحق والخير. يقول مؤرخه البرموني: «كانت وفاته يوم الخميس بعد صلاة العصر في العشر الأواخر من شهر رمضان[2]، وبات مغسّلاً في خلوته، ودفن في الغد بعد صلاة الجمعة، بعدما غسل أيضاً، ودفن بزاويته المعروفة بزليتن بأرض طرابلس الغرب، وكان ذلك سنة 981هـ إحدى وثمانين وتسعمائة، واستخلف بعده سيدي عمر بن جحا، وكان الذي تولى غسله والصلاة عليه سيدي سالم بن طاهر اليزليتني، كما أوصى بذلك قبل موته»[3].

أما تركته وجميع ما على ملكه، فقد خرج عنه قبل وفاته بثلاثة سنوات، وحبّسه حبساً مؤبداً على زاويته وأولاده الذكور أثلاثاً بينهم، الثلث على الزاوية تستعين به على إطعام الطلبة، والفقراء، والمساكين، والحجاج لبيت الله، والواردين عليها من أمة سيدنا محمد ﷺ. والثلثان الآخران على أولاده، «وأذن لابنه الشيخ عمران في قبول ما حبّسه على الزاوية، فقبله قبولاً تاماً وحازه حوزاً صحيحاً شرعياً» وكذلك أذن لبقية أبنائه في قبول ما حبّسه عليهم، ولم يستثن من ممتلكاته سوى «ربع ما حبسه على الزاوية من غلَّة يستغلها ما دام حياً، فإذا توفي لحق بحبس ما حبّسه على الزاوية المذكورة وجرى مجراه»[4] وغداة دفنه رثاه العديد من تلاميذه ومحبيه بقصائد

---

= سعيد التطاوني والشيخ سالم بن طاهر. محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار ص: 81 وما بعدها.

(1) القولنج: مرض معوي مؤلم يعسر معه خروج التفل والريح. الزاوي، مختار القاموس ص: 517.

(2) تذهب بعض الوثائق إلى أن وفاة الأسمر كانت يوم الأحد الثاني والعشرين من جمادى الثانية سنة 981هـ، وقد اعتمدنا على ما أورده البرموني لأنه شاهد عيان لوفاة الأسمر

(3) البرموني، روضة الأزهار جـ 2 ص: 150.

(4) وثيقة حبس الأسمر، «مقتنيات زاوية الأسمر».

طويلة، أورد لنا البرموني في كتابه «روضة الأزهار» الكثير منها[1].

## ـ شخصيته وصفاته

لا يختلف اثنان في أهمية البيئة والمحيط الأسري في حياة الإنسان وتشكيل شخصيته، مع مؤثرات أخرى خارجية تتفاعل معها قوة وضعفاً سلباً وإيجاباً، وقد مرت بنا حياة الأسمر منذ أن كان طفلاً صغيراً في حضن أسرته، وطالباً للقرآن الكريم في كتّاب شيخه علي بن عثمان الفيتوري، ثم شاباً يافعاً في زاوية الدكالي، ثم سائحاً زاهداً عابداً، وأخيراً داعية ومربياً لتلاميذه ومصلحاً، وفي كل هذه المراحل تميّزت شخصيته بالعلم وحسن الخلق، وعلوِّ الهمة والتواضع، والسخاء والكرم والإيثار، فكان يجالس الفقراء، ويؤاكلهم، ويحنو عليهم، كما كان يحفظ الود، ويتجاوز عن السيئات، ويتفقّد من غاب من تلاميذه ويسأل عنهم[2]، كما كان صدّاعاً بالحق، جريئاً قوياً في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا يحابي في دين الله أحداً، ولا تأخذه في الله لومة لائم. لقد كانت شخصيته تمثل الشخصية الاسلامية المعتدلة التي ترى في نفسها أنها مأمورة بتعليم الناس، وإرشادهم إلى طريق الحق والخير، وقد بذل في سبيل ذلك الكثير من الجهد والوقت، وضحى بالغالي والنفيس، كما كان رحمه الله أشعري العقيدة «أوصيك بتصحيح إيمانك على ما قرره الإمام الأشعري وإمامنا السنوسي في

---

(1) في مقدمة هؤلاء التلاميذ الذين رثوا شيخهم الأسمر.
1 ـ كريم الدين البرموني.
2 ـ عمر بن محمد بن جحا.
3 ـ أحمد بن مدين.
4 ـ عبد الحميد بن عبد الله «ضوء الهلال».
5 ـ عبد الرحمن بن محمد الصغير البشتي.
6 ـ عمر بن الورفلي.
7 ـ عبد الرحمن عطية العدشي. البرموني، روضة الأزهار جـ 2 ص: 151 وما بعدها.

(2) المصدر السابق جـ 1 ص: 17.

عقائده»[1]، مالكي المذهب لكنه لم يكن متعصباً في ذلك، بل همُّه الأوحد هو الوصول إلى الحق، «فإن قيل إن الذكر في الجماعة كرَّههُ مالك، قلنا:

المكروه من قبل الجائز لا يسمى ضلالة، ولا يدخل صاحبه النار وعلَّة الكراهة عند مالك لعدم فعل السلف لا على إطلاقه، وكم من أشياء لم تكن في عهد السلف وهي واجبة أو مستحبة»[2]. سنيٌّ في تصوُّفه قد تدرّج في مراتب التصوّف[3] حتى وصل إلى درجة القطبانية[4] العظمى[5].

أما صفاته الخلقية، فهي كما حدّد لنا ملامحها تلميذه البرموني بقوله:

«كان رحمه الله متوسط القدّ في الغلظ، ربعة إلى الطول، جميل الصورة، آدم اللون لا تمل من النظر إليه، أسود العينين والحواجب والهدوب، وجهه كأنه يقطر الدهن، في عينيه وسم وبهاء، خفيف شعر العارضين، فصيح اللسان عذب الكلام»[6] كذلك أشار البرموني إلى مظهره الخارجي، فأفادنا بأنه يرتدي الأبيض من الثياب، ويتعمّم بعمامة غالباً ما تكون بيضاء، وفي بعض الأحيان يستبدلها بخضراء اللون، فينتقب بها ويرخي عذبتها حتى لا يرى في غالب أحواله إلا عينيه، وينتعل بالنعل الأصفر الطرابلسي، وأحياناً المداسة القيروانية، كما يلبس الخف والجورب، ويتختّم بخنصره اليسرى.

---

(1) من رسالته لراشد بن يحيى المحجوبي المقرحي.

(2) من رسالته لأصحابه بالزاوية الغربية.

(3) هذه الرتب من الأشياء التي يصعب الاستدلال على صحتها بالعقل المجرد. لذا تركت الخوض في تعدادها وتفسيرها.

(4) القطب أو الغوث عند الأسمر هو: «من صارت كليَّته ظاهرة وقلبه مشغولاً بإقامة العبودية الربوبية، دون غرض آخر» من رسالته إلى [illegible]

(5) محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 118.

(6) محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 72.

أما معوله الذي اتخذه من شجر الزيتون، فهو لا يفارقه أينما ذهب، وكان هذا المعول مربعاً على أربعة أوجه، مكتوب على وجهه الأول: «بسم الله الكافي» وعلى وجهه الثاني: «الغني الفتاح» وعلى وجهه الثالث: «الرحمان الباقي» وعلى وجهه الرابع: «الرحيم الرزاق»[1].

ولا شك أن صفات الأسمر الطيبة هذه، وخصائصه الجليلة، ومقدرته الفائقة في الوعظ والإرشاد، وأسلوبه في فن التدريس والدعوة إلى الله، جعل الكثير من المؤرخين والدارسين قديماً وحديثاً، يسارعون إلى تدوين سيرته، وتعداد مناقبه. ومن بين هؤلاء نذكر:

1 ـ كريم الدين البرموني[2].

2 ـ عبد الرحمن بن علي المكي[3].

3 ـ سالم بن محمد السنهوري[4].

4 ـ عمر بن محمد بن جحا[5].

5 ـ سالم بن طاهر[6].

6 ـ سعيد التطاوني[7].

---

(1) لا يزال هذا المعول تحتفظ به مكتبة زاوية الأسمر إلى جانب مسبحته ذات الألف حبة وذلك من ضمن مقتنياتها الأثرية.

(2) وله في ذلك كتابان أولهما «الديوان في مناقب نجل سليم بن عمران» وهو كتاب ضخم جداً إذ يقع في أربعة أجزاء وكل جزء يحتوي على أربعين كراس. ويعد هذا الكتاب اليوم من ضمن الكتب المفقودة. وثانيهما «روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب صاحب الطار سيدي عبد السلام الأسمر».

(3) وله في ذلك ثلاثة كتب: كبير وعنوانه «البحر الطمطام في مناقب الشيخ سيدي عبد السلام» ومتوسط وعنوانه «الكبريت الأحمر في مناقب الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر» وصغير وعنوانه «البحر الكبير في مناقب صاحب البندير».

(4) وله في ذلك كتاب أسماه «النور النائر في سيرة الشيخ عبد السلام الأسمر».

(5) وله في ذلك كتابان.

(6) وله في ذلك كتاب واحد.

(7) وله في ذلك كتاب من أربعة أجزاء.

7 ـ سالم الحامدي[1].

8 ـ عبد الرحمن الفيتوري[2].

9 ـ محمد بن علي الزليتني[3].

10 ـ أحمد بن علي الشريف المسلاتي[4].

11 ـ محمد بن عطية[5].

12 ـ معتوق المدني[6].

13 ـ الشيخ الفاسي[7].

14 ـ عبد الله الحطاب[8].

15 ـ عبد السلام بن عثمان التاجوري[9].

16 ـ محمد مخلوف[10].

17 ـ الطيب المصراتي[11].

18 ـ أحمد جابر[12].

---

(1) وله في ذلك كتاب كبير الحجم.
(2) وله في ذلك كتاب واحد.
(3) وله في ذلك كتابان أحدهما أسماه «البرهان» والآخر «نشر الأزهار».
(4) وله في ذلك كتاب واحد.
(5) وله في ذلك كتاب أسماه «البحر».
(6) وله في ذلك كتاب واحد.
(7) وله في ذلك كتاب واحد.
(8) وله في ذلك كتاب واحد.
(9) وله في ذلك كتابان أحدهما أسماه: «فتح العليم في مناقب سيدي عبد السلام بن سليم».
(10) وله في ذلك كتاب أسماه «مواهب الرحيم في مناقب مولانا الشيخ سيدي عبد السلام بن سليم» وهو اختصار لروضة الأزهار للبرموني مع بعض الزيادات التي يقتضيها المقام.
(11) وله في ذلك كتاب أسماه «فتح العلي الأكبر في تاريخ حياة سيدي عبد السلام الأسمر».
(12) وله في ذلك كتاب أسماه «الرشاش النوري من كمال ولي الله سيدي عبد السلام الفيتوري».

19 ـ سالم أحمودة[1].

20 ـ أحمد حامد عبد الكريم الشريف[2].

21 ـ أحمد القطعاني[3].

## ـ الأسمر والكرامة:

بالرغم من أن الأسمر كان يرى ضرورة التكتُّم على الكرامات الحسية والتحفظ عليها[4] فإن ما يستوقف الباحث في تاريخه وسيرته هو ذلك الكم الهائل من الكرامات التي تشكل شخصية الأسمر لحمتها وسداها، وهي في معظمها كرامات لا يقبلها عقل ولا يستسيغها منطق، وأستميح القارىء عذراً في نقل نموذج منها، ليقف معي على الهالة الأسطورية التي أحيطت بها شخصيته حتى أصبح في نظر الكثيرين «ظاهرة خارقة للعادة في حد ذاته أكثر منه صوفياً»[5].

يقول المكي في كتابه «البحر الكبير»: وممّا وقع للشيخ الأسمر مع ملك الموت، حين مرض ابنه عمران مرضاً قوياً، والناس يأتونه ليزورونه من كل موضع، وقد دخلنا عليه في الدار القبلية، فوجدناه مريضاً ممّا اشتد به ويتقلب يميناً وشمالاً، وجلسنا معه وهو يحدثنا، وشيخنا الأسمر بيده مروحة يروح بها على ولده عمران المذكور، وإذا بالشيخ قد قام عاجلاً عن يمينه وعن شماله وقال: من بالباب؟ قال: ملك الموت يريد أن يمر بابنك عمران، فوادعه، وعانقه، وسامحه، وقبّله قبل خروج روحه. قال: هذا محال نهار اليوم أن تقبض روحه، فدع عنك من هذا الكلام، فابني عمران

(1) وله في ذلك كتاب أسماه «مختصر تاريخ الشيخ سيدي عبد السلام الأسمر».

(2) وله في ذلك كتاب أسماه «الطبقات العروسية الشاذلية ومناقب القطب سيدي عبد السلام الأسمر».

(3) وله في ذلك كتاب أسماه «القطب الأنور عبد السلام الأسمر».

(4) أحمد حامد، الطبقات العروسية، ص: 20.

(5) علي فهمي خشيم، أحمد زروق والزروقية. ص: 162.

لم يكن حضور منيته في هذا العام الذي أتيتنا فيه اليوم، ولا في العام الثاني، ولا في العام الثالث، ولا في العام الرابع، فانصرف ولا تأتينا إلا بعد ثلاثين سنة. قال: لن أمشي حتى نقضي حكم الله فيه، هكذا أمرني ربي بقبض روحه، وقد نظرت ذلك مكتوب بقلم القدرة. فرفع الشيخ رأسه ووجهه إلى السماء ساعة ثم قال: يا ملك الموت لا حاجة لك عندنا اليوم، سألتك بالله أن تمشي عنا يا عزرائيل، فعمر ابني طويلاً يزيد على الثلاثين سنة، زيادة حسية، حياة من غير ما مضى من عمره قبل نهار اليوم، فأنت يا ملك الموت قد نظرت في الممحو، وأنا نظرت في المثبت. وإذا بمنادي في الهواء ما بين السماء والأرض يقول في ندائه: نادى الله من فوق عرشه يا عزرائيل، فصعد ملك الموت إلى الجليل جل جلاله، وقد قال: أمرتني بقبض روح عمران، ومنعني أبوه عبد السلام من قبض روحه، والأمر أمرك يا رب، لن أقدر على قبض روح بعوضة إلا أن تأذن لي بقبضها. فقال الجليل جل جلاله: يا عزرائيل قد زدت له في عمر ابنه ثلاثين سنة، فلا تقربه وأمهل عليه قد دعاني فأجبت دعاءه بطول عمر ابنه، ومحوت ما هو مكتوب، وكتبت ما هو ثابت بزيادة عمره. فرجع ملك الموت إلى الشيخ، وأخبره بذلك كله، والناس يسمعون، ولم يرونه إلا الشيخ وابنه»[1].

وواضح أن المكي «عفا الله عنه» قد دفعه حبه لشيخه بالاستغراق في أودية الخيال ينسج ويحيك، متصوراً أنه بفعله هذا يسترضي شيخه ويعلي من قدره في نظر محبيه ومريديه، وربما كان عذره في ذلك أنه كان يكتب لأناس يعيشون حوله، ولا يقوِّمون رجال الاصلاح إلا بمقدار ما يتهيأ لهم من كرامات وخوارق عادات، ولا يقوِّمونهم على أساس مثلهم وسلوكهم. وإذا كان المكي وأمثاله قد دفعهم حبهم لشيخهم لاختلاق الكرامات وتهويلها، فإن قطاعاً كبيراً من المجتمع الليبي قد ساهم بدوره في تبني الفكر الكرامي بصفة عامة، وخلق الكرامة الأسمرية والعمل على انتشارها بصفة خاصة،

(1) المكي، البحر الكبير. ص: 52 ـ 53.

وذلك ضمن إيديولوجيته السلمية في مواجهة حكامه المغتصبين، وسعيه الدائب لإصلاح مجتمعه وتطهيره، ومن الأمثلة على ذلك:

ما يرويه لنا البرموني في «روضة الأزهار» والتاجوري أيضاً في «فتح العليم» من أن مراد آغا، وهو أول والي عثماني على طرابلس، قد سجن رجلاً يدعى «عبد الدائم الطرابلسي» في مال اتهم به، وشدَّد عليه في ذلك وصادف أن أصيب «مراد آغا» بمرض في مقعدته طال به وأعيا أطباءه، فقيل له: لعل ما أصابك ناتج من دعاء الرجل الذي سجنته، وأمرت بإنزال العقاب به، فإن لسانه لا يفتر من الدعاء عليك. يقول الرجل: «فجاءني يعتذر إليَّ مظهر التوبة لأخلصه من ذلك. فقلت له: إن الذي أبلاك الله منه إنما هو الشيخ سيدي عبد السلام، وتبرأت أن يكون لي في ذلك مدخل، وقلت لا تبرأ من علتك حتى يضع معواله عليك»[1]. وقد صدَّق مراد آغا مقولة الرجل، وسارع إلى زيارة الأسمر في زاويته، صحبة ألف فارس من حرسه وجنوده، ملتمساً دعاء الأسمر وبركاته[2]. ولا عجب في ذلك، لأن القادة الأتراك قد كانوا في تكوينهم الديني والنفسي من اتباع الطريقة البكداشية، التي كانت لها اليد الطولى في توجيههم وتقوية نفوذهم، وكانوا هم بدورهم يدينون لرجالها بالطاعة والولاء، وينظرون إليهم نظرة المريد لشيخه، والسيد لسيده، وبالتالي فإن مراد آغا لم يكن ليشذّ عن هذه القاعدة. وقد صوَّر لنا «شارل فيرو» مدى تأثير الأسمر عليه، والمتمثل في العمل بنصائحه بوقف جميع أملاكه على بناء المساجد والكتاتيب[3]. كما نشير إلى أن الأتراك، وأينما حلوا قد «اضطروا إلى اتخاذ سياسة صوفية، فاعتمدوا على جماعات الطرق الصوفية، وأحاطوهم بالرعاية ومظاهر الاحترام، ورفعوا من شأنهم في نظر العامة، ولم يقصروا في مجازاة

---

(1) البرموني. روضة الأزهار جـ 1 ص. 148.

(2) التاجوري، فتح العليم ص: 59.

(3) شارل فيرو. الحوليات الليبية. ص: 119.

خدماتهم بسخاء، ولا في عقاب مظاهر المعاداة بقسوة»[1].

وفي الحقيقة إن كلا الفريقين قد غرَّب بالرجل وطار به عن عالم الواقع، وقدمه لنا في صورة تفوق صورة الأنبياء والمرسلين، بما أضافوا إليه من القدرة الخارقة التي تتمثل في إحياء الموتى، وشفاء المرضى، ومخاطبة الملائكة، وطي المسافة البعيدة في الزمن القصير، وما إلى ذلك من الأوهام والأساطير[2]. أقول هذا لا إنكاراً لظاهرة الكرامة، فالكرامة في واقعها منسوبة إلى قدرة الله سبحانه وتعالى لا إلى من كانت على يديه. وعليه فلا حرج على منن الله وإكرامه من شاء بما شاء، ولا استكثاراً على الأسمر من أن يكرمه الله بما شاء وكيف شاء، ولكن ما ننكره هو هذا التزيُّد الواضح والمبالغة الممقوتة التي تجعل الكرامة تصادم العقل، وتقع في دائرة المستحيل، وليس معنى هذا أبداً أن يكون خرق العادة بكون الخارق مستحيلاً، كما أن الكرامة والمعجزة أيضاً تجري على أسباب لو كشفها الله تعالى لنا لرأيناها سهلة مفهومة، ولعلمنا أنها تجري على سنن كونية خفية[3].

## ـ الأسمر والسماع:

السماع عند الصوفية: «استجمام من تعب الوقت، وتنفس لأرباب الأحوال واستحضار الأسرار لذوي الأشغال. وإنما اختير على غيره مما تستروح إليه الطباع لبعد النفوس عن التشبث به والسكون إليه، فإنه من القضاء يبدو وإلى القضاء يعود»[4]. وقد حاول الصوفية التماس الأدلة له من الكتاب والسنة[5]، كما استنبطوا له جملة من الشروط والآداب[6]. وقد

(1) الفرد بل، الفرق الإسلامية في الشمال الإفريقي. ص: 430.

(2) ينظر في ذلك الفصل الثالث من مؤلف البرموني «روضة الأزهار».

(3) مصطفى أحمد الرفاعي، كرامات الأولياء. ص: 5 وما بعدها.

(4) الكلاباذي، التعرف لمذهب أهل التصوف ص: 160.

(5) القشيري، الرسالة القشيرية. ص: 335.

(6) الغزالي، إحياء علوم الدين. جـ 2، ص: 298 وما بعدها.

شغلت قضية السماع هذه المجتمع الاسلامي منذ أن نظّر لها الصوفية، وقعَّدوا لها القواعد، واحتدم الجدال والنقاش بين الصوفية والفقهاء في إباحته وعدمها، وبطبيعة الحال كان هناك صوفية معتدلون، وصوفية متطرفون في آرائهم، كما كان هناك فقهاء معتدلون أيضاً، وقد أسالت هذه القضية الكثير من المداد، وسودت في بسطها تحليلاً وتحريماً عشرات الآلاف من الصفحات، ومن يقف اليوم على فهارس تراثنا الفقهي والصوفي المطبوع منه والمخطوط يعلم أني لم أكن مغالياً في قولي هذا. وجملة القول كما يقول شيخ الإسلام ابن تيمية أن: «الكلام في السماع وغيره من الأفعال على ضربين، أحدهما أنه هل محرم أو غير محرم بل يفعل كما يفعل سائر الأفعال التي تلتذ بها النفوس، وإن كان فيها نوع من اللهو واللعب كسماع الأعراس وغيرها مما يفعله الناس لقصد اللذة واللهو، لا لقصد العبادة والتقرب إلى الله. والنوع الثاني أن يفعل على وجه الديانة والعبادة، وصلاح القلوب، وتجريد حب العباد لربهم، وتزكية نفوسهم وتطهير قلوبهم، وأن تحرك من القلوب الخشية والإنابة، والحب، ورقة القلوب، وغير ذلك ممّا هو جنس العبادات والطاعات، لا من جنس اللعب والملهيات، فيجب الفرق بين سماع المتقربين وسماع المتلعبين، وبين السماع الذي يفعله الناس في الأعراس والأفراح، ونحو ذلك من العادات، وبين السماع الذي يفعل لصلاح القلوب، والتقرب إلى رب السَّماوات، فإنَّ هذا يسأل عنه هل هو قربة وطاعة؟ وهل هو طريق إلى الله؟ وهل لهم بد من أن يفعلوه لما فيه من رقة قلوبهم ونحو ذلك من المقاصد التي تقصد بالسماع؟ كما أن النصارى يفعلون مثل هذا السماع في كنائسهم على وجه العبادة والطاعة، لا على وجه اللهو واللعب. إذا عرف هذا فحقيقة السؤال: هل يباح للشيخ أن يجعل هذه الأمور التي هي إما محرمة، أو مكروهة، أو مباحة، قربة وعبادة، وطاعة وطريقة إلى الله، يدعو بها إلى الله ويتوِّب العاصين، ويرشد بها الغاوين، ويهدي بها الضالين. ومن المعلوم أن الدين له أصلان، فلا دين إلا ما شرع الله، ولا حرام إلا ما حرمه الله، والله تعالى عاب على المشركين أنهم حرّموا ما لم يحرِّمه، وشرعوا ديناً لم يأذن به الله. ولو سئل العالم عمّن يعدو بين

جبلين هل يباح له ذلك؟ قال: نعم، فإذا قيل: إنه على وجه العبادة، كما يسعى بين الصفا والمروة. قال: إن فعله على هذا الوجه حرام منكر يستتاب فاعله، فإن تاب وإلا قتل... الخ.. ولهذا من حضر السماع للعب واللهو لا يعدّه من صالح عمله، ولا يرجو به الثواب.

وأما من فعله على أنه طريق إلى الله، فإنه يتخذه ديناً، وإذا نهي عنه كان كمن نهي عن دينه، ورأى أنه قد انقطع عن الله، وحرم نصيبه من الله تعالى إذا تركه، فهؤلاء ضلّال باتفاق علماء المسلمين، ولا يقول أحد من أئمة المسلمين: إن اتخاذ هذا ديناً، وطريقاً إلى الله تعالى أمر مباح، بل من جعل هذا ديناً وطريقاً إلى الله تعالى، فهو ضال مفتر مخالف لإجماع المسلمين، ومن نظر إلى ظاهر العمل وتكلم عليه، ولم ينظر إلى فعل العامل ونيته، كان جاهلاً متكلماً في دين الله بلا علم...»[1].

وما يهمُّنا قوله هنا: إن المجتمع الليبي قد عرف هذا النوع من السماع قبل الأسمر وعصره، وذلك منذ أن حلّ به أبو الحسن الششتري الأندلسي صاحب المقطعات المعروفة في السماع، وهو في طريقه إلى المشرق، ثم تولاه كثير من شيوخ التصوف ودعاته، وخاصة دعاة الطريقة العروسية من أمثال الشيخ فتح الله أبو راس القيرواني، والشيخ أحمد بن أبي عبد الله أبو تليس، وتلميذهما الشيخ عبد الواحد محمد الدكالي شيخ الأسمر وأستاذه في الطريق الصوفي، ومما يستوقف الباحث هنا أن الشيخ أبا الحسن الشاذلي مؤسس الطريقة «الشاذلية» ـ التي تعدّ «الطريقة العروسية» فرعاً منها ـ من القائلين بعدم إباحة «السماع»، وممَّا يؤثر عنه في هذا المقام جوابه عندما سئل: «لم لا تسمع السماع؟ فقال: السماع من الخلق جفاء»[2] وقوله: «سألت أستاذي ـ رضي الله عنه ـ عن السماع، فأجابني بقوله تعالى:

---

(1) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية. جـ 11 ص: 630 ـ 633.

(2) ابن عطاء الله السكندري، لطائف المتن. ص: 88.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾[1] وقوله: «رأيت في النوم كأن بين يدي كتاب الفقيه ابن عبد السلام، وأوراقاً فيها شعر مرجَّز، وإذا بأستاذي رحمه الله واقف، فتناول كتاب الفقيه بيمينه، وتناول الأوراق بشماله، وقال كالمنتهر أتعدلون عن العلوم الذكية؟ ـ وأشار بيده إلى كتاب الفقيه ـ إلى الأشعار ذوات الأهواء الرديئة ـ وأشار بيده إلى أوراق الشعر ـ ثم رمى بها إلى الأرض، ثم قال: فمن أكثر من هذه فهو عبد مركوز لهواه، أسير شهوته ومناه، يسترقون بها قلوب الغفلة والنسوان، ولا إرادة لهم في فعل الخير واكتساب العرفان، يتمايلون عند سماعها تمايل اليهود، ولم يحظ أحد منهم بما حظي به أهل الشهود، لئن لم ينته الظالم ليقلبن أرضه سماء... الخ..»[2]. إلى غير ذلك من النصوص التي تؤكد لنا أن إمام الطريقة الشاذلية ورائدها لم ير السماع ولم يذهب إليه، ومع هذا نرى أقطاب الطريقة العروسية الشاذلية يجعلونه أساسياً في طريقتهم، ويرونه عين الطريقة خلفاً عن سلف[3]. وإلى جانب دعاة الطرق الصوفية هؤلاء، نجد أيضاً الكثير غيرهم من العلماء ورجال الدين، ممّن أباح السماع واستعمله، كالشيخ أبي عبد الله محمد بن عبد الرحمن الحطاب، الذي يحدثنا عنه تلميذه «الخروبي الصغير» بقوله: «وكان هذا السيد يستعمل السماع لكن بشرطه ومع أهله وفي محله، ويقال بمحضره كلام الوفائية، ومقطعات الششتري والبزاوي، وكلام أبي المواهب، وينشد في مجلسه كلام ابن الفارض وأمثاله، فيزيل ما في كلام القوم من الإشكال، وينفي ما فيه من الإيهام، ويشرحه على طريق جامع بين الشريعة والحقيقة، فلا يجد في كلامه ما يرد عليه. وكان يقسم السماع على ثلاثة أقسام، فمجلس لا يحضره إلا أخص أصحابه كسيدي عبد الله الكمودي، وسيدي عبد الحميد بن يربوع،

---

(1) الصافات: 69 ـ 70.

(2) أبو العباس أحمد بن ناصر، الرحلة. جـ 1 ص: 85 ـ 86.

(3) الأسمر، من رسالته إلى أصحابه بالزاوية الغربية.

وسيدي محمد الصكاوح، وسيدي الحاج قاسم بن قلاع، والسيد الصالح الفقير الصادق المريد السالك ذي الأصول السنية سيدي محمد غميض، والشيخ الولي العارف الغوث سيد خليفة أبو غرارة، وأمثال هؤلاء السادات الكرام الصالحين العظام. ومجلس يحضره خواص أصحابه كسيدي محمد بن طاهر، وسيدي محمد خروف، وسيدي غميض السابق ذكره، وسيدي محمد بن مسلم وأمثالهم، ومجلس يحضره عوام الفقراء فهذه طريقه في السماع»[1].

حتى إذا ما جاء شيخنا الأسمر ـ الذي أسلكه شيخه الدكالي في طريقته العروسية كما سبقت الإشارة ـ فأحدث في السماع شيئاً آخر لم تعرفه الطريقة العروسية قبله ألا وهو السماع بصحبة «البندير»، وقد أحدث فعله هذا ردة فعل قاسية لدى شيخه الدكالي، وكذا لدى غيره من العلماء، ولكن الأسمر قد استمات في موقفه في استعماله «للبندير» ولعل لسان حاله يقول: ما دمتم قد أجزتم السماع في الطريق الصوفي، فلم لا تجيزون معه «البندير»؟ فالذي ثبت به استعمالكم «للسماع» هو عين ما يثبت به استعمال «البندير» فكما ثبت استماعه ﷺ «للإنشاد» كذلك ثبت استماعه للدُّف «البندير»[2] وضربه في حضرته[3] كما ثبت رقص الأحباش في مسجده. ومن يظن أن نبيه قد فعل حراماً، أو أمر بحرام، أو رضي حراماً، فقد كفر بنبيه ولا شكّ، وكلاهما في واقع الأمر لا يعدوان إلا أن يكونا من مساعدات ومنشطات السير في الطريق الصوفي.

إذ إن النفس عندما يعرض عليها الحق من حيث تستروح، فإن قبولها له يكون أتم وأجود، كما أنهما لا يعدوان دائرة «الرخصة» التي تكون بمثابة الدواء لمستعملها. فـ «السماع ليس من فروض الدين ولا من سننه، وإنما هو

---

(1) الخروبي، شرح الإرادة. ص: 8 ـ 9.

(2) لعل أوفى من استعرض أدلة الحل والحرمة في مسألة سماع الآلات وبينها بياناً شافياً ينير السبيل ويخرج من الحيرة الشيخ عبد الغني النابلسي في كتابه «إيضاح الدلالات في سماع الآلات». منشورات دار الفكر بدمشق سنة 1981م.

(3) العز بن عبد السلام: زبد خلاصة التصوف. ص: 68.

رخصة عند توفر شروطه المعروفة»[1].

وبالرّغم من هذا، ورغم العديد من الآراء التي حاول أصحابها تبرير السماع والبندير لدى الأسمر ـ كقول أبي سالم العياشي بأن الأسمر: «ذا حال صادقة، وأنه كما يحكى عنه أنه سمع ذات يوم بالدف فلما نقره سمعه كل من حضر يقول الله الله وهذا ـ كما يقول العياشي ـ شاهد صدق في صحة سماعه، وصدق حاله مع الله، ومثل هذا له أن يسمع بأي شيء أراد من دف ومزمار، لانقلاب سمية الملاهي في حقه درياقاً، فعادت المخالفة للمشروع بانعكاس الثمرة وفاقاً، فسبحان من يخرج من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، ومن بين الزفر والزمر أحوالاً سنية للمقربين»[2] وكقول النوري: «وما نسب للشيخ العارف الولي سيدي عبد السلام ـ أعاد الله علينا من بركاته ـ من إباحته مطلقاً، فلعله وأمثاله لا يسمعون إلى شيء بهوى وطبع، كما هو مغروز في غالب الطباع، بل يسمعه بحق لحق، وبالله وفي الله، وكل شيء يسمعه يحرك فيه ما هو كامن فيه من الأحوال السنية والمقامات العلية، فالأصوات تحركهم وتنقلب معانيها في حقهم، كما روي عن علي ـ رضي الله عنه ـ أنه سمع صوت ناقوس فقال لمن حضره: أتدرون ما تقول؟ قالوا: لا. قال: تقول: سبحان الله حقاً حقاً إن المولى صمد يبقى»[3] ـ فإنه: لم يكن سوى وسيلة يستقطب بها الأسمر مئات المريدين من الشباب ليجعل منهم كوادر تنظيمية، تأخذ على عاتقها إعادة بناء المجتمع الذي اهتز «فترة حكم الشيوخ وما صاحبها من فوضى وانحلال» وتكوين نواة قوية للصمود في وجه العدو الذي يتربص للانقضاض على البلاد «الإسبان». وهو ما أدركه جل العلماء الذين عارضوا الأسمر وناظروه في مسألة السماع، فرجعوا عن اعتراضهم وسلموا له[4].

---

(1) من رسالته لأصحابه بالزاوية الغربية.

(2) العياشي، ماء الموائد. ج 1 ص: 96.

(3) علي النوري، رسالة في حكم السماع... ص: 15 ـ 16.

(4) محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 81.

## المبحث الثالث
## آثاره العلمية

**مؤلفاته :**

لم تقف جهود الأسمر عند إلقاء الدروس والمواعظ والخطب وتربية المريدين فحسب، بل تعدى ذلك إلى التأليف والتدوين، وتأتي في مقدمة تآليفه رسائله ووصاياه التي كان يبعث بها إلى أصدقائه وأتباعه في مختلف المدن الإسلامية، وقد احتفظ لنا البرموني بإحدى عشر رسالة من هذه الرسائل في كتابه «روضة الأزهار»، كما أشار إلى رسائل أخرى كثيرة قد ضمنها كتابه الآخر «الديوان في مناقب نجل سليم بن عمران»[1] ويعد هذا الأخير من ضمن الكتب المفقودة حتى اليوم، وعسى الأيام أن تجود به كما جادت بغيره من كتب كانت وإلى وقت قريب تحسب في عداد المفقودات، ثم تأتي بعد رسائله هذه مجموعة وصاياه العامة التي تضم فكره وخلاصة تجربته الصوفية، وتفاعله مع بيئته الطبيعية والاجتماعية، وهي في مجموعها تصور كتاباً ذا متن يكاد يكون واحداً وهذه الوصايا هي:

1 ـ الوصية الكبرى، أو «نصيحة المريدين في سر الأولياء والصالحين».

2 ـ الوصية الصغرى لمن أراد الدخول في طريقتنا مع الفقراء.

3 ـ الوصية الوسطى.

---

(1) البرموني، روضة الأزهار. جـ 2 ص: 209.

ثم تأتي بقية مؤلفاته وهي:

1 ـ رسالة مختصرة في العقيدة الإسلامية وأصولها.

2 ـ الأنوار السنية في سندي للطريقة العروسية.

3 ـ العظمة في التحدث بالنعمة.

4 ـ نصائح التقريب في حق الفقراء والنقيب.

5 ـ التحفة القدسية لمن أراد الدخول في الطريقة العروسية.

ثم مجموعة «الأحزاب والأوراد والوظائف» وهي أكثر هذه الآثار انتشاراً بين الأتباع، وذلك نظراً لاعتبارها حجر الأساس في الطريقة العروسية.

## ملاحظات أولية حول بعض مؤلفاته:

لم يصلنا من آثار الأسمر ومؤلفاته سوى بعض من رسائله، ووصيته الكبرى والصغرى، وكتابه الأنوار السنية. وباستثناء رسائله التي وصلت إلينا، فإن وصيتيه، وكتابه الأنوار السنية، قد تعرضت للدّس والتشويه من قبل كثير من مناوئيه، وقضية الدّس هذه من المهن القديمة التي امتهنها من لا يخشى الله ولا يتقيه. يقول الشعراني ـ وهو معاصر للأسمر ـ: «لما صنفت كتاب البحر المورود في المواثيق والعهود، وكتب عليه علماء المذاهب الأربعة بمصر تسارع الناس لكتابته فكتبوا منه نحو أربعين نسخة غار من ذلك الحسدة فاحتالوا على بعض المغفلين من أصحابي واستعاروا منه نسخة وكتبوا لهم منها بعض كراريس، ودسّوا فيها عقائد زائفة، ومسائل خارقة لإجماع المسلمين، وحكايات وسخريات عن جحا وابن الراوندي، وسكبوا ذلك في غضون الكتاب في مواضع كثيرة حتى كأنهم المؤلف، ثم أخذوا تلك الكراريس، وأرسلوها إلى سوق الكتبيين في يوم السوق، وهو مجمع طلبة العلم، فنظروا في تلك الكراريس ورأوا اسمي عليها، فاشتراها من لا يخشى الله تعالى ثم دار بها على علماء الأزهر ممن كان كتب على الكتاب

ولم يكتب، فأوقع ذلك فتنة كبيرة»[1].

هذا ما يقوله الشعراني في حياته، فكيف به بعد موته وأنه - رحمه الله - لو لم يتبرأ مما دسّ عليه لحكمنا عليه من خلال ما نسب إليه بارتداده وكفره ومحاولة إفساد عقائد المؤمنين.

وهذا ما وقع لمؤلفات الأسمر، ولم تكن مؤلفاته وحسب، بل تعداه إلى مؤلفات غيره في سيرته، فكان الدس والتشويه آخر السهام في جعبة مناوئيه، وقد أفلحوا فيه إلى حد ما.

أما الذي جعل رسائله بمنأى عن هذا الدس والتشويه، فهو - فيما أرى - راجع إلى عدم تداولها في بيئة الأسمر ومحيطه، لأنها وجهت إلى مناطق يبعد بعضها آلاف الأميال، ولولا الرحلة التي قام بها «البرموني» لتتبع آثار شيخه وتوثيقها ما كنا عثرنا عليها أبداً[2].

## نماذج من المفتريات

### 1 ـ الوصية الكبرى:

الوصية الكبرى، وكذلك الصغرى موجهتان أساساً من قبل الأسمر لكل من يريد الانتساب إلى الطريقة العروسية، وفي مجموع هاتين الوصيتين يتناول الأسمر مجموعة من القضايا بدءاً من قضية العقيدة وأسسها، والتوبة وشروطها، ومروراً بمعالجة بعض الظواهر الاجتماعية السائدة في عصره، والتي تتنافى وتعاليم الإسلام السمحة، ثم يخلص بعدها إلى بيان الذكر وشروطه وآدابه، وقواعد وأسس الطريقة العروسية، ووظائفها وأحزابها، وأورادها وسلسلة مشايخها، مع تراجم مقتضبة لأشهر رجالها.

وفي ثنايا هذه القضايا نجد النصوص المفتراة والتي حشرت حشراً بين

---

(1) الشعراني، لطائف المنن. جـ 1 ص: 127.

(2) البرموني، روضة الأزهار. جـ 1 ص: 1.

السطور والتي يتبينها كل من له أدنى بصيرة من التثبت والاستيقان من هذه النصوص - والتي كان دافعها ولا شك زرع بذور الفرقة والاختلاف بين الأسمر، وتلاميذه ومريديه - نقرأ هذا النص «وفضل الله الابراهيمية على الغيثية سبعين درجة»[1]. فمن هؤلاء الإبراهيمية الذين فضلهم الله على الغيثية بسبعين درجة؟ والجواب على ذلك أن الابراهيمية هم أحفاد إبراهيم الماجري والغيثية أحفاد أخيه غيث. فهما أبناء عمومة. وإبراهيم وغيث وجيهان من وجهاء بني ماجر «مادغيس» وإليهما ينسب تأسيس مدينة زليتن الحالية بعد أن هجرها سكانها «بنو يصلتن» مع بداية الفتح الإسلامي، أو قبله بقليل.

وتقول القصة أنه في سنة 448هـ - 1057م بدأت طلائع الهجرة الهلالية آخذة طريقها إلى عاصمة المعزّ بن بلكين الصنهاجي مبتعدة في طريقها عن الخط الساحلي ما أمكنها، وكانت مجموعة من الماجريين الذين دخلوا في دين الإسلام وارتضوه ديناً قيّماً، لا زالت تقيم على تخوم مدينة زليتن الجنوبية حينما فاجأتها طلائع الهجرة الهلالية، وعندها آثر الأخوان إبراهيم وغيث، ومن يدور في فلكهما ترك هذه المنطقة التي أصبحت معبراً لبني هلال، وتوجها شمالاً حيث زليتن الحالية، فأقاموا بها. وبذلك كانوا نواة لإعمار مدينة زليتن من جديد[2]. وعندما أراد الأسمر أن يبتني زاويته أهداه آل الغزواني وهم من أحفاد إبراهيم قطعة من الأرض لتأسيس زاويته، فساء تصرفهم هذا أبناء عمومتهم «أولاد غيث» لأنهم لم يستشاروا في الأمر، ووجد سعاة الفتنة فرصتهم، فضخّموا الموضوع وطوروه، وترجموه إلى موقف عدائي لأولاد غيث تجاه الأسمر، وما دام الأمر كذلك فليكن رد الأسمر عليهم قولهم على لسانه بأن الله «فضل الإبراهيمية على الغيثية سبعين درجة» وليت الأمر وقف عند هذا الحد، بل تعداه إلى وضع نص آخر على لسانه مفاده أن الأفضل من الجميع هم «الفواتير» الذين ينتمي إليهم الأسمر.

---

(1) الأسمر، الوصية الكبرى. ص: 128.

(2) عمران بن عيسى، زليتن في التاريخ. ص: 30.

يقول هذا النص: «أفضل عباد الله هم الفواتير لأني أنا منهم وهم مني»[1] وعليه ليذهب الجميع إلى الجحيم. وقد عملت هذه النصوص المفتراة عملها بمرور الزمن فعمَّقت الهوة بين الفواتير وأبناء الأسمر وأحفاده. وبين البراهمة وأولاد غيث.

وإلى جانب هذين النصين اللذين يزرعان الحقد والبغضاء، حشرت نصوص أخرى تجعل من الأسمر في قمة البلاهة والسذاجة، بل في قمة الزندقة والكفر والعياذ بالله. ولنقرأ معاً: «تقوم الساعة عند تمام الخمسة عشر قرناً من الهجرة النبوية، وأخبرني بها رسول الله ﷺ عند الهيام والاغتياب والحال، وشاهدتها في اللوح المحفوظ بعين القلب»[2].

**وفي نص آخر:**

«تقوم بعد الخمسة عشر قرناً في يوم الجمعة في ساعة الزهرة في أول يوم من القرن السادس عشر». وقد أدرك مفتري هذه النصوص صعوبة هضمها واستساغتها، فحاول تلطيفها بقوله: «وإذا عارضكم العلماء في هذا الكلام المذكور على قيام الساعة فلا تجاوبهم بشيء فالصواب معهم، لأنهم ليس عندهم إلا اتقان الظاهر خاصة، وليس لهم قدم في الباطن، والحق أحق أن يتبع. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية. والآي كثيرة في ذلك»[3].

## 2 ـ الأنوار السنية والمنن البهية في طريق أهل الله الصوفية المسماة بالطريقة العروسية:

هذا هو العنوان الذي وضع على غلاف كتاب «الأنوار السنية في سندي للطريقة العروسية». ويبدو أن هذا العنوان من وضع ناشر الكتاب

---

(1) الأسمر، الوصية الكبرى. ص: 128.

(2) المصدر السابق، ص: 127 ـ 128.

(3) الأسمر، الوصية الكبرى. ص: 127 ـ 128.

الشيخ صالح الجعفري رحمه الله. يحتوي هذا المؤلف على أسانيد الشيخ عبد السلام الأسمر في أخذ التلقين والخرقة والقلنسوة والمرقعة والمصافحة. . . الخ.

ولكن الأيدي الآثمة لم تشأ أن يبقى الكتاب كما وضعه مؤلفه، بل أضافت إلى عنوانه جملة أخرى مفادها «وفي التحدث بالنعم التي أنعم الله بها عليّ» ولتلحق بالكتاب صفحات تماثل صفحاته الأولى عداً، وجميعها مشحونة بالدعاوى الكاذبة، والترهات الباطلة التي قائلها إما أن يكون زنديقاً لا حظ له في الإسلام، وإما أن يكون مجنوناً لا عقل له. وحاشا الأسمر منهما، وأستميح القارىء عذراً في نقلي له نموذجاً من هذه الترهات الباطلة:

«أنا عبد السلام، الملقب بالأسمر مدفعي معمّر، وقوسي موتر، أنا الذي نجبر ونكسر، والله والله ما تطلع الشمس حتى تسلم عليَّ، وتخبرني بما يجرى فيها، والشهر والأسبوع يسلمان علي ويخبراني بما يجري فيهما. أنا نبل النوابل، أنا بحر بلا ساحل، أنا المحفوظ، أنا الملحوظ العالم بما كان وما يكون»[1]. وقد يرى البعض أن هذا القول ـ إن ثبت عن الأسمر ـ هو من قبيل الشطح الذي يكون صاحبه في حالة من عدم الشعور، فيترجم عمّا طاف به، متخذاً صيغة المتكلم، وكأنَّ الحقّ هو الذي ينطق بلسانه[2]. وهو رأي قد يكون له وجاهته، غير أنّي أستبعده كل البعد، لأن الشطح قلّ ما نجده عند من يمثلون التصوف السنّي العملي التربوي، الذي يُعدّ شيخنا الأسمر في مقدمة أقطابه ودعاته.

## الأسمر والشعر:

كان الشيخ أحمد الفيتوري، عمّ الأسمر ومربيه، يقرض الشعر الجيد، وله في ذلك الخبرة والدراية حتى شُبّه بكعب بن زهير، وحسان بن ثابت[3].

---

(1) عبد السلام الأسمر، الأنوار السنية ص: 17.

(2) عبد الرحمن بدوي، شطحات الصوفية. ص: 10.

(3) عبد السلام الأسمر، الأنوار السنية ص: 17.

فلا عجب إذن أن يسري حب الشعر وقرضه إلى وجدان ابن أخيه عبد السلام الأسمر، الذي تعدّدت مقطوعاته الشعرية ومنظوماته التعليمية والصوفية، وعدَّ له العادون ما يقرب من أربعة آلاف قصيدة[1]. وهي قصائد ليست بالشعر المطبوع ولا بالنظم المتكلف، وإنما هي فن وسط بين هذا وذاك. ونكتفي بإيراد ثلاثة نماذج من نظمه، وهي بطبيعة الحال لا تخلو من تصحيف الناسخين والناقلين، فالنموذج الأول هو نظمه لرجال الطريقة العروسية. وأما النموذج الثاني فهو عبارة عن مناجاة إلهية. أما الثالث والأخير فهو بضعة أبيات من مدحه لخاتم الرسل سيدنا محمد ﷺ.

## النموذج الأول:

| | |
|---|---|
| يقول راجي العفو والغفران | عبد السلام بن سليم الفاني |
| الحمد لله الذي هدانا | إلى طريق الخير واجتبانا |
| ثم الصلاة والسلام أبدا | على النبي العربي أحمدا |
| وآله وصحبه الأقمار | ما كوِّر الليل على النهار |
| وبعد حمد الله والصلاة | أذكر نظماً في ذوي السادات |
| مشايخ الطريقة السنية | وهي عروس الطرق الزكية |
| مشهورة عند جميع القوم | منصوصة في كتب أهل العلم |
| رجزتها توسلاً بجاههم | لربنا وطالباً لفضلهم |
| نعم السادات والصالحون العلما | العابدون الزاهدون الكرما |
| أولهم أستاذنا الدكالي | الزعفران أسد الرجال |
| وشيخه الولي فتح الله | وهو أبو راس كبير الجاه |
| وشيخه أبو تليس الفاضل | الساحلي العبدري الكامل |

(1) أحمد حامد، الطبقات العروسية الشاذلية ص: 24.

وشيخه أبو راوي المعتدل   وهو المعروف عند الناس بالفحل

فاشتهرت لنا به الطريقة   طريقة الإرشاد والحقيقة

وشيخه المعتمد الجليل   ليس له في دهره عديل

العارف المشهور في الرجال   السيد الموصوف بالكمال

أبو العباس ذو القرنين أحمد   ابن عروس العمدة المؤيد

وشيخه بحر التقى والعلم   الخرساني فتح الله العجمي

أستاذه معين الدين الحبشي   وهو المسمى بياقوت العرشي

وغوثه المضيء مثل الشمس   قطب النهى أبو العباس المرسي

وشيخه أبو الحسن قطب الأنام   إمام القوم الشاذلي عالي المقام

كبير المقدار وشيخ العارفين   دفين عيذاب مربّي السالكين

وشيخه ابن مشيش الفائق   عبد السلام معدن الحقائق

ابن أبي بكر اللبيب العارف   ابن رواح القدوة المشرف

وشيخه المدني الرباني   أعني الزيات عابد الرحمان

وشيخه تقي الدين الداري   عن فخر ديننا من الأخيار

فنور الدين ثم تاجه العلي   كذاك شمس الدين قل نعم الولي

وشيخه الولي زين الدين   الصادق المعروف بالقزويني

ثم بالشيخ إبراهيم البصري   كذا المرواني أحمد بن النظري

وشيخه القطب سعيد الصافي   كذاك مفتاح السعود الوافي

وشيخه سعد الغزواني المنتهي   حجة ربنا العظيم ثق به

بجابر ثم الحسن نجل علي   السبط اية الإله الاكمل

بابه ليث الحروب الغالب   أبي الحسن سليل أبي طالب

وسيد الكونين خير المرسلين    محمد رسول رب العالمين

صلى عليه الله ربنا الكريم    ما حرك الأشجار أرياح النسيم

بجبريل الروح الأمين الصادق    نجنا يا رب من المضايق

وللأستاذ العجمي المذكور    سلسلة أخرى عن الناكور

وهو صدر ديننا ذاك الهمام    وقطب دائرتنا ذوي الكرام

عن شيخه نصير الدين الأودهي    وهو محمود القطب شيخ عصره

عن شيخه نظام الدين الخالدي    أخذ عن شكر كنج الراشدي

فعن معين الدين حبشي ثم عن    عثمان بن الهروي شيخ الحسن

عن حاجب شريف الدين ذي الوفا    عن خاله مورود بن يوسفا

عن أبه القدورة قطب المتقين    محمد بن سمعان المستبين

عن أبه ذي الرتبة العلية    وهو سمعان حجة الصوفية

عن خاله محمد ابن أبي    أحمد من آل شريف النسب

عن خاله المكنى أبو أحمدا    دعي فرشنافة الدينوري ذي الاقتداء

عن أبه أبي إسحاق الشامي    عن ممشاد الدينوري ذي الأفهام

عن الولي أبي البصري هبيرة    ثم حذيفة المرعشي نظيره

عن أبي أدهم الجليل العابد    عن الفضيل بن عياض الزاهد

عن عبد الواحد بن زيد المقتدي    فعن كميل بن زياد المهتدي

فعن علي بن أبي طالب    عن النبي الهاشمي العربي

ثم عن جبريل عن رب العالمين    فما تقدم إرادة اليقين

قد انتهت طريقة الإرادة    فالح بها تحصل لك الإفادة

ولإمام القوم الشيخ الشاذلي    ورداً تبركاً بذي سلاسلي

أخـذه مـن بـعـدمـا مـات الإمـام ... ابن مشيش المرتضى عبد السلام
عن أبي عبد الله أعني شيخهم ... نجل علي الفاضل ابن حرزهم
الـزم نـصـائـحـي إذا أردتـه ... في الجل منها يا أخي ذكرته
وزاد ذو الـقـرنـيـن ورداً آخـر ... عـن الـمـجـاهـد أديـب الـفـقـرا
أخـذه تـبـركـاً يـا صـاح ... عـن الأسـاتـذة أهـل الـصـحـاح

## النموذج الثاني:

وقفت بالذل في أبواب عزكم ... مستشفعاً بذنوبي عندكم بكم
أعفر الخد ذلاً في التراب عسى ... أن تقبلوني وترضوا عن عُبيدكم
فإن رضيتم فيا سعدي ويا شرفي ... وإن أبيتم فمن أرجوه غيركم
لأن أبلغ عيني طيب رؤيتها ... إن طالب السمع يوماً غير ذكركم
إن مت في حبكم شوقاً فيا شرفي ... ويا سروري بموتي فيكم بكم
أنا المقر بذنبي فاصفحوا كرما ... فبانكساري وذلي قد أتيتكم
نسيت كل طريق كنت أعرفها ... إلا طريقاً تؤديني لحبكم
لا تطردوني فإني قد عُرفت بكم ... وصرت بين الورى أدعى بعبدكم[1]

## النموذج الثالث:

زين جميل بهي لا نظير له ... كأنه البدر أو كالشمس في الحمل
يغار حسن النقا من حسن قامته ... ويختفي البدر تحت الغيم من خجل
حلو المراشف يشتفى العليل به ... فكم شفى برحيق الثغر من علل
الله أكبر ما أحلى شمائله ... قد زاد حسناً وزيناً غاية الأمل

---

(1) الطيب المصراتي. فتح العلي الأكبر ص: 133.

بدا كبدر الدجى تجلى محاسنه　　يا حسنه من مليح بالجمال حلي
أنا المتيم فيمن قد سما وعلا　　فخراً على سائر الأملاك والرسل
هو النبي الذي ما مثله أحد　　وهو المبرأ من نقص ومن زلل
وهو الشفيع غدا من حرّ نار لظى　　والناس كلهم منها على وجل
صلى عليه إله العرش ما طلعت　　شمس وحل قمر على طلل[1]

وتجدر الإشارة إلى أن هذه المقطوعات والقصائد كانت ملاذاً للمرتزقة وأدعياء الولاية، فنسجوا على منوالها مئات المقطوعات والقصائد، ونسبوها للأسمر. «مقطوعات وقصائد كما يقول الشيخ طاهر الزاوي ـ رحمه الله ـ ينبو عنها السمع ويمجُّها الذوق نسبوها له زوراً وبهتاناً وضمَّنوها هراء من القول لا يصدر عن أجهل الجاهلين، فضلاً عن عالم جليل مثل الشيخ عبد السلام الأسمر، ونقل هذه القصائد من لا يتحرُّون الصدق، ولا يميِّزون بين غث القول وسمينه، وطبعوها في كتب ازداد العامة بها ضلالا»[2].

ومن بين هذه القصائد التي نشك في حقيقة نسبتها إلى الأسمر قصيدته التائية، وقصيدته التي تعرف بالسلسلة الجوهرية. فالقصيدة التائية جاءت على غرار تائيات كثيرة يزخر بها التراث الصوفي، لعلّ من أشهرها تائية الصوفي الشهير ابن الفارض. يقول الأسمر في مطلع تائيته:

شربت شراب العز من خمرة الصبا　　سقانيه محبوبي بسر العناية
وبانت لي الأنوار وانكشف الغطا　　وألهمت أسراراً بسر الجلالة
إلى أن رأيت ما لا يمكن وصفه　　من حلول في مكان وجهة
وعاينت ما تحت الأرض مع السماء　　وما فوق كل الفوق حقاً في لمحة
وشاهدت ما في اللوح معنى وصورة　　وما هو منسوخ وما هو مثبت

(1) محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار ص: 220.
(2) الزاوي، أعلام ليبيا، ص: 216.

فلو ألقي شيء من أسرار سرنا   على الشامخات الراسيات لدكت
أنا العز أنا الكنز والحق قال لي   تمنّ علي يا حبيبي وصفوتي
......................   ......................الخ

أما السلسلة الجوهرية فهي قصيدة طويلة يزيد عدد أبياتها على الخمسمائة بيت تبتدىء بوصف شامل لأولياء الله، وسماتهم وأحوالهم التي يكونون عليها في المجتمع، ثم بذكر السلُّم الصوفي ودرجاته: النجباء - النقباء - البدلاء - الأقطاب - الأوتاد - العمداء - الفضلاء، مع بيان أماكنهم التي يتواجدون بها، ثم الغوث الذي يأتي في قمة هذا السلم والذي يصفه بقوله:

والغوث واحد به التمام   صلاته في مكة والسلام
وفوقه الحرس على الهواء   شاخص بين الأرض والسماء
إنسان عابد لله خاشع   مسبح وذاكر وخاضع
لا يتقوّت إلا بالذكر   ولا يحاسب في يوم الحشر

وبعد هذا الوصف للغوث يعلن بأنه هو الغوث في الوقت الحاضر:

وأني الآن الغوث يا إخواني   وليست الأخبار كالعيان
أصلي الأوقات معاً بمكة   مع الأفاضل محل البركة
أعرف عدد كل الأنبياء   وعدد الصالحين الأتقياء
وإني يا أخي إمام الكل   أولي وأعزل في كل فصل
وأتعرض إلى البلاء   حين نزوله من السماء
وأتصرف من بعد الموت   مدى الزمان إلى يوم البعث[1].

---

(1) عبد السلام الأسمر، السلسلة الجوهرية. ص: 11.

ثم بعد ذلك يخلص إلى التوسل بكافة أولياء الله المنتشرين في كافة أصقاع العالم الإسلامي وبذلك تنتهي القصيدة.

ومن خلال هذا الاستعراض الموجز لهاتين القصيدتين، وما تضمناه من التبجح والادعاء ندرك تماماً بأنهما لا صلة لهما بالشيخ عبد السلام الأسمر الصوفي الورع، كما تجدر بنا الإشارة إلى ما تضمنته بعض القصائد العامية المنسوبة للأسمر والتي لحمتها وسداها الدعاء على ساحل آل حامد. صحيح أن الأحامد قد بلغ أذاهم للأسمر ـ كما مر بنا ـ إلى درجة قتل أحد أبنائه ومن الجائز في الحالة هذه أن ينطلق لسان الأسمر وهو في فورة غضبه وحزنه بكلمات دعائية. أما أن يكون دعاؤه وتشنيعه بهذا الشكل الذي لا يزال يتردد في حلقات «ضرب البندير» حتى يومنا هذا، فهذا لا يمكن نسبته للأسمر بأي حال من الأحوال، ودليلنا على ذلك هو ما جاء في رسائله من الأمر بالصبر، واحتمال الأذى والمكاره، والعفو عمن ظلم مهما جار وتعدى كقوله: «ومن آذاك بفعل، أو قول، أو شتمك، أو ذكرك بسوء من الناس فلا تقابله بمثل ما جرى منه، فإما أن تعفو عنه وتجعله في حل من غير حقد عليه، وإما أن تكل أمره إلى الله، وتكتفي بنصره لك»[1] وكقوله:

«واحفظوا محمداً ﷺ في أمته، ولا تعجِّلوا بالعقوبة لمن عاداكم، واحتملوا المكاره، واصبروا على الأذى في الله، واكتموا أسرار من أطلعكم الله تعالى على سره، ولا تدخلوا بين العبد وربه، فإنه لا يعلم ما في القلوب إلا علام الغيوب»[2] فهل الأسمر يا ترى يقول ما لا يفعل؟ سبحانك هذا بهتان عظيم. والعجب من الشيخ مخلوف الذي استساغ منطق هذه القصائد، وبدلاً من أن يحاول التثبت من صحة هذه القصائد ـ وهو الذي يشتغل بمهنة القضاء ـ حاول جاهداً أن يبرر دعاء الأسمر بقوله: «دعاؤه لم يصدر منه تعمداً، بل بوجه شرعي وإذن إلهي لأنهم سعوا في ظلمه وقتله ولم يمكنهم

(1) من رسالته لعبد الرحمن بن عبد المؤمن.

(2) من رسالته إلى أصحابه بالزاوية الغربية.

الله منه، وقد ظفروا بابنه عبد الدائم وقتلوه على رؤوس الأشهاد، ومع ذلك لم يدع عليهم إلا بعد الإذن من الله، إذ يباح قتالهم بالسيف فما بالك بالدعاء، والدعاء يصدر من الكامل وغيره، فقد حكى العلامة الشيخ الرهوني في حاشيته على شرح العلامة الشيخ عبد الباقي الزرقاني أثناء باب القضاء: أن حجة الإسلام الغزالي دعا على إقليم الأندلس مع كثرة ما فيه من العلم والخير. انظر الحكاية فيه إن شئت. وقال ابن ناجي في معالم الإيمان عند ترجمة أبي الفضل يوسف بن نصر: قال في المدونة: ولا بأس بالدعاء على الظالم. وفي فتح العليم نقلاً عن المعيار: سمعت بعض الصالحين يقول: لا يسمى الولي ولياً يعني كاملاً حتى يقتل الله بسببه عدد شعر رأسه من الظلمة. ونقل عن سيدي عبد الوهاب مثل هذا الكلام»[1] هذا ما يقوله الشيخ مخلوف بالحرف الواحد ولم يبين لنا ـ عفا الله عنه ـ كيفية الإذن الإلهي للأسمر في الدعاء عليهم إذ لو فعل ذلك لربما اقتنعنا. ثم بلور القضية إلى قضية جواز الدعاء على الظالم أو عدم الجواز، وليس هذا محور قضيتنا، وإنما محورها أننا أمام سيل جارف من القصائد التي تتضمن ألفاظاً دعائية لا تصدر عمن له أدنى مسكة من عقل أو علم.

---

(1) محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار. ص: 88.

# الفصل الثاني

## المبحث الأول
## رسائل الأسمر

**ـ تحديد مفهوم الرسالة:**

يستعمل هذا اللفظ في الأدب العربي لدلالات مختلفة ورد منها في المعجم الأدبي أربعة معاني:

**المعنى الأول**: «ما يكتبه امرؤ إلى آخر معبراً فيه عن شؤون خاصة أو عامة، وتكون الرسالة بهذا المعنى موجزة لا تتعدى سطوراً محدودة، وينطلق فيها الكاتب عادة على سجيته بلا تصنع أو تأنق، وقد يتوخى حيناً البلاغة والغوص على المعاني الدقيقة فيترفع بها إلى مستوى أدبي رفيع».

**المعنى الثاني**: بحث موجز في موضوع معين لا يتعدى فيه صاحبه القضايا الأساسية، ولا يتجاوز في صفحاته عدداً محدوداً مثل: رسالة في العروض، رسالة في المنطق... إلخ.

**المعنى الثالث**: «البحث المنهجي الذي يضعه طلاب الدراسات العليا لنيل الألقاب الجامعية الرفيعة. ولهذه الرسالة شروط وأساليب في التقميش، والتقديم، والعرض، والتحليل، والاستنتاج تجعل منها محصلاً لثقافة صاحبها».

**المعنى الرابع**: «مهمَّة يتمرس بها الأديب أو الفنان من خلال الآثار التي يبدعها، وقد تكون رسالة قومية، أو جمالية، أو إنسانية، أو أخلاقية... إلخ يعبىء في سبيلها كل ما يتميز به من قدرة في التعبير وكل ما زخرت به نفسه من ثقافة»[1] والمعنى المقصود في موضوعنا هو المعنى الأول أو قريباً منه ويزيده وضوحاً لنا بطرس البستاني في دائرة معارفه بقوله: «الرسالة في الأصل الكلام الذي أرسل إلى الغير. وخُصّصت في اصطلاح العلماء بالكلام المشتمل على قواعد علمية، والفرق بينها وبين الكتاب على ما هو مشهور إنما هو بحسب الكمال والنقص والزيادة والنقصان، فالكتاب هو الكامل والرسالة غير الكامل فيه»[2].

كما أن هذا المعنى الذي أردناه هو الذي اقتصرت عليه معظم معاجم اللغة جاء في لسان العرب المحيط: «والإرسال: التوجيه وقد أرسل إليه والاسم الرسالة والرسالة والرسول والرسيل... والرسول بمعنى الرسالة... وتراسل القوم أرسل بعضهم إلى بعض... والرسول معناه في اللغة الذي يتابع أخبار الذي بعثه... وسمي الرسول رسولاً لأنه ذو رسول أي ذو رسالة والرسول اسم من أرسلت وكذلك الرسالة»[3]. أما الزبيدي في تاجه فيحدد الرسالة بأنها: المجلة المشتملة على قليل من المسائل التي تكون من نوع واحد والجمع رسائل[4].

## ـ الخصائص الفنية للرسالة «الرسالة في عصر الأسمر»:

تعتبر الرسالة في عصر الأسمر الوسيلة الوحيدة للاتصال والمخاطبة وذلك عندما يتعذر الاجتماع واللقاء، كما أنها ولا زالت تعتبر من الوسائل المحببة لتبادل الآراء العلمية بين العلماء والباحثين. وقد درج الباحثون إلى

---

(1) جبور عبد النور، المعجم الأدبي ص: 122.

(2) بطرس البستاني، دائرة المعارف، جـ 8 ص: 583.

(3) ابن منظور، لسان العرب المحيط. جـ 1 ص: 1166.

(4) الزبيدي، تاج العروس. جـ 7 ص: 34.

تقسيم الرسائل إلى قسمين رسائل «ديوانية» أو رسمية، ورسائل إخوانية فالرسائل الديوانية هي التي تصدر من قبل السلطات الرسمية وتتعلق بأمور الدولة وتنظيم شؤونها، وهي من متعلقات ما يسمى بـ «ديوان المكاتبات» أو «ديوان الإنشاء» أو «ديوان الرسائل».

ومن أمثلة هذا النوع من الرسائل في هذا العصر الرسالة التي أرسلها السلطان العثماني مراد خان الثالث إلى شيخ أولاد ترهونة يستحثه فيها للوقوف بجانب الدولة العثمانية تجاه دعوة المتمهدي يحيى السويدي. تقول الرسالة: «هذا مرسومنا الشريف السلطاني، لا زال نافذاً بالعون الرباني أرسلناه إلى مفخرة الأمراء العظام، مختار المشايخ الفخام، المختص بمزيد عناية الملك العلام، شيخ أولاد ترهونة زيد عزّة. إن أمير الأمراء الكرام بولاية طرابلس الغرب محمد ـ دام إقباله ـ وسائر الأمراء والأعيان بالولاية المسفورة أرسلوا إلى عتبتنا وسدتنا السنية مكتوباً يحتوي على أن رجلاً يدعى يحيى بن يحيى، ادعى بأنه خليفة المهدي، وبعض من الناس اتبعوه، والآن ذهبوا إلى طرف الجبل الأخضر، وأقام رجلاً آخر مقامه يدعيه، وقصده إظهار ما يدعيه، فقابل وقاتل مع العساكر المنصورة بالديار المسفورة، وبعناية الله الملك القديم قتل منهم زايد من الألف، ومع هذا إلى الآن لم يندفع ولم ينقلع عما هو فيه من الادعاء، فلذلك أرسلنا إلى أمير الأمراء، وإلى سائر الأعيان بالولاية المرقومة المناشير، مؤكدة معلمة بأن زمان خروج المهدي لم يحن الآن وله زمان، فإذن كان ادعاء هذا الرجل فاسداً نشأ من هوى النفس وحب الرياسة، واعتماداً على قوة ديانتكم، ومتانة عقيدتكم، فلذلك أتحفنا إليكم ثوباً من جعلنا الفاخرة، فإذا ما وصل إليكم لا بد أن تلبسوها، وأن تكونوا متفقين متحدين مع أمير الأمراء بالولاية المرقومة، وأن تدفعوا فساد هؤلاء المفسدين المدعين بدعاوي فاسدة، فإن مقتضى الديانة والصداقة إلى بابنا العالي هو الذي ذكر في المرسوم المنشور، فعليكم الاهتمام والاجتهاد في دفع هذا الاختلال والإفساد وسائر الأمور إلا لائقة بالدين المبين، والطريق المستقيم، مفوضة إليكم، وأرسلنا مرسومنا الشريف

إليكم مصحوباً بقدوة الأماثل والأقران، حسين شاوش زيد قدره. يصل بالخير آمين حرر في أواخر شهر ذي الحجة الشريفة سنة ستة وتسعين وتسعمائة بمدينة القسطنطينية المحروسة»[1].

والملاحظ على هذه الرسالة اعتمادها نوعاً ما على النثر المسجوع، ولم تراعى فيها الإجادة بقدر ما روعي فيها التوصيل والفائدة. ولا عجب في ذلك إذ تعتبر اللغة العربية إذ ذاك لغة هامشية في الديوان العثماني.

أما النوع الثاني من الرسائل فهو الرسائل الإخوانية، وهي كثيرة ومتنوعة وقد أنهاها صاحب صبح الأعشى إلى سبعة عشر نوعاً[2] كالتهاني والتعازي وما يندرج تحتهما، وكالاستعطاف، والاعتذار وما إلى ذلك.

وكنموذج للرسالة الاخوانية العلمية في هذا العصر نورد رسالة الشيخ عبد الرحمن التاجوري إلى الشيخ أبي عبد الله محمد بن الشيخ أبي الحسن علي الدراوي، وقد تناولت هذه الرسالة موضوعاً شائكاً أثار ضجة وجدلاً علمياً استمر حيناً من الزمن[3] تقول الرسالة:

«بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله. من العبد الفقير إلى رحمة ربه عبد الرحمن بن محمد بن الحاج أحمد التاجوري ـ تاب الله عليه وغفر له ولوالديه ولجميع المسلمين آمين ـ إلى سيدي الشيخ الإمام القدوة أبي عبد الله محمد بن الشيخ المرحوم أبي الحسن علي الدراوي أحسن الله إليه في الدارين آمين.

أما بعد: فإني أحمد إليكم الله الذي لا إله إلا هو، وأصلي وأسلم على نبيِّه سيدنا محمد ﷺ. والسلام عليكم، وعلى ولدكم أخي سيدي عبد الله، وعلى جميع سادتنا الفقراء، والفقهاء، ومن يلوذ بكم. وإني سائل من

---

(1) وثائق دار المحفوظات التاريخية. طرابلس.

(2) القلقشندي، صبح الأعشى في قوانين الإنشاء. جـ 8 ص: 126.

(3) محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين. جـ 1 ص: 291 ـ 297.

جديد الدعاء بالموت على دين الاسلام واتباع السنة. وإنه يا سيدي قد بلغني أن بعض مساجد بلادكم مستقبلة جهة الجنوب من المشرق والمغرب، ومن المعلوم قطعاً أن مكة المشرفة من أهل المغرب بين المشرق والمغرب نقلاً وعقلاً، أما النقل: فقد نقل عن الصحابة رضي الله عنهم نقلاً متواتراً أنهم نصبوا قبلة جامع عمرو بمصر إلى قلب العقرب عند طلوع الشولة، وقبلة جامع القيروان بإفريقية إلى موضع الشمس في الشتاء، فكذلك يجب أن تكون جميع مساجدكم مستقبلة مشارق الاعتدال، لأن بلادكم متمكنة في جهة المغرب أكثر من مدينة القيروان، لأن كلما بعد البلد عن مكة في جهة المغرب نزلت قبلته إلى جهة المشرق، لذلك صوب الإمام ابن رشد مع أربعين فقيهاً من الأندلس لما جاءوا إلى علي بن يوسف بمراكش، وطلب منهم تصويب قبلة جامع السقاية فصوبها إلى مشارق الاعتدال. قال الناقل: ثم جاء قوم من بعدهم وحولوها إلى جهة الجنوب، ثم قال وربك أعلم بمن هو أهدى سبيلاً. قلت إذاً يا سيدي الذي هو أهدى سبيلاً هو ابن رشد وأصحابه لأنهم وافقوا قبلة الصحابة رضي الله عنهم... وأما الدليل العقلي: فمن المعلوم أن الحجاج من أرض المغرب إنما يقصدون السفر إلى بيت الله الحرام في جهة المشرق دون سائر الجهات، فلو كانت مكة من المغرب في جهة الجنوب بين المشرق والمغرب لما جاءت ركبان بلاد التكرو والسودان إلى مصر، ولكانت قبلة أهل مصر منصرفة إلى جهة المغرب الجنوبي. والحديث الوارد عنه ﷺ وهو قوله: «ما بين المشرق والمغرب قبلة» خاص بمن كان ساكناً من مكة في جهة الشمال كأهل مدينة الرسول عليه الصلاة والسلام، أو بمن كان مسكنه في جهة الجنوب كأهل اليمن، وأما من كان مسكنه من مكة إلى جهة المشرق كأهل منى... فإن قبلتهم بين الشمال والجنوب إلى جهة المغرب، ومن كان مسكنه عن مكة في جهة المغرب كانت مكة منه في جهة المشرق كأهل جدة ومصر... وطرابلس وأفريقية... وفاس ومراكش... فإن قبلتهم في جهة المشرق بين الشمال والجنوب. والمشرق مشرقان جنوبي وشمالي، فالجنوبي قبلة أهل المغرب من برقة إلى البسكرة وهو مطلع الشمس في شهر أكتوبر ونونبر ودجنبر ويناير

وفبراير، وأما بلاد السودان والترك وإرخان فإن قبلتهم في مطلع الشمس إذا كانت في برج الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة. وأما تلمسان وفاس ومراكش والمصامدة ودرعة وتوات وسجلماسة فإن قبلتهم في شرق الاعتدال في النصف الأول من مارس والنصف الثاني من شتنبر...»[1].

والرسالة طويلة بعض الشيء، ولكننا نكتفي منها بهذا القدر، وهي كما نرى لطيفة في معانيها، خالية من الصناعة اللفظية، كما أنها تمتاز بقصر مقدمتها، والدخول رأساً في الموضوع الذي تحمله. وإلى جانب هذا النوع من الرسائل العلمية، هناك الرسالة النصيحة التي تنطلق من قوله ﷺ: «إن الدين النصيحة» وهي غالباً ما تكون لطيفة في تعابيرها، سهلة سلسلة على نحو ما سوف نرى في رسائل الأسمر، وفي بعض الأحيان قد تخرج عن هذا النهج، فتكون قاسية التعابير شديدة المعاني فيما ترمي إليه من الإصلاح والعودة إلى انتهاج سنن السلف، ومن ذلك رسالة الخروبي إلى أبي عمر القسطلي، وقد هاله دعاواه العريضة التي يقول عنها محمد حجي: إنها تشبه في بعض الوجوه دعاوى الحلاج[2]. يقول الخروبي في رسالته: «من العبد الفقير إلى رحمة مولاه [إلى] من تكلم في حال الطفولية، وادعى البلوغ قبل فطامه، وقال بالأشد قبل الكهولة، وأتى بالإشادة قبل كلامه، المغلوب عليه، الملعوب به، من تعدّى طوره، ولم يعرف قدره، الفاني عمره في الاستدراج، وقال رجعت من السفر وهو لم يعرف المنهاج. إن كنت فيما ادعيت صادقاً فأنت عبد الحال لا محالة، وأن كنت كاذباً فقد بؤت بالخسران والسفالة... ويحك هل أتاك بحسن الخاتمة أو ببراءة الأمان، لو كان هذا يكون لما قال: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[3]. ويا عجباً لجهول سعى في حتف أنفه، واتخذ إلهه هواه، وأضله على طريقه، وأين

---

(1) يوجد نص هذه الرسالة ضمن مقتنيات الخزانة الحسنية بالرباط تحت رقم 6999.

(2) محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين. جـ 1 ص: 171.

(3) الأعراف: 99.

غاب عنك ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾[1]. وقوله: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ﴾[2] ﴿وَهُوَ شَدِيدُ الْمِحَالِ﴾[3] تالله لو خشيته لما ادعيت ما ليس لك، لو خفته لكنت له أشد خشية «أتقاكم لله أشدكم له خشية» الحديث. وقال ﴿إِنَّ الَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾[4]. وأين أنت من جبريل وميكائيل إذ قال لهما: فلا تأمننّ مكري. القصة بطولها. ليس هذا حال أرباب المكنة والدراية [و] إن كنت من أرباب الجذب الذين غايتهم البهتة فقد أخرستهم وأبكمتهم عن تعبير الحال وكشف المقال غيرة منه عليهم وهم عارفون بكشفه وبيانه. ﴿أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾[5]. وإن كنت من أرباب المعاملة الذين غايتهم المواصلة والمحادثة والمكالمة، فقد حفظهم بسر الاستقامة والمتابعة. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[6]. وإن لم تكن من الفريقين فدعواك باطل، وأنت مستدرج مغرور هالك مبثور. وإن كنت تقبل نصيحتي فاخلع ثوب الدعاية من عنقك، وفتش على شيخ يتصرف في أمرك، واته خاضعاً ذليلاً، وضع نفسك الجموحة في حجره، وتأدب بآدابه والف الانقياد لحكمه. إلا أن يخلو الوجود منه... وإن لدغك حال أو هجم عليك واراد فلا تفشيه. إفشاء الأسرار يورث البوار. هذا أقوى دليل على ضعفك فقد قالوا: من اطلع على سر من أسرار الله فكشفه يخشى عليه أن يموت كافراً. هذا إن كنت من أهل الشأن، وإن لم تكن منهم فقد جئت بعظيم من البهتان ولا يقول ذلك إلا أحمق مختل العقل، أو جاهل مغرور، أو طالب للرياسة حريص على الحطام. ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ

---

(1) يونس: 61.

(2) الأنعام: 18 ـ 61.

(3) الرعد: 13.

(4) المؤمنون: 57.

(5) الأنعام: 90.

(6) الحجر: 9.

في حَرْثِهِۦ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ﴾[1]. ويحك بلغنا عنك أنك أخذت الثمن على الجنة؟ إن كانت في يدك فاعطها شفقة لا عن عوض كما يفعل الله بعباده ـ ولولا أني قصدت الاختصار لملأت كراسة على تصفية الثمن حتى تأكله ـ تا الله ما ذاك إلا حرام محض لا وجه له. ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾[2]. فكيف وهم قالوا من كان مع الله على حقيقة العبودية جالساً لم يكن للعباد مفلساً. أو ما علمت أن بعض أهل الشأن اجتاز بقوم يشربون الخمر ويلعبون فأدركته الشفقة عليهم فقال: اللهم كما طيبت عيشهم في الدنيا طيب عيشهم في الآخرة فرجع الخمر ماء وكسروا آلات اللهو وتابوا من ساعتهم. فهل أخذ على ذلك ثمناً؟ وحاشاه أن يرضى بالخساسة ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾[3] الآية... إلخ[4]».

وقد أثارت هذه الرسالة أيضاً ردود فعل كثيرة، فإلى جانب رد القسطلي عليها في وقتها وإبانها نجد رداً لابن أبي محلى بعد ما يقرب من أربعين سنة من موت الخروبي، وقد حاول في رده تبرئة الكثير مما نسب لأبي عمرو القسطلي مستخدماً في ذلك عبارات تفوق عبارات الخروبي قساوة وشدة[5]. وإلى جانب هذين اللونين من الرسائل نجد الكثير من الرسائل الاخوانية التي تقتصر على مجرد التهاني أو التعازي أو الشكوى والعتاب.

أما عن المظاهر الشكلية لهذه الرسائل جميعها فإنها تتميز بالبساطة

(1) الشورى: 20.
(2) هود: 15.
(3) الأنفال: 67.
(4) يوجد نص هذه الرسالة ضمن كناش المراكشي بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 91 ج، ص: 36 ـ 38.
(5) يوجد هذا الرد ضمن مقتنيات الخزانة العامة بالرباط تحت رقم: 611ك.

والخلو من التعقيد اللفظي، والصناعة اللفظية، مبتعدة عن مراعاة السجع، أو البديع، عارية عن الإطناب المخل، والتبسط والاستطراد. فطول الرسالة أو قصرها تمليه أهمية الموضوع وحسب، وكذلك درجة المخاطب، ومقدرته العلمية، كما أنها تتميز بقصر مقدمتها، والدخول مباشرة في الموضوع.

أما عن مكانة هذه الرسائل العلمية فهي ولا شك تعتبر من المصادر التاريخية والاجتماعية والأدبية، التي لا تقل درجة عن المصادر الأخرى، بل تفوقها لأنها موقَّعة ومؤرّخة، ولا يمكن الشك في مدى صحتها.

## ـ الخصائص الفنية لرسائل الأسمر:

أسلوب الأسمر في رسائله سهل ميسور، خال من التعقيدات اللفظية، والمحسنات البديعية المتكلفة، بعيد عن السجع، ملتزم إلا فيما ندر بقواعد اللغة والإعراب. ورغم تنوع الرسائل وتفاوت عباراتها فإنها في أغلبها تلتزم نمطاً معيناً يمكن اعتباره سمة عامة في أكثر الرسائل. والأسمر في رسائله لم يكن ملتزماً بما حدده القدماء لشكل الرسائل ومظهرها، وإنما كان ذلك عنده وليد ظرفه وساعته.

فالمقدمة عادة ما تكون بسيطة قصيرة هكذا:

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً من العبد الفقير لله عبد السلام بن سليم الفيتوري الطرابلسي إلى... أما بعد...[1].

ونادراً ما تأتي المقدمة مستهلة بديباجة قصيرة بمفهومها الكلاسيكي مراعياً فيها موافقة التحمدات والاستهلالات لغرض الرسالة كقوله:

---

(1) من رسالته إلى أصحابه بسوس.

بسم الله الرحمن الرحيم

وبه نستعين

سبحانك لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم

الحمد لله رب البرية، الذي عمَّ عباده بالدعوة والوصية، وخص البعض منهم بالهداية والرحمة، وأسند ذلك للمشيئة الأزلية قال الله تعالى:

﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[1] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[3]. وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه حماة الدين القويم. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته أيها المحب الراغب، والمريد الطالب، وعلى كل أخ في الدين... الخ..»[4].

وفي هيكل الرسالة يتناول الموضوعات التي هي غرض الرسالة، وهي في مجملها مزيج بين العلم والأدب، زاخرة بمصطلحات علم الكلام، والتصوف، واللغة، وأسماء الرجال والأماكن، والفرق والطوائف، ممَّا يدل على مشاركة الأسمر العلمية، وموسوعيته، وتنوع معارفه، كل ذلك بأسلوب سلس، ولغة واضحة لا لبس فيها ولا غموض، كثيرة التضمين والاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر العربي وحكم الصوفية وأقوالهم، ممَّا زاد في تحليتها وبهائها، وقد يؤخذ على الأسمر في بعض رسائله كثرة الرواية حتى تكاد شخصيته تختفي في خضم كثرة النقول

---

(1) النساء: 131.

(2) يونس: 25.

(3) البقرة: 105 ـ آل عمران: 74.

(4) من رسالته إلى عبد الحميد العوسجي.

والنصوص التي يوردها[1]، ولعل مما يشفع له أن الرواية في عصره كانت تعد ركناً أصيلاً في أساس العلم وبنيانه، كما هي اليوم عند مدرسة رجال الحديث ومن حذا حذوهم وتأثر بهم.

ثم تأتي خاتمة الرسالة، وهي غالباً ما تماثل المقدمة في قصرها وبساطتها، بل أحياناً تقتصر على جملة دعائية واحدة كقوله: «وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين»[2] وأحياناً يستدرك فيها ما فاته في هيكل الرسالة كقوله[3]: «خاتمة النصيحة اعلم أن أصل جميع السعادات والعبادات، ومفتاح النهايات والإرادات، وأساس جميع المعاملات والمواصلات، ومطلع جميع المكاشفات والملاطفات حسن اليقين، وهو غاية الإيمان وكماله، ويحصل بجود إلهي دون سابقة إقبال من العبد ولا احتساب، ويكون السعي إلى الله والتوجه تابع له ولاحق به، وقد يحصل وهو الأكثر بعد سابقة التعرض من العبد والارتقاب، مع قرع الباب بملازمة الإقبال على الله بالأعمال والأقوال المقربة إلى الله الكبير المتعال، المنفرد بالجلال والكمال ﴿ذِى ٱلطَّوْلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[4]، ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[5] ﴿هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[6].

كما يلاحظ أيضاً أن جميع الرسائل قد جاءت غفلاً من تاريخ الإرسال، وقد يرجع هذا إلى طبيعة موضوعاتها التي لا ترتبط كثيراً بأحداث معينة، ولا بتاريخ معين أيضاً، فجاءت فارضة نفسها مقللة من أهمية التاريخ الذي يذيل به عادة الرسائل والمكاتبات.

(1) كرسالته إلى أصحابه بسوس.
(2) من رسالته إلى أصحابه بتمبكتو.
(3) رسالته إلى راشد بن حيي المحجوبي.
(4) غافر: 3.
(5) الأنفال: 40.
(6) الرعد: 30.

## المبحث الثاني
## الخصائص الموضوعية لرسائل الأسمر

### 1 ـ الدعوة إلى العلم والتعلم:

حفلت رسائل الأسمر بالدعوة إلى العلم والتعلم، جاعلاً من العلوم ما يكون تعلمه فرض عين، وما يكون تعلمه فرض كفاية، ومنه ما يكون تعلمه مندوب، وآخر تعلمه حرام. «تعلم العلم يكون فرض عين، وهو بقدر ما يحتاج إليه لدينه، وفرض كفاية، وهو ما زاد عليه لنفع غيره، ومندوب وهو التبحر في الفقه وعلم القلب، وحرام وهو علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل والقرعة والتقازة إلى غير ذلك»[1]. ومن العلوم التي أبدى اهتمامه بها:

#### (أ) القرآن الكريم:

لا شك أن القرآن الكريم هو العلم الجامع لمبدأ العلوم. لذلك نرى الأسمر قد أولاه جل اهتمامه في كثير من رسائله، وذلك بالحظ على حفظه وتلاوته ومدارسته وتدبره «أوصيكم بحفظ القرآن والإكثار من تلاوته إن أمكنكم حفظه لأنه من السنة الشريفة، ولتكن قراءتكم له مع التدبر والترتيل والتفهم لمعانيه، ومن السنة أن يحفظه العبد بحيث يقرأه على ظهر قلب بدون النظر إلى المصحف، أي يأخذه على شيخ ماهر به، فإذا تمهّر فيه إلى أن بلغ الغاية القصوى يقرأه كيف يشاء خلافاً لمن قال قراءة القرآن في النسخة أكثر ثواباً ممن يقرأه بدون النظر إليها، وفي الحديث «الماهر بالقرآن

---

(1) من رسالته إلى أصحابه بتمبكتو.

مع السفرة الكرام البررة». والمراد بالماهر في الحديث: جودة اللفظ، وإخراج كل حرف من مخرجه. أو جودة الحفظ، وهو المناسب ههنا، أو أن يراد به كلاهما. والكرام: جمع كريم. والبررة: جمع بار. بمعنى الحسن. والسفرة: جمع سافر وهو الكاتب، والمصلح بين القوم. والمراد بهم الملائكة النازلة بما فيه صلاح العبد من حفظهم عن الآفات والمعاصي، وإلهامهم الخير في قلوبهم. أو الملائكة الذين هم حملة اللوح المحفوظ كما قال الله تعالى:

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[1]. وقيل المراد بهم أصحاب رسول الله ﷺ، أو الملائكة الكاتبون أعمال العبد كذا في كتب القوم. ومن قرأه وهو عليه شاق فله أجران، أجر لقراءته، وأجر لمشقته. وبسط الحديث هكذا: والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران. والتعتعة في الكلام التردد من حصر أو عي. كذا ذكره أهل العلم»[2].

وإذا كان للقرآن الكريم كتب كثيرة توجه أصول رسمه وقراءته، فإن الأسمر قد اختار منها لمخاطبيه كتابين لإمام القراء بفاس، وهو الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الأموي المعروف بالخراز. وهما «مورد الضمآن في رسم القرآن» و«عمدة البيان في رسم القرآن» للاستفادة منهما والعمل بمقتضاهما، كما أشار إلى أنه ينبغي تخيّر أحسن الروايات لقراءته، وذلك كرواية عيسى بن مينا الشهير بقالون. كما طالب مخاطبيه بأن يبادروا بصبيانهم إلى تعلم القرآن وحفظه منذ نعومة أظفارهم حتى يختلط بدمائهم ولحومهم مذكراً بالأثر القائل بأن التعلم في الصغر كالنقش في الحجر وأن التعلم في الكبر كالنقش على الرمل.

كما أن للقارىء صفات ينبغي أن يتوفر عليها منها: أن يكون متوضئاً، مرتدياً أحسن ثيابه، جاهراً بقراءته إن كان جهره لا يتأذى منه أحد، لأنه

---

(1) عبس: 15 ـ 16.

(2) من رسالته إلى أصحابه بتمبكتو.

أيقظ لقلبه، وأجمع لفكره، وإلا فالأسرار أوجب في حقه. وأفضل القراءة ما كانت بالمسجد لقوله ﷺ: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده ومن بطأ به عمله لم يسرع به نسبه»[1] وأفضل القراءة ـ في غير الصلاة ـ قراءة الليل وأفضله النصف الأخير. كما أن أفضل وقت للقراءة في النهار القراءة بعد صلاة الصبح. ولا ينبغي للماهر في قراءته الإسراع فيها لقوله ﷺ: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[2] وقد أمر ابن عمر بأن يقرأه في أربعين يوماً. أما هو فقد كان يقرأه في سبع ليال. ثلاث سور «حزب»، ثم خمس، ثم سبع، ثم تسع، ثم إحدى عشر سورة، ثم ثلاثة عشر، ثم المفصل. وإذا ابتدأ القارىء من أثناء السورة فيستحب له أن يبتدىء من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض، وإذا وقف فليقف على آخر الكلام المرتبط، ولا يتقيد ذلك بالأحزاب والأعشار والأجزاء، فإنها قد تكون في وسط الكلام كالجزء الأول في النساء وجزء التوبة ونحوهما، فلا يبتدأ بذلك ولا يقف عليه لتعلقه بما قبله. وليجتنب اللغط والضحك والكلام في خلال القراءة إلا كلاماً يضطر إليه، ولا يعبث بيده ولا بغيرها، ولا ينظر إلى محرم ولا إلى ما يلهيه عن القراءة.

كذلك يحذر الأسمر من تدبر القرآن بالجهل قائلاً: «فإن صعب عليكم التدبّر أي فهم معانيه فلا تتدبروه بالجهل، فإن تدبرتموه بالجهل فكأنكم فسرتموه، فالمدبر كالمفسر، ومن قال بتفهمه لنفسه من غير فهم فلا أصل لكلامه، إذ لا يحل لأحد أن يقدم على شيء حتى يعلم حكم الله فيه» الحديث وقد كان شيخنا يقول: لا يحل لمسلم أن يتدبر القرآن بالجهل،

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه «جـ17 ص21» بشرح النووي ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن. من رواية أبي هريرة وهو جزء من حديث طويل.

(2) أخرجه الترمذي في جامعه «جـ4 ص: 267» أبواب القراءات ـ من رواية عبد الله بن عمر.

فيدخل في قوله عليه السلام: «من فسر القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ فإن لم يصب فقد كفر»[1] الحديث إلى أن قال: والتدبر من غير فهم أصل من أصول الكفر والعياذ بالله. كذلك يورد الأسمر عشرات الأحاديث النبوية التي ترغِّب في تعلم القرآن وتعليمه كقوله ﷺ: «خيركم من تعلم القرآن وعلَّمه»[2] وقوله: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[3] كذلك لا يفوته التذكير بالأحاديث التي ترهب من نسيان القرآن بعد حفظه كقوله عليه الصلاة والسلام: «لم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها»[4] مورداً قول أبي عبيدة في توضيح مفهوم هذا الحديث بأنه وارد في حق من ترك تلاوة القرآن، وجفا عنه حتى نسيه. أما من كان دائباً في تلاوته، حريصاً على حفظه إلا أن النسيان يعتريه، فلا يتناوله هذا الوعيد فقد كان ﷺ ينسى الشيء من القرآن حتى يذكره[5]. وإذا كان عدد سور القرآن، وأعشاره، وآياته، وكلماته، وحروفه هي من مواطن الخلاف بين العلماء، فإن الأسمر يدلي بدلوه في هذا الموضوع مقدماً هذه الإحصائية لمخاطبيه:

---

(1) لم أعثر عليه بلفظه وقريب منه ما أخرجه الترمذي في جامعه «جـ9 ص: 369» أبواب تفسير القرآن ـ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه. عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ».

(2) أخرجه البخاري في صحيحه «جـ6 ص: 108» كتاب فضائل القرآن ـ باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه. من رواية عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(3) أخرجه الترمذي في جامعه «جـ4 ص: 248» باب ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر. من رواية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(4) أخرجه الترمذي في جامعه «جـ4 ص: 250» باب 19 فضائل القرآن. من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه.

(5) لعله يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه «جـ6 ص110» كتاب فضائل القرآن ـ باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا، عن عائشة رضي الله عنها قالت: «سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا».

| عدد سور القرآن | 114 |
|---|---|
| المكي منها | 90 |
| المدني منها | 24 |
| عدد أعشاره | 621 |
| عدد آياته | 6236 |
| عدد كلماته | 79439 |
| عدد حروفه | 300070 |

كما أشار في موضع آخر ومن نفس الرسالة إلى أن عدد آيات القرآن هو: 6660 آية مفصلاً إياها على النحو التالي:

| 1000 | أمر |
|---|---|
| 1000 | نهي |
| 1000 | وعيد |
| 1000 | وعد |
| 1000 | عبر وأمثال |
| 1000 | قصص وأخبار |
| 500 | حلال وحرام |
| 100 | تسبيح وتقديس |
| 60 | ناسخ ومنسوخ |

## (ب) اللغة العربية:

من علوم اللغة العربية علم النحو وهو عند الأسمر «زين الكلام، وجمال المنطق، وقوام اللسان، وهو علم من أشرف العلوم، ويزيد المرء بعلمه فهماً وفضلاً، ويكبره عند العلماء، ولا يتم اللفظ أو الشعر إلا به،

وفي الحديث «أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن»[1] ومن هذا المنطلق جاءت دعوة الأسمر إلى تعلم علم النحو والتضلع فيه. ملتمساً من أحاديث النبي ﷺ، وتوجيهات علماء السلف الصالح ما يشحذ الهمم، ويشجع على طلب علم النحو كقوله ﷺ: «رحم الله امرءاً أصلح من لسانه»[2] وكقول عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ «تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة»[3] وكقول بعضهم: «العلوم ثلاثة علم نضج وما احترق وهو علم النحو والأصول، وعلم لا نضج ولا احترق وهو علم البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق وهو علم الفقه والحديث» ومن بين تعاريف حقيقة علم النحو يورد الأسمر تعريف ابن بابشاد له وهو قوله: «علم مستنبط بالقياس من كتاب الله سبحانه، والكلام الفصيح. والغرض من النحو معرفة صواب الكلام وخطئه، وفهم معاني كتاب الله عزّ وجلّ وفوائده» ويستطرد الأسمر القول بذكر السبب في وضع علم النحو، وهو: أن أعرابياً قدم في زمان عمر بن الخطاب فقال: من يقرئني ما أنزل الله على محمد ﷺ فأقرأه رجل براءة فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ﴾[4]. بالجر. فقال الأعرابي: أو قد بريء الله من رسوله! إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه. فبلغ عمر مقالة الأعرابي فدعاه. فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ﷺ؟ قال: يا أمير المؤمنين إني قدمت المدينة ولا علم لي بالقرآن. فسألت من يقرئني؟ فأقرأني هذا سورة براءة فقال: «إن الله بريء من المشركين ورسولِه». بالجر فقلت: إن يكن الله بريء من رسوله فأنا أبرأ منه فقال عمر: ـ رضي الله عنه ـ ليس

---

(1) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير «جـ1 ص: 173» وعزاه إلى ابن الأنباري في الوقف والموهبي في فضل العلم عن أبي جعفر معضلاً وأشار إلى ضعفه.

(2) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان «جـ2 ص: 276» في السابع عشر من شعب الإيمان وهو طلب العلم عن عمر بن الخطاب. وحسنه السيوطي في الجامع الصغير «جـ2 ص: 11».

(3) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان «جـ2 ص: 257» في السابع عشر من شعب الإيمان وهو طلب العلم.

(4) التوبة: 3.

هكذا يا أعرابي. قال: فكيف هي يا أمير المؤمنين؟ فقال: «أن الله برىء من المشركين ورسوله». بالضم فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما برىء الله ورسوله منه. فأمر عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن لا يقرىء الناس إلا عالم باللغة، وأمر أبا الأسود رضي الله عنه فوضع النحو. وهذه القصة التي رواها الأسمر أوردها أيضاً السيوطي في تفسيره الدر المنثور في التفسير المأثور[1]، وأشار إليها أيضاً العلاَّمة ابن حيان في تفسيره[2]، كما تروى أيضاً على وجه غير هذا. وأيّاً ما كان الأمر فقد انعقد الاجماع ـ كما يقول ابن خلكان ـ[3] على أن واضع علم النحو أو مدونه هو أبو الأسود الدؤلي، ثم اختلف الرواة فيما بعث أبا الأسود على وضع علم النحو، فقيل عمر بن الخطاب، وقيل علي بن أبي طالب، وقيل زياد بن أبيه، وقيل غير ذلك.

كذلك أشار الأسمر إلى اتفاق علماء الأمة على أن النحو محتاج إليه في كل فن من فنون العلم، وخاصة علمي التفسير والحديث، «أما التفسير فلا يجوز لأحد أن يتكلم في كتاب الله حتى يكون ملياً بالنحو، فإن القرآن عربي ولا يعرف مقاصده إلا بمعرفة قواعد العربية، وأما الحديث فقال ابن الصلاح: ينبغي للمحدث أن لا يروي حديثاً بقراءة لحّان، وقال الأصمعي: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في قول النبي ﷺ: «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[4]. لأنه لم يكن يلحن. فمهما رويت عنه ولحنت فقد كذبت عليه»[5].

---

(1) السيوطي، الدر المنثور في التفسير المأثور. جـ 3 ص: 312.

(2) تفسير ابن حيان. جـ 5 ص: 6.

(3) ابن خلكان، وفيات الأعيان. جـ 2 ص: 535.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه «جـ1 ص: 57» المقدمة باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ. من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(5) من رسالته إلى أصحابه بتمبكتو.

## (جـ) المنطق:

كان المنطق في مقدمة العلوم التي أنجزت ترجمتها إلى اللغة العربية إبَّان عصر ازدهار الترجمة في الدولة الإسلامية، ومنذ ذاك والعقلية الإسلامية تتجاذبه بين القبول والرد، والتحريم والتحليل، فمن معظم له ومقدر لدوره في عصمة الذهن، وحفظه عند التفكير من الخطأ والزلل كالكندي والفارابي وابن سينا والغزالي وأمثالهم. إلى مقلل من شأنه مدعياً بأنه لا يحتاج إليه الذكي، ولا ينتفع به الغبي كأبي البركات البغدادي ومن حذا حذوه. إلى ناقد له مرّ الانتقاد، مبيناً بأن مبناه على أمور اصطلاحية لا على مبادىء عقلية مقررة، كابن تيمية الحراني[1] ومدرسته. إلى محرم له جملة وتفصيلاً، كابن الصلاح عفا الله عنه[2]. حتى إذا ما جاء القرن العاشر الهجري رأينا الإمام السيوطي يحمل عالياً وبكل قوة وحزم لواء القائلين بالتحريم لدراسة علم المنطق، وفي هذا الوسط الذي سيطرت فيه آراء وأفكار السيوطي تعالت بعض الأصوات منادية بضرورة دراسة علم المنطق، فكان بالمغرب الأقصى العلامة عبد العزيز المكناسي صاحب اللامية المشهورة في علم المنطق[3]. وبالجزائر محمد المغيلي[4] الذي راسل السيوطي وفند حججه الداعية إلى تحريم المنطق. وبليبيا كان شيخنا الأسمر الذي دعا إلى ضرورة تعلم المنطق بقدر الكفاف على الأقل مبيناً بأن مذهب الجمهور جواز تعلمه لمن كمل عقله وناقلاً عن شيخه الدكالي بأن علم المنطق: من العلوم الشريفة، وأنه محتاج إليه في كل شيء، بل إن من لم يتوغل في النحو والمنطق لا ثقة بعلمه، ومن لا يدركهما لا يجوز له القدوم على التأليف والتصنيف، كما لا يجوز له قراءة كتب التفسير والحديث[5].

---

(1) ابن تيمية، الرد على المنطقيين، جـ 1 ص: 59.

(2) ابن الصلاح، فتاوى ابن الصلاح، ص: 34 ـ 35.

(3) محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين جـ 1 ص: 159.

(4) أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي. جـ 1 ص: 113.

(5) من رسالته إلى أصحابه بتمبكتو.

### (د) فائدة العلم وآفته:

يرى الأسمر أن الفائدة الحقيقية لا تحصل للمرء إلا إذا توفّر على ثلاثة خصال. أولاهما: «الاخلاص فيه لله تعالى» وثانيهما: «الأدب مع سائر الخلق باراً وفاجراً» وثالثهما: «نفي الكبر من قلبه». كما يشير إلى أن للإخلاص علامات يستطيع المرء أن يلتمسها في نفسه منها: «إن لا يتكدر ممن نسبه إلى الجهل وعدم الفهم، ولا من قال فيه إن فلاناً يتعلم العلم حجة عليه، أو فلاناً لا يعمل بعلمه وغير ذلك، فيتساوى عنده نسبته للجهل، ونسبته للعلم على حد سواء». ومنها: «أن لا يجد في نفسه حلاوة لما يكبر كحلقة درسه، والتعظيم في أعين الناس»، وإذا كان آفة العلم النسيان كما يقال فإن الآفة الحقيقية للعلم كما يراها الأسمر هي: الكبر والحرص ومحبة الدنيا. وأعظم من هذا كله الدعوى في العلم. يقول الأسمر: «إياكم والدعوى في العلم، أو يقول أحدكم: أنا عالم، أو أنا خير منك، أو أنا قارىء. فإن هذه الكلمات الثلاثة أول من قالها: اللَّعين إبليس. قال الله تعالى حكاية عنه: ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[1] والثاني فرعون لعنه الله حيث قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[2] وفي ذلك أقاويل وأحاديث»[3].

## 2 ـ الدعوة إلى الأدب وحسن الخلق:

إن الدعوة إلى الأدب وحسن الخلق يمثلان لب رسائل الأسمر ومحورها الذي تدور عليه «وعليكم بالأدب مع الله ومع رسوله ومشايخكم وجميع الخلق من بار وفاجر[4]». فالأدب مع الله: بامتثال أمره، واجتناب نهيه، والاستسلام لقهره. والأدب مع رسوله: باتباع سنته، وإيثار محبته،

---

(1) الأعراف: 12 ـ ص: 76.

(2) النازعات: 24.

(3) من رسالته إلى أصحابه بالزاوية الغربية.

(4) من رسالته إلى أصحابه بسوس.

والتخلّق بأخلاقه، والاهتداء بهديه. والأدب مع الأشياخ: بحفظ حرمتهم، وحسن خدمتهم وصدق محبتهم. والأدب مع سائر الخلق: بالحب لهم ما يحب المرء لنفسه وأكثر. والأدب عند الأسمر «هو العلم كله» وحسن الخلق «به يدرك الإنسان درجة الصائم القائم»[1]. ومن مواطن الأدب التي فصل الأسمر القول فيها:

## (أ) أدب المرء في جلوسه مع الآخرين:

من أدب الجلوس مع الآخرين ـ عند الأسمر ـ أن يكون الجالس «حسن المنظر، مستبشر الوجه، ليّن الكلام» وأن يكون «ذا عقل، وفهم، ونصح صريح، وود صحيح، وأمانة تامة، إذا صمت زين، وإذا حدث صدق، وإذا أشار برأي أصاب، وإذا سئل أجاب، وإذا اؤتمن فلا يخن، وإذا لفظ أتم، وإذا قال أحسن، وأن يكون حسن الاستماع ممن يحادثه، ولا يقول لجليسه إن هذا قد سمعته ولو كان سمعه، بل يحدث جليسه بحسن استماعه على أنه ما سمعه قط، ولا يسرع بتكذيب المحدث، فإنه سوء أدب» ويجب عليه: «ستر عورة جليسه، وكتم عيوبه، وحفظ سره، وينبغي للجالس أن يكون خفيف الجلسة، فإذا رأى لطول الجلوس موضعاً فيه ما يقربه لربه، أو ينتفع منه غيره أطال جلوسه وإلا ترك ولا فائدة في جلوسه. وقد قيل: إن الجليس الصالح خير من الوحدة، والوحدة خير من جليس السوء».

كما يذكّر الأسمر بالأثر القائل بأن: «من جلس مع ثمانية أصناف زاده الله ثمانية أشياء فمن جلس مع الأمراء زاده الله الكبر وقساوة القلب، ومن جلس مع الأغنياء زاده الله الحرص في الدنيا، ومن جلس مع الفقراء زاده الله الشكر والرضا بما قسم له، ومن جلس مع الصبيان زاده الله لهواً ولعباً، ومن جلس مع النساء زاده الله شهوة وجهلاً، ومن جلس مع الصالحين زاده الله رغبة في الطاعة، ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع، ومن جلس مع الفساق زاده الله الذنب والتسويف».

---

(1) من رسالته إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي.

ولمَّا كان المرء يجالس أصنافاً متعددة من البشر، من ملوك إلى علماء إلى أغنياء إلى فقراء... لذلك نرى الأسمر قد وضع آداباً يلتزم بها في مجالسة كل صنف من هذه الأصناف فقال: «إذا جلستم مع أهل القرآن فحدثوهم بالحذف والإثبات والتدبر والترتيل، وكل مسألة تدل على الألفاظ القرآنية كمخارج الحروف والتفخيم والترقيق وغير ذلك مما هو مشروع عندهم، وإذا جلستم مع أهل الدنيا فحاضروهم: برفع الهمة عمَّا في أيديهم مع تعظيم الآخرة، وإذا جلستم مع أهل الآخرة فحاضروهم: بوعظ الكتاب والسنة وتعظيم دار البقاء. وإذا جلستم مع الملوك فحاضروهم: بسيرة أهل العدل وسياسة العقلاء مع حفظ الأدب معهم، والعفاف عمَّا في أيديهم. وإذا جلستم مع العلماء فحاضروهم: بالروايات الصحيحة والأقوال المشهورة في المذاهب المعلومة بالحق دون الهوى مع الإنصاف لهم في القول وألفهم إذا وافق الصواب مع عدم الجدال والمراء الجالب للعلو. وإذا جلستم مع الصوفية فحاضروهم: بما يشهد لأحوالهم الحقانية، ويقيم لهم الحجة على المنكر عليهم مع أدب الباطن قبل الظاهر. وإذا جلستم مع العارفين فحاضروهم: بما شئتم فإن لكل شيء عندهم وجهاً من وجوه المعرفة، لكن بشرط لين الكلام، وحفظ الحرمة والأدب... إلخ...»[1].

## (ب) أدب المرء في سفره

اعتاد الكثير من العلماء أن يتحدثوا عن موضوع السفر وآدابه في مؤلفاتهم ورسائلهم، إذ كان للسفر والترحال في الماضي شأن خاص، فهو: دأب الكثير من طلاب العلم ورجاله، وذلك لاستكمال تحصيلهم العلمي. ودأب الكثير من رجال التصوف، وذلك لاستكمال تربيتهم الروحية، أو للمزيد من التأمل والاعتبار. كما أن السفر لا يزال دأب الكثير من الناس على اختلاف طبقاتهم ومستوياتهم، وذلك لقضاء أغراضهم وحاجاتهم الدينية والدنيوية، بل إن كل مسلم ومسلمة في الإسلام بَعُدَ مقامه عن البيت العتيق

(1) من رسالته إلى أصحابه بتمبكتو.

واجب عليه السفر لزيارته، واستكمال بقية فروض الاسلام ما استطاع إلى ذلك سبيلاً.

وعن آداب المسافر في سفره يبتدأ الأسمر بتذكير المسافر بأن لا يغفل عن الإتيان بسنة «القصر والجمع» في الصلاة إذا كان السفر ممّا اقتصر فيه الصلاة «فإن الله يحب أن تؤتي رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه»[1]. كذلك لا ينبغي أن يغفل المسافر عن القيام بأوراده التي كان يقوم بها في حضره من صلاة، أو تسبيح، أو قراءة قرآن أو غير ذلك. «وما تعذر منها بسبب فاقضوه عند التمكن إن كان مما يقضى، وإلا فقد خفف الله عن المسافر وفي الحديث «إن المؤمن إذا سافر أو مرض يأمر الله ملائكته يكتبون له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً»[2] وهذا فضل من الله ورحمة وتخفيف، فله الحمد ما أرحمه بعباده وألطفه»، ثم يأخذ الأسمر في تعداد جملة من الآداب التي ينبغي للمسافر أن يتحلى بها نذكر منها:

1 ـ أن يكون المسافر حسن المعاشرة والمصاحبة مع رفقاء سفره «وعليكم... بحسن المصاحبة والمعاشرة مع من صحبتموه بالسعي في مهماته كسعيكم لأنفسكم، وبالحرص على إدخال السرور على قلبه، وبالنصح له وهدايته إلى ما ينفعه في آخرته ودنياه، ولا يمنعكم الحياء من ذلك فشر الحياء حياء يمنع من العمل بالخير والدعوة إليه»، «وعليكم بحسن الخلق مع من يصحبكم وخفض الجناح له ـ فإن الخير كله في اللين، وسعة الاحتمال ـ وبإيثار الصاحب، وأن يكون المؤمن سريع الرضا بطيء الغضب، بل المؤمن الكامل لا يغضب لنفسه رأساً، وإنما يغضب لربه، ومهما غضب المؤمن لنفسه منعه إيمانه أن يشفي

---

(1) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير «ج11 ص: 323» عن ابن عباس رضي الله عنه.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه. «ج2 ص: 114». كتاب الجهاد والسير ـ باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة. عن أبي موسى بلفظ «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً».

نفسه وينفذ غضبه. وقد قال رجل: يا رسول الله أوصني. فقال: «لا تغضب»[1].

2 ـ أن يحافظ المسافر على الدعاء بأدعية السفر في ذهابه وإيابه، وعند نزوله وركوبه. «وحافظوا على أذكار السفر، وما يقال عند الركوب والنزول ودخول البلد إلى غير ذلك من أذكاره».

3 ـ إذا دخل المسافر بلدة أو قرية فليقل: «اللهم إني أسألك من خير هذه القرية وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها. ويستحب أن يأكل من فجماء كل أرض يأتيها، أي من فومها وهو الثوم ويقال الحنطة. وقال بعضهم الفوم الحمص لغة شامية وبصلها وبقولها جمع بقل، وهو ما أنبتته الأرض من الخضروات. والمراد به هنا أطايب البقول التي يأكلها الناس... لكيلا يضره ماؤها ووباؤها».

4 ـ أن يحرص على زيارة أخيارها وصالحيها لينال دعواتهم، ويأخذ وصاياهم، ويستفيد من ملاحظاتهم. «وعليكم بصحبة الأخيار والتأدب بآدابهم، والاستفادة من أعمالهم وأقوالهم... وإنما قلَّ انتفاع أهل الزمان بالصالحين من حيث قلة التعظيم لهم، وضعف حسن الظن بهم فحرموا بسبب ذلك بركاتهم، ولم يشاهدوا كراماتهم، حتى توهموا أن الزمان خال من الأولياء، وهم والحمد لله كثيرون ظاهرون مخفيُّون، ولا يعرفهم إلا من نوّر الله قلبه بأنوار التعظيم وحسن مصاحبتهم».

5 ـ وليحذر المسافر من دخول أي بلدة أو قرية يسودها الاضطراب أو يجوس فيها المرض والوباء «ولا تدخلوا بلاداً فيها قتال وأفتان أو وباء، أو طاعون».

6 ـ وإذا ما قضى المسافر أربه من سفره «فليعجل الأوبة أي يعجل بالرجوع

(1) أخرجه البخاري في صحيحه «جـ7 ص: 100» كتاب الأدب ـ باب الحذر من الغضب: عن أبي هريرة رضي الله عنه.

إلى أهله تعجيلاً. . . فإن السفر قطعة من العذاب[1] حيث يشتمل على أنواع المشاق وقد يروى: السفر قطعة من سقر. . .».

7 ـ إذا تيسَّر له أن يشتري بعض الهدايا لأهله وجيرانه وأقاربه فليفعل فإن «الأعين تمتد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح فتتأكد المحبة بها ويزداد السرور معها».

8 ـ الأولى بالمسافر أن يدخل بلده عند عودته نهاراً كما جاء في كثير من الآثار[2]. والأولى أن يكون الوقت وقت الضحى وأن يبدأ بالمسجد فيصلي به شكراً لله. وأن لا يطرق «أهله ليلاً[3] لكي لا يعثر على مكروه أو يطلع على شنيع»[4].

كذلك تخللت رسائل الأسمر الدعوة إلى انتهاج معالي مكارم الأخلاق وتحلي النفس بها كالجود، والسخاء، والإيثار، والحلم، والصبر، وبذل الفضل، واصطناع المعروف، والتواضع، وبرّ الوالدين، والرفق بالمماليك. . . إلخ. . . وطبيعي أن ما من خلق من هذه الأخلاق الفاضلة ينفصل عن أدب فالتواضع مثلاً كصفة للنفس يحتاج إلى مظهر هو أدب. واحترام المسلم وإكرامه كصفة للنفس وخلق يحتاج إلى مظهر هو أدب،

---

(1) يشير بذلك إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه «جـ1 ص: 219» كتاب الحج ـ باب السفر قطعة من العذاب. عن أبي هريرة بلفظ: «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله».

(2) يشير بذلك إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه «جـ2 ص: 156» كتاب صلاة المسافرين ـ باب استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه. عن كعب بن مالك بلفظ: «أن رسول الله ﷺ كان لا يقدم من سفر إلا نهاراً في الضحى فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه».

(3) يشير بذلك إلى ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير «جـ11 ص: 245» عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطرقوا النساء ليلاً» يعني إذا قدم أحدكم من سفر لا يأتي أهله إلا نهاراً. قال: فقدم رسول الله ﷺ قافلاً [illegible] رجلان [illegible] قول رسول الله ﷺ فأتيا أهليهما فوجد كل واحد مع أهله رجلاً.

(4) من رسالته إلى أصحابه بتونس.

وهكذا في كل الأخلاق. وفي مقابل الدعوة إلى انتهاج مكارم الأخلاق هذه يحذر الأسمر من مساوىء الأخلاق وحضيضها كالحرص، والكبر، والعجب، والرضى عن النفس، والبخل، والشح، والكذب، والغيبة، والنميمة، والبهتان، وما إلى ذلك متشهداً بقول القائل:

الكبر ذل والتواضع رفعة ... والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص فقر والقناعة نعمة ... واليأس من صنع الإله قنوط

كما جاء تحذيره من صحبة الأراذل، والفسقة، والزنادقة، ومن على شاكلتهم وهواهم. مذكراً بقول القائل:

ما يبرىء الجرباء قرب سليمة ... منها ولكن السليمة تجرب[1]

ومؤكداً مصاحبة أهل الخير والدين، ومخاطبتهم ومعاشرتهم. «ولا تخالط، ولا تجالس، ولا تعاشر إلا أهل الخير والدين، واجتنب مخالطة أهل الشر والباطل، واحترز من مجالستهم، فإن المرء من جليسه وعلى دين خليله، ومن رأيته ترك معروفاً فأمره به، أو فعل منكراً فانهه عنه، ولا تستحي فإن الله لا يستحي من الحق، وإذا أمرت أحداً بمعروف أو نهيته عن منكر فليكن ذلك برفق ولطف وشفقة. والله الله في حسن الخلق، فإنه أثقل شيء يوضع في الميزان[2] وبه يدرك الإنسان درجة الصائم القائم كما ورد»[3].

---

(1) من رسالته إلى أصحابه بتمبكتو.

(2) يشير بذلك إلى ما أخرجه أبو داوود في سننه «جـ4 ص: 252» كتاب الأدب باب في حسن الخلق. عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق» كما أخرج أيضاً عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم».

(3) من رسالته إلى محمد عبد الكريم الشاذلي.

### 3 ـ التوحيد:

اهتم الأسمر بهذا الموضوع في رسالتين اثنتين من رسائله، ولكنه لم يتناول سوى بعض القواعد الأساسية في هذا العلم، والتي يبدو أن مخاطبيه كانوا في حاجة ماسة إليها. ففي رسالته إلى راشد بن يحيى المحجوبي نجده قد ضمنها كتاب «المقدمات» للمفكر الأشعري وصاحب العقائد المشهورة للإمام محمد بن يوسف السنوسي برمته، وهذه المقدمات تعتبر بمثابة المدخل التمهيدي لما كتبه الإمام السنوسي في علم التوحيد، وهي تتضمن مقدمات ثماني مرتبة على النحو التالي:

1 ـ مقدمة الأحكام.

2 ـ مقدمة المذاهب.

3 ـ مقدمة أنواع الشرك.

4 ـ مقدمة أصول الكفر والبدع.

5 ـ مقدمة الموجودات.

6 ـ مقدمة الممكنات.

7 ـ مقدمة الصفات الأزلية.

8 ـ مقدمة الأمانة في حق الرسل.

وقد هيمنت هذه المقدمات مع باقي مؤلفات السنوسي العقدية هيمنة لا حدود لها في المجال العقدي والتعليمي في المغرب كله منذ القرن التاسع الهجري وحتى يومنا هذا، والسر في هذا ـ فيما يبدو لي ـ هو التزام السنوسي لمنهج أهل السنة والجماعة، وهو المنهج الذي ارتضاه معظم سكان الشمال الافريقي في المجال العقدي والتزموا به.

أما رسالته الأخرى التي تطرق فيها إلى هذا الموضوع فهي رسالته لأصحابه بغريان، وقد لامس فيها بعض قضايا هذا العلم كالنظر

والاستدلال، والمعرفة، وصفات الله سبحانه وتعالى، والإسلام، والإيمان.

## (أ) النظر والاستدلال:

النظر والاستدلال قضية من القضايا الشائكة في الفكر العقدي الأشعري فالإمام الأشعري ـ إن صحت الرواية عنه ـ يقول بعدم صحة إيمان المقلد بناء على أن النظر والاستدلال شرط في صحة الإيمان، وعليه فالغالبية الغالبة من المجتمع الاسلامي كافرة والعياذ بالله، وقد شنع على الإمام الأشعري بسببها أيَّما تشنيع ليس هنا مجال بسطه ومناقشته.

يقول شيخنا الأسمر: «إن العلماء اختلفوا في ذلك على قولين، فمن قال: إن النظر والاستدلال أول الواجبات استدل بقوله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾»[1] الآية. ثم يورد على هذا القول قول أبي جعفر السمناني: «ومن جعل النظر والاستدلال أول الواجبات فقل له: متى يجب على العبد الإيمان بالله» ثم يوضح قائلاً: «ويلقن العبد وإن كان في المهد ينهي عليه ويضمن به نفسه، فإن مات هذا العبد قبل البلوغ مات عبداً مسلماً مؤمناً، وإن بلغ حد التكليف فحينئذ يلزمه النظر والاستدلال والبحث عن معبوده. وبذلك قال الغزالي، وبه قال تلميذه أبو الوليد الباجي وجماعة من العلماء رضي الله عنهم»، ثم يخلص إلى رأي عامة المسلمين بقوله: «والذي عليه الأئمة، وعلماء المسلمين أن الإيمان بالله هو: أول الواجبات» ثم يحدد لنا في غاية التبسيط معنى النظر والاستدلال «ومعنى النظر والاستدلال: أن ينظر بين الصانع والمصنوع» فـ «كل صنعة تفتقر إلى الصانع الذي صنعها واخترعها وابتدعها، والصانع هو الله، والمصنوع خلقه».

## (ب) المعرفة:

المعرفة عند الأسمر ـ كما هى عند غيره ـ «الجزم المطابق لما فى نفس

---

(1) يونس: 101.

الأمر عن دليل وبرهان» أما التقليد فهو «الجزم المطابق في عقائد الإيمان بلا دليل» ولا يكفي عنده في صحة إيمان المرء.

ويرى «أن معرفة الله تعالى لا تكون إلا بعد معرفة النفس. من عرف نفسه عرف ربه. فمن عرف نفسه بالعجز والعبودية عرف ربه بالقدرة والربوبية، ومن عرف نفسه أنه محدث فان عرف ربه أنه قديم باق، ومن عرف نفسه بالشهود والعيان عرف ربه بالغيبة والحضور».

## (ج) معرفة الله تعالى بالصفات التي قام الدليل على وجوبها لله تعالى:

لقد ذكر الأشاعرة وغيرهم من الصفات الواجبة له تعالى والتي دل عليها العقل والنقل عشرين صفة، وقسموها إلى أربعة أقسام: نفسية، وسلبية، ومعاني، ومعنوية. وقد بسط لنا الأسمر هذه الصفات العشرين الواجبة في حقه تعالى مع بيان استحالة أضدادها في حقه سبحانه وتعالى مستدلاً على كل صفة بدليلين اثنين عقلي ونقلي بقوله: «فممَّا يجب لمولانا جلّ وعزّ عشرين صفة ويستحيل في حقه أضدادها... وهي الوجود وضده العدم وحقيقة الوجود هي الصفة المقابلة للعدم والبرهان من العقل وجود المخلوقات والدليل من النقل قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[1]. والقدم وضده الحدوث، وحقيقته: عبارة عن سلب العدم السابق على الوجود. والدليل من العقل لو لم يكن قديماً لكان حادثاً. ومن النقل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾[2]. والبقاء وضده الفناء، وحقيقة البقاء: عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود، والدليل من العقل: لو أمكن أن يلحقه العدم لانتفى عنه القدم، والدليل من النقل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْـَٔاخِرُ﴾[3]. بعد الأشياء بلا نهاية. والمخالفة للحوادث وضدها المماثلة وحقيقة

---

(1) البقرة: 115.

(2) الحديد: 3.

(3) الحديد: 3.

المخالفة: سلب الجرمية والعرضية ولوازمهما. والدليل من العقل لو ماثل شيئاً منها لكان حادثاً مثلها. ومن النقل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[1]. والقيام بالنفس وضده الافتقار، وحقيقة القيام بالنفس: سلب الافتقار إلى المحل والمخصص، والدليل من العقل: لو احتاج تعالى إلى محل لكان صفة، ولو احتاج إلى مخصص لكان حادثاً، والدليل من النقل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[2]. والوحدانية وضدها التعدد وحقيقة الوحدانية: سلب التعدد في الذات وفي الصفات والأفعال. والدليل من العقل: لو لم يكن واحداً لزم أن لا يوجد شيء من العالم، والدليل من النقل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[3]. وأما صفات المعاني فهي: القدرة وضدها العجز وحقيقة القدرة: صفة يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه على وفق الإرادة، والدليل من العقل: إيجاده للخلق بلا معين ومن النقل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4] والإرادة وضدها الكراهة، وحقيقة الإرادة: صفة يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه، والدليل من العقل...[5] ومن النقل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[6] والعلم وضده الجهل وحقيقة العلم: صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به انكشافاً لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه، والدليل من العقل: لو لم يكن عالماً لكان جاهلاً. ومن النقل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[7] والحياة وضدها الممات، وحقيقة الحياة: عبارة عن انقطاع مدة الحياة وهذا

---

(1) الشورى: 11.

(2) فاطر: 15.

(3) الإخلاص: 1.

(4) جزء آية وردت في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم نذكر منها: البقرة: 284.

(5) لم نقف على الدليل العقلي الذي أورده الأسمر في إثبات صفة الإرادة لله سبحانه وذلك لسقوطه من نسخ الرسائل التي بين أيدينا.

(6) يس: 82.

(7) جزء آية وردت في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم نذكر منها: النور: 35 و64.

في حق المخلوقات، وأما في حقه تعالى فهو حي بلا روح ولا مجاز، والدليل من العقل: لو انتفت عنه الحياة لما وجد شيئاً من الحوادث، ومن النقل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[1] والسمع وضده الصمم وحقيقة السمع: صفة ينكشف بها المسموع انكشافاً يباين ما سواه ضرورة، والبصر مثله، والدليل من العقل على السمع والبصر والكلام: لو لم يتصف بها لزم أن يتصف بأضدادها، وهي نقائص والنقص عليه تعالى محال، والدليل على السمع والبصر من النقل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾[2]. وحقيقة الكلام: هو المعنى القائم بالذات المعبر عنه بأنواع العبارات المختلفات، المباين جنس الحروف والأصوات، المنزه عن البعض والكل والتقديم والتأخير والسكون واللحن والإعراب وسائر أنواع التغيّرات، المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات. ودليله من النقل ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[3] وحقيقة الصفات المعنوية على الجملة صفات معنوية لا تتصف بالوجود ولا بالعدم ملازمة للسبع الأولى وهي كونه تعالى قادراً، مريداً، وعالماً، وحياً، وسميعاً، وبصيراف، ومتكلماً. وضد قادر عاجز، وضد مريد مكره، وضد عالم جاهل، وضد حي ميت، وضد سميع أصم، وضد بصير أعمى، وضد متكلم أبكم. ويجمع معاني هذه العقائد كلها قول: «لا إله إلا الله محمد رسول الله». ثم يأخذ في بيان كيفية النطق الصحيح لهذه الكلمة المشرِّفة وبيان معناها وكيفية اندراج هذه الصفات فيها بقوله: «فتظهر الهمزة من إله، وتشدِّد اللام بعدها، وأن لا تطيل مد ألف لا جداً، وكذا تفصح بالهمزة من إلاّ، وتشدد اللام بعدها. وحقيقة لا إله إلا الله: هو المعبود بحق. ومعنى لا إله إلا الله: لا مستغنى عن كل ما سواه ومفتقر إليه كل ما عداه إلا الله. فيندرج تحت الاستغناء الوجود والقدم، والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والسمع، والبصر، والكلام، وسميعاً،

(1) غافر: 65.

(2) جزء آية وردت في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم نذكر منها: الحج: 75.

(3) النساء: 164.

وبصيراً، ومتكلماً. فهذه إحدى عشر صفة مع أضدادها وهي العدم، والحدوث، والفناء، والمماثلة، والافتقار، وأصم، وأعمى، وأبكم، والصمم، والعمي، والبكم. ونفي الغرض ضده ثبوت الغرض، ونفي التأثير ضده ثبوت التأثير، وجواز الفعل ضده وجوب الفعل. فهذه ثمانية وعشرون صفة تندرج تحت الاستغناء، وأما الافتقار فيندرج تحته الحياة، والقدرة، والإرادة، والعلم، والوحدانية، وحياً، وقادراً، ومريداً، وعالماً. مع أضدادها الموت، والعجز، والكراهة، والجهل، والتعدد، وميتاً، وعاجزاً، وكارهاً، وجاهلاً. وجواز حدوث العالم. وضد نفي التأثير وجوب التأثير، وضد جواز حدوث العالم وجوب حدوث العالم. فهذه اثنتان وعشرون صفة تندرج تحت الافتقار. وأما محمد رسول الله فيندرج تحتها الصدق، والتبليغ، والأمانة. ويستحيل أضدادها وهي: الكذب، والخيانة، وعدم التبليغ، وجواز الفعل، وجواز الأعراض البشرية. فهذه ثمانية صفات تندرج تحت محمد رسول الله وثمانية وعشرون صفة تحت الاستغناء، واثنان وعشرون صفة تحت الافتقار. فمجموع ذلك ثمانية وخمسون صفة تندرج تحت لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولما كانت هذه الصفات المعنوية لازمة لصفات المعاني رتبها على حسب ترتيب تلك، فكونه تعالى قادراً لازم للقدرة القائمة بذاته تعالى، وكونه مريداً لازم للإرادة القائمة بذاته تعالى، وكونه سميعاً لازم للسمع القائم بذاته تعالى، وكونه بصيراً لازم للبصر القائم بذاته، وكونه متكلماً لازم للكلام القائم بذاته تعالى». وفي تساؤل يطرحه الأسمر عن «لا إله إلا الله» هل هي مقيدة أو مطلقة؟ وهل هي كسبية أو مستعيرة؟ يجيب قائلاً: هي مقيدة بشروط وهي أن تكون «عن علم لا عن جهل، وعن يقين لا عن شك، وعن اختيار لا عن إكراه، وعن إخلاص لا عن شرك. وأن تقولها مع الأعمال حتى تموت مع اعتقاد ما تحت الغنى والافتقار».

وعن التساؤل الآخر يجيب: «هي كسبية لمن نجّاه الله من النار، ومستعيرة لمن شقاه بناره».

ثم يقسم الأسمر هذه الصفات إلى أربعة أقسام «نفسية وسلبية ومعان ومعنوية» مبيناً حقيقة الصفات السلبية بأنها: «سلبت عن الله أمراً لا يليق به تعالى» ثم يأخذ في تقسيمها بحسب التعلق إلى أربعة أقسام أيضاً «قسم لا يتعلق بشيء وهو: الحياة، وقسم يتعلق بالممكنات فقط وهو: القدرة والإرادة وقسم يتعلق بجميع الموجودات وهو: السمع والبصر، وقسم يتعلق بالواجب والمستحيل والجائز، وهو: العلم والكلام» ثم يشير إلى أن أعم هذه الصفات في التعلق صفتي العلم والكلام كما أن «بين متعلق القدرة والإرادة، وبين متعلق السمع والبصر عموم وخصوص من وجه، فتزيد القدرة والإرادة بتعلقهما بالمعدوم الممكن، ويزيد السمع والبصر بتعلقهما بالموجود الممكن» ويستطرد موضحاً صفة الكلام قائلاً: «وكلامه تعالى منزه عن التلاوة، والقراءة، والحروف، والأصوات، واللغات. وكلام الله شيء واحد يفهم منه الأمر، والنهي، والترغيب، والترهيب. وليس بعربي وإنما التلاوة عربية وتسمية كلام الله قرآناً تسمية إلهية لا تسمية اصطلاحية، ومن زعم أن الله قارىء أو تالي فقد خرج عن مذهب المسلمين» ثم يعود إلى قضية التعلق وأنه مرتب «على ثلاثة مراتب تعلق القدرة، وتعلق الإرادة، وتعلق العلم بجميع الممكنات. فالأول مرتب على الثاني، والثاني مرتب على الثالث» ثم يقول معللاً عدم تعلق القدرة والإرادة بالواجب والمستحيل: «وإنما لم تتعلق القدرة والإرادة بالواجب والمستحيل لأن القدرة والإرادة لما كانتا صفتين مؤثرتين لزم أن ما لا يقبل العدم أصلاً كالواجب لا يقبل أن يكون أثراً لهما، وإلا لزم تحصيل الحاصل. وما لا يقبل الوجود أصلاً كالمستحيل لا يكون أثر لهما فلو تعلقت القدرة والإرادة بالمستحيل لزم على هذا التقدير الفاسد تعلقهما بإعدام أنفسهما، وسلب الألوهية عمن تجب له. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فاعرف حقيقة التعلق وهو: طلب الصفة أمراً زائداً بعد القيام بمحلها. وتعلق القدرة طلبها الاختراع والحياة وهي لا تتعلق بشيء وهي الاصل في الجميع، وتعلق السمع والبصر طلبهما الانكشاف بالموجودات. وتعلق الكلام طلب الأدلة».

## (د) الإسلام والإيمان:

لم يخرج الأسمر عن المقولات البسيطة للمدرسة الأشعرية لمفهومي الإسلام والإيمان، وهما عنده اسمان مختلفان باختلاف المعاني «واعلموا أن الإيمان والإسلام شيئان والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾[1] الآية. والإسلام هو: الاستسلام، والانقياد، والامتثال لأوامر الله سبحانه وتعالى لقوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾[2] ومحلّه الصدر لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[3] ودواعيه السؤال لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[4] وشروطه: كف الأذى لقول النبي ﷺ: «من سلم الناس من لسانه ويده وفرجه مسلم»[5] وقواعده خمس وهي التي أشار إليها النبي ﷺ في قوله: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت وصوم رمضان»[6] وهذه القواعد الخمس على ثلاثة أقسام: قسم منها يتعلق بالأبدان وهو: قول لا إله إلا الله والصلاة والصيام. وقسم يتعلق بالأموال وهو: الزكاة. والقسم الثالث والأخير يتعلق بالزمان والمكان وهو: الحج. والإيمان هو التصديق لقوله جل شأنه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ﴾[7] أي بمصدق لنا فكل من آمن بشيء فهو مصدق به فهو إذن ليس بقول ولا فعل،

---

(1) الحجرات: 14 وبقيتها: ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

(2) الحشر: 7.

(3) الزمر: 22.

(4) النحل: 43 والأنبياء: 7.

(5) أخرجه البخاري في صحيحه «جـ1 ص: 9» كتاب الإيمان ـ باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. عن ابن عمر بلفظ: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

(6) أخرجه مسلم في صحيحه «جـ1 ص: 177» كتاب الإيمان باب بيان أركان الإسلام عن ابن عمر عن أبيه.

(7) يوسف: 17.

وإنما هو اعتقاد بالقلب. ولتبسيط مفهوم الإيمان يقسمه الأسمر على سبعة أقسام:

1 - إيمان بالله وهو: «أن تؤمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالموت، والقبر وعذابه وضمته والمسائلة فيه ودخول منكر ونكير فيه والصراط، والميزان، والعرض على الله عز وجل، والحوض، والشفاعة، والجنة والنار، وأن الله يرى يوم القيامة، وأن أقواماً من الموحدين يخرجون من النار بعد أن امتحنوا فيها، ويدخلون الجنة برحمة الله تعالى وشفاعة محمد ﷺ».

2 - إيمان لله وهو: «أن تعبدوا الله خالصاً على حكم الكتاب والسنة ولا تعملوا شيئاً من أعمال الكفر».

3 - إيمان بالعبودية وهو: أنك عبد لله ولو ملكت ملك سليمان عليه السلام، أو ملك ذي القرنين لا تتكبر ولا تتجبر على معبودك».

4 - إيمان بالخصوصية وهو: أنه «حين خلق الله الخلق غمسهم في النور فمنهم من غمس فيه كله ولم يظهر منه شيء، ومنهم من أخذ منه شيئاً، ومنهم من لم يأخذ منه شيئاً، فأما الذين انغمسوا في النور ولم يظهر منهم شيء فهم النبيئون والصديقون والشهداء والصالحون. وأما الذين أخذوا من النور شيئاً، فهم أهل التخليط من المؤمنين الذين يفعلون الخير والشر. وأما الذين لم يأخذوا منه شيئاً فهم الكفار والمنافقون».

5 - إيمان بالقبضتين. وهو: أنه «حين خلق الله آدم عليه السلام قبض قبضة على كفه الأيمن، فاستخرج منها ذرية كالذر في بياض البيضة وقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ولا أبالي. ثم قبض قبضة على كفه الأيسر، فاستخرج منها ذرية سوداء كالقار وهو الزفت وقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ولا أبالي».

6 - إيمان بالقدر وهو: أن «تؤمن بالقدر كله خيره وشره حلوه ومره، وما

أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطاك لم يكن ليصيبك، ولو جاهد أهل السموات والأرض أن يضروك بشيء ولم يكتبه الله عليك لما قدروا على ذلك ولو جاهد أهل السموات والأرض أن ينفعوك بشيء ولم يكتبه الله لك لما قدروا على ذلك النفع».

7 ـ إيمان بالناسخ والمنسوخ. وهو: «أن تعلم أن آية رحمة نسختها آية عذاب وآية عذاب نسختها آية رحمة وأن تؤمن بالكل» ومحل الإيمان القلب.

لقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾[1] ودواعيه: النظر إلى الأشياء لقوله جل شأنه: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[2].

وشروطه: علم دون جهل وإخلاص دون شك واستواء الظاهر والباطن ومراتبه ثلاثة:

1 ـ الإسلام «بقواعده المعروفة».

2 ـ الإيمان «بقواعده المعروفة».

3 ـ الإحسان.

وهنا يلتقي الأسمر مع مضمون حديث جبريل الشهير الذي يجعل الدين قائماً على أسس ثلاث: إسلام ـ إيمان ـ إحسان[3].

---

(1) المجادلة: 22.

(2) الغاشية: 17 ـ 18 ـ 19.

(3) ونصّه كما في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمر: «... قال حدثني أبي عمر بن الخطاب. قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد حتى جلس إلى النبي ﷺ، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام. فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي =

والإحسان كما يراه الأسمر له قواعده وأصوله فقواعده ثلاثة كما في الحديث المشار إليه «أن تعبد الله كأنك تراه إن لم تكن تراه فإنه يراك» وأصوله أربعة وهي: الصبر - الشكر - الرضى - التوكل.

وملخص ذلك كله - حسب النصوص التي أوردها الأسمر[1] يتضح لنا أن:

| الإيمان | الإسلام |
|---|---|
| هو الصدق والاعتقاد | هو التسليم والانقياد |
| عمل القلب | عمل الجوارح |
| ليس بقول ولا فعل | قول وفعل |
| أصل | فرع |
| لا يزيد ولا ينقص | يزيد وينقص |
| أخص | أعم |
| لا يتجزأ ولا يتبعض | يتجزأ ويتبعض |
| محله القلب | محله الصدر |

= الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. قال: صدقت. قال: فعجبنا له يسأله ويصدقه. قال: أخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أمارتها. قال: أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال: ثم انطلق. فلبثت ملياً ثم قال لي: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم». صحيح مسلم بشرح النووي «جـ1 ص: 251». كتاب الإيمان - باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى وبيان الدليل على التبري ممّن لا يؤمن بالقدر وإغلاظ القول في حقه.

(1) وذلك كما جاء في رسالته إلى أصحابه بغريان.

## 4 ـ الفقه :

القضايا الفقهية قضايا متجددة ما تجددت الحياة، ومحاولات الإجابة عليها هي أيضاً محاولات متجددة ما تجددت الحياة، ومن بين القضايا القديمة الجديدة التي حملتها رسائل الأسمر في طياتها قضايا استعمال التبغ تدخيناً وسعوطاً، والذكر الجماعي أثناء حمل الجنازة، وتقبيل اليد

### (أ) استعمال التبغ

يعتبر التبغ على نحوه المعروف اليوم من القضايا المستجدة في الفقه الإسلامي، فلم يعرفه العالم القديم إلا بعد اكتشافه للعالم الجديد «أمريكا» في القرن الخامس عشر الميلادي. نعم قد عرفت كثير من أمم الأرض في العالم القديم كالهنود والفرس والعرب التبغ، ولكن تحت مسميات أخرى محلية، ومستعملة إياه في أغراض طبية مختلفة. أما الهنود الحمر سكان العالم الجديد فقد عرفوه منذ القدم، وانتشرت عندهم زراعته، وكثر تدخينهم له وخاصة في مناسباتهم الدينية[1]. وعندما نزل البحارة الإسبان أرض العالم الجديد، وشاهدوا ما يقوم به الهنود الحمر من تدخين التبغ، راقهم ذلك وقاموا بتقليدهم، واصطحبوا معهم هذه العادة إلى أوروبا، فانتشر فيها. ولما شخص كريستوف كولومب إلى أمريكا أرسل إلى إسبانيا بذور التبغ ليزرع فيها بصفته نباتاً طبياً له فوائده[2]، ومن ثم زاد انتشاره وعمَّت بلواه ومن أوروبا انتقلت عادة التدخين إلى إفريقيا، فانتشرت فيها انتشار النار في الهشيم. ويحدد المؤرخ محمد حجي بأن عادة التدخين قد وصلت إلى تمبكتو بأفريقيا عن طريق الأوربيين في مستهل القرن الحادي عشر/أواخر القرن السادس عشر، ومن هناك حملها السودانيون الذين رافقوا الفيلة إلى مراكش عامي 1005 ـ 1006هـ و1597 ـ 1598م ثم دخلوا بها إلى فاس مع الفيلة أيضاً عام 1007هـ ـ 1599م وكان بذلك انتشار التدخين بالمغرب وإقبال

(1) الموسوعة العربية الميسرة. جـ 1 ص: 489.

(2) دائرة معارف القرن العشرين ـ مادة التبغ ـ جـ 2 ص: 526.

مختلف الطبقات عليه[1]. كما أشار إلى أن بلدان المشرق العربي مصر والشام والجزيرة العربية لم تعرفه إلا من خلال أحمد بن أبي محلي الذي حمله معه من المغرب في رحلته الحجازية الثانية بين عامي 1013 ـ 1014هـ ـ 1604 ـ 1605م وأن المؤرخين المشارقة لم يهتدوا إلى تحديد تاريخ دخول التبغ إلى بلادهم فجعلوه بين عامي 999 ـ 1020هـ ـ 1591 ـ 1611م ولم يعرفوا بتاتاً اسم ابن أبي محلي الذي أدخله إلى بلادهم[2].

وأحسب أن بعض ما يقوله المؤرخون حول تاريخ انتشار عادة التدخين بأفريقيا والمشرق قد يحتاج إلى إلقاء نظرة أخرى طبقاً للإشارات التاريخية التي أمدتنا بها رسائل الأسمر. فقد تناول الأسمر موضوع التدخين في رسالته الموجهة إلى أصحابه بتمبكتو بأفريقيا الوسطى وهم الشيخ أحمد بن أحمد ابن أقيت وجماعته والمؤرخة قطعاً في الربع الأخير من القرن العاشر الهجري إذ كانت وفاة الأسمر سنة 981هـ ـ 1574، ووفاة ابن اقيت بعده في سنة 991هـ 1583م وهذا يؤكد لنا أن تمبكتو قد عرفت التدخين منذ النصف الأخير من القرن العاشر الهجري، وليس في مستهل القرن الحادي عشر. كذلك ينقل لنا الأسمر فتوى والد شيخه الفقيه الورع الشيخ محمد الدكالي المغربي الأصل ونزيل مدينة الاسكندرية والمتوفى بها سنة 799هـ ـ 1396م[3] في تحريم التدخين، وهذا يؤكد لنا بأن أرض الكنانة قد عرفت التدخين منذ أواخر القرن الرابع عشر الميلادي أي قبل اكتشاف أمريكا على يد النوتية الإسبان، وهو مما يؤكد لنا أيضاً القول بأن البحارة العرب هم فعلاً أول من اكتشف العالم الجديد. يبتدىء الأسمر في طرحه لقضية التدخين بالتحذير منه وبيان ماهيته بأسلوب غاية في التنفير والتحذير «إياكم وشرب الدخان في الفم والأنف، وهو شجرة قبيحة الرائحة تسمى بالتابغة يذكر أنها خلقت من بول إبليس لعنه الله حين سمع قول الله عز وجل ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ

---

(1) محمد حجي، الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين، جـ 1 ص: 246، 247.

(2) المرجع السابق نفسه.

(3) ابن حجر: إنباء الغمر بأبناء العمر، جـ 3 ص: 367.

﴿سُلْطَٰنٌ﴾[1] فدهش فبال فخلقت من بوله»؟ ولنلاحظ عبارة «يذكر» فالعمدة على الراوي كما يقال. كذلك لا يجد الأسمر غضاضة باستشهاده بآثار هي غاية في الضعف. إن لم نقل الوضع في تأييد ما يذهب إليه من التحريم كقوله: «وفي الحديث قال بعض الصحابة خرجت مع رسول الله ﷺ فرأى شجرة فهز رأسه فقلت: يا رسول الله لم هزيت رأسك؟ قال: يأتي أناس في آخر الزمان يشربون من أوراق هذه الشجرة، ويصلون بها أولئك هم الأشرار. هم بريئون مني وأنا بريء منهم». وكعزوه إلى علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ القول: بأن من شربها فهو في النار ورفيقه إبليس». ثم يصل به الانفعال إلى أن يقطع بأن الذي يتعاطى الدخان «ليس من الأمة المحمدية». وتحسباً لقول معترض بأن بعض العلماء قد أجاز شربه فيقول: «فإن قيل بجواز شربها عن بعضهم. فذلك قول من لا يعتمد قوله ولا كلامه». ثم يورد نص فتويين في تأييد ما يذهب إليه من تحريم تعاطي الدخان أولاهما لشيخه عبد الواحد الدكالي وثانيتهما لوالد شيخه الشيخ محمد الدكالي ونصهما كما تقدم:

«سئل شيخنا عن شرب الدخان هل هو حرام أم لا؟ فأجاب ـ رحمه الله ـ بما نصه: شرب الدخان عندي محرّم لثلاثة أوجه:

**الأول**: إنه من الخبائث، وقد حرم الله عز وجل في كتابه العزيز الخبائث فقال جل من قائل ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[2].

**الثاني**: إن فيه إضاعة المال وقد نهى ﷺ عن إضاعة المال.

**الثالث**: إن فيه أكل جزء من النار وأكل النار حرام. إلى أن قال: ولا يقول بجوازه إلا من يشربه والله أعلم. وسئل أيضاً والد شيخنا سيدي محمد الدكالي ـ رحمه الله ـ فأجاب بأنه حرام قائلاً: ولو لم يكن للعلماء فيه مقال لكان يكفينا في تحريمه قولهم: لا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم

(1) الحجر: 42.
(2) الأعراف: 157.

حكم الله فيه، وهذا لا نعلم حكم الله فيه، فلا يجوز لنا القدوم عليه والله أعلم».

## (ب) الذّكر الجماعي عند حمل الجنازة وتشييعها:

بالرغم من ورود النص الصريح بالصمت عند تشييع الجنازة، وهو قوله ﷺ: «إن الله يحب الصمت عند ثلاث: عند تلاوة القرآن، وعند الزحف، وعند الجنازة»[1] فإن كثيراً من العلماء ومن بينهم شيخنا الأسمر يرون عكس ذلك تماماً! ووجهة نظرهم تتلخّص في أن أخلاق الناس وعوائدهم قد تغيَّرت تغيّراً جذرياً. ففي زمن النبي ﷺ ومن بعده من الصحابة والتابعين كان المشيِّعون تحفهم السكينة والوقار وتعلو وجوههم الكآبة والحزن إلى درجة أن أهل الميت لا يُعرفون من غيرهم، أما اليوم فقد تغيّر الحال ولم يعد الموت واعظاً كما كان، وأصبح المشيّعون تتعالى أحاديثهم في شؤون الدنيا وفي ما كان عليه أمر الذي يشيّعون وما دام الأمر على هذا النحو، فلا بأس إذن من حمل المشيّعين على ترديد كلمة الشهادة وارتكاب أخف الضررين، وهي ولا شك وجهة نظر قد لا تأباها القواعد الأصولية غير أن الأسمر ـ رحمه الله ـ قد انفرد برأي غريب في هذه المسألة وهو قوله: «وإذا نقلتم ميّتكم إلى المقبرة فاذكروا الله بكلمة الشهادة وانووا ثواب ذلك الذكر لميّتكم، وما من ميّت ذكروا عليه حين حملهم لجنازته إلا وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه»، «ولا تنقلوا ميتكم إلى المقابر وأنتم سكوت». معللاً السكوت بأنه «من أفعال الجاهلية». ثم يؤكد ما ذهب إليه في لهجة الواثق قائلاً: «ولا التفات إلى إنكار منكر في ذلك، فإن قيل إن ذكر الجماعة كرهه مالك، قلنا: المكروه من قبل الجائز لا يسمى ضلالة ولا يدخل صاحبه النار. وعلة الكراهة عند مالك لعدم فعل السلف لا على إطلاقه. وكم من أشياء لم تكن في عهد السلف وهي واجبة أو مستحبة». مذكراً مخاطبيه بأن الذكر الجماعي «أصل الصوفية ومما يجمع قلوبهم على

---

(1) أخرجه السيوطي في الجامع الصغير «جـ 1 ص: 76».

مولاهم» حاثّهم على التسمك به، وخاصة عند «نقل الجنائز وفي الأعياد» وأن شيخه الدكالي «كان يمشي خلف الجنازة، ويذكر الله إلى المقبرة مدة حياته»[1] وأرى أن مثل هذا القول لا يصدر إلا موقوفاً عن النبي ﷺ وهو ما لم يقله الأسمر أو يشير إليه.

## (ج) حكم تقبيل اليد:

يمهِّد الأسمر للإجابة عن هذا السؤال بالقول بأن «سلام العرب مصافحة باليد، فإذا صافح أحد منهم صاحبه تناول يده فجعلها في يده، والآخر لا يجذبها ولا يزيلها من يد آخذها حتى يكون الذي أخذها هو الذي يتركها» وإلى أن المصافحة من شأنها أن: «تجلب المودة وتذهب الوحشة». ثم يخلص إلى جوهر السؤال مبيناً بأنه من المسائل المختلف فيها وأن الإمام مالك ـ رحمه الله ـ قد أجاب عندما سئل عن ذلك بأن «تركه أحب إليَّ». ويوضح الأسمر إجابة الإمام بأن «قوله أحب يقتضي كراهته لا منعه». كما يذكر أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب قد جذب يده عندما تناولها رجل ليقبلها فانكب الرجل على رجله ليقبلها فقال له عمر: ما رضيت منك بتلك فكيف بهذه؟ وكذلك فعل عبد الملك بن مروان عندما دخل عليه عقال وأراد تقبيل يده، فمنعه عبد الملك قائلاً له: «مه. فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هلوع جزوع، ومن العجم إلا ذليل خضوع». وفي مقابل هذا، رأى البعض بأن تقبيل اليد هو السجدة الصغرى، ومن قبّل فقد أقام السجود لغير الله؟ وفي ما بين هذا وذاك يرى الأسمر بأن التقبيل إذا كان ليد إمام الدين فلا بأس به، لأنه في هذه الحالة «طاعة لله وإجلال لمواضع العلم». مشيراً إلى أن كثيراً من علماء الأحناف والشافعية يجيزونه حتى قال ابن بطال في شرحه لجامع البخاري: لا يكره تقبيل اليد عندنا، وإنما يكره تقبيل يد الظلمة والجبابرة وأما الأب، والرجل الصالح، ومن ترجى بركته، فيجوز أن يقبّل جميع جسده سوى العورة. فإن قيل: لم يثبت عمل السلف بذلك...

---

(1) من رسالته إلى أصحابه بالزاوية الغربية.

فيجاب اكتفاء برؤيته ﷺ وحسماً للذريعة في دعوى النبوة لتزلزل إيمان المنافقين، والآن قد ارتفعت العلة لاتساع بلاد الإسلام فلا يضر ذلك» ثم يستطرد الأسمر إلى توضيح شيء آخر يقتضي المقام توضيحه وبيانه وهو القيام للداخل ومعانقته، فيرى بأن القيام للداخل إذا كان من ذوي الهيئات «فقد ورد بأنه واجب ومن أي قوم كانوا» وأما المعانقة فلا بأس بها ولو كرهها بعضهم لما روي من أن سفيان بن عيينة لما دخل على مالك صافحه مالك قائلاً: لولا أن المعانقة بدعة لعانقتك. فرد عليه سفيان بأنه عانق من خير مني ومنك. عانق النبي ﷺ جعفراً حين قدم من الحبشة. فقال مالك: ذلك خاص بجعفر. قال سفيان: بل عام ما يسع جعفر يسعنا إذا كنا صالحين. أفتأذن لي أن أحدث في مجلسك؟ قال: نعم يا أبا محمد. قال: حدثني عبد الله بن طاووس عن عبد الله بن عباس رضي الله عنه قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة اعتنقه النبي ﷺ وقبَّل بين عينيه وقال: جعفر أشبه الناس بي خَلقاً وخلقاً يا جعفر ما رأيت بأرض الحبشة؟ قال: يا رسول الله بينما أنا أمشي في بعض أزقتها إذ بسوداء بمكيل فيه بر، فصدمها رجل على دابته فوقع مكيلها وانتثر برها، فأقبلت تجمعه من التراب وتقول: ويل للظلاَّم من ديوان يوم القيامة، ويل للظالم من المظلوم يوم القيامة، ويل للظالم إذ وضع الكرسي للفصل يوم القيامة. فقال النبي ﷺ: ليعذبن الله أمة لا تأخذ لضعيفها من قويها حقه». ثم يشير الأسمر إلى أن «متطلبة الوقت ينكرون ذلك، ويغلّظون على فاعله» ولكن بعد «تقرر ما قيل فيها فلا أصل لإنكارهم تقبيل اليد والمعانقة بل ربما يستحب في هذا الزمان لوجوه كثيرة»[1].

كما ينقل الأسمر ما روي عن عطاء: من أن ابن عباس سأل ابن مسعود عن المعانقة فأجابه بأن أول من عانق إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام، فقد كان بمكة عندما أقبل إليها ذو القرنين فلما وصل ذو

(1) من رسالته إلى أصحابه بطرابلس.

القرنين إلى الأبطح قيل له: في هذه البلدة خليل الرحمن. فقال: ما ينبغي لي أن أركب في بلدة فيها خليل الرحمن، فنزل ومشى إلى إبراهيم، فسلم عليه إبراهيم واعتنقه.

## 5 ـ التصوف:

الاتجاه الصوفي للأسمر كما يبدو من رسائله يقوم على مبادىء مستقاة من الكتاب والسنة، وهذه المبادىء تتلخص فيما يلي:

### أولاً: تصحيح العقيدة:

وهو ما جاء في معظم مقدمة رسائله «أوصيكم ونفسي بتقوى الله واتّباع سنة رسول الله ﷺ التي هي المحجة البيضاء، وبتصحيح إيمانكم، وبالنظر، والاستدلال وذلك أول الواجبات»[1] «فأول ما أوصيكم بمعرفة الله سبحانه وتعالى، وما يجوز في حقه، وما يستحيل»[2] «فأول ما يجب عليكم تصحيح إيمانكم»[3]، «أوصيك بتصحيح إيمانك على ما قرره الإمام الأشعري وإمامنا السنوسي في عقائده»[4].

### ثانياً: إقامة التكاليف الشرعية على وجهها الشرعي:

«وعليكم بالمحافظة على الصلوات الخمس فإنها عماد الدين، وهي من الدين بمنزلة الرأس من الجسد، ومن المحافظة عليها أن تصلي أول الوقت وفي الجماعة ما أمكن، ورأس المحافظة حضور القلب فيها وخشوعه. وقبيح بالمصلي أن يكون جسده بين يدي ربه وقلبه متردد في أودية الدنيا»[5] «واعلموا رحمكم الله إن الصلاة لا تصح إلا بمعرفة واجباتها

---

(1) من رسالته إلى أصحابه بطرابلس.
(2) من رسالته إلى أصحابه بسوس.
(3) من رسالته إلى أصحابه بتمبكتو بمالي
(4) من رسالته إلى راشد بن يحيى المحجوبي.
(5) من رسالته إلى أصحابه بتونس.

ومبطلاتها وسننها، ولا تكمل إلا بمعرفة مندوباتها ومكروهاتها»[1] «أوصيك... بإخراج الزكاة إن كان عندك مال يجب فيه إخراجها وأنت طيب القلب فرح مسرور بذلك، وضعها حيث وضعها الله في الفقراء والمساكين، ولا تطلب على ذلك ثناء منهم ولا من غيرهم، ولا تعمل إلا لوجه الله فإن الفاعل لوجوه الناس مردود العمل. إن الله سبحانه وتعالى لا يقبل من الأعمال إلا ما هو خالص لوجهه»[2] «أوصيكم بمعرفة الله سبحانه وتعالى... ثم الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج إلى بيت الله الحرام، واعلموا أن في الصوم فوائد جليلة منها إجابة الدعاء، ونزول البركة من السماء. وللصائم فرحتان فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه. وعندي أن فرحته عند الفطر إنما هي بلوغه إلى الحالة التي يتيقن بها إجابة الدعاء ويرجو حسن الجزاء، وللصائم دعوة لا ترد سواء كان فرضاً أو نفلاً»[3].

«وعليكم بتجريد النية، والقصد لحج بيت الله الحرام، وقضاء مناسككم وتعظيم حرماته وشعائره، وزيارة قبر النبي ﷺ فلا يكون لكم في سفركم غرض ولا أرب سوى ذلك، وما يلحق به من المقاصد المحمودة، واحذروا أن تخلطوا بهذه النيات الشريفة طلب نزهة، أو رغبة في تجارة، وعليكم بالإكثار من الطواف بالبيت العتيق فإن الطائف به خائض في الرحمة، ولتكن قلوبكم في حال طوافكم طافحة بتعظيم رب البيت، وإجلاله، ولا تشتغلوا في طوافكم بشيء سوى التلاوة والذكر والدعاء، واحذروا من اللغو فيه وحافظوا على الأذكار والدعوات التي تقال في الطواف والسعي وغيرهما من المواطن، وليكن لكم غاية بزيارة جميع المشاهد المعظمة، وأكثروا من الاعتمار سيما في شهر رمضان فإن عمرة فيه تعدل حجة مع النبي ﷺ، وعليكم بإجلال الحرم، والأدب فيه، وتعظيم أهله، واعرفوا لهم حق المجاورة، واحسنوا الظن بهم خاصة وبالمسلمين عامة،

(1) من رسالته إلى أصحابه بالزاوية الغربية.
(2) من رسالته إلى محمد الشاذلي.
(3) من رسالته إلى أصحابه بسوس.

وإن رأيتم أو سمعتم ما تكرهون فاصبروا واصمتوا، وإن استطعتم أن تقولوا الحق فافعلوا فإنه لا يسوغ السكوت على الباطل، وما أحسن حال من أقبل على الله وعلى طاعته إقبالاً لا يشعر معه بشيء مما عليه أهل الزمان من المخالفة لهدي السلف الصالح والمتابعة لسيرهم المحمودة ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِّ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[1] وعليكم بالاستكثار من أعمال البر في الحرم فإن الحسنة فيه بمائة ألف، وهذه المضاعفة قد وردت في الصلاة على رسول الله ﷺ وقد جعلها بعض العلماء عامة في جميع الطاعات، وكما أن الطاعة في الحرم يزاد ثوابها كذلك المعصية فيه يعظم عقابها حتى قال بعض السلف: ما من موضع يؤاخذ الإنسان فيه بالهم على المعصية سوى مكة[2] واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[3].

## ثالثاً: المجاهدات النفسية

**وأول هذه المجاهدات**: مجاهدة التقوى والتقوى كما يراها الأسمر هي: «الوسيلة إلى خيرات الدارين والأساس الذي يثبت عليه بناء أمر الدين وإذا لم يكن الأساس في غاية الأحكام كان البناء إلى الانهدام أقرب منه إلى التمام». ثم يحدد لها مراتب ثلاث «أولها: اتقاء المعاصي والمحرمات وهو فرض لازم، ثم الاتقاء عن الأمور المشتبهات وهو ورع حاجز، ثم عن فضول المباحات ـ أعني كلما يكون الغرض في استعماله مقصوراً عن قضاء الشهوات ـ وهو زهد بالغ إن كان مقروناً بالراحة والرغبة، وتزهد إن كان مع الكراهة والمجاهدة». ثم يحدد حقيقة المتقي بقوله: «وكل من اتقى شيئاً حياء من الخلق أو خوفاً منهم أو طمعاً فيهم فهو متقي لهم وليس بمتقي الله وإنما المتقي لله من يتقي ما يتقي طلباً لمرضاته ورغبة في ثوابه ورهبة من

(1) الكهف: 17.
(2) من رسالته إلى أصحابه بتونس.
(3) الحج: 25.

عقابه»[1]. وخلاصة القول أن التقوى هي: خلق الورع، والمحافظة على حدود الله سبحانه وتعالى، والوقوف عندها بكل إخلاص. وهي بهذا ولا شك جادة الشريعة ومضمار النجاة.

**وثاني هذه المجاهدات**: مجاهدة الاستقامة وهي: تربية الإرادة على أخلاق القرآن وآدابه. ونقطة البداية فيها كما يراها الأسمر هي: «الإكثار من تلاوة القرآن مع التدبر والترتيل والتفهم لمعانيه والوقوف عند عجائبه وأوامره ونواهيه وزواجره»[2] محذراً وفي لهجة صارمة من التهاون بالقرآن واستحلال محارمه بقوله: «وألاّ يتهاون بأمره، فقد قال ﷺ: «ما آمن بالقرآن من استحل محارمه»[3] وقال عليه السلام: «اقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فلست تقرأه»[4] وقال بعض العلماء: أجرأ الناس على الله من قرأ كتابه، وخالف خطابه، وخان عباده، ونسي معاده[5]. ثم يقسم الآداب إلى قسمين ظاهرة وباطنة ويرى أن «آداب الظاهر تبع لآداب الباطن وآداب الباطن هي التحلي بمحاسن الأخلاق كلها. ففي الحديث: «أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمحاسن الأخلاق» فقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[6]» ولا يحصل لك ذلك بعد توفيق الله تعالى وتأييده إلا بالرياضة والمجاهدة قال ابن عطاء الله ـ رضي الله عنه ـ النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب، فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة فمن أطلق عنانها فهو شريكها في فسادها»[7].

ومجاهدة الاستقامة من المجاهدات الصعبة المرتقى على النفس البشرية

---

(1) من رسالته إلى عبد الحميد العوسجي.
(2) من رسالته إلى محمد الشاذلي.
(3) أخرجه الترمذي في سننه «جـ4 ص: 252» عن صهيب رضي الله عنه.
(4) أخرجه الديلمي في الفردوس «جـ1 ص: 433» عن أبي سعيد رضي الله عنه.
(5) من رسالته إلى أصحابه بسوس.
(6) الأعراف: 199.
(7) من رسالته إلى أصحابه بسوس.

حتى قيل في معنى قوله ﷺ: «شيبتني هود وأخواتها» إنها لما فيها من تكليف الاستقامة[1] في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2] لذلك نرى الأسمر يرى أنها لا تحصل للإنسان بعد توفيق الله سبحانه وتعالى إلا بالرياضة والرياضة هي: تصفية القلب عن الرذائل والخبائث المذمومة، وتزكيته بالفضائل المحمودة، والاعتدال في كل خلق من أخلاق غرائزه وجبلاته. لذلك كان القلب محور اهتمام الأسمر هنا فهو عنده «رئيس الجوارح وأميرها وعلى صلاحه وفساده يدور صلاحها وفسادها، وهو محل المعرفة بالله التي هي رأس العلوم وأشرفها، ومعدن النية التي هي مصدر الأعمال ورأسها، وله سمع وبصر يفرق بهما بين الحق والباطل، ولكن لا يكون كذلك حتى يصير طيباً نظيفاً من أدناس الاعتقادات الباطلة والأخلاق السافلة، مزيناً بالاعتقادات المستقيمة، والأخلاق الكريمة، محفوظاً من الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية». ثم يصفه بأنه «سريع التقلب والتغيّر والتحول من حال إلى حال لذلك وجبت مراعاته ومراقبته في كل حال». والسر في هذا لأنه «هدف منصوب لا تزال ترمي إليه سهام الخواطر». ثم يأخذ في تعدادها وسبل التغلب عليها فيقول: «وهي أربعة رباني وملكي ونفساني وشيطاني وكثيراً ما يلتبس بعضها ببعض ومن الفرق بينها أن الرباني والملكي يقويان بالذكر. وبه يضعف الشيطاني، وبذكر الموت يضعف النفساني». ثم يعرض لذكر الوساوس التي تعتري بعض القلوب ذاكراً سبيل الشفاء منها: «وقد تعرض لبعض القلوب وساوس ردية منها في الاعتقادات وهي أصعبها ومنها في العبادات. وسبيل الخلاص من الوسوسة أن ينظر الإنسان فإن كان الذي يوسوس فيه ممّا يقطع بفساده وذلك كالشك في الله واليوم الآخر فلا دواء له إلا الإعراض عن ذلك وصدق اللجوء إلى الله تعالى مع الإكثار من الذكر له تعالى، وإن كانت أعني الوسوسة مما يتردد في كونه حقاً أو باطلاً فليسأل

(1) الشوكاني، فتح القدير، جـ 2 ص: 738.

(2) هود: 112.

عن حكمه أهل العلم والهداية ويتمسك بما يلقون إليه، وكل ما لا يدخل تحت الاختيار من أعمال القلوب فكفارته أن تكرهه». وقد يتطلع الإنسان لمعرفة حقيقة قلبه ومدى استنارته من ظلمته فيقدم الأسمر المقياس لذلك قائلاً: «يستدل على عمارة القلب واستنارته بثلاثة أشياء:

1 ـ خشية الله بالغيب وهو: أن تنحجر عن محارم الله حيث لا يراك إلا الله مع الأمن من الافتضاح عند الناس.

2 ـ أن لا تبالي كيف تكون عند الخلق إذا كنت عند الله مرضياً.

3 ـ أن لا تبالي بما ذهب من الدنيا إذا كان الدين سالماً.

فإن وجدت الأمر كما ينبغي فذاك وإلا فـ«اطلب صفاء القلب واستنارته في ثلاثة أمور:

1 ـ قراءة القرآن بالتدبر والترتيل.

2 ـ ذكر الله مع الأدب والحضور.

3 ـ القيام من الليل بقلب منكسر وجوارح خاشعة.

واستعن على هذه الثلاثة بثلاثة:

1 ـ تخفيف المعدة من الطعام.

2 ـ مجانبة أهل الغفلة من الأنام.

3 ـ التفرغ من أشغال دار الانصرام»[1].

**أما ثالث هذه المجاهدات**: فهي مجاهدة الكشف والاطلاع. والكشف والاطلاع ثمرة من ثمرات المجاهدتين السابقتين فبهما قد يحصل للإنسان العلم بالله وبصفاته وبأفعاله وبأسرار ملكه. «ومن أحكم مقام التقوى صلح وتأهل لعلم الوراثة وهو العلم الذي يقذفه الله في قلوب أوليائه لا تحويه

---

(1) من رسالته إلى عبد الحميد العوسجي.

السطور ولا تفيده الدروس، وقد حرّمه الله على أهل النفوس المظلمة المشغوفة بإصلاح المطعوم والمنكوح والملبوس وإليه الاشارة بقوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾[1]. ويقول رسول الله ﷺ: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم»[2] فهو ثمرة العمل بالعلم المستفاد من الكتاب والسنة الخالص من شوائب النفس والهوى»[3].

## ملامح الطريق الصوفي:

### (أ) الشيخ المربي:

يذهب معظم دعاة التصوف إلى أن المريد في طريق سيره إلى الله ينتابه صراع عنيف بين نفسه الأمارة بالسوء وقلبه الداعي إلى الخير، وإذا أضفنا إلى هذا الصراع ما يعرض له من أحوال تحيط به ونعني بها الجو النفسي الذي يحيط به ولا يستطيع له دفعاً[4] رأينا مدى حاجته الماسة إلى من يثبته في طريق السير ويهديه سواء السبيل.

يقول الأسمر ناقلاً عن منظّر المدرسة الشاذلية الشيخ أحمد زروق «ولا بد في طريق المعرفة من شيخ ناصح أو أخ صالح فإن المجاهدات ثلاثة مجاهدة التقوى والشيخ فيها شرط كمال، ومجاهدة استقامة والشيخ فيها شرط صحة، ومجاهدة كشف والشيخ فيها شرط وجوب، ولكل مقام مقال ولكل عمل رجال».

ويقول: «ويختلف ما ذكرناه من المجاهدات والرياضة باختلاف الأشخاص فرب شخص ذكي الفطرة كريم السجية سهل المقادة لا يحتاج في ذلك إلى كثير معاناة ولا تعب، ورب شخص حاله يكون على عكس هذا.

---

(1) البقرة: 283.

(2) أخرجه أبو نعيم في الحلية: «جـ10 ص: 15» عن أنس بن مالك باختلاف يسير في بعض ألفاظه.

(3) من رسالته إلى عبد الحميد العوسجي.

(4) عمر فروخ، التصوف في الإسلام. ص: 54.

فلا جرم أن يحتاج إلى زيادة تعب وقوة ممارسة وشدة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته، وبين هذين درجات لا تحصى ولهذا كله يحتاج المريد إلى صحبة المشايخ، والتأدب بآدابهم، واتباع أوامرهم ونواهيهم لأنه إن لم تجر أفعاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال عن الهوى، ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب نفسه».

ويرى الأسمر أن الشيخ الذي يلقي إليه المريد نفسه لا يتأهل للإرشاد حتى تتوفر فيه شروط خمس وهي: «علم صحيح، وذوق صريح، وهمة عالية، وحالة مرضية، وبصيرة نافذة» وهي عين الشروط التي ارتأتها المدرسة الشاذلية وأوردها الشيخ أحمد زروق في أغلب مؤلفاته الصوفية وإذا كان الشيخ أحمد زروق يرى أن هذه الشروط قد عزَّ وجودها ولم يبق من هذا النوع من الشيوخ أحد وعليه فإن التربية قد انقطعت واضمحلّ أمرها، فإننا نرى شيخنا الأسمر يخالفه رأيه هذا ويذهب إلى القول بأنه: «لا يحلّ لمسلم أن يقول التربية انقطعت مستدلاً بما ذكره مولانا زروق وغيره، وكم رأينا من مشايخ بعد مولانا زروق ومولانا عبد الواحد كالشيخ سيدي محمد بن حجلة وسيدي عبد الحميد بن إجلال ـ وهما من أعظم المربين ـ وأضرابهما وممن سمعنا به أكثر فلا يصح حمل ذلك الكلام وإطلاقه ففي كل عصر سادة وقادة»[1].

## (ب) المريد:

المريد هو: سالك الطريق الذي يسير في الطريقة حسب إرشادات شيخه فيسلك طريقه كما يرسمه له شيخه حتى يصل إلى غايته. وتتلخص خطوات المريد في سيره نحو الطريق في ثلاث خطوات وهي: التوبة ـ أخذ العهد من الشيخ بطاعة الله ورسوله والسير في الطريق ـ التلقين وهو تعليم الشيخ إياه لكيفية الذكر[2]. وحتى يتسنى للمريد اجتياز مراحل الطريق

(1) من رسالته إلى أصحابه بسوس.

(2) عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر. ص: 26.

بسهولة ويسر والوصول إلى مراتب الفتح والكشف عليه أن يتحلى بحلية الأدب.

يقول الأسمر: «والآداب اللازمة للمريد عامة في ظاهره وباطنه وآداب الظاهر تبع لآداب الباطن، وآداب الباطن هي: التحلي بمحاسن الأخلاق كلها وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال[1]: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[2].

ومن ألزم هذه الآداب للمريد أدبه مع شيخه وأدبه مع إخوانه ومع سائر الناس.

## 1 ـ أدب المريد مع شيخه:

ويجملها الأسمر تبعاً للمدرسة الشاذلية في قواعد خمس:

(أ) اتباع أمر شيخه وإن ظهر له خلافه.

(ب) اتباع نهيه.

(ج) حفظ حرمته حاضراً أو غائباً حيّاً أو ميّتاً.

(د) القيام بحقوقه حسب الإمكان بلا تقصير.

(هـ) عزل عقله وعلمه وسياسته إلا ما يوافق ذلك من شيخه.

وهذه الآداب قد ينتقدها البعض مفسراً إياها بأنها الطاعة العمياء للشيخ

---

(1) من رسالته إلى أصحابه بسوس.

والحديث أخرجه السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء «ص: 1» وصححه السيوطي في الجامع الصغير «جـ1 ص: 51» وضعفه المناوي في الفيض «جـ1 ص: 244» والسخاوي في المقاصد «ص: 29» موردا قول ابن تيمية بأنه «لا يعرف له إسناد ثابت».

(2) الأعراف: 199.

والمحو الكامل لشخصية المريد، والقضاء التام على إرادته وحريته واختياره. وقد يجاب: بأنه لا ضير في ذلك ما دام الشيخ المربي ذا «علم صحيح، وذوق صريح، وهمة عالية، وحالة مرضية، وبصيرة نافذة» وطاعة من هذا وصفه طاعة لله ورسوله ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾[1].

## 2 ـ أدب المريد مع إخوانه ومع سائر الناس:

ويتلخص في أمرين اثنين وهما: «الإنصاف والنصيحة» «فبالإنصاف تقع المساعدة والموافقة وبالنصيحة يحصل الانقياد والقبول»[2].

## (ج) العهد:

العهد هو: رباط بين الشيخ والمريد. وهو يعتبر أوثق رباط يربط بين رجلين تحابا في الله، وتعاهدا على طاعته. إنها بيعة على التقوى وتجديد لمبايعة رسول الله ﷺ، فكل بيعة حصلت بعد رسول الله ﷺ فهي في الحقيقة: تجديد لبيعته[3].

ويقول الأسمر: «أخذ العهد له أصل في الشرع العزيز لأن الله تعالى أخذه من الأرواح قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[4] قال: هلموا أعهدكم، وإليه الإشارة بقول العلماء: يوم ألست بربكم. قال ابن سبعين: أخذ العهد من الأرواح ثم غيَّبهم في الغيب فلما وجد الجسمانية وربطها مع الأرواح الروحانية فقررهم على العهد القديم وذكرهم عليه، ثم ردهم إلى الغيب في الأصلاب، ثم أبرزهم في الذر فذكرهم بالعهد كما أخبر به سبحانه وتعالى

(1) الأحزاب: 36.
(2) من رسالته إلى أصحابه بسوس.
(3) عامر النجار، الطرق الصوفية في مصر. ص: 24.
(4) الأعراف: 172.

بقوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾ الآية. ثم ردهم إلى الأصلاب حتى يبرزهم على عالم الغيب والشهادة ونسي بعضهم، ثم أبرزهم من ظلمة غيوب الأصلاب وحرضهم على العهد، فمن نسي عهد الله انتقم منه بناره، ومن أوفى بالعهد كان من أهل الجنة. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[1]. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾[2].

## 6 ـ من قضايا المجتمع ومشكلاته:

### (أ) الزواج:

إذا كان الكثير من رجال التصوف قد آثروا البعد عن الحياة الزوجية والتنصل من أعبائها وما تجرّ إليه من مسؤوليات كثيرة كتربية الأبناء والبنات الذين يرى البعض فيهم بأنهم عقوبة شهوة الحلال. فإن شيخنا الأسمر على عكس ذلك تماماً، فهو في حياته العملية قد تزوج مرات ومرات، وأنجب العديد من الأبناء والبنات، وفي توجيهاته النظرية كان دائم الدعوة إلى الترغيب في الزواج حاثاً أصحابه على ضرورة استعمال أقصى درجات التثبت والتحقق في اختيار شريكة العمر ورفيقة الدرب، ملفتاً نظرهم إلى أهم أسس الاختيار. وأول الأسس التي يراها الأسمر هي: الطيبة. والمرأة الطيبة هي: الموصوفة بالطيب ضد الخبث والمراد به هنا زكاء الصفات الإنسانية من الفضائل المعروفة في البشر قال تعالى: ﴿ٱلْخَبِيثَٰتُ لِلْخَبِيثِينَ وَٱلْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَٰتِ وَٱلطَّيِّبَٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَٰتِ﴾[3] ولا شك أن من اتصفت بذلك تكون حميدة في طباعها، ودودة لزوجها، رحيمة بولدها، حريصة كل الحرص على صلاح أسرتها، وصيانة شرف بيتها. أما الأساس الثاني فهو: الحسب والنسب. والحسب هو: أن تكون المرأة حسيبة، كريمة العنصر، طيّبة

---

(1) البقرة: 40.

(2) المائدة: 13.

(3) النور: 26.

الأرومة. وأصل الحسب مأخوذ من الحساب لأن العرب كانت إذا تفاخرت عد المفاخر منهم مناقبه ومآثر آبائه وحسبها، فيحكم لمن زاد عدده على غيره. وطبيعي أن المرء إذا تزوج المرأة الحسيبة المنحدرة من أصل كريم أنجبت له أولاداً مفطورين على معالي الأمور، متطبعين بعادات أصيلة، وأخلاق قويمة، لأنهم يسترضعون منها لبان المكارم والأخلاق، ويكتسبون منها خصال الفضل والخير. ويذكر الأسمر في هذا المقام بما أوثر عن السلف الصالح كقول عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ «انكحوا النساء على آبائهن وأخوالهن فإني لم أر في ولد أبي بكر أشبه منه بهذا لأنه أمه أسماء بنت سيدنا أبي بكر الصديق».

وكقول أبي عمرو بن العلاء: «قال رجل لا أتزوج امرأة حتى انظر ولدي منها. قيل له: كيف ذلك؟ قال: انظر إلى أبيها وأخيها فإنها تجيء بأحدهما» وكقول الشاعر:

وأول خبث الماء خبث ترابه وأول لؤم المرء لؤم المناكح

وفي كل الأحوال فإن أصالة الشرف وحسن المنبت ونبل الأورمة أمر مرغوب ومطلوب كما قال ﷺ: «تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها وجمالها ولدينها فاظفر بذات الدين تربت يداك»[1] وكقوله: «تخيروا لنطفكم وانكحوا الأكفاء»[2].

وقد تكون المرأة حسيبة نسيبة ولكنها في الوقت نفسه تتصف بأوصاف تجعل الحياة معها غير مستقرة فمن الأفضل والحال هذه ـ كما يرى الأسمر ـ تجنب نكاحها وهي: كل امرأة وصفت بأنها «لهبرة» واللهبرة كما يفسرها الأسمر: الطويلة الهزيلة. أو «نهبرة» وهي: العجوز المدبرة. أو «هيدرة»

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه «جـ3 ص: 242» بشرح السندي. كتاب النكاح ـ باب الأكفاء في الدين من رواية أبي هريرة رضي الله عنه.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه «جـ1 ص 1968» كتاب النكاح. عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها.

وهي: القصيرة القبيحة. أو «لفوتة» وهي: ذات الولد من غيرك. أو «شهبرة» وهي المرأة الزرقاء. أما المرأة التي توصف بأنها خضراء الدمن فإنها حتماً ستأتي بمثل أصلها وهي كما في الحديث الشريف «المرأة الحسناء في المنبت السوء»[1] يقول الأسمر: «وإياكم وخضراء الدمن فإنها تلد مثل أصلها. وخضراء الدمن هي امرأة قبيحة الفعل والنسب يعبّر عنها أنها مثل: شجرة نبتت من مزبلة»[2]. وصيانة للحياة الزوجية من أن تتصدع أركانها ويتهادى بنيانها يحذر الأسمر الأزواج من إفشاء أسرارها وخاصة ما يكون بين الزوجين في الفراش «إياكم ثم إياكم أن تذكروا حال الزوجة في فراشها إذ هي أمانة عندكم ولا يذكر حالها عند ذلك إلا فاسق خسيس لا خير فيه»[3].

## (ب) الأوبئة والأمراض «الطاعون»:

يعدّ مرض الطاعون من أخطر الأمراض التي تفتك ببني البشر وقد شهد العالم في الفترة الواقعة من فاتح القرن الخامس عشر الميلادي إلى نهاية القرن الثامن عشر منه موجة من أعنف موجات الطاعون وأشدها، روَّعت بنيه وحصدت أرواح الآلاف منهم[4]. وقد أبدى الأسمر اهتمامه بهذا الطاعون وذلك في رسالته الموجهة إلى أصحابه بمدينة تونس التي تناول فيها حقيقة الطاعون، والفرق بينه وبين الوباء، وكيفية علاجه، وطرق الوقاية منه.

## تعريف الطاعون:

من المعروف أن وباء الطاعون يخرج على جسم الإنسان بكيفيات مختلفة ونماذج سريرية متباينة. لذلك كثرت تعاريفه تبعاً لاختلاف الكيفيّات والنماذج. والأسمر في رسالته يورد لنا تعريفين من هذه التعاريف «قيل هو:

---

(1) أخرجه الشهاب في مسنده «جـ2 ص: 96» عن أبي سعيد الخذري رضي الله عنه.

(2) من رسالته إلى أصحابه بتمبكتو.

(3) المصدر السابق نفسه.

(4) درويش مصطفى الشافعي. «القوارض طاعون الإنسان والاقتصاد» مجلة الفيصل - العدد 217 السنة 18 - رجب 1415هـ - ديسمبر 94 - يناير 1995م» ص: 83.

قروح تخرج مع لهيب الإبط والأصابع وفي سائر البدن، ويسودّ ما حولها أو يخضرّ أو يحمرّ». «لكن التحقيق للقبول والأقرب للسداد ما ذكره شارح الأوراد حيث قال: الطاعون هو ورم في الأعضاء العددية يكون حدوثه من مادة سمية كما هو مذهب الأطباء».

## تعريف الوباء:

«الوباء هو: فساد يعرض بجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية كالماء الآسن، والجيف الكثيرة العفن، أو بسبب رياح ساقت أدخنة رديئة من مواضع نابية...» «وقيل الوباء هو: الطاعون. ولكن الصحيح أنه مرض يكثر في الناس ويكون نوعاً واحداً، فهو اسم لكل مرض عام فكل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون».

## سبب الطاعون:

ينطلق الأسمر من الحديث النبوي الشريف القائل: «الطاعون وخز أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة»[1] فيرى أن سبب الطاعون هو وخز أعداء الإنس من الجن سلطه الله عليهم بسبب الزنا. ومن الأدلة التي تؤيد هذا الرأي في نظره اسمه «الطاعون» أي من الطعن، وكذلك الرؤى المنامية حيث يرى كثير من الناس في زمن الطاعون أن فلاناً من الناس قد طعن في جسمه بموضع معين، فيأتي الأمر مطابقاً. إلى غير ذلك من الأدلة والشواهد التي يوردها الأسمر ليخلص إلى القول بأن طعن الجن متوقف على حكمه استعداد الفعل والمناسبة بينه وبين المطعون. كما يشير إلى أن الآراء في ذلك كثيرة ومتشعبة»[2].

---

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك على الصحيحين «جـ1 ص: 50» كتاب الإيمان. عن أبي موسى الأشعري وقال عنه: حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

(2) من المعروف اليوم في الدوائر العلمية الطبية أن الطاعون «مرض [illegible] الفئران والبراغيث وينتقل منها إلى بقية الحيوانات والإنسان فحينما تصاب الجرذان بالطاعون ينقل المرض إلى البرغوث بابتلاع دم الجرذ المصاب الذي يتغذى به وهنا يصاب البرغوث =

## علاج الطاعون:

ينقل الأسمر ما نقله ابن حجر في كتابه: «بذل الماعون في فضل الطاعون» عن ابن سينا من أن أول شيء يبدأ به في علاج الطاعون هو: «الشرط إن أمكن فيسيل ما فيه ولا يترك حتى يجمد فتزداد سميّته فإن احتيج إلى مصه بالمحجمة فليفعل بلطف» وقال أيضاً: «يعالج بما يقبض ويبرد، وبإسفنجة مبلولة مغموسة في خل وماء ورد، أو دهن ورد، أو دهن تفاح، أو دهن آس» ويعالج أيضاً «بالاستفراغ بالفصد بما يتحمله الوقت، أو بوخز بما يخرج الخلط، ثم يقبل على القلب بالحفظ والتقوية بالمبردات والمعطرات، ويجعل على القلب من أدوية أصحاب الخفقان» كذلك يصف الأسمر لأصحابه عدة وصفات طبية لعلاج الطاعون من تراكيب أدوية ومعاجين ومحاليل، ومن أحسن أنواع المعاجين على حد قوله أنه يؤخذ «ورد يابس، وبنفسج، ونعناع، ومرزنجوش، من كل عشرة. طين أرمني، درونج، صندل، بهمن أبيض، كسفرة مجففة بعد نقعها في الخل، من كل خمسة. صبر، زعفران، طين مختوم، مصطكي، حب أترج مقشر، بسد،

---

= بالإنتان أيضاً ويبقي الجراثيم التي تتكاثر في أمعائه والبرغوث المصاب يهجر مضيفه بعد أن يكون هذا الآخر قد هلك قاصداً مضيفاً جديداً قد يكون إنساناً إذا قل عدد الجرذان وعندما يتناول البرغوث وجبته من دم الإنسان يبقي جراثيم الطاعون... ويسبب الطاعون عصيّات تسمى اليرسينيات الطاعونية Yersiniapestis وهي جرثومة مستديرة النهايات يمكن تعرفها تحت المجهر الضوئي في عينات مأخوذة من المريض بعد تلوينها بصبغة خاصة. وقد تم اكتشاف جرثومة الطاعون عام 1894م في هونج كونج على يد العالم «الكسندر برسين» وعرفت الجرثومة في ذلك الوقت بـ «الباستوريلا» وفي عام 1970م ثم تعديل المسمى وأعطيت الجرثومة اسم مكتشفها «يرسينية». درويش مصطفى «القوارض طاعون الإنسان والاقتصاد» مجلة الفيصل. العدد 217 رجب 1415هـ»

وإذا كان هذا هو ما يقوله العلم بشأن الطاعون وأسبابه فإننا نشير إلى أن العلم لم يعترف بعد بوجود كائنات تعيش بيننا تسمى «الجن فضلاً على أن يثبت لها دوراً في الإصابة بمرض الطاعون وعندما يؤمن العلم بهذه الحقيقة فستتغير حتماً كثير من فروضه ونظرياته وسيثبت العلم يوماً صحة حديث وخز الجن للإنس كما أثبت مؤخراً صحة حديث الذباب. عبد الله القصيمي، مشكلات الأحاديث النبوية وبيانها ص: 67.

من كل أربعة. كهربا، طباشير، لاذن، من كل ثلاثة. صمغ عربي، عنبر، من كل اثنان. ياقوت أحمر، مثقال. فإن لم يوجد فبدله وهو ضعفه من الذهب يسحق الكل وينقع في نصف رطل ماء ورد، ثم يعجن بشراب الديباس، أو السفرجل، أو التفاح، ويرفع وشربته ثلاثة قراريط».

## الوقاية من الطاعون:

إن من أولويات طرق الوقاية من الطاعون ما أشار إليه الحديث النبوي الشريف من أن «الطاعون رجز أو عذاب أرسل على بني إسرائيل أو على من كان قبلكم فإذا سمعتم به بأرض فلا تقدموا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»[1] ويتناول الأسمر بالشرح معاني هذا الحديث قائلاً: قوله: «فإذا سمعتم به فلا تقدموا عليه» تحذيراً منه ونهياً للتعرض للتلف إذ لا يجوز إلقاء النفس في التهلكة. وفي قوله «لا تخرجوا فراراً» إثبات للتوكل والتسليم لقضائه فإن العذاب لا يدفعه الفرار وإنما يدفعه الثبوت والاستغفار، فلو خرج لحاجة من غير فرار جاز. وذكر بعضهم في تأويل هذا الحديث فقال: إذا كان بحال لو دخل وابتلي به وقع عنده أنه ابتلي بدخوله، ولو خرج فنجا وقع عنده أنه نجا بخروجه، فلا يدخل ولا يخرج صيانة لاعتقاده، وإذا كان يعلم أن كل شيء بقدر الله تعالى، وأنه لا يصير إلا ما كتب الله فلا بأس أن يدخل ويخرج. وممّا يحكى في هذا المقام أن عبد الملك بن مروان هرب من الطاعون فركب ليلاً ومعه غلام كان ينام على دابته فقال للغلام: حدثني. فقال: من أنا حتى أحدثك؟ فقال: على كل حال حدِّث حديثاً سمعته. فقال: بلغني أن ثعلباً كان يخدم أسداً ليحميه من الآفات والبليات فرأى ذلك الثعلب يوماً عقاباً يقصده، فلجأ إلى الأسد وأعلمه القضية. فقال الأسد: لا تخف فلم يسكن الثعلب واشتد فزعه. فلما رأى الأسد خوفه رحمه فأقعده على ظهره، فانقض العقاب فاختلسه من على

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه «جـ14 ص: 204» بشرح النووي. كتاب السلام. باب: الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها. من رواية أسامة بن زيد.

ظهره فصاح الثعلب: يا أبا الحرث أغثني فأين عهدك؟ فقال الأسد: إنما أقدر على أهل الأرض فانصرف وارض بالقضاء.

فإذا خشيت من الأمور مقدرا     ففررت منه فنحوه تتوجه

كذلك يشير الأسمر إلى بعض ما أوصى به حذاق الأطباء، من طرق الوقاية من الطاعون، ومن كل وباء وهي: «إخراج الرطوبات الفضلية وتقليل الغذاء وترك الرياضة والمكث في الحمام وملازمة السكون وأن لا يكثر من استنشاق الهواء الذي عفن»[1].

(1) من رسالته إلى أصحابه بتونس.

# الرسالة الأولى

## رسالة إلى عبد الرحمن بن عبد المؤمن الفزاني(1)

### مخطوطات الرسالة:

لهذه الرسالة وغيرها من رسائل الأسمر مصدر وحيد فريد وهو مخطوط «روضة الأزهار» لكريم الدين البرموني. وقد توفّر لديَّ نسختان منه.

**الأولى**: نسخة خاصة بمكتبة آل أبو زبيدة بزليتن والرسالة فيها من ص 300 إلى ص 303 وقد رمزت إليها بكلمة «الأصل».

**الثانية**: نسخة مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس تحت رقم 221 والرسالة فيها من الورقة 129 إلى الورقة 130. وقد رمزت إليها بالحرف «ج».

---

(1) الفزاني نسبة إلى فزان وفزان عبارة عن مجموعة من الواحات واقعة جنوبي مدينة طرابلس الغرب بنحو 970 كلم وكانت وقتها من أهم المراكز التجارية الواقعة ما بين السودان وساحل البحر الأبيض المتوسط ومن أهم مدنها «جرمة» وهي عاصمتها القديمة و«مرزق» التي أصبحت عاصمتها سنة 985هـ ـ 1577م وذلك إبان الاحتلال التركي لها ثم «سبها» التي تحولت العاصمة إليها سنة 1332هـ ـ 1913م وذلك إبان الاحتلال الايطالي لها. الزاوي، معجم البلدان الليبية ص: 248. وعبد الرحمن هذا من مريدي الأسمر وأصدقائه القاطنين بإحدى واحات فزان هذه.

## نص الرسالة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والأمر لله، ولا قوة إلا بالله، وأستغفر الله وأتوب إليه من الذنوب كلها، وأصلي وأسلم على عبد الله ورسوله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، الذين أنزل الله عليهم السكينة وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها[1]. وبعد:

فإني أوصيك أيها العبد الصالح المحفوظ بعين الله إن شاء الله أوصيك ونفسي بتقوى الله في كل موطن، وعلى كل حال، وحيث ما كنت، وبمراقبة الله واستشعار علمه واطلاعه عليك ومعيّته لك وإحاطته بك على الدوام وبالإخلاص لله، وبالصدق مع الله، وبالتواضع لله، وبالشكر لله على نعمائه والصبر لله على بلائه، والرضا عن الله في حكمه وعند [مرّ(1)] قضائه [وحلوه(2)]، ولا تختار على الله، ولا تؤثر عليه شيئاً سواه، ولا تختر معه ولا تذم شيئاً إلا ما أمرك به ونهاك عنه على وفق ما أمرك ونهاك، ولا تعلق قلبك بشيء سوى ربك، وارفع همّتك عن الأكوان، ولا تعجب بنفسك، ولا ترتفع على إخوانك، ولا تتبع هوى النفس الأمارة بالسوء في شيء من الأشياء، واجعل الكتاب والسنة حاكمين عليك وقائدين لك، ولا تدخل في شيء من العبادات إلا بنية صالحة وكذلك المباحات، والحذر عن الغفلة عن حسن النية وعن استحضارها عند كل حركة. وعليك بإقامة الصلوات الخمس المكتوبة كما أمرت، واجتهد في حضور قلبك مع الله في جميع صلاتك، وصلِّ بقلب خاشع حاضر مع الله فارغ عن كل ما سواه، وحافظ على الجماعة وعلى الصلاة أول الوقت بكليّتك، وقم

(1) ما بين الحواصر ساقط من «ج».

(2) المصدر السابق نفسه.

[1] تضمين لقوله تعالى: ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ الفتح: 26.

من الليل ما تيسَّر ويكون ذلك بعد النوم أحسن وأنفع، وأكثر من التضرع في كل حال، وارفع حاجتك إلى الله في ذلك الوقت تقضى، واقرأ ما تيسَّر من القرآن العظيم في كل يوم أو كل[1] ليلة بترتيل وتدبر وحضور قلب، ويكون على التدريج من أوله حتى تختمه ولو في الشهر أو في الأربعين مرة، والسر في الحضور والتدبر لا في الإكثار من القراءة. ودم على الذكر لله بالقلب واللسان، ولا تزل قائلاً: لا إله إلا الله ومستحضراً لمعناها[2] بقلبك. وعليك: بدوام الذكر. عليك: بدوامه. عليك: بملازمته لا تفتر عنه، وإيَّاك والغفلة عن ذكر مولاك فإن الغافل عن ذكر ربه ميِّت القلب. وعليك: بالإكثار من التفكر في الموت وما بعده من أمور الباقية، وعليك: بسعة الصدر، وأوامر البشر، وطلاقة الوجه، وطيب الكلام، وخفض الجناح، ولين الجانب مع إخوانك المؤمنين، وأحسن التودد إليهم بالتألف لهم، ودارِ من يحتاج إلى المداراة منهم فيما تقدر عليه على نية إصلاحه واستقامة دينه، واشكر لمحسنهم، واثن عليهم بالخير من غير إفراط، وتجاوز عن مسيئهم، وانصح من يحتاج إلى النصح منهم بلطف وشفقة في خلوة، وكن كثير الاحتمال دائر[3] العفو والصفح عن عثرات الإخوان، والحذر من الجفاء والغلظة والفضاضة فإنها من أخلاق الجبابرة، ولا تعاتب أحداً منهم على تقصير في حقك أبداً إلا إن كان خالصاً صادق المودة مختبراً، وأما تقصيرهم في حق الله وحقوق عباده فلا تسامحهم فيه، ويكون القيام عليهم على حسب أحوالهم ورغبتهم ودخولهم في الدين، فترفق بالمبتدىء والضعيف الرغبة أكثر من غيره، وفي الرفق الخير كله فعليك به، وعليك: بحسن المعاشرة مع الإخوان، وكثرة التغافل عما يجري منهم من الهفوات التي لا يسلم منها إلا الخصوص من عباد الله المخصوصين، ويكون كلامك معهم فيما ينفعهم ويصلح دينهم وتدعو حاجتهم إليه في معادهم ومعاشهم، ولا تحرص معهم في غير ذلك إلا على نية الانس والاستئناس عند الحاجة إلى ذلك. ومن آذاك بفعل أو قول أو شتمك أو ذكرك بسوء من الناس فلا تقابله

(1) في «ج» في كل يوم وليلة.

(2) في «ج» لمعانيها.

(3) هكذا في النسختين والصواب «دائم العفو».

بمثل ما جرى منه، فإما: أن تعفو عنه وتجعله في حل من غير حقد عليه ولا بغض له، وذلك من إخلاص الصديقين وإما: أن تكل أمره إلى الله وتكتفي بنصره لك. وازهد في الدنيا بقلبك، ولا تقلل منها بجهدك، ولا تجعلها من همّك ولا من طلبك، ولا تشتهي من شهواتها شيئاً لأجل التمتع والتلذذ فإن ذلك حجاب عن الله. وجاهد نفسك حتى تخرج منها كل ميل إلى شهوات الدنيا، وليكن الخمول أحب إليك من الشهرة، والفقد أحب إليك من الوجد، والفقر أحب إليك من الغنى يكون هذا في قلبك ويتحقق به سرك ويفعل الله بعد ذلك في حقك من هذه الأشياء ما قسمه لك. والحذر في حب الجاه، والشهرة، والصيت بين الناس، والتعظيم والثناء منهم فإن تلك سموم. وعليك: بحب أهل البيت النبوي وتعظيمهم جداً فقلَّ ما تظاهر بذلك أحد عن صدق باطن إلا ووفقه الله وأجلَّه حتى ربما يصير بين الناس كأنه من [أهل[1]] البيت والمرء مع من أحب، وحبهم وتعظيمهم ليس لهم بل هو لله ورسوله. فتمسك بهذه الوصية، واعمل عليها، وداوم على القراءة فيها، واجعله أعني: النظر فيها من أورادك التي لا بد لك منها، والله يتولى هداك، ويكون معك ولك حيث ما كنت، ويجعلك من عباده المخلصين، وحزبه المفلحين والحمد لله رب العالمين.

(1) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

# الرسالة الثانية

## رسالة إلى سعيد بن عبد الحميد الغدامسي[1]

### مخطوطات الرسالة:

لهذه الرسالة كسابقتها نسخة فريدة تضمنها كتاب «روضة الأزهار» لكريم الدين البرموني، وقد شغلت الصفحات من ص 297 إلى ص 299 من مخطوط آل أبو زبيدة «لروضة الأزهار». كما شغلت الورقتان 128 و129 من مخطوط مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس لكتاب روضة الأزهار، وقد رمزت إلى المخطوط الأول كما سبقت الإشارة بكلمة «الأصل» وإلى المخطوط الثاني بحرف «ج».

(1) الغدامسي نسبة إلى مدينة «غدامس» وغدامس واحة من أجمل الواحات الليبية ومركز حضاري من أهم المراكز الحضارية الصحراوية وهي تقع في الجنوب الغربي لمدينة طرابلس وعلى بعد 495 كلم وتقدر مساحتها بحوالي 160كلم$^2$. الزاوي، معجم البلدان الليبية. ص: 242. وسعيد بن عبد الحميد هذا من مريدي الأسمر وأصدقائه القاطنين بهذه الواحة الجميلة.

## نص الرسالة

### بسم الله الرحمن الرحيم

ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، الحمد لله الذي أنطق اللسان بالبيان، وهيأ لقبول الحق والعمل به من عباده كل صادق مخلص بالإسلام والإيمان، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين. سألت مني أيها المحب أن أنصحك، وخير الوصايا وأنفعها وصايا الله التي أوصى بها عباده في كتابه، ووصايا رسول الله ﷺ فعليك: بقبولها والأخذ بها تسعد وترشد وتفلح وتنجح. ثم إن نصيحتي لك أن تكون بمولاك مكتفياً وواثقاً ومتعلقاً، وبمكارم الأخلاق متخلقاً، وللدنيا مطلِّقاً، ولنفسك من أشراك الحظوظ مطلقاً، ومن رقها معتقاً ولأبواب الشهوات مغلقاً، وللحق موافقاً، وللصدق مرافقاً، وعلى باب الله واقفاً، ولهوى نفسك مخالفاً، ولأوامره ممتثلاً، وعلى طاعته مقبلاً، ولكل ما يشغلك عنه مجانباً، ولمن يدلك عليه طالباً، ولعاصيه مباعداً، وللمقبلين عليه مساعداً، ولحرماته ولشعائر دينه معظماً، ولأوليائه المشغوفين بمحبته المشغولين بخدمته [خادماً[1]]، ولأحكامه مسلماً، ومع الحق ثائراً، وإليه صائراً، وداوم[2] على تلاوة كتاب الله، وثابر على ذكر الله، وقم إذا جن الظلام وهجع الأنام بين يدي الله، وأحسن المحافظة على الصلوات الخمس التي هي من الدين العماد والرأس، وأشعر قلبك على كل حال اطلاع مولاك عليك، وإحاطة علمه بك، وكن مع إقباله تعالى مع اللحظات والأنفاس، وكن مع الخير وأهله، واطلع الله من قلبك على محبة الحق، وصحبة القيام به، وأصلح نيّتك فيما بينك وبينه سبحانه يكفيك فيما بينك وبين خلقه، وخذ من نفسك لربك، ومن دنياك لاخرتك، وقدر نزول الموت بك في كل وقت، وتزوّد لمعادك وخير الزاد التقوى، ونق قلبك من كل خلق مذموم، واضمر

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.
(2) في «ج» ودم على تلاوة كتاب الله.

الخير لجميع المسلمين، واصبر على من آذاك، ولا تجف من جفاك، وآت المسلمين ما تحب أن يأتوه إليك. وإذا سافرت فاجعل همتك مع قدمك، وجسمك مع قلبك، وليكن التوكل على الله زادك، وحسن الظن عمادك، والصدق معه مركوبك، والافتقار إليه والانكسار بين يديه شعارك ودثارك، والاستغناء به رقيبك في طريقك. وإذا وصلت إلى بيته الحرام، ونظرت إليه بعيني رأسك فليكن قلبك ناظراً إلى رب البيت. وللحج ظاهر وباطن، فظاهره شريعة، وباطنه حقيقة، فلا تشغلك إحداهما عن الأخرى تكن جامعاً. واعلم أنَّ لله في باطنك بيتاً، وقد أمر ابراهيم علمك، وإسماعيل عقلك أن يطهراه للطائفين والعاكفين والركع السجود، وحوله من الملائكة الروحانيين. وكل من لم يكن له إبراهيم ولا إسماعيل فهو جاهل أحمق تصلى به النار، وكل من كان له ولم يمكنهما من تطهير ذلك البيت ليصلح للطائفين والعاكفين فهو من خلفاء الشياطين، ومثله العالم العاقل الذي لا يعمل بمقتضى علمه وعقله. وافهم ها هنا قول رسول الله ﷺ عن الله، «ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن»[1] فعبده حقاً من صارت كليّته ظاهرة وقلبه مشغولاً بإقامة العبودية للربوبية دون غرض آخر، وهذا لا يستقيم على وجهه في كل زمان، وهو الخليفة الفرد الغوث[2] مرآة الحضرة الإلهية والواسطة بين الله وبين خلقه في

---

[1] أورده ابن تيمية في «أحاديث القصاص. ص: 53» بلفظ: «ما وسعني سمائي ولا أرضي بل وسعني قلب عبدي المؤمن» وعلق عليه بقوله: «هذا مذكور في الاسرائيليات وليس له إسناد معروف عن النبي ﷺ ومعناه وسع قلبه الإيمان به ومحبتي ومعرفتي وإلا فمن قال: إن ذات الله تحل في قلوب الناس فهو أكفر من النصارى الذين خصّوا ذلك بالمسيح وحده».

كما أورده الغزالي في «إحياء علوم الدين». جـ 3 ص13» بزيادة «اللين الوادع» وعلق عليه مخرج أحاديثه العراقي رحمه الله بقوله: «لم أجد له أصلاً».

[2] الغوث عند الصوفية عبارة عن رجل واحد هو موضع نظر الله تعالى من العالم في كل زمان وقد سمي بذلك باعتبار التجاء الملهوف إليه ويسمى أيضاً بالقطب =

إفاضة الإمدادات الربانية والروحانية والجسمانية، فهو عبده المؤمن المشار إليه، قلبه عرش الرحمن، وصدره كرسيه الذي وسع السماء والأرض. وليس إيراد هذا الكلام من غرضنا في هذه الوصية، ولكن أبرزته نيَّتك وصدق رغبتك أيها المريد المحب لتكون كذلك لربك. وإياك الغفلة عن ذكره، وعليك: بالذكر فإنه ميدان الفتح، وعليك: بتجديد التوبة، وبالإكثار من الاستغفار في كل حين، والزم قلبك شهود التقصير منك من القيام بواجب حق مولانا عليك، وإن عبدته عبادة الأولين والآخرين. وفقنا الله وإياك، وجعلنا بالعافية والسلامة، وحققنا بالتقوى والاستقامة، وأحيانا وأماتنا على الملة الزهراء، والمحجة الغراء التي بعث بها رسوله الكريم، وحبيبه الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم والحمد لله رب العالمين.

---

= وقطب العالم وقطب الأقطاب والقطب الأكبر وقطب الارشاد وقطب المدار الحنفي، معجم المصطلحات الصوفية. ص: 127 الجرجاني، التعريفات ص: 119.

# الرسالة الثالثة

## رسالة إلى محمد بن عبد الكريم الشاذلي[1]

### مخطوطات الرسالة:

للرسالة نسخة فريدة كسابقتيها احتواها كتاب «روضة الأزهار» لكريم الدين البرموني، وقد شغلت صفحاتها من ص 303 إلى ص 306 من مخطوط آل أبو زبيدة من كتاب «روضة الأزهار»، كما شغلت الورقتين 130 و131 من مخطوط مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس الغرب. وقد رمزت إلى النسخة الأولى ـ كما سبقت الإشارة ـ بكلمة «الأصل» كما رمزت إلى النسخة الثانية بحرف «ج».

(1) لم أقف له على ترجمة ولم تشر الرسالة إلى مكان إقامته، كما اقتصر البرموني في تقديمه لهذه الرسالة على ذكر اسمه فقط وقد وصفه الأسمر في مقدمة رسالته بـ «المريد النجيب».

## نص الرسالة

### بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله في السر والعلن(1) على ما ظهر من نعمه وبطن، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه المتخلقين بكل خلق عظيم، والمتصفين بكل وصف حسن. أما بعد:

فإنني أوصيك أيها المريد النجيب وفّقك الله بتوفيق الصالحين، وأخذ بناصيتك إلى كل خير. فإني أوصيك ونفسي: بتقوى الله العظيم حيث ما كنت، وبخشيته حيث يراك الناس وحيث لا يرونك، وبالمحافظة على فرائض الله، وبالمجانبة لمحارم الله، وبالمسارعة إلى الخيرات ابتغاء وجه الله، وبالمحافظة على الصلوات الخمس في الجماعة أول الوقت(2)، وبالخشوع وحضور القلب في جميع الصلوات فإن المصلي مع الغفلة وشغل القلب بحديث الدنيا لا يعد عند الله من المصلين، وبإخراج الزكاة إن كان عندك مال تجب فيه إخراجها وأنت طيّب القلب فرح مسرور بذلك، وضعها حيث وضعها الله في الفقراء والمساكين، ولا تطلب على ذلك ثناء منهم ولا من غيرهم، ولا تعمل إلا لوجه الله فإن الفاعل لوجوه الناس مردود العمل، وإن الله سبحانه لا يقبل من الأعمال إلا ما هو خالص لوجهه. وأوصيك: بالإكثار من تلاوة القرآن مع التدبر والترتيل، والتفهم لمعانيه، والوقوف عند عجائبه وأوامره، ونواهيه، وزواجره، وارسمه على ما سلكه صاحب المورد والعمدة[1]. وعليك بالإكثار من الذكر فإنه ينور القلب، ويشرح

---

[1] المورد والعمدة كتابان في فن رسم القرآن الكريم ألفهما إمام القراء بفاس العلامة أبو عبد الله محمد بن محمد بن إبراهيم الأموي المعروف بالخراز المتوفى سنة «818هـ ـ 1415م» واسمهما بالكامل «مورد الظمآن في رسم القرآن» و«عمدة البيان في رسم القرآن». محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ص: 215 ـ عبد الله كنون، النبوغ المغربي في الأدب العربي، جـ 1 ص: 209.

(1) في «ج» في السر والعلا.

(2) في «ج» أوائل الأوقات.

الصدر، ويمحق الذنب، وخصوصاً قول: لا إله إلا الله أكثر منها جداً. وأوصيك: بالمحافظة على صلاة الوتر فإن الله يحب من يصليها، وعلى صلاة الضحى ففيها بركة كثيرة، وهي جالبة لسعة الرزق. وبقراءة يس، وبقراءة سور الحشر، والواقعة، وتبارك الملك كل ليلة، وآخر الدخان(1) إلى آخر السورة، وآية الكرسي عند النوم. وأوصيك: بالإكثار من الفكر في أمور الآخرة من الموت وما بعده من المساءلة في القبر والبلاء، والبعث، والحشر، والميزان، والصراط، والجنة، والنار، فإن ذلك مما يخشع القلب وينوره، ويطرد عنه الغفلة ويقبل به على إصلاح آخرته، وترك الاغترار بزخارف الدنيا [فإنها(2)] أي الدنيا متاع قليل حقير لو وزنت عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء[2]. وأوصيك: ببر الوالدين، والسعي في مرضاتهما حسب الاستطاعة، وبصلة الأرحام والأقربين فإن من وصل وأوصل بره الله ووصله ومن بعد وقطع أبعده الله وقطع. ابذل في ذلك أعني: المبرة والصلة غاية الجهد. وأوصيك: بالتواضع، وترك الكبر في الظاهر، وإخراجه من القلب، فإن المتواضع مرفوع، والمتكبر موضوع عند الله ورسوله. وأكثر من الصدقة، وبذل الفضل، واصطناع المعروف استطاعتك فإن ذلك يوسع الرزق، ويطيّب الذكر، ويحبب إلى الناس وفيه الإشراف(3) العظيم والجزاء الكريم في دار النعيم. والسخاء من أخلاق أهل الله، والبخل من أخلاق أعداء الله فكن جواداً سخياً، ولا تكن شحيحاً، ولا بخيلاً، وكن: سليم الصدر على جميع المسلمين، واجتهد أن لا يكون في قلبك على أحد منهم

(1) في «ج» وآخر الزمر إلى آخر السورة.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل والزيادة من «ج».

(3) في «ج» وفيه إسراف العظيم.

---

[2] إشارة إلى الحديث النبوي الذي رواه سهل بن سعد بقوله: كنا مع رسول الله ﷺ بذي الحليفة فإذا هو بشاة ميتة شائلة برجلها فقال: أترون هذه هينة على صاحبها فوالذي نفسي بيده للدنيا أهون على الله من هذه على صاحبها ولو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقي كافراً منها قطرة أبداً. «أخرجه ابن ماجه في سننه» جـ 2 ص: 1377» كتاب الزهد ـ باب مثل الدنيا.

بغضاً ولا حقداً ولا احتقاراً ولا استهانة ولا حسداً، فبذلك صار الابدال أبدالاً[3] أعني: بسلامة الصدر، وهي من أمهات صفاتهم، وكذلك السخاء والتواضع والرحمة بالمسلمين. هذه صفات الابدال والأولياء، وعكسها صفات الأعداء فاحذرها وفقك الله. وعليك: بدوام البشر والبشاشة وبطلاقة الوجه ولين الجواب، وخفض الجناح لجميع المسلمين، وبإفشاء السلام، وطيب الكلام، وترك الخوض فيما لا ينبغي ولا يعني من الأقوال والأفعال. والحذر من الغيبة فإنها تأكل الحسنات، وتكثر السيئات، و«المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده»[4] «وحرمة مال المؤمن وعرضه كحرمة دمه» كما في الحديث[5] ولا تخالط ولا تجالس ولا تعاشر إلا أهل الخير والدين، واجتنب مخالطة أهل الشر والباطل، واحترز من مجالستهم فإن المرء من جليسه وعلى دين خليله[6]. ومن رأيته ترك معروفاً فامره به، أو فعل منكراً فانهه عنه، ولا تستح فإن الله لا يستحي من الحق. وإذا أمرت

---

[3] الابدال عند الصوفية قوم مبرّزون في التقوى والصلاح يقيم الله بهم الأرض وكلما مات منهم أحد قام مكانه آخر ولذلك سموا أبدالاً ويستدلون على ذلك بعدة أحاديث وأثار منها ما أخرجه ابن حنبل في مسنده عن شريح بن عبيد قال: ذكر أهل الشام عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو بالعراق فقالوا: العنهم يا أمير المؤمنين. قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «الأبدال يكونون بالشام وهم أربعون رجلاً كلما مات رجل أبدل الله مكانه رجلاً يسقى بهم الغيث وينتصر بهم على الأعداء ويصرف عن أهل الشام بهم العذاب» ابن حنبل، المسند جـ 1 ص: 112.

[4] جزء حديث أخرجه البخاري في صحيحه، «جـ1 ص: 11» كتاب الإيمان ـ باب المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده. عن عبد الله بن عمرو. وبقيته «والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه».

[5] لعله يشير إلى ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده، «جـ1 ص: 446» عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر وحرمة ماله كحرمة دمه».

[6] يشير بذلك إلى ما أخرجه أبو داود في سننه «جـ4 ص: 259» كتاب الأدب ـ باب من يؤمر من يجالس عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل».

أحداً بمعروف أو نهيته عن منكر فيكون ذلك برفق ولطف وشفقة. والله الله في حسن الخلق فإنه أثقل شيء يوضع في الميزان، وبه يدرك الإنسان درجة الصائم القائم كما ورد[7]. قال بعضهم: حسن الخلق بسطك الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى، ومن ساء خلقه عذب نفسه. والحدة من الشيطان فاحترز منها. إن الشياطين يقولون: إذا كان الإنسان حديداً قلَّبناه كيف نشاء. والخير كله في الصبر والحلم والسكينة والوقار فعليك بذلك. وكن: محسناً إلى الأقارب والجيران والأصحاب خاصة، وإلى المسلمين عامة، ما استطعت. ويقدر الإنسان أن يحسن إلى جميع المسلمين بالدعاء لهم والشفقة عليهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه، ويكره لهم ما يكره لنفسه. [قال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه»[8](1)] وقال عليه الصلاة والسلام: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم»[9]. وبالنية الحسنة الصالحة يحصل للإنسان ثواب جميع ما نواه إذا عجز عن العمل، ومن صلحت نيته وطاب ضميره وصفت سريرته حصل على الخيرات كلها الآجلة منها والعاجلة. رزقنا الله وإيَّاك ذلك ووالدينا وأحبابنا. فهذه وصيتي لنفسي

---

[7] لعله يشير إلى ما أخرجه أبو داود في سننه «جـ4 ص: 252 ـ 253» كتاب الأدب ـ باب في حسن الخلق. عن أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «ما من شيء أثقل في الميزان من حسن الخلق» كما أخرج أيضاً عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أنها قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم».

[8] أخرجه البخاري في صحيحه «جـ1 ص: 8» كتاب الإيمان ـ باب من الإيمان أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه. عن أنس عن النبي ﷺ بلفظ: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه».

[9] أخرجه البيهقي في الشعب «جـ7 ص: 254» باب في حسن الخلق ـ فصل في طلاقة الوجه. عن أبي هريرة بلفظ «إنكم لا تسعون الناس بأموالكم ولكن يسعهم منكم بسط الوجه وحسن الخلق».

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

ولك ولجميع من وقف عليها من المؤمنين والمسلمين، والله يتولى هداك، ويكون لك في سرك ونجواك، والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله سيدنا محمد وآله وصحبه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

# الرسالة الرابعة

## رسالة إلى راشد بن يحيى المحجوبي المقرحي[1]

### مخطوطات الرسالة:

للرسالة نسخة فريدة ككل رسائل الأسمر احتوى عليها كتاب «روضة الأزهار» لكريم الدين البرموني، وقد شغلت صفحاتها من ص 267 إلى ص 276 من مخطوط آل أبو زبيدة من كتاب «روضة الأزهار». كما شغلت خمس ورقات من مخطوط مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس الغرب، وذلك من الورقة الخامسة عشر إلى الورقة التاسعة عشر. وقد رمزت إلى النسخة الأولى ـ كما سبقت الإشارة ـ بكلمة «الأصل» كما رمزت إلى النسخة الثانية بحرف «ج».

(1) المقرحي نسبة إلى قبيلة المقارحة العربية وهم بنو مقرح ونسبهم في بني سليم وتقطن هذه القبيلة بليبيا بمنطقة الحمادة وحول وادي الشاطىء. الزاوي، معجم البلدان الليبية. ص 250.

## نص الرسالة

### بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. الحمد لله الواحد في مجده وجده، الذي ليس شيء من الموجودات إلا ساجد مسبح بحمده، وصلى الله على رسوله وعبده وعلى آله وأصحابه من بعده. أما بعد:

فاعلم أيها المريد الراغب في سلوك الطريق الموصل إلى مراتب التحقيق بالتحقيق، أن رأس الأمر عند الطائفة ومدار الشأن عندهم على اجتماع القلب على محبة الله، والإقبال عليه، واتباع سيدنا محمد الطاهر على طاعته ابتغاء الزلفى لديه. وقد طلبت مني أكرمك الله بتوفيقه، وجعلك من خاصة السالكين لطريقه أن أكتب لك نصيحة وجيزة مناسبة لحالك، ليكون ذلك فيها أنس تام وفائدة، وبها انتفاع ومنها عائدة. وقد أجبتك لذلك راغباً في انتفاعك ودعائك. فاعلم أن أجمع النصائح وأنفعها وصية الله لنا ولمن قبلنا، وهي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾[1] ثم وصية رسول الله ﷺ لأصحابه وأمته وهي: معرفة الله تعالى والتمسك بالكتاب والسنة. إذا علمت ذلك فاعلم أني أوصيك بتصحيح إيمانك على ما قرَّره الإمام الأشعري[2] والقدوة إمامنا السنوسي[3] في عقائده

---

[1] النساء: 131.

[2] هو: أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري. مؤسس مذهب الأشاعرة بلغت مصنفاته ثلاثمائة كتاب منها «الإبانة عن أصول الديانة» و«مقالات الإسلاميين» و«إمامة الصديق». ولد في البصرة سنة 260هـ ـ 874م. وتوفي في بغداد سنة 324هـ ـ 936م. تبيين كذب المفتري ص 34 ـ تاريخ بغداد جـ11 ص 346. الأعلام جـ 4 ص 263.

[3] هو: أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي الحسني. المفكر الأشعري =

اعلم يرحمك الله أن الحكم: «إثبات أمر أو نفيه وينقسم إلى ثلاثة أقسام: شرعي وعادي وعقلي. فالشرعي هو: خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين بالطلب أو الإباحة أو الوضع لهما، ويدخل في الطلب أربعة: الإيمان والندب والتحريم والكراهة، [فالإيمان هو: طلب الفعل طلباً جازماً كالقواعد الخمس ونحوها(1)] والندب هو: طلب الفعل طلباً غير جازم كصلاة الفجر ونحوها. والتحريم هو: طلب الكف عن الفعل طلباً جازماً كشرب الخمر والزنا ونحوهما. والكراهة هي: طلب الكف عن الفعل طلباً غير جازم كالقراءة في الركوع والسجود ونحوهما. وأما الإباحة فهي: إذن الشرع في الفعل والترك معاً من غير ترجيح لأحدهما على الآخر. وأما الوضع لهما [أي للطلب والإباحة(2)] فهو: عبارة عن نصب الشارع أمارة على حكم من تلك الأحكام الخمسة وهي: السبب والشرط والمانع. فالسبب ما يلزم من عدمه العدم ومن وجوده الوجود(3) بالنظر إلى ذاته كزوال الشمس لوجوب الظهر مثلاً. والشرط ما يلزم من عدمه العدم ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم لذاته كتمام الحول لوجوب الزكاة مثلاً. والمانع ما يلزم من وجوده العدم ولا يلزم من عدمه(4) وجود ولا عدم لذاته كالحيض لوجوب الصلاة. وأما الحكم العادي فهو: إثبات الربط بين أمر وأمر وجوداً أو عدماً بواسطة التكرر مع صحة التخلف وعدم تأثير أحدهما في الآخر ألبتة وأقسامه(5): ربط وجود بوجود كربط وجود الشبع بوجود الأكل، وربط عدم بعدم كربط عدم الشبع بعدم الأكل، وربط وجود بعدم كربط وجود الجوع بعدم

---

= وصاحب العقائد المشهورة من مؤلفاته «العقائد» الكبرى والوسطى والصغرى وصغرى الصغرى والمقدمات وشروحها و«شرح جمل الخونجي» و«نصرة الفقير في الرد على أبي الحسن الصغير» ولد بتلمسان بالجزائر سنة 832هـ 1428م وتوفي سنة 895هـ ـ 1490م. البستان ص: 237 ـ تعريف الخلف جـ 1 ص: 176 ـ الأعلام جـ 8 ص: 30.

(1) ما بين الحواصر ساقط من «ج».

(2) المصدر السابق نفسه.

(3) في «ج» فالسبب ما يلزم من وجوده الوجود ومن عدمه العدم.

(4) في «ج» ولا يلزم من وجوده وجود ولا عدم. وهو خطأ.

(5) في «ج» وأقسامه أربعة...

الأكل، وربط عدم بوجود كربط عدم الجوع بوجود الأكل. وأما الحكم العقلي فهو: إثبات أمر أو نفيه من غير توقف على تكرار ولا وضع واضع. وأقسامه ثلاثة: الوجوب والاستحالة والجواز. فالواجب ما لا يتصور في العقل عدمه، إما ضرورة كالتحيّز للجرم مثلاً. وإما نظراً كوجوب القدم لمولانا عز وجل. والمستحيل ما لا يتصور في العقل وجوده إما ضرورة كتعري الجرم عن الحركة والسكون، وإما نظراً كالشريك لمولانا عز وجل. والجائز ما يصح في العقل وجوده وعدمه. إما ضرورة كالحركة لنا، وإما نظراً كتعذيب المطيع وإثابة العاصي وبالله تعالى التوفيق. والمذاهب في الأفعال ثلاثة: مذهب الجبرية، ومذهب القدرية، ومذهب أهل السنة. فمذهب الجبرية وجود الأفعال كلها بالقدرة الأزلية فقط من غير مقارنة لقدرة حادثة. ومذهب القدرية وجود الأفعال الاختيارية والقدرة الحادثة لا تأثير لها لا مباشرة ولا توليداً. ومذهب أهل السنة وجود الأفعال كلها بالقدرة الأزلية فقط مع مقارنة الأفعال الاختيارية لقدرة حادثة لا تأثير لها ولا مباشرة ولا تولداً. وأما الكسب فهو: عبارة عن تعلق القدرة الحادثة بالمقدور في محلها من غير تأثير. وأنواع الشرك ستة: شرك استقلال وهو: إثبات إلهين مستقلين كشرك المجوس. وشرك تبعيض وهو: تركيب الإله من آلهة كشرك النصارى. وشرك تقريب وهو: عبادة غير الله تعالى ليقربوا إلى الله زلفى كشرك متقدمي الجاهلية. وشرك تقليد وهو: عبادة غير الله تعالى تبعاً للغير كشرك متأخري الجاهلية. وشرك الأسباب وهو: إسناد التأثير للأسباب العادية كشرك الفلاسفة والطبائعيين ومن تبعهم بذلك: وشرك الأعراض وهو: العمل لغير الله تعالى. وحكم الأربعة الأول الكفر بالإجماع، وحكم السادس المعصية من غير كفر بإجماع، وحكم الخامس التفصيل فمن قال في الأسباب العادية أنها تؤثر بطبعها فقد حكي الإجماع على كفره. ومن قال إنها تؤثر بقوة أودعها الله فيها فهو فاسق مبتدع وفي كفره قولان. وأصول الكفر سبعة الإيجاب الذاتي وهو: إسناد الكائنات إلى الله تعالى على سبيل التعليل أو الطبع

من غير اختيار. والتحسين العقلي وهو: كون أفعال الله وأحكامه موقوفة عقلاً على الأغراض وهو: جلب المصالح ودرء المفاسد. والتقليد الرديء وهو: متابعة الغير لمجرد الحمية والتعصب من غير طلب للحق. والربط العادي وهو: ثبوت التلازم بين أمر وأمر وجوداً أو عدماً بواسطة التكرر. [والجهل المركب بأن يجهل الحق ويجهل جهله به(1)] والتمسك في [أصول(2)] عقائد الإيمان بمجرد ظاهر الكتاب والسنة من غير تفصيل بين ما يستحيل ظاهره منها وما لا يستحيل، والجهل بالقواطع العقلية التي هي العلم بوجوب الواجبات وجواز الجائزات واستحالة المستحيلات، وباللسان العربي الذي [هو(3)] علم اللغة والإعراب والبيان. والموجودات بالنسبة إلى المحل والمخصّص أربعة أقسام: قسم غني عن المحل والمخصص وهو: الأعراض. وقسم مفتقر إلى المخصص دون المحل وهو: الأجرام. وقسم موجود في المحل ولا يفتقر إلى مخصص وهو: صفات مولانا عزّ وجلّ. والممكنات المتقابلات ستة: الوجود، والعدم، والمقادير، والصفات، والجهات، والأزمنة والأمكنة. والقدرة الأزلية عبارة عن صفة يتأتى بها إيجاد كل ممكن وإعدامه على وفق الإرادة والإرادة عبارة عن صفة يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه. والعلم صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به، والحياة صفة تصحح لمن قامت به [أن يتصف(4)] بالإدراك، والسمع الأزلي صفة ينكشف بها كل موجود على ما هو به انكشافاً يباين ما سواه ضرورة، والبصر مثله والإدراك على القول به مثلهما، والكلام الأزلي ليس بحرف ولا صوت وهو: المعنى القائم بالذات، المعبر عنه بالعبارات المختلفات، المباين لجنس الحروف والأصوات، المنزه عن البعض والكل والتقديم والتأخير والتحدد والسكوت واللحن والإعراب وسائر أنواع التغييرات، المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات. والكلام ينقسم إلى خبر وإنشاء، فالخبر ما يحتمل الصدق والكذب لذاته، والإنشاء ما لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته. والصدق: عبارة لمطابقة الخبر في نفس

(1) ما بين الحواصر ساقط من «ج».
(2) المصدر السابق نفسه.
(3) المصدر السابق نفسه.
(4) المصدر السابق نفسه.

الأمر خالف الاعتقاد أم لا. والأمانة: حفظ جميع الجوارح الظاهرة والباطنة من التلبس بمنهي عنه نهي تحريم أو كراهة. والخيانة: عدم حفظها من ذلك فاعلم[4]». وإني أوصيك بحفظ هذه الأصول الأربعة وإحكامها وملازمتها وتصحيحها، فإن عليها مدار الأمر كله وهي البداية التي إذا صحت أتمرت صحت النهاية. الأول منها: حسن المحافظة على الفرائض الباطنة كالإخلاص وهو: إفراد الوجهة والقصد لله الأحد الفرد. والظاهرة وهي: الوقوف والمثول والقيام بين يدي الملك العلام. الثاني منها: ترك المعاصي الباطنة كمتابعة الهوى، والظاهرة كمزاحمة أبناء الدنيا(1) على جيفة الدنيا. الثالث منها: ملازمة الافتقار والاضطرار إلى الله والتحقيق بالذلة والانكسار بين يدي الله. الرابع منها: التوكل والاعتماد على الله في كل أمر، والاكتفاء والاستعانة بالله وحده في السر والجهر. وعليك: بتقوية هذه الأربعة الأصول وتأكيدها بأربعة أخرى وهي: الجد وهو: بذل الاستطاعة والإمكان في الوصول إلى المحبوب. والثاني: الصدق وهو: اجتماع جميع قوى الظاهر والباطن على تحصيل المطلوب. والثالث: الصبر وهو: الثبات على ملازمة الجد والصدق. والرابع: علو الهمة وهي أن لا تقنع بدون الاستهلاك في الله والذهاب فيه بالكلية، والقناعة عن الخلق. ولله در الشيخ الولي الصالح أبو حفص عمر بن الفارض[5] حيث يقول في هذا المعنى:

(الكامل).

وقْفٌ عليه محبتي ولمحنتي　　　بأقل من تلفي به لا أشتفي

---

[4] شرح المقدمات لأبي عبد الله محمد بن يوسف السنوسي. ص: 11 ـ 13.

[5] هو: أبو حفص عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل المصري المولد والدار والوفاة الملقب بسلطان العاشقين له ديوان شعر طبع ونشر عدة مرات ولد بمصر سنة «576هـ ـ 1181م» وبها توفي سنة «632هـ ـ 1235م». وفيات الأعيان جـ 1 ص: 383 ـ شذرات الذهب جـ 5 ص: 149 ـ الأعلام جـ 5 ص: 216.

(1) في «ج» أبناء الزمان.

ولئن رضى غيري لطيف خياله     فأنا الذي بوصاله لا أكتفي[6]

وتتم تلك الأربعة أصول وكملها بأربعة أخرى وهي: قراءة القرآن بتدبر وافر، وملازمة الذكر بقلب حاضر، والقيام بين يدي الله تحت أستار الدياجر، وصحبة من يدلك على الله أو يعينك على طاعته ويؤازر. وإياك وصحبة من يشغلك عن الله، وعن طاعته، ويدعوك إلى مخالفة أمره، والغفلة عن ذكره بلسان حاله أو مقاله. والدعاء بلسان المقال ظاهر، وأما بلسان الحال فهو أنك لا تجلس مع أحد يضمر في نفسه تركاً لبعض الطاعات، أو إصراراً على شيء من المخالفات إلا ويسري من قلبه إلى قلبك أثر يدعوك إلى موافقته على ما هو عليه. فعليك: أن لا تختار في هذا الزمان مجالسة أحد إلا إن علمت أنك تنتفع به في دينك كأن تزداد بمجالسته بصيرتك، أو نشاطك في التشمير لنيل مطلوبك، أو تنفعه أنت في دينه. ولا غنيمة إلا بعد تيقن السلامة فاعلم ذلك. وقد يتوجه المريد في بعض الأوقات لمخالطة بعض الناس لأحد أسباب ثلاثة. الأول: أن يلتمس ذلك منه من يدلي إليه بحق شرعي كالأقارب. الثاني: أن يحتاج في دينه أو دنياه إلى شيء لا يحصل بدون مخالطتهم. الثالث: قد يجد المريد في نفسه استيحاشاً أو استثقالاً لما هو عليه من التوجه، وهذا من طبع البشر ولا ينمحي ويذهب غالباً إلا بمخالطة بعض الجنس، وهو من باب ترويح القلوب واستجمام النفس المحكي عن بعض الصحابة. فعليك: إن افتقرت إلى شيء من ذلك بإصلاح النية فيه،

---

[6] هذان البيتان من قصيدته التي يقول في مطلعها:

قلبي يحدثني بأنك متلفي     روحي فداك عرفت أم لم تعرف

وقد جاء هذان البيتان مرتبين على هذا النحو:

وإن اكتفى غيري بطيف خياله     فأنا الذى بوصاله لا أكتفى

وقفا عليه محبتي ولمحنتي     بأقل من تلفي به لا أشتفي

كرم البستاني، شرح ديوان ابن الفارض. ص: 153.

وأن تكون على علم أو ظن غالب من السلامة في دينك حال المخالطة فإن عصي الله بحضرتك فعليك: بالزجر عن ذلك، فإن لم يسمع لك ويقبل فانج بنفسك وفر بدينك. وعليك: بالبراءة من الحول والقوة إلى الله على الدوام، ومهما وجدت في صدرك حرجاً، أو في نفسك ضيقاً، أو في قلبك استيحاشاً فأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ العظيم. فإنها الدواء النافع لكل داء يكون من هذا القبيل، وأكثر أيضاً من كلمة ذي النون عليه الصلاة والسلام ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[7] ومن كلمة أيوب ربي ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾[8] وعليك: باتهام نفسك في كل حال سواء طاوعت أو نازعت، وإياك والرضى عنها فإن من رضي عن نفسه فقد عرضها للهلاك، وطالبها على الدوام لربها، واستشعر غاية التقصير منها عن القيام بواجب حق ربها عليها، ولو كانت في غاية من التشمير فإن حقه عليك عظيم. وعليك: بذكر ما أسبغ عليك من نعمه الظاهرة والباطنة الدينية والدنيوية، وبالغ في القيام بشكرها لساناً(1) وقلباً، فشكر القلب بأن كل نعمة عليه من الله، وفرحته بالنعمة من حيث إنها وسيلة إلى القرب من الله. وشكر اللسان كثرة الثناء على المنعم، وشكر بقية الجوارح والأركان صرف جميع النعم في مرضاته جل وعلا، والاستعانة بها على طاعته. وإياك: والاهتمام بأمر الرزق فإنه يسوِّد وجه القلب، ويعرض به عن الحق، وهو من شأن العوام المملوكين للأوهام المقصورين على خدمة الأجسام، وكثيراً ما يدفع به اللعين في وجوه المتوجهين إلى الله ليردهم على أعقابهم ناكصين، فاحذر منه واحترز من مكائده، واستعذ بالله من شر تزويره وتلبيسه، وتحصّن منه بحصن الايمان بالله، والتوكل على الله، فـ ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ

(1) في «ج» بشكرها قلباً وقالباً.

[7] الأنبياء: 87.

[8] الأنبياء: 83.

يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾[9] وإياك: أن ترى لنفسك فضلاً على أحد من المسلمين. وليس الحرج في ذلك منوط [بخواطر تخطر فإن العبد قد يبتلى بها ولكنه منوط(1)] بالجزم والقطع، لأن العبد يصير بذلك جريئاً على الله ومتهجماً على غيبه الذي تفرّد سبحانه بعلمه.

وعليك: بالفكر في أيات المملكة الربانية، وعجائب القدرة الإلهية، وفي النعم الواصلة إليك والمسداة عليك، وفي الفكر في الدنيا والآخرة التي هي المنقلب والمصير، وفي الذنوب والتقصير في خدمة الإله القدير. ومما استحسن أن لا يخلي الإنسان يومه وليلته من ساعات أو ساعة بعينها للتفكر، وحسن أن يجعل للفكر في عجائب القدرة ساعة من جوف الليل، وللتفكر في النعم ساعة من أول النهار، وللتفكر في الدنيا والآخرة ساعة من آخره، أو من أول الليل. ويلحق بتفكره في الدنيا تفكره في ذنوبه وخطاياه، وتقصيره في عبادة مولاه.

وعليك: بالذكر فإنه المفتاح، وسبيل النجاح، ومصباح الأرواح، وسوق الأرباح، واجعل لك ورداً من كل ذكر، واجعل وردك اللازم الدائم قول: لا إله إلا الله، فإنها روح جميع الأذكار، وإليها يرجع جميع معانيها. هكذا قال العارفون الأخيار. وإن أبدى لك الحواشي من الألطاف، أو كاشفك بشيء من الأنوار، أو أظهرك على شيء من الأسرار فاشكره على ذلك لأنه نعمة من نعمه عليك، ولا تغتر بما ظهر لك، ولا تقف معه ولا تسكن إليه تصل أمداد الحق إليك.

خاتمة النصيحة اعلم أن أصل جميع السعادات والعبادات ومفتاح النهايات والإرادات، وأساس جميع المعاملات والمواصلات، ومطلع جميع المكاشفات والملاحظات حسن اليقين. وهو: غاية الإيمان وكماله ويحصل بوجود إلهي دون سابقة إقبال من العبد ولا احتساب، ويكون السعي إلى الله والتوجه تابع له ولاحق به، وقد يحصل وهو

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

[9] النحل: 99 و100.

الأكثر الأكثر بعد سابقة التعرض من العبد، والارتقاب مع قرع الباب بملازمة الإقبال على الله بالأعمال والأقوال المقربة إلى الله الكبير المتعال، المنفرد بالجلال والكمال ﴿ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾[10] ﴿نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾[11] ﴿هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾[12] هذا آخر الوصية والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطيبين وصحبه الأكرمين وعلى التابعين وتابع التابعين بإحسان إلى يوم الدين.

---

[10] غافر: 3.

[11] الأنفال: 40.

[12] الرعد: 30.

# الرسالة الخامسة

## رسالة إلى عبد الحميد بن علي العوسجي[1]

### مخطوطات الرسالة:

ما وقفت عليه من مخطوطات هذه الرسالة ثلاث نسخ، ومصدرها جميعها كتاب «روضة الأزهار» لكريم الدين البرموني.

**النسخة الأولى**: ضمن مخطوط آل أبو زبيدة لكتاب «روضة الأزهار»، وقد جاءت هذه الرسالة فيه من ص 306 إلى ص 321. وقد رمزت إليها بكلمة «الأصل». **النسخة الثانية**: ضمن مخطوط مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس الغرب، وقد جاءت هذه الرسالة فيه من الورقة 132 إلى الورقة 137 وقد رمزت إليها بحرف «ج». **النسخة الثالثة**: مخطوطة دار الكتب الوطنية بتونس تحت رقم 19492 وهي تقع في ثمان ورقات مقاس 24× 18 وتحتوي كل صفحة من هذه الأوراق على تسعة عشر سطراً، وقد أشار ناسخها بأنه قد نقلها عن كتاب «روضة الأزهار» لكريم الدين البرموني، وقد غفل عن تدوين اسمه كما غفل عن تدوين تاريخ نسخه لهذه الرسالة. وقد رمزت لها بالحرف «ت».

---

(1) هو: عبد الحميد بن علي العوسجي من علماء الزاوية الغربية وزهّادها. ولد بالحرشاء وهي قرية من قرى الزاوية الغربية سنة 914هـ ـ 1508م وحفظ القرآن الكريم على والده وجوّده بالقراءات السبع كما تفقّه عليه في كثير من العلوم الأخرى وفي سنة 958هـ ـ 1551م التقى بالشيخ عبد السلام الأسمر فنهل من معارفه [illegible] وأخذ عنه الطريقة العروسية. [illegible] توفي رحمه الله سنة 979هـ 1571م بالحرشا، وأقبر بروضة والده الشيخ علي بن عبد الحميد العوسجي. روضة الأزهار، جـ2 ص: 457 ـ أعلام ليبيا، ص: 156.

## نص الرسالة

### بسم الله الرحمن الرحيم
### وبه نستعين

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[1].

الحمد لله رب البرية الذي عمّ عباده بالدعوة والوصية، وخصّ البعض منهم بالهداية والرحمة، وأسند ذلك للمشيئة الأزلية. قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ اتَّقُوا اللَّهَ﴾[2] وقال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[3] وقال تعالى: ﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾[4] وصلّى الله على سيدنا [ومولانا(1)] محمد [وآله(2)] وصحبه حماة الدين القويم. السلام عليكم(3) ورحمة الله وبركاته أيها المحب الراغب والمريد الطالب وعلى كل أخ في الدين بالحرشا وعوسجة[5] والزاوية[6] إلى بلد الشيخ أبي عجيلة[7]، وعلى

---

[1] البقرة: 32.

[2] النساء: 131.

[3] يونس: 25.

[4] البقرة: 105، كما وردت في آل عمران: 74.

[5] الحرشا وعوسجة قريتان من قرى الزاوية الغربية.

[6] هي زاوية أولاد سنان. وتعرف اليوم باسم الزاوية الغربية. يقول عنها الزاوي في «معجم البلدان الليبية»: «كانت في المائة السادسة ذات شأن وكانت مجمع العرب وسوقهم التي يجلبون إليها أمتعتهم ويجتمعون فيها لبيع وشراء ما يحتاجون لبيعه وشرائه ولا ندري بالتحديد متى قيل لها: الزاوية الغربية وما سبب ذلك... ويظهر لي أنها وصفت بالغربية لتميزها عن زاوية مرادة لأنها موجودة في الشرق وإذا أطلق لفظ الزاوية في الشرق انصرف إليها» الزاوي. معجم البلدان الليبية. ص: 151».

[7] أبو عجيلة: بلد كبير غربي الزاوية الغربية بنحو 35 كلم. ويوجد فيها ولي =

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) من بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(3) في «ت» السلام عليك.

كل صديق موافق ومحب في الله ربِّ العالمين في مشارق الأرض ومغاربها، وبرِّها وبحرها، وسهلها ووعرها، وجميع أقطارها وأكنافها. وكنت أيها المحب سألتني أن أكتب لك وصية تأنس بها وتتمسك بسببها، وقد أجبتك إلى ذلك، وإن لم أكن أهلاً لما هنالك، وإن لك في التماس هذا الأمر ولي في إسعافك به الأسوة الحسنة بالسلف المهتدين، والخلف المقتدين رضي الله عنهم أجمعين، فقد كان الاستيصاء والإيصاء من سيرهم وأخلاقهم، وقد وصفهم الله بذلك في كتابه المجيد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. فاطلبه تجده واضحاً في سورة البلد[8]، والعصر إن الإنسان[9]. واسترشد الله واستعن به على القيام بأداء حق ربوبيته ترشد وتعان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. واعلم أن أحق شيء بالتقديم في الوصية. الوصية بتقوى الله العزيز الحكيم، فأوصيك ونفسي وكافة المؤمنين والمسلمين بتقوى الله رب العالمين، فإنها الوسيلة إلى خيرات الدارين والأساس الذي يثبت عليه أمر الدين، وإذا لم يكن الأساس في غاية الإحكام كان البناء(1) عليه إلى الانهدام أقرب منه إلى التمام. والتقوى مراتب أولها: اتقاء المعاصي والمحرمات. وهو: فرض لازم، ثم الاتقاء عن الأمور المشتبهات. وهو: ورع حاجز، ثم عن فضول المباحات ـ أعني كلما يكون الغرض في استعماله مقصوراً عن قضاء الشهوات ـ وهو: زهد بالغ إن كان مقروناً بالراحة والرغبة، وتزهد إن كان مع الكراهة والمجاهدة. وكل من اتقى

---

= اسمه «امحمد حركات» ولقبه أبو عجيلة على صيغة تصغير الأنثى من العجول: «الزاوي، معجم البلدان الليبية. ص: 17».

[8] يشير إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾ البلد: 17.

[9] يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ العصر: 3.

(1) في «ج» كان الانبناء.

شيئاً حياء من الخلق أو خوفاً منهم أو طمعاً فيهم فهو متق[1] لهم وليس بمتق لله. إنما المتقي لله من يتقي ما يتقي طلباً لمرضاته، ورغبة في ثوابه، ورهبة من عقابه. ومن أحكم مقام التقوى صلح وتأهل لعلم الوراثة وهو: العلم الذي يقذفه الله في قلوب أوليائه لا تحويه السطور[2]، ولا تفيده الدروس، وقد حرَّمه الله على أهل النفوس. أعني: المظلمة المشغوفة بإصلاح المطعوم والمنكوح والملبوس، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾[10] وبقول رسول الله ﷺ: «من عمل بما علم أورثه الله علم ما لا يعلم»[11] وهو ثمرة العمل بالعلم المستفاد من الكتاب والسنة الخالص من شوائب النفس والهوى، وملاحظة السوى المصحوب بالتقوى مع مجانبة الدعوى. ولن يستعد العبد لهذا الفيض الإلهي بدون الرياضة القاطعة لأصول الشهوات، مع التوجه الدائم إلى الله في قوالب العبادات، وبيان ذلك يستدعي بسطاً نذكره في بعض المؤلفات وغرضنا الآن ذكر الأشياء المجملة دون التفصيلات. وأوصيك: بالحرص على طلب العلم النافع قراءة، ومطالعة، ومذاكرة، وتحصيلاً، ولا يحملنك على تركه الكسل والملالة، ولا مخافة ولاية[3] فإن ذلك ضرب من الجهالة. وعليك: بإصلاح النية في طلبه. ومَنِّي[4] النفس في ذلك، ولا تقنع منها بالدعاوى حتى تمتحنها وتختبرها، وكلفها العمل بما علمت، وتعليمه لمن لا يعلمه سأل أو لم يسأل، وإن قال لك الشيطان لا تعلم حتى تصير عالماً. فقل: أنا بالنسبة إلى ما قد علمت عالم يجب علي التعليم، وبالنسبة إلى ما لم أعلم متعلم يجب علي التعلم. هذا في العلم الواجب، وكل ما زاد عليه فتعلمه وتعليمه من القربات العظيمة[5] إذا صحت النية، وصحتها أن تكون مقصورة على إرادة

(1) في «ج» فهو متوليهم وليس بمتق لله.

(2) في «ت» لا يحويه الطروس.

(3) كذا في «ت» وقد سقطت من الأصل ولم تتضح في «ج».

(4) في «ت» ومناصحة النفس في ذلك.

(5) في الأصل «العظيمات».

[10] البقرة: 282.

[11] أخرجه أبو نعيم في الحلية «جـ10 ص: 15» عن أنس بن مالك باختلاف يسير في بعض ألفاظه.

وجه الله تعالى والدار الآخرة دون شيء آخر من جاه أو مال. وعليك: بالمواظبة على مطالعة كتب القوم[12] والنظر فيها، فإن فيها الهداية إلى معرفة الله الخالصة، والإرشاد إلى إصلاح النيات، وإخلاص الأعمال، وتهذيب النفوس إلى غير ذلك من العلوم النافعة التي تسوق وتقود إلى الفوز والنجاة، فلا يمسك عن مطالعتها والنظر فيها إلا من عميت بصيرته، وأظلمت سريرته، وإن ضاق وقتك ولم يتسع للنظر فيها عموماً فخص الكتب الغزالية[13] منها فإنها من أنفعها وأجمعها وأبدعها. وأوصيك: بحضور القلب، وخشوع الجوارح في جميع عباداتك، فبذلك يحصل لك ثمارها وتفيض عليك أنوارها، وبمراقبة الله في كل حال، وأشعر قلبك على الدوام إنه رقيب منك وقريب وكن لنفسك واعظاً مذكراً وادعها إلى سبيل ربك بالحكمة(1) والموعظة الحسنة، وعرِّفها مالها في الطاعة من الثواب، والنعيم المقيم، والعز والرفعة، والملك العظيم، وما عليها في تركها وفي ارتكاب المعاصي من العذاب الأليم، والخزي العظيم، فإن النفس لجهلها لا تكاد تفعل شيئاً، ولا تتركه إلا لشيء ترجوه، أو لشيء تخافه، سيما وهي مجبولة على الكسل عن الطاعات، والميل إلى المخالفات. وأوصيك: أن لا تقطع ساعة من ساعاتك، ولا نفساً من أنفاسك إلا فيما يعود عليك نفعه في معادك، أو في معاشك الذي تستعين به على المعاد. وأوصيك: بإصلاح القلب وافتقاده، فإنه رئيس الجوارح وأميرها، وعلى صلاحه وفساده يدور صلاحها وفسادها[14]. وهو [محل(2)] المعرفة بالله التي هي رأس العلوم وأشرفها، ومعدن

---

[12] المراد بالقوم هنا: الصوفية.

[13] أي مؤلفات حجة الإسلام الإمام الغزالي حول التصوف وأصوله.

[14] يشير بذلك إلى قوله ﷺ: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» صحيح البخاري جـ 1 ص: 16 ـ كتاب الإيمان ـ باب فضل من استبرأ لدينه.

(1) في الأصل: بالكلمة والموعظة الحسنة.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

النية التي هي مصدر الأعمال ورأسها، وله سمع وبصر يفرّق بهما بين الحق والباطل، ولكن لا يكون كذلك حتى تصير[1] طيباً نظيفاً من أدناس الاعتقادات الباطلة، والأخلاق السافلة، مزيناً بالاعتقادات المستقيمة، والأخلاق الكريمة، محفوظاً من الوساوس الشيطانية والهواجس النفسانية.

وهو سريع التقلب والتغير والتحول من حال إلى حال، لذلك وجبت مراعاته ومراقبته في كل حال، ولأن الإنسان مأمور بكف الجوارح عن المخالفات، وإرسالها في الموافقات، ولا يتيسر إلا بحفظه وتقويمه. وأضر شيء على القلب بعد الشرك بالله الإصرار على ترك شيء من الواجبات، أو فعل شيء من المحرمات الشرعية. ويستدل على عمارة القلب واستنارته بثلاثة أشياء: خشية الله بالغيب. وهو: [أن تنحجر عن محارم الله حيث لا يراك إلا الله مع الأمن من الافتضاح عند الناس. الثاني: أن لا تبالي كيف تكون عند الخلق إذا كنت عند الله مرضياً. الثالث: أن لا تبالي ما ذهب من الدنيا إذا كان الدين سالماً. وأضداد هذه الأشياء تدل على خراب القلب وظلمته.

وهو: ـ أعني ـ القلب هدف منصوب لا تزال ترمى إليه سهام الخواطر، ومن أجل ذلك كثر تقلبه. وهي أربعة: رباني، وملكي، ونفساني، وشيطاني. وكثيراً ما يلتبس بعضها ببعض، ومن الفرق بينهما أن الرباني والملكي يقويان بالذكر لله، وبه يضعف الشيطاني، وبذكر الموت يضعف النفساني، وقد أشبع الكلام عليها حجة الإسلام في منهاج العابدين[15]. وقد تعرض لبعض القلوب وساوس رديئة منها في الاعتقادات وهي: أصعبها، ومنها في العبادات، وسبيل الخلاص

---

(1) في الأصل «يصير».

[15] منهاج العابدين من آخر ما ألف الإمام الغزالي رحمه الله وقد أورد فيه الكيفية التي يسلكها المرء في طريقه إلى الدار الآخرة.

من الوسوسة أن ينظر الإنسان، فإن كان الذي يوسوس فيه مما يقطع بفساده، وذلك كالشك في الله واليوم الآخر فلا دواء له إلا الإعراض عن ذلك، وصدق اللجوء إلى الله تعالى، مع الإكثار من الذكر له تعالى. وإن كانت أعني الوسوسة مما يتردد في كونه حقاً أو باطلاً. فليسأل عن حكمه أهل العلم والهداية، ويتمسك بما يلقون إليه ويعتمده، وكل ما لا يدخل تحت الاختيار من أعمال القلوب فكفارته أن تكرهه. وأوصيك: بحفظ اللسان فإنها التي يتوقف على استقامتها استقامة القلب، وهي كما قال بعض الحكماء: اللسان كالسبع إن حبسته حرسك، وإن أرسلته افترسك، فاجتهد في إشغالها بما يعنيك، وذلك كالتلاوة، والذكر، والدعوة إلى الخير، واحترز من إشغالها بما لا يعنيك وهو كل ما لا يرجى عن النطق به ثواباً، ولا يخشى في الإمساك عنه عقابا.

وله أعني: الاشتغال بما لا يعني قولاً كان أو فعلاً آفات منها: التعرض للوقوع في المحظور. ومنها: تضييع الوقت في غير نافع. ومنها: أثر يحصل في القلب فإن كانت طاعة كان أثرها فيه نوراً، وإن كانت مباحة كان أثرها فيه قسوة[(1)]. وإن كانت محضورة كان أثرها فيه ظلمة. وأوصيك: بتنزيه لسانك وقلبك عن الوقيعة في المسلمين وسوء الظن بهم. والحذر كل الحذر من مجالسة ومخالطة من يغتابهم ويقع فيهم، وإذا بلغك عن أحد ما تكرهه فإن استطعت أن تذكر له ذلك على سبيل النصيحة فافعل، وإلا فاحذر أن تذكره في غيبته بما يسوءه فتجمع بين قبيحين أحدهما ترك النصيحة والأخرى الوقيعة في المسلم. وأوصيك: أن لا ترى لنفسك فضلاً على أحد من المسلمين، وإن خطر لك ذلك فتفكر في السابقة والخاتمة، وعلى كل حال فلا بد وأن يعلم العاقل أن عنده معائب ومثالب كثيرة يقطع بذلك ويتيقنه، ولا يتصور ان يقطع على احد بمثل ما يقطع به على نفسه لأن أكثر ما تعلمه من إخوانك أو سائره إنما مستنده الوهم. والظن

(١) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

أكذب الحديث[16] وباب التأويل واسع، وإنما ينبغي للإنسان أن يغلق على نفسه لئلا تميل النفس إلى البطالة[1] والاسترسال في أودية الشهوات، وما أحوج الإنسان إلى التأويلات والمعاذير في هذا الزمان الذي عزّ فيه وجود المستقيم، وكثر فيه البهتان، ونقل ما لا يصح، وذكر الشيء على خلاف ما هو عليه. فالسعيد من اعتزل أهل العصر واشتغل بربه عنهم وما هم فيه، وصبر على ذلك حتى يأتيه اليقين الذي هو فتح باب القلب إلى الملكوت الأعلى إن كان من الخاصة أو يأتيه الموت الذي [لا بد منه لكل إنسان[2]] المشار إليه في حق العامة. وأوصيك: بترك مجالسة أهل الزمان، ومخالطتهم، ومعاملتهم، والتعرف إلى من تنكره منهم إلا عند الحاجة مع غاية الاحتراز والتحذر ليسلموا من شرك وتسلم من شرهم، وتكون هذه نيتك في مجانبتهم. فلا تجالس إلا من تنفعك مجالسته في دينك، فإن تعذر عليك ففر من مجالسة من تضرك مجالسته في الدين فرارك من السبع الضار وأشد، فإن السبع إنما يضر بك[3] في ظاهرك الذي هو طعمة لهوام الأرض، وأما هذا الشيطان فإنه يضرك في قلبك الذي به تعرف ربك، وفي دينك الذي به تنجو في آخرتك.

وأوصيك: أن لا تدخل في شيء أي شيء حتى تعلم حكم الله فيه، ثم إذا استبان لك أن الذي يحبه الله منك فعله أو تركه فتحرَّ[4] للفعل أو الترك نية صالحة.

وأوصيك: بالتواضع، فإنه محمود في كل حال غير حال واحد

(1) في «ت» الباطل.
(2) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل و«ج».
(3) في الأصل: يخرجك في ظاهرك.
(4) كذا في جميع النسخ والمعنى غير مستقيم.

[16] يشير بذلك إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه «جـ5 ص 426» كتاب البر والصدقة والآداب ـ باب تحريم الظن والتجسس والتنافس والتناجش ونحوها. عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا».

وهو: أن يتواضع الإنسان لأبناء الدنيا رجاء أن يصيب من دنياهم. والتكبر مذموم في كل حال إلا في حال التكبر على الظلمة المصرين على الظلم زجراً شرط أن تجري صورة التكبر على الظاهر مع خلو القلب من الكبر.

وأوصيك: بإضمار[1] الخير لجميع المسلمين، وأن تحب لهم ما تحب لنفسك، وتكره لهم ما تكره لنفسك في الدنيا والآخرة، وبطيب الكلام معهم في غير معصية، وبإفشاء السلام عليهم، وخفض الجناح، ولين الجانب[2] لهم، والتخلق بالشفقة والرحمة مع سائرهم، مع الإجلال والتعظيم لمسنهم، والستر على مسيئهم، والدعاء بالتوفيق للتوبة وللمحسن بالثبات على ما هو عليه من الخيرات[3] إلى الممات. واحذر من التشبه بالمتكبرين والمتجبرين في كلام أو ملبس، أو مشية، أو مجلس، أو شيء من الأشياء فإن من تشبه بقوم كان منهم وإن لم يعمل بأعمالهم، وهذا عام في الخير والشر.

وأوصيك: بإيثار الدون والأقل من جميع أمتعة الدنيا مطعماً وملبساً ومسكناً وغير ذلك تواضعاً لربك، وإيثاراً لآخرتك، واقتداء بنبيك. واعلم أن التقليل من الدنيا رأس كل خير، وما يخص الله به أحداً من عباده إلا وهو يريد به الكرامة في الدنيا والآخرة بشرط أن يكون قانعاً بما قسم الله تعالى له وراضياً، وأن لا يمد عينيه إلى زهرة الدنيا اشتياقاً إليها، ولا يتمنى أن يعطى ما أعطى أهل الدنيا من متاعها ليتمتع كما يتمتعون.

وأوصيك: بإخراج كل رجاء وكل خوف تجده في قلبك من جانب الخلق، فإن وجود ذلك يمنع من إظهار الحق. ولا تدخل قلبك خوف الفقر فبئس القرين هو. واحذر الاهتمام بالرزق فليس له مستند إلا الشك في المقدور، وما قدر لك وعليك فلا بد أن يصل إليك بسعي وبدون سعي حسبما جرى به القلم في أم الكتاب، فما وجه الاهتمام بأمر قد فرغ منه وسلاك الحق عنه حتى أخبرك في كتابه

(1) في «ج» بإظهار.
(2) في «ج» ولين الجواب.
(3) في «ج» الخير. وكذا في «ت».

أنه ضمن لك به وأقسم على ذلك بربوبيته[17]. فاصرف همّك إلى القيام بما فرض عليك من حقه فإنما بلي أهل الزمان ببلية الاهتمام بالرزق عقوبة لهم على تضييع الأوامر وارتكاب المحارم.

وأوصيك: بالرفق في جميع الأحوال، [والإخلاص في جميع الأفعال، وبترك كل ما يشغل عن الله من أهل ومال، وبحسن الإقبال(1)] على ما ينفع(2) في المآل، والرجوع إلى الله والتوكل على الله في جميع الأحوال وبمتابعة الرسول عليه الصلاة والسلام في الأخلاق والأقوال والأفعال. واطلب صفاء القلب واستنارته في ثلاثة أمور. الأول: قراءة القرآن بالتدبر والترتيل. والثاني: ذكر الله مع الأدب والحضور. والثالث: القيام من الليل بقلب منكسر وجوارح خاشعة. واستعن على هذه الثلاثة بثلاثة: تخفيف المعدة من الطعام، وبمجانبة أهل الغفلة من الأنام، وبالتفرغ من أشغال دار الانصرام.

وأوصيك: بالمحافظة على صلاة الوتر إحدى عشر ركعة، وقل بعد الفراغ منها ومن التسبيح والدعاء الوارد بعدها[18]: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[19]. أربعين مرة، وقل بعد الانصراف من سنة الفجر: يا حي يا قيوم لا إله إلا أنت. أربعين مرة، واجعل من ذكرك بعد صلاة الصبح وبعد وظيفتنا والوظيفة الزروقية: استغفر الله للمؤمنين والمؤمنات. سبعاً وعشرين مرة، وقل عند طلوع الشمس سبع مرات: أشرق نور الله، وظهر كلام الله، وثبت أمر الله،

---

[17] يشير بذلك إلى قوله جل شأنه: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ﴾ الذاريات: 22 ـ 23.

[18] لعله يشير إلى ما أخرجه أبو داود في ستة «جـ2 ص65» كتاب الصلاة ـ باب في الدعاء بعد الوتر . عن أبي بن كعب قال: كان رسول الله ﷺ إذا سلّم من الوتر قال: «سبحان الملك القدوس».

[19] الأنبياء: 87.

(1) ما بين الحاصرتين «ساقط من «ت».
(2) في «ج» على ما ينفعك.

ونفذ حكم الله، استعنت بالله، وتوكلت على الله، ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله، تحصنت بخفيّ لطف الله، [وبلطيف صنع الله[(1)]، وبجميل ستر الله، وبعظيم ذكر الله، وبقوة سلطان الله، دخلت في كنف الله، واستجرت برسول الله، وبرأت من حولي وقوتي، واستعنت بحول الله وقوته، اللهم استرني في نفسي، وديني، وأهلي، ومالي، وولدي، بسترك الذي سترت به ذاتك فلا عين تراك، ولا يد تصل إليك يا رب العالمين احجبني عن القوم الظالمين بقدرتك يا قوي يا متين يا الله يا ذا الجلال والإكرام ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. وحافظ على ثمان ركعات من الضحى وقل بعد الفراغ منها: رب اغفر لي وتب علي إنك أنت التواب الرحيم، أربعين مرة ويا وهاب مائة [مرة[(2)]] اللهم بك أحاول [وبك أصاول[(3)]] وبك أقاتل مائة وثلاثين مرة. وقل بعد صلاة الظهر عقب وظيفتنا المعلومة والمعقبات: لا إله إلا الله [الملك[(4)]] الحق المبين. مائة مرة، وبعد صلاة العصر ما ذكرناه واستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم الذي لا يموت وأتوب إليه رب اغفر لي. خمساً وعشرين مرة، وكذلك تقول بعد المغرب، وتقول بعد ذلك في المغرب ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾[20] مرة. اللهم صل عليه مائة مرة وبعد السلام من كل مكتوبة من الخمس تقرأ المعقبات وهي: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم عدد خلقه ورضاء نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته. ـ ثلاث مرات ـ سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، وأسألك أن تصلي وتسلم على عبدك ورسولك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه. ثلاثاً.

وأوصيك: بالمحافظة والمواظبة على قراءة نبذة صالحة من

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(2) المرجع السابق نفسه.
(3) المرجع السابق نفسه
(4) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

[20] الأحزاب: 56.

إذكار الصباح والمساء، واطلب ذلك من الكتب المصنفة فيه كالأذكار النووية[21] وهي أجدرها بالتماس هذا المطلوب، فإن(1) اتسع عليك الباب فتخرج من جملته ما كان أصح وأفضل وأجمع.

خاتمة الوصية: وتشتمل على آيتين كريمتين من الكتاب المنزل، وحديثين جامعين من سنة النبي المرسل، وعدّة آثار تستند إلى السلف الصالح وتروى عنهم وت﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾[22] وقال رسول الله ﷺ: «ثلاث منجيات: خشية الله في الغيب والشهادة، وكلمة العدل في الرضا والغضب، والقصد(2) في الغنى والفقر. وثلاث مهلكات: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب المرء بنفسه»[23] وقال ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل ألا إن سلعة الله غالية ألا أن سلعة الله الجنة»[24] وقال أبو بكر الصديق[25] رضي الله عنه

---

[21] أي كتاب «حلية الأبرار وشعار الأخيار في تلخيص الدعوات والأذكار» للإمام محيي الدين أبي زكرياء يحيى بن شرف النووي المتوفى سنة 676هـ ـ 1277م. وقد اشتهر هذا الكتاب باسم «الأذكار النووية» و«أذكار النووي» ولنفاسته وجودته رامه كثير من العلماء بالشرح والاختصار كما ترجم إلى أكثر من لغة.

[22] الحشر: 18 ـ 19.

[23] أخرجه الديلمي في «الفردوس» جـ 2 ص: 88 عن أنس بن مالك بلفظ «ثلاث مهلكات وثلاث منجيات فأما المهلكات فشح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وأما المنجيات خشية الله في السر والعلانية والقصد في الفقر والغنى والعدل في الغضب والرضا».

[24] أخرجه الحاكم في مستدركه «جـ4 ص 308» عن أبي بن كعب عن أبيه. والبغوي في شرح السنة «جـ14 ص: 371» عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[25] هو: أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة عثمان بن عامر بن كعب التيمي القرشي أول الخلفاء الراشدين وأول من آمن برسول الله ﷺ من الرجال وأحد أعاظم العرب. ولد بمكة سنة «51ق هـ ـ 573م» وبها تربى ونشأ. بويع له بالخلافة يوم وفاة النبي ﷺ فحارب المرتدين والممتنعين عن دفع الزكاة وافتتحت في أيامه بلاد =

(1) في «ت» فإن ضاق عليك الوقت على جملتها اتسع عليك الباب.

(2) في الأصل: والاقتصاد.

لعمر[26] ـ رضي الله عنه ونفع به ـ حين استخلفه: اتق الله يا عمر إذا وليت على الناس، واعلم أن لله عملاً بالليل لا يقبله بالنهار، وله عمل بالنهار لا يقبله بالليل، وأنه لا يقبل نافلة حتى تؤدى الفريضة، وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم في الدنيا الحق، وإنما خفت موازين من خفت موازينهم يوم القيامة باتباعهم في(1) الدنيا الباطل[27]. وقال علي[28] رضي الله عنه وكرم وجهه:

= الشام وجزء كبير من العراق ودامت خلافته سنتين وثلاثة أشهر ونصف شهر. روى عدة أحاديث عن النبي ﷺ أخرج له منها صاحبا الصحيحين «142» حديثاً وتوفي إلى رحمة الله بالمدينة المنورة سنة «13هـ ـ 634م» وأقبر بجوار رسول الله ﷺ: طبقات ابن سعد جـ 9 ص: 26 ـ تاريخ الطبري جـ 4 ص: 46 ـ الإصابة ت4808 ـ الأعلام جـ 4 ص: 238.

[26] هو: أبو حفص عمر بن الخطاب بن نفيل القرشي العدوي، الصحابي الجليل وأول من لقب بأمير المؤمنين وثاني الخلفاء الراشدين. ولد سنة «40ق هـ ـ 584م». كانت السفارة إليه في الجاهلية وكان عند البعثة النبوية شديداً على النبي وأصحابه ثم أسلم فكان إسلامه فتحاً على المسلمين وفرجاً لهم من الضيق حتى قال ابن مسعود: ما عبدنا الله جهرة حتى أسلم عمر إذ أنه لما أسلم طلب إلى رسول الله ﷺ أن يعلن دينه ويظهره ويخرج هو وأصحابه من دار الأرقم بن أبي الأرقم التي كانوا يختلفون إليها خفية من الكفار فخرج الرسول بينه وبين عمه حمزة وأصحابه معه فلما رأتهم قريش ورأت عمر معهم علموا أن النبي قد امتنع منهم به فأصابتهم كآبة عظيمة ومن يومها لقبه النبي ﷺ بـ «الفاروق». توفي ـ رحمه الله ـ مقتولاً بالمدينة المنورة سنة «23هـ ـ 644م» وأقبر بجوار صاحبيه محمد ابن عبد الله ﷺ وأبو بكر الصديق. تاريخ الطبري جـ 1 ص: 187 ـ الإصابة جـ 4 ص: 588. الأعلام جـ 5 ص: 46.

[27] أورده أبو نعيم في الحلية «جـ1 ص: 36».

[28] هو: أبو الحسن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي. أمير المؤمنين ورابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة وابن عم النبي ﷺ وأول الناس إسلاماً بعد خديجة رضي الله عنها وقد ربي في حجر النبي ﷺ ولم يفارقه وروى عنه 586 حديثاً، ولد سنة «23ق هـ ـ 600م» وتوفي غيلة على يد ابن ملجم في مؤامرة 17 رمضان سنة «40هـ ـ 661م» بالكوفة واختلف في مكان قبره. ينسب له كتاب نهج البلاغة وديوان شعر. تاريخ الطبري جـ 6 ص: 83 ـ الإصابة جـ 4 ص: 564 ـ الأعلام جـ 5 ص: 108.

(1) في ب: باتباعهم الباطل في الدنيا.

ست خصال من عمل بها لم يترك للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً. أولها: من عرف الله فأطاعه، وعرف الشيطان فعصاه، وعرف الحق فاتبعه، وعرف الباطل فاتقاه، وعرف الدنيا فرفضها، وعرف الآخرة فطلبها. وقال إنسان لبعض السلف: كيف الطريق إلى الله؟ فقال: لو عرفت الله لعرفت الطريق إليه. فقال السائل: سبحان الله وكيف أعبد من لا أعرف؟ فقال: وكيف تعصي من تعرف؟ وقال بعض الصالحين لبعض الأبدال:

أرشدني إلى عمل أجد قلبي فيه مع الله على الدوام. فقال له: لا تنظر إلى الخلق فإن النظر إليهم ظلمة. فقال: لا أستطيع. فقال له: لا تسمع كلامهم فإن سماعه قسوة. فقال: لا أقوى على ذلك. فقال: لا تعاملهم فإن معاملتهم وحشة. قال: وكيف وأنا بين أظهرهم. فقال له: لا تسكن إليهم. فقال: هذا عسى. فقال: ما هذا؟ تنظر إلى الغافلين، وتسمع كلام الخاطئين، وتعامل الباطلين(1) وتريد أن تجد قلبك مع الله على الدوام. وقال محمد بن كعب القرضي[29]: ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان، من إذا رضي لم يدخله رضاه في الباطل، وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق، وإذا قدر لم يتناول ما ليس له. وقال أبو إسحاق[30] إبراهيم [بن أدهم(2)] ـ

---

[29] هو: أبو حمزة محمد بن كعب القرضي. أورد له صاحب «الحلية» عدة أحاديث مسندة عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم مع جمل من أخباره ولم أعثر له على ترجمة موسعة. حلية الأولياء جـ 3 ص: 212.

[30] هو: أبو اسحاق إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي. زاهد مشهور كان من أبناء الملوك فخرج يوماً يتصيد فأثار ثعلباً أو أرنباً فهتف به هاتف: يا إبراهيم ألهذا خلقت أم بهذا أمرت؟ ثم هتف به: ما لهذا خلقت ولا بهذا أمرت. فنزل عن دابته وصادف راعياً لأبيه فأخذ جبة للراعي من صوف ولبسها وأعطاه فرسه وما معه ثم دخل البادية وجال في الحجاز وبغداد والعراق والشام وأخذ عن كثير من العلماء. توفي سنة «161هـ ـ 778م» في سوفتن «حصن من بلاد الروم». حلية الأولياء جـ 7 ص: 367 ـ الرسالة القشيرية ـ ص: 391 ـ الأعلام جـ 1 ص: 31.

(1) في «ت» البطالين.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

رحمه الله ونفع به ـ: كان أهل الله يوصونني إذا رجعت إلى أبناء الدنيا أن أعظهم بأربعة. يقولون لي قل لهم: من يكثر الأكل لم يجد للعبادة لذة، ومن يكثر النوم لم يجد في عمره بركة، ومن يطلب رضى الخلق فلا ينظر رضى الله، ومن يكثر الكلام بالفضول والغيبة لم يخرج(1) من الدنيا على الإسلام. وقال رجل لحاتم الأصم[31]: من أين تأكل؟ قال: من خزانة الله. فقال له: يلقى عليك الخبز من السماء. فقال حاتم: لو لم تكن الأرض له لكان يلقيه عليَّ من السماء. فقال له: أنتم تقولون الكلام. فقال: وهل ينزل(2) ـ يعني ـ من السماء على الأنبياء غير الكلام. فقال: أنا لا أقدر(3) على مجادلتك. فقال له حاتم: لأن الباطل لا يستقيم مع الحق. وقال إبراهيم الخواص[32]: العلم كله في كلمتين: لا تتكلف مع ما كفيت ـ يعني من الرزق ـ ولا تضيّع ما استكفيت ـ يعني العمل ـ وقال سهل بن عبد الله[33]: الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من العبر، واستوى عنده الذهب والمدر، واستغنى بالله عن البشر. وقال السري السقطي[34]: من عرف الله عاش، ومن أحب الدنيا طاش، والعاقل

---

[31] هو: أبو عبد الرحمن حاتم بن علوان المعروف بالأصم. من أكابر مشائخ خراسان في الزهد والتصوف له كلام مدون في الزهد والحكمة وكان يقال له لقمان هذه الأمة. توفي بواشجرد سنة «237هـ ـ 851م». تاريخ بغداد جـ 8 ص: 241 ـ الرسالة القشيرية. ص: 393 ـ الأعلام جـ 2 ص: 151.

[32] هو: أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد بن إسماعيل الخواص. كان أوحد المشائخ في وقته ومن أقران الجنيد والنوري. ولد في سر من رأى وتوفي بالري سنة «291هـ ـ 904م». تاريخ بغداد جـ 6 ص: 7 ـ الرسالة القشيرية ص: 411 ـ الأعلام جـ 1 ص: 22.

[33] هو: أبو محمد سهل بن عبد الله التستري. أحد أئمة الصوفية وعلمائهم لم يكن له في وقته نظير في المعاملات والورع. له كتاب مختصر في تفسير القرآن وكتاب «رقائق المحبين» ولد سنة «200هـ ـ 815م» وتوفي سنة «283هـ ـ 896م». الحلية جـ 10 ص: 189 ـ الرسالة القشيرية ص: 400 ـ الأعلام جـ 3 ص: 210.

[34] هو: أبو الحسن سري بن المغلس السقطي. من كبار الصوفية وخال =

(1) في «ت» لا يخرج.

(2) في «ج» وهل ينزل من السماء أي من السماء على الأنبياء.

(3) في «ت» لا أقوى على مجادلتك.

على نفسه فتاش، والأحمق يغدو ويروح بلا آش(1). وقال: أبو سليمان الداراني[35]: إذا اعتقدت النفوس ترك الآثام جالت في الملكوت، ورجعت لأربابها بطرائف الحكمة من غير أن يؤدي إليها عالم علمه. وقال الجنيد[36] ـ رحمه الله ونفع به: ما أخذنا(2) التصوف عن القيل والقال ولكن عن الجوع، وترك الدنيا، وقطع المألوفات والمستحسنات[37]. وسئل بعضهم عن التصوف فقال: هو الخروج من خلق دنيء والدخول في [كل(3)] خلق سني[38] وقال الشيخ عبد القادر الجيلاني[39] ـ رضي الله عنه ونفع به ـ: بك لا نصل ولا بد منك،

---

= الجنيد وأستاذه من درر كلامه قوله: «من عجز عن أدب نفسه كان عن أدب غيره أعجز». بغدادي المولد والوفاة وكانت وفاته سنة «253هـ ـ 867م». الحلية جـ 10 ص: 116 ـ الوفيات جـ 1 ص: 200 ـ الأعلام جـ 3 ص: 129.

[35] هو: أبو سليمان عبد الرحمن بن أحمد بن عطية الداراني نسبة إلى قرية «داران» إحدى قرى دمشق. من كبار الصوفية وزهادهم. من كلامه قوله: «خير السخاء ما وافق الحاجة» توفي ببلده سنة «215 ـ 830م». الحلية جـ 9 ص: 254 ـ الرسالة القشيرية ص: 411 ـ الأعلام جـ 4 ص: 65.

[36] هو: أبو القاسم الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي. شيخ الصوفية وإمامهم وقد عده العلماء شيخ مذهب التصوف وذلك لضبطه مذهبه بقواعد الكتاب والسنة. من غرر كلامه قوله «طريقنا مضبوط بالكتاب والسنة من لم يحفظ القرآن ويكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به» أصله من نهاوند وولد ونشأ ببغداد وبها كانت وفاته سنة «297هـ ـ 910م». الحلية جـ 10 ص 255 ـ الرسالة القشيرية ص: 430 ـ الأعلام جـ 2 ص: 138.

[37] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 65.

[38] نسبه أبو نعيم في الحلية «جـ1 ص: 22» إلى الجنيد. ونسبه القشيري في الرسالة ص: 280 إلى أحمد الجريري. ولذا قال الأسمر ـ رحمه الله ـ وسئل بعضهم.. الخ.

[39] هو: أبو محمد محي الدين عبد القادر بن موسى بن عبد الله بن جنكى دوست الحسني الزاهد المتصوف مؤسس الطريقة القادرية. من مؤلفاته «الغنية لطالبي طريق الحق» و«الفتح الرباني والفيض الرحماني» و«فتوح الغيب» ولد بجيلان سنة «471هـ ـ 1078م» وتوفي ببغداد سنة «561هـ ـ 1166م» ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة جـ 5 ص: 371 ـ الشعراني، الطبقات جـ 1 ص: 108 ـ الزركلي، الأعلام جـ 4 ص: 171.

(1) في «ج» يغدو ويروح في الأثر. وكذا في «ت».
(2) في الأصل و«ج» ما اتخذنا.
(3) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل و«ج».

ومن عرف ما يطلب هان عليه ما يبذل. وقال ـ نفع الله به ـ: كن مع الحق كأن لا خلق، وكن مع الخلق كأن لا نفس، فإذا كنت مع [الحق(1)] كأن لا خلق وحّدت وأفنيت، وإذا كنت مع الخلق كأن لا نفس عدلت وأبقيت، ومن التبعات سلمت. وقال أبو الحسن الشاذلي[40] ـ رضي الله عنه ونفع به ـ: أوصاني حبيبي فقال: لا تنقل قدميك إلا حيث ترجو ثواب الله، ولا تجلس إلا حيث تأمن غالباً من معصية الله، ولا تصحب إلا من يدلك على الله أو على أوامر الله وقليل ما هم. وقال: من ادّعى مع الله حالاً، وظهرت [عليه(2)] إحدى خمس فهو كاذب أو مسلوب: التصنع بطاعة الله، وإرسال الجوارح في معصية الله، والطمع في خلق الله، والوقيعة في أهل الله، وعدم احترام المسلمين على الوجه الذي أمر الله. وقال الإمام المازري[41]: التوحيد في هذه الكلمات وهي: العرش سقف الجنان لا مستقر الرحمان، والكرسي محل تلقي العلوم لا محل القيوم، واستواؤه امتنانه، وحبه رضوانه، وضحكه غفرانه، ووجهه وجوده، ويده قدرته، وعيناه شهوده فمن لم يعتقد هذا فالصنم معبوده. وذكر محمد بن عرفة[42] ـ رحمه الله ونفع به ـ: في بعض رسائله عن

---

[40] هو: أبو الحسن علي بن عبد الله بن عبد الجبار الشاذلي المغربي. رأس الطائفة الشاذلية وصاحب الأوراد المعروفة «أحزاب الشاذلي» ولد في المغرب الأقصى سنة «591هـ ـ 1195م» وتوفي بصحراء عيذاب في طريقه إلى الحج سنة «656هـ ـ 1258م» نكت الهميان ص: 213 ـ الأعلام جـ 3 ص: 305.

[41] هو: أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر التميمي المازري. فقيه مالكي محدث. من مؤلفاته «المعلم بفوائد مسلم» في الحديث و«التلقين» في الفروع و«إيضاح المحصول» في الأصول ولد سنة «453هـ ـ 1061م» وتوفي بالمهدية سنة «536هـ ـ 1141م». وفيات الأعيان جـ 1 ص: 486 أزهار الرياض جـ 3 ص: 165 ـ الأعلام جـ 7 ص: 164.

[42] هو: أبو عبد الله محمد بن محمد بن عرفة الورغمي. فقيه تونس وإمامها من مؤلفاته «المختصر الكبير» في الفقه المالكي و«المختصر الشامل» في التوحيد و«الحدود» في التعاريف الفقهية ولد بتونس سنة «716هـ ـ 1316م» وتوفي بها =

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

بعضهم أنه قال: من ترك شهوة النواب دون النصاب فما أصاب، ومن ترك شهوة النصاب دون النواب فما أناب، ومن تركهما جميعاً فقد أتى بالصواب وقال الشيخ سيدي أحمد زروق[43] ـ نفع الله به ـ أصول طريقة القوم خمسة: تقوى الله في السر والعلانية، واتباع السنة في الأقوال والأفعال، والاعراض عن الخلق في الاقبال والادبار، والرضا عن الله في القليل والكثير، والرجوع إلى الله في السراء والضراء. رضي الله عنهم أجمعين وجعلنا وإياكم منهم بفضله آمين تمت النصيحة والحمد لله رب العالمين ﴿ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾[44] ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[45].

ثم اعلم أيها المريد أن جميع ما أوصيتك به فقد وصيت به نفسي، وكافة إخواني وأصحابي خصوصاً، وسائر من يقف على ما أوصيتك به من المسلمين عموماً، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

= سنة «803هـ ـ 1400م» الضوء اللامع جـ 9 ص: 240 ـ 242 ـ نيل الابتهاج ص: 463 ـ 471 ـ الأعلام جـ 7 ص: 43.

[43] هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن عيسى البرنسي الفاسي. فقيه محدّث صوفي من مؤلفاته «شرح رسالة ابن أبي زيد القيرواني» في الفقه المالكي و«القواعد» في التصوف و«النصيحة الكافية لمن خصه الله بالعافية» ولد بالمغرب فيما بين فاس وتازا سنة «846هـ ـ 1442م» وتوفي بمصراتة بليبيا سنة «899هـ ـ 1493م» الضوء اللامع جـ 1 ص: 222 ـ المنهل العذب جـ 1 ص: 181 ـ الأعلام جـ 1 ص: 88.

[44] الأعراف: 43.

[45] فاطر: 2.

# الرسالة السادسة

## رسالة إلى أصحابه بالزاوية الغربية[1]

**وهم:**

1 ـ أحمد بن عبد الحميد المشهور ببحر السماح اليربوعي[2]

2 ـ عبد الحميد بن عبد الله الكمودي المشهور بـ «ضوء الهلال»[3].

---

(1) سبق التعريف بالزاوية الغربية في الرسالة الخامسة ص: 150.

(2) هو: أحمد بن عبد الحميد اليربوعي المشهور ببحر السماح والكوكب الوضاح. ولد بالحرشاء وهي قرية من قرى الزاوية الغربية والتحق بزاوية الأسمر فحفظ بها القرآن وسنه لا تزيد على ثماني سنوات وأخذ بها مبادىء العلوم ثم انتقل إلى طرابلس فأخذ عن بعض علمائها ثم ارتحل إلى الأزهر فأخذ عن اللقانيين ولازم ابن حجر الهيتمي وله عنه تقييدات علمية وكثر اعتناؤه بالتهذيب والرسالة والموطأ ثم رجع ولازم شيخه الأسمر مدة من الزمن ينهل من علومه ومعارفه ولما تمتع به من دماثة الخلق وحسن المعشر والسخاء أطلق عليه الأسمر لقب «بحر السماح» ولقب «الكوكب الوضاح». توفي رحمه الله سنة 979هـ ـ 1571م ودفن بديلة وهي قرية تقع في الشمال الشرقي للزاوية الغربية. «روضة الأزهار جـ 2 ص: 450 ـ أعلام ليبيا ص: 71».

(3) هو: عبد الحميد بن عبد الله الكمودي. الملقب بضوء الهلال. العالم العلامة الأصولي المنطقي المشارك في كل العلوم. ولد سنة 905هـ ـ 1499م فحفظ القرآن ثم ارتحل إلى الزيتونة بتونس والقرويين بالمغرب فأخذ عن أكابر علمائهما وفي سنة 950هـ ـ 1543م توجه لأداء فريضة الحج واجتمع في رحلته هذه بأكابر علماء وقته كالناصر اللقاني وابن حجر الهيتمي والسخاوي والبكري وبعد رجوعه قصد زاوية الأسمر فاجتمع بشيخها الأسمر الذي أسلكه في طريقته العروسية وجعله =

3 ـ أبو اسحاق إبراهيم بن علي العوسجي[1].

## مخطوطات الرسالة:

للرسالة نسخة فريدة في كتاب «روضة الأزهار» لكريم الدين البرموني وهذه الرسالة فيه من ص 227 إلى 241 وذلك من مخطوط مكتبة آل أبو زبيدة وقد رمزت لها بكلمة «الأصل».

أما مخطوط مركز دراسة جهاد الليبيين فقد بتر فيه آخرها وذلك عند قوله: «واعلموا رحمكم الله أن العروسي لا يأكل المكروه» وشغل جزؤها الأول فيه الورقات من 111 إلى منتصف الورقة 115 وقد رمزت لها بالحرف «ج».

---

= من نقبائها يلقن أورادها لمن أراد الانتساب إليها، توفي رحمه الله سنة 991هـ 1583م ببلدته الزاوية الغربية. الزاوي، أعلام ليبيا. ص: 197.

(1) هو: أبو اسحاق إبراهيم بن علي العوسجي. العالم العامل ولد بالحرشاء سنة 904هـ ـ 1498م وحفظ القرآن على والده وله من العمر سبع سنوات وتفقه بالشيخ الناصر اللقاني وتتلمذ على الشيخ عبد السلام الأسمر ولازمه مدة من الزمن. توفي رحمه الله سنة 998هـ ـ 1589م وأقبر بجوار مسجده بعوسجة الجديدة. روضة الأزهار جـ 2 ص: 456 ـ أعلام ليبيا. ص: 22.

## نص الرسالة

### بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد [النبي الكريم(1)] وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. من عبد السلام بن سليم إلى أصحابنا المنتسبين إلينا وإلى طريقتنا العروسية.

**اعلموا رحمكم الله:** أن الأمر بالمعروف واجب لمن تعيّن عليه، وكذلك النهي عن المنكر. فإن لم تستطيعوا فاشتغلوا بأنفسكم، واصبروا على دينكم حتى تلاقوا ربكم كما قال ﷺ: «الصابر على دينه كالقابض على الجمر»[1]. وإياكم: والخلطة. وعليكم: بالعزلة. وابعدوا: عن أبواب السلاطين واتركوا الحاجة التي تجيء بكم إليهم، فلا خير لكم فيها وقد قال ﷺ «من قرب من أبواب السلاطين افتتن»[2]. وإن كانت لكم حاجة مؤكدة فاصبروا إلى الله بقلب سليم.

**واعلموا:** أن الله [قاضي الحاجات مجيب الدعوات، ومفرج الكربات](2).

**واعلموا:** أن الله تعالى هو الفاعل في الحقيقة، وإياكم والأمور التي تؤدي إلى التعزّل والتزندق وأفعال القدرية والجبرية وغيرهما من الفرق فإن الدين ضيف وأنتم كالأضياف في الدنيا فتزودوا للسفر الطويل.

---

[1] أخرجه الترمذي في صحيحه عن أنس بن مالك بلفظ «يأتي على الناس زمان الصابر فيهم على دينه كالقابض على الجمر» صحيح الترمذي بشرح الامام ابن العربي «جـ9 ص: 117» أبواب الفتن، وأورده ابن تيمية في أحاديث القصاص ص: 84 ولم يعلق عليه بشيء.

[2] أورده المناوي في كتابه كنوز الحقائق «جـ2 ص: 97» بلفظ «من أتى أبواب السلاطين افتتن» وعزا روايته للإمام الطبراني.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

**واعلموا**: أن الراحة عند الله في مقعد صدق[3]، واحفظوا محمداً ﷺ في أمته، ولا تعجلوا بالعقوبة لمن عاداكم، واحتملوا المكاره واصبروا على الأذى في الله، واكتموا أسرار من أطلعكم الله تعالى على سرِّه، ولا تدخلوا بين العبد وربه فإنه لا يعلم(1) ما في القلوب إلا علام الغيوب. ومن جالسكم فعظوه، ومن ساررکم فاصدقوه، ومن وعدكم فلا تخالفوه، فإن المؤمن صدوق، والمسلم من سلم الناس من لسانه ويده. وإياكم وثلاثة فإنها تورث ثلاثة إياكم والوسخ فإنه يورث النجاسة، وإياكم والأيمان فإنها توقع في الحنث، وإياكم وكثرة الكلام فإنه يوقع في الكذب، وإياكم أن يخالف ظاهركم باطنكم.

**واعلموا**: أن العقبة(2) صعبة، والملقى صعيب، وأيام الآخرة وسنيها طوال قال الله تعالى: ﴿فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾[4] وفي معناه أقاويل. قال ابن عباس[5] رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿لَّبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾[6]: الحقب الواحد فيه سبعون ألف سنة من سنين الآخرة وفي السنة الواحدة أربعة آلاف ساعة. وفي بعضها عنه ـ رضي الله عنه ـ في شأن المضلة وكم يقيمون في جهنم قال: يقيمون فيها ثلاثة أحقاب في كل حقب سبعون ألف سنة من سنين الدنيا.

**واعلموا**: أن الأمر شديد فلا تتكلوا على أعمالكم وتقولون

---

[3] يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾» القمر: 54، 55.

[4] المعارج: 4.

[5] هو: أبو العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي. حبر الأمة وترجمان القرآن. روي عن رسول الله ﷺ «1660» حديثاً. ولد سنة «3ق هـ ـ 619م» وتوفي بالطائف سنة «68هـ ـ 687م» البداية والنهاية جـ 8 ص: 295 الإصابة جـ 4 ص: 141 ـ الأعلام جـ 4 ص: 95.

[6] النبأ: 23.

(1) في «ج» فإنه ما يعلم.

(2) في الأصل: العاقبة.

ندخل الجنة بأعمالنا. قال ﷺ: «اعملوا ولا تتكلوا»[7] ثم قال: «آمركم بستة وأنهاكم عن ستة: آمركم بأن لا تطلبوا لئيم، ولا تستنصروا بهزيم، ولا تؤذوا كريم، ولا ترحلوا مقيم، ولا تبكوا فطيم، ولا تأتوا بعظيم. وأنهاكم عن ستة لا تعاملوا شحيح، ولا تقربوا لحيح، ولا تعاملوا قبيح(1)، ولا تطاردوا صحيح، ولا تشاوروا صبيح(2)، ولا تخاصموا فصيح»، وإياكم والدعوى في العلم أو يقول أحدكم أنا عالم، أو أنا خير منك، أو أنا قارىء. فإن هذه الكلمات الثلاثة أول من قالها اللعين إبليس قال الله تعالى ـ حكاية عنه ـ ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾[8] والثاني فرعون لعنه الله حيث قال: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾[9] وفي ذلك أقاويل وأحاديث. وعن النبي ﷺ أنه قام ليلة بمكة فقال: [«اللهم هل بلغت» ثلاث مرات فقام عمر بن الخطاب وكان أوّاهاً فقال(3)] اللهم نعم فحرصت وجهدت ونصحت [اللهم نعم فحرصت وجهدت ونصحت فاصبح(4)] فقال «ليظهرنّ الإيمان حتى يرد الكفر إلى مواطنه وليخاض البحار بالإسلام، وليأتين على الناس زمان يتعلمون فيه القرآن فيعلمونه ويقرؤونه، ثم يقولون قد قرأنا وعلمنا فمن ذا الذي هو خير منا؟ فهل في أولئك خير؟(5) قالوا: لا يا رسول الله. ومن أولئك؟ قال: أولئك منكم وأولئك هم وقود النار». رواه الطبراني[10] في

---

[7] لم أعثر عليه بهذا اللفظ وقريب منه ما أورده السيوطي في الجامع الصغير «جـ1 ص: 182» عن أم سلمة ـ رضي الله عنها عن النبي ﷺ بلفظ: «اعملي ولا تتكلي فإن شفاعتي للهالكين من أمتي» وقد عزاه إلى ابن عدي في الكامل.

[8] الأعراف: 12. وص: 76.

[9] النازعات: 24.

[10] هو: أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني نسبة إلى طبرية بالشام. من كبار المحدثين له ثلاثة معاجم في الحديث وكتب في التفسير والأوائل ودلائل النبوة. ولد بعكا سنة «260هـ ـ 873م» وتوفي بأصبهان سنة «360هـ ـ 971م». وفيات الأعيان جـ 1 ص: 215 ـ النجوم الزاهرة جـ 4 ص: 59 ـ الأعلام جـ 3 ص: 181.

(1) في الأصل: ولا تعلموا قبيح.

(2) في الأصل: ولا تساوروا جحيح.

(3)(4) ما بين الحواضر ساقط من الأصل و«ج» والتصويب من المعجم الكبير للطبراني.

(5) في الأصل و«ج» فهل في ذلك خير.

الكبير[11] وإسناده حسن. وعن مجاهد[12] عن ابن عمر[13] لا أعلمه إلا عن النبي ﷺ «من قال أنا عالم فهو جاهل» رواه الطبراني عن الليث هو ابن أبي سليم[14].

**واعلموا:** أن الموعظة حياة القلوب فعظوا الجليس، وحذروا من الذنب الموجب للنار. قال ابن شبرمة[15]: عجبت لمن يحتمي من الطعام مخافة الداء كيف لا يحتمي من الذنوب مخافة النار. ودخل أبو حازم[16]

---

[11] المعجم الكبير للطبراني جـ 12 ص: 251.

[12] هو: أبو الحجاج مجاهد بن جبر المكي مولى بني مخزوم. تابعي مفسر له كتاب في التفسير يتقيه كثير من المفسرين وقد سئل الأعمش عن ذلك فقال: كانوا يرون أنه يسأل أهل الكتاب يعني اليهود والنصارى. ولد سنة «21هـ - 642م» وتوفي سنة «104هـ - 722م». الحلية جـ 3 ص: 279 - غاية النهاية جـ 2 ص: 14 - الأعلام جـ 6 ص: 161.

[13] هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب. صحابي جليل ولد في الجاهلية ونشأ في الإسلام وهاجر إلى المدينة مع أبيه وشهد فتح مكة مع النبي ﷺ. ولد سنة «10ق هـ - 613م» بمكة المكرمة وبها كانت وفاته سنة «73هـ - 692م». معالم الإيمان جـ 1 ص: 70 - الإصابة ت 4825 - الأعلام جـ 4 ص: 246.

[14] الليث بن أبي سليم أحد رواة الحديث يقول عنه المنذري: «فيه خلاف وقد حدث عنه الناس وضعفه يحيى بن معين والنسائي. وقال ابن حيان: اختلط في آخر عمره. وقال مؤمل بن الفضل: سألت عيسى بن يونس عن ليث فقال: قد رأيته وكان قد اختلط وكنت ربما مررت به ارتفاع النهار وهو على المنارة يؤذن. وقال الدارقطني: «كان صاحب سنة إنما انكروا عليه الجمع بين عطاء وطاووس ومجاهد حَسْبُ ووثقه ابن معين في رواية». المنذري، الترغيب والترهيب. جـ 6 ص: 355 باب ذكر الرواة المختلف فيهم.

[15] هو: أبو شبرمة عبد الله بن شبرمة الضبي القاضي. روى عن أنس والتابعين. كان عفيفاً صارماً عاقلاً يشبه النساك شاعراً جواداً. توفي سنة 144هـ - 761م. شذرات الذهب جـ 1 ص: 215.

[16] هو: أبو حازم سلمة بن دينار المخزومي ولاءً الفارسي الأصل. عالم المدينة وقاضيها وشيخها. كان من شيوخ الزهري زاهداً عابداً حكيماً. توفي سنة «140هـ - 757م. الحلية جـ 3 ص229 - تذكرة الحفاظ جـ 1 ص: 125 - الأعلام جـ 3 ص: 172.

على سليمان بن عبد الملك[17] حين ولي الخلافة، فقال: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت. قال: لأنكم عمرتم دنياكم وأخربتم آخرتكم، فإنكم تكرهون النقلة من العمران إلى الخراب. قال: أخبرني كيف القدوم على الله تعالى؟ قال: يا أمير المؤمنين أما المحسن فيقدم على الله كالغائب(1) يقدم على أهله [مسروراً(2)]، وأما المسيء فيقدم على الله كالعبد الآبق من سيده يقدم على الله خائفاً محزوناً. قال: أي الأعمال أفضل؟ قال: أداء الفرائض واجتناب المحارم. قال: أي الدعاء أفضل؟ قال: دعاء الملهوف لمن أحسن إليه. قال: أي الصدقة أفضل؟ قال: صدقة الأقل بلا منٍّ ولا أذى. قال: فأي القول أعدل؟ قال: كلمة حق عند من تخافه. قال: فأي الناس أعقل؟ قال: من عمل بطاعة الله ودل الناس عليها. قال: فأي الناس أجهل؟ قال: من باع آخرته بدنيا غيره. قال: عظني وأوجز. قال: نزه ربك وعظمه أن يراك حيث نهاك، أو يذكرك حيث أمرك. فبكى أمير المؤمنين. قال: رجل من جلسائه لقد أسأت على أمير المؤمنين. قال: اسكت فإن الله أخذ على الأنبياء ليبيِّننَّه للناس ولا يكتمونه. ثم خرج فبعث إليه بمال فردّه وقال: ما أرضاه لكم فكيف آخذه منكم[18].

**إخواني**: ارحموا بعضكم بعضاً، وتصدقوا مما عندكم على الفقراء والمساكين من دراهم وغيرها فإن الصدقة دافعة للبلاء كما

---

[17] هو: أبو أيوب سليمان بن عبد الملك بن مروان. الخليفة الأموي. ولد في دمشق سنة 54هـ ـ 674م وتولى الخلافة غداة موت أخيه الوليد سنة 96هـ ـ 714م. كان عاقلاً فصيحاً طموحاً إلى الفتح جهز جيشاً كبيراً وسيره في السفن لحصار القسطنطينية بقيادة أخيه مسلمة ولكن الله لم يفتحها على يديهما. توفي في دابق «بين حلب ومعرة النعمان» سنة «99هـ 717م». تاريخ الطبري جـ 8 ص: 126 ـ ابن الأثير جـ 5 ص: 14 ـ الأعلام جـ 3 ص: 193.

[18] أورد هذه المحاورة النفيسة ببعض اختلاف كل من:

1 ـ الدارمي في سننه: «جـ1 ص: 155 ـ 158» في باب إعظام العلم.

2 ـ أبو نعيم الأصبهاني في حليته «جـ3 ص: 234 ـ 236».

3 ـ ابن قتيبة في الإمامة والسياسة «جـ2 ص: 88 ـ 92».

(1) في «ج» كالغريب.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

ورد. قال الشيخ الغزالي[19]. درهم الصدقة بسبعين درهم، ودرهم نفقة العيال بسبعمائة، ودرهم السلف بسبعين مائة، ودرهم النكاح بسبعين ألف، [ودرهم المغرم بسبعين مائة ألف، ودرهم المسكين بسبعين ألف ألف درهم(1)]، ودرهم القرآن والعلم لا يعلم عدده إلا الله. وفي رواية أخرى الدراهم سبعة: درهم الصدقة، ودرهم النفقة على العيال، ودرهم التزويج، ودرهم السلف، ودرهم المغرم، ودرهم قضاء الدين، ودرهم النفقة على العلم وعلى أهل العلم أو شرط المعلم، أما درهم الصدقة فيوزن يوم القيامة [بسبعين حسنة، وأما درهم النفقة على العيال فيوزن يوم القيامة(2)] بسبعمائة حسنة، [وأما درهم التزويج فيوزن يوم القيامة بسبعة آلاف حسنة، وأما درهم السلف فيوزن يوم القيامة بسبعين ألف حسنة، وأما درهم المغرم فيوزن يوم القيامة بسبعين مائة ألف حسنة(3)]، وأما درهم قضاء الدين فيوزن يوم القيامة بسبعين ألف ألف حسنة(4)، وأما درهم النفقة على العلم وعلى أهل العلم أو شرط المعلم لا يعلم عدد حسناته إلا الله تعالى. وعليكم بتلاوة القرآن لمن كان قارئاً ويكون ذلك بالتجويد وهو مد الممدود، وقصر المقصور. ولا ترجعوه(5) على ترجيع الغناء واقرأوه جهراً على ما كان يفعله السلف الصالح كأبي موسى الأشعري[20] الذي

---

[19] هو: أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي الملقب بحجة الإسلام. بلغت مصنفاته زهاء المائتين منها «إحياء علوم الدين» و«المستصفى» و«تهافت الفلاسفة» ولد بالطابران قصبة طوس بخرسان سنة «450هـ ـ 1058م» وتوفي بها سنة «505هـ ـ 1111م». وفيات جـ 1 ص: 463 ـ طبقات الشافعية جـ 6 ص: 191 ـ الأعلام جـ 7 ص: 22.

[20] هو: أبو موسى عبد الله بن قيس بن سليم من بني الأشعر من قحطان. صحابي جليل قدم مكة عند ظهور الاسلام فأسلم وهاجر إلى الحبشة ثم استعمله رسول الله ﷺ على زبيد وعدن وولاه عمر بن الخطاب البصرة سنة 171هـ فافتتح أصبهان والأهواز وهو أحد الحكمين اللذين رضي بهما علي ومعاوية بعد حرب صفين. ولد في زبيد سنة «21ق هـ ـ 602م» وتوفي بالكوفة سنة «44هـ ـ 665م». طبقات بن سعد جـ 4 ص: 79 ـ الحلية جـ 1 ص: 256 ـ الأعلام جـ 4 ص: 254.

(1) ما بين الحواصر ساقط من «ج».
(2) ما بين الحواصر ساقط من «ج».
(3) ما بين الحواصر ساقط من «ج».
(4) في «ج» بتسعة مائة ألف حسنة.
(5) في «ج» ولا ترجحوه على ترجيح الغناء.

سمعه رسول الله ﷺ ومدحه وأجابه أبو موسى بقوله: «لو علمت أنك تسمعني لحبرته تحبيرا»[21] أي أتيت به على أحسن قراءة بالجهر. وقد روي عن بعض الصالحين أنه كان له ورد من كتاب الله عز وجل يقرأه آخر الليل جهراً، فقام ليلة من الليالي فقرأه بعضه ثم نام فأتته جارية في منامه وهي تقول له: (الوافر):

أألهتك اللذائذ والأماني ... عن(1) الفردوس والظلل الدواني

ولذة نومك عن خير عيش(2) ... مع الخيرات في غرف الجنان

تيقّظ من منامك إنّ خيراً ... من النوم التهجّد بالقران

فأفاق من نومه مرعوباً مما رأى في منامه وهو يقول هذا الشعر في نفسه:

(البسيط):

يا من يبيت على اللذات معتكفا ... هل أنت في طلب اللذات مزدجر

إن الذين أطاعوا الله ربهم ... فيما اشتهوه من اللذات قد ظفروا

دار المقامة حلوا لا يمسهم ... فيها لغوب ولا بؤس ولا كدر

من الجحيم نجوا وفي الجنان ثووا ... مع الحسان لهوا فنعم ما اتجروا

طوبى تظللهم والرب فوقهم ... والحور حولهم وتحتهم سرر

أسرَّة نصبت وكل ما طلبت ... نفوسهم وجدت فيها بما صبروا

قصورهم ذهب تعلوهم قبب ... نالوا الذي طلبوا في الخلد فافتخروا

---

[21] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى «جـ10 ص231» باب تحسين الصوت بالقرآن والذكر عن أبي موسى قال: قال لي رسول الله ﷺ: «لو رأيتني وأنا أسمع قراءتك البارحة لقد أوتيت مزماراً من مزامير آل داود». فقال: لو علمت حبرته لك تحبيرا».

(1) في «ج» على الفردوس.

(2) كذا في الأصل و«ج». ولو قال: «ولذات المنام بخير عيش» لسلم البيت.

فلو رأيت ولي الله متكئاً على الأرائك لا بؤس ولا كدر
يلهو بغانجة حسنى وراضية في الخلد عالية دار بها سور
القد معتدل تمشي وتنتقل وريقها عسل وثغرها درر
لباسها حلل وشعرها رجل بالباب منسدل يزهو به الصدر
من حسن صورتها ونور بهجتها وغنج مقلتها تكاد تنفطر
الحسن دللها والغنج زينها والله فضلها فالدر ينتشر
منها إذا ضحكت من مسك قد خلقت في خيمة قصرت بالنور تتزر
لو أنها برزت للشمس ما طلعت تحكيها[1] إذا كسفت كسفاً به غير
فثغرها درر ووجهها قمر سبحان من سبَّحته الشمس والقمر

**إخواني**: وعليكم بالمحافظة على الصلوات الخمس بأن تصلوها في أوائل الوقت مع الجماعة فإنها عماد الدين، وأتقنوها بفرائضها وسننها ومستحباتها، واعرفوا مكروهاتها ومبطلاتها. قال عليه الصلاة والسلام: «من حافظ على الصلوات الخمس بسجودها وركوعها وجميع شرائطها صعدت إلى السماء وعليها نور وهي تقول: حفظك الله يا فلان كما حفظتني ومن لم يحافظ عليها صعدت إلى السماء وعليها ظلمة وهي تقول: ضيعك الله يا فلان كما ضيعتني»[22]. وقال عليه الصلاة والسلام: «الصلاة مرضاة الرب تبارك وتعالى، وحب الملائكة، وسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، ونور المعرفة، وأصل الإيمان، وإجابة الدعاء، وقبول الأعمال، وبركة في الرزق، وراحة الأبدان، وسلاح على الأعداء، وكراهية الشيطان، وشفيع بين صاحبها وبين ملك الموت، وسراج في قبره، وفراش تحت جنبه، وجواب

(1) كذا في الأصل وفي «ج» تخليها الكسف كسفا به غيروا. ولو قال: «ترى إذا كسفت كسفا به غير» لسلم البيت.

[22] أخرجه علاء الدين علي المتقي في «كنز العمال في سن الأقوال والأفعال» جـ 7 ص: 316 باختلاف في بعض ألفاظه، وأسنده للبيهقي عن أنس.

لمنكر ونكير، ومؤنس وزائر في قبره إلى يوم القيامة. فإذا كانت القيامة صارت الملائكة ظلاً فوقه، وتاجاً على رأسه، ولباساً على بدنه، [ونوراً يسعى بين يديه(1)]، وستراً بينه وبين النار، وحجة للمؤمنين بين يدي الرب تبارك وتعالى، وثقلاً في الميزان، وجوازاً في الصراط، ومفتاحاً للجنة لأن الصلاة تسبيح وتمجيد وتقديس وتعظيم وقراءة ودعاء، وإن [أفضل(2)] الأعمال كلها الصلاة»[23]. وإياكم أن تتركوا الفروض الكفائية كصلاة الجنازة وغيرها، ولا تتركوا النوافل، وصلاة الضحى فإن فيها بركة كثيرة، وهي من خصائص النبي ﷺ[24]. ويقال بعد تمامها: يا وهاب مائة مرة ثم: اللهم بك أحاول وبك أصاول وبك أقاتل. مائة وثلاثون مرة.

**واعلموا رحمكم الله**: أن الصلاة لا تصح إلا بمعرفة واجباتها ومبطلاتها وسننها، ولا تكمل إلا بمعرفة مندوباتها ومكروهاتها. وإياكم وكثرة الحديث على الوضوء، والطول فيه حتى يتفرق القلب. والحضور فيه بقدر الحضور في الصلاة، والإدمان عليه - أي على الوضوء - موجب لسعة الخلق والرزق، [ومحبة الحفظة(3)]، و[دوام(4)] الحفظ من المعاصي المهلكات فقد جاء أن: «الوضوء سلاح المؤمن»[25] وإياكم وتأخير غسل الجنابة فإنه يكثر الوسواس، ويمكن الخوف من النفس(5)، ويقل البركة في الحركات. ويقال: إن الأكل على الجنابة يورث الفقر، والكلام في الخلاء يورث الصمم، والبول في المستحم يورث الوسوسة، والبول في الماء الراكد يورث

(1) ما بين الحواصر ساقط من «ج».
(2) ما بين الحواصر ساقط من «ج».
(3) ما بين الحواصر ساقط من «ج».
(4) ما بين الحواصر ساقط من «ج».
(5) في الأصل: ويمكن الخوف من الخوف.

---

[23] أخرجه النازلي في خزينة الأسرار «ص: 31 - 32» عن جعفر بن محمد باختلاف يسير.

[24] السيوطي، الخصائص الكبرى. «جـ3 ص: 253» باب اختصاصه ﷺ بوجوب صلاة الليل والوتر والفجر والضحى والسواك والأضحية.

[25] لم أعثر عليه في الحديث المرفوع ولا الموقوف ولا يبعد أن يكون من كلام بعض الفقهاء. يقول الزبيدي معقباً على قول عمر بن الخطاب «إن الوضوء الصالح يطرد الشيطان» لكونه سلاح المؤمن. الزبيدي، اتحاف السادة المتقين «جـ2 ص 376».

النسيان، كأكل سؤر الفأر، والتفاح الحامض، وكنس البيت بالخرقة، وأكل الكزبرة الخضراء، والمشي على قشر البيض، وقراءة كتابة القبور، والنظر إلى المصلوب، والمشي بين الجملين المقطورين، وطرح القمل على الطريق، وإدمان النظر إلى البحر، والقبض على عود السواك، والسواك في الخلاء، وطول شعر العانة، والتعميم قاعداً، والتسرويل قائماً، والنوم عرياناً، وفرط النوم، وحرق قشر البصل والثوم، ونومة الضحى، وكثرة الضحك، [والقهقهة، والكذب والضحك[(1)]] في المقابر، واللعب في الحمَّام، ونظر العورة، ووجه الميت، والزنا، وعمل الذنوب، وكثرة الوطء، وكثرة السهر مع التعب، وغسل اليدين بالطين أو التراب إلا ما كان فيهما ما خبث وتعسر قلعه ويكون ذلك قبل الوضوء. قال شيخنا: كل ذلك يورّث الهم والغم والفقر والنسيان وغير ذلك من المضرات. هكذا قرره شيخنا علينا مراراً. وأما ضفر شعر الشارب لا ينبغي، بل ربما يورّث الفقر. ويقال إن طول شعر الشارب منزلة للشيطان. قال النبي ﷺ: «احفوا الشوارب واعفوا عن اللحى»[26]. وجاء أن من مشط لحيته قائماً مات جائعاً ولو كان ثلث الأرض ملكه. وجاء أيضاً: أن من مشط بمشط مكسر، أو كتب بقلم معقد فتح الله له سبعين باباً من الفقر. ويقال: إن تقليم الأظافر بالأسنان لا ينبغي. وعليكم بالمداومة على الصلاة على النبي ﷺ في ابتداء كل أمر جائز.

وقد تكره الصلاة على النبي ﷺ في مواضع على ما كرهه ابن القاسم رضي الله عنه قال: تكره عند الذبح، وعند العطاس، وعند الجماع، والعثر، والتعجب، وإشهار البيع، وقضاء الحاجة، والحمام، والأكل، ومواضع الأقذار. وإياكم واصطياد الورل والأبية[(2)] ولو أباحهما الشارع

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.
(2) في «ج» والألبية.

---

[26] أخرجه مسلم في صحيحه «جـ4 ص: 1474» بشرح النووي. كتاب الطهارة ـ باب خصال الفطرة عن ابن عمر بلفظ: «أحفوا الشوارب وأعفوا اللحى». =

فإنهما من الأصدقاء لقتلهما الثعابين المؤذية. ولا ينبغي أكل السمومات كالحية المذكية ولو أمن سمها، لأن ذكاتها صعبة وسموماتها كثيرة في كل عظم ومفصل منها. وقد قالوا: ذكاتها صعبة لأن المذكي لها إذا لم يقطع في موضع ذكاتها شيء من رأسها وذنبها في دفعة واحدة لم ينج من سمومتها، لأن إذا بقي شيء منها ولو جلدة لم تؤكل، لأن السم يسري فيما بقي منها ولو جلدة، وربما يكره أكلها من غير ضرورة كما لابن حبيب[27]. وقد قالوا: من داوم على أكل الحيات لا يموت إلا بالسمومات. ولا ينبغي أكل الجران[28] البري والبحري، والوزغ[29]، والزلاليم لما فيهم من السمومات ولو أباح أكلها الشارع فالترك أولى. وقد كان رجل من أصحابنا يكثر من أكل الجران في الطبخ بالزيت فظهر عليه أثر السم من ذلك ومات. وحدثني من أثق به أن رجلاً كان يكثر من أكل الزلمومية فظهر على(1) جسده البرص ولم يزل به إلى أن مات. وسمعت من متعددين من أهل الفضل والصلاح: أن أكل الوزغ يؤذي.

**واعلموا**: رحمكم الله أن العروسي[30] لا يأكل المكروه(2) ولا المختلف فيه إلا عند الاضطرار كالأسد، والذئب، والفهد، والضبع،

---

= وأخرجه أيضاً النسائي في سننه «جـ1 ص: 16» كتاب الطهارة ـ باب إحفاء وإعفاء اللحى.

[27] هو: أبو مروان عبد الملك بن حبيب بن سليمان بن هارون السلمي الألبيري القرطبي. عالم الأندلس وفقيهها في عصره. عالم بالتاريخ، رأس في فقه المالكية. من مؤلفاته «الواضحة» و«حروب الإسلام» و«طبقات الفقهاء والتابعين» ولد في البيرة سنة «174هـ ـ 790م» وتوفي بقرطبة سنة «238هـ ـ 853م». تاريخ علماء الأندلس جـ 1 ص: 225 ـ الديباج المذهب ص: 154 ـ الأعلام جـ 4 ص: 302.

[28] الجران هو: الضفدع في العامية الليبية.

[29] الوزغ: جمع وزغة وهي سام أبرص سميت بها لخفتها وسرعة حركتها «مختار القاموس ص: 656».

[30] العروسي هو المنتسب إلى الطريقة العروسية.

(1) في «ج» فظهر على جلده ولم يزل به إلى أن مات.

(2) من هنا إلى نهاية الرسالة ساقط من «ج».

والهر مطلقاً، والنمر، والكلب مطلقاً. لخبر «كل ذي ناب من السباع حرام»[31] وظاهر المذهب الكراهة. وقد نهى شيخنا عن(1) أكل الثعلب، والقنفذ، والضب، والورل، والألبية، والفيل، والغربان، والقرد، والفار، والحيّة، وكل الثعابين إلا عند الاضطرار. وقد سألته عن أكل لحم سباع الطير هل يضرّ بالصوفي أم لا؟ فقال: لا بأس بأكل لحومها ما كان منها ذي مخلب وغير ذي مخلب كالبيزان، والعقبان، والرخم، والحديان، والغربان، وسائر سباع الطير بخلاف سباع الوحش، والترك أولى مراعاة للغير من العلماء فافهموا.

**وإياكم**: والصراخ عند موت الميت، والنياحة، ونقر الطار ـ الذي هو الطبل في عرف أهل بلدنا ـ والنديب ـ الذي هو ضرب الخدود ـ وتقطيع الأثواب، ولبس الهدوم، والتحزم بالحبال، وتقطيع الشعر من رأس النساء والخيل، والنداء على الميت الذي هو يا كذا ويا كذا سواء كان فيه أو هو بما ليس فيه فإن ذلك من أفعال الجاهلية. فمن فعل شيئاً مما ذكرنا عند موت أحد فقد تبرأ من الله ومنا، وهو محارب لله ورسوله ﷺ. نعوذ بالله من ذلك بل إذا بكيتم على ميتكم فاخشعوا لله عز وجل، ولا تقولوا شيئاً مما يكره الشرع، واعملوا بما قال نبيكم عليه الصلاة والسلام: «العين تدمع والقلب يخشع ولا أقول إلا ما يرضي الرب»[32].

**أصحابي**: إذا نقلتم ميتكم إلى المقبرة فاذكروا الله تعالى بكلمتي الشهادة وانووا ثواب ذلك الذكر لميّتكم، وما من ميّت ذكروا عليه

---

[31] أخرجه مسلم في صحيحه «جـ3 ص: 1543» بشرح النووي. كتاب الصيد والذبائح ـ باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير. عن أبي هريرة بلفظ «كل ذي ناب من السباع فأكله حرام».

[32] أخرجه أبو داود في سننه «جـ2 ص: 172» كتاب الجنائز ـ باب في البكاء على الميت عن أنس بن مالك بلفظ «تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول إلا ما يرضي ربنا وإنا بك يا إبراهيم لمحزونون».

(1) في الأصل و«ج» على أكل الثعلب. والصواب ما أثبتناه.

حين حملهم لجنازته إلا وخرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه!

**أصحابي**: ولا تنقلوا ميّتكم إلى المقابر وأنتم سكوت فذلك من أفعال الجاهلية[33]. ولا التفات إلى إنكار منكر في ذلك فإن قيل: إن الذكر في الجماعة كرهه مالك. قلنا: المكروه من قبل الجائز لا يسمى ضلالة ولا يدخل صاحبه النار. وعلة الكراهة عند مالك لعدم فعل السلف لا على إطلاقه، وكم من أشياء لم تكن في عهد السلف وهي: واجبة أو مستحبة. والذكر جماعة أصل الصوفية مما يجمع قلوبهم إلى مولاهم. وقد فعل ذلك بحضرة شيخنا الدكالي[34] ولم ينكره، وكان يمشي خلف الجنازة ويذكر الله إلى المقبرة مدة حياته.

**أصحابي**: اذكروا الله جهراً عند نقل الجنائز وفي الأعياد وغير ذلك فقد كان ذلك في عهد مشايخنا رضي الله عنهم. ويتأكد في حقكم أن تفدوا(1) من النار والفدية من لا إله إلا الله محمد رسول الله. سبعون ألفاً بشرط الجمع بين اللفظين بحيث لو ترك أحدكم محمد رسول الله ولو مرة واحدة لم يحصل الفداء، ويكون ذلك في ليلة الجمعة أو الإثنين، وينبغي أن يقول القائل منكم: صلى الله عليه وسلم مرة أو مرتين عند الشروع ليخرج من وعيد أبخل الناس من

---

[33] كيف هذا؟ ونبي الإسلام يقول: «إن الله تعالى يحب الصمت عند ثلاث: عند تلاوة القرآن وعند الزحف وعند الجنازة» وكونه من أفعال الجاهلية وحسب لا يبرر تركه.

[34] يتردد اسم «الدكالي» كثيراً في رسائل الأسمر تارة بالتصريح باسمه كما هو هنا وتارة بقوله «شيخنا».

والدكالي هو: أبو محمد عبد الواحد بن محمد بن عبد الواحد الدكالي المغربي. ولد بمصر أواخر القرن الثامن وهاجر إلى ليبيا وأقام بزاوية عبد الله الدكالي بمسلاته ناشراً للعلم وللطريقة العروسية وقد تتلمذ عليه الأسمر وأخذ عنه طريقة العروسية وكانت وفاته بمسلاتة في أوائل القرن العاشر. الوصية الكبرى لعبد السلام الأسمر. ص: 71 ـ تنقيح روضة الأزهار لمخلوف ص: 77.

(1) بياض بالأصل تقديره: أن تفدوا ميّتكم من النار.

ذكرت عنده فلم يصل عليّ[35]. ومن بسم الله الرحمن الرحيم. يقول: بسم الله الرحمن الرحيم لا غير اثني عشر ألفاً. ومن الصلاة على النبي ﷺ ألف مرة. وصفة الصلاة: اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ونبيك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً. ومن «قل هو الله أحد... إلخ» مائة ألف، ثم زيدوه القرآن بتمامه على أحسن حالة - أي قراءة - فإن لم يمكنكم ذلك الفداء في ليلة الجمعة ويوم الاثنين فيكون ذلك في يوم آخر أو يومين، أو شهر، أو أكثر ولا يتأكد في حقكم أن تتموا ذلك في ليلة أو يوم، بل متى ما تيسر لكم إلى أن تتموا والاستعجال أحسن لكم لئلا تموتوا أو تفترقوا من غير اختياركم.

**وعليكم**: بالذكر بالهيئة الجماعية وغيرها. ولازموا السماع المعبر عنه بالحضرة فإن فيه التذكير والتنفير من الدنيا، ولا تتركوه من غير عذر وهو شطر الطريقة العروسية، وليس ذلك من فروض الدين ولا من سننه، وإنما هو رخصة عند توفر شرائطه المعروفة وذلك لا بد منه وهو عين طريقتنا خلف عن سلف. وإذا أتيتم إلى مقبرة قولوا: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، ورحم الله المتقدمين منكم والمتأخرين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، أسأل الله لنا ولكم العفو والعافية»[36]، «اللهم رب هذه الأجساد البالية والعظام النخرة التي

---

[35] يشير بذلك إلى ما أخرجه الترمذي في جامعه «جـ5 ص: 515» كتاب الدعوات - باب قول رسول الله ﷺ: رغم أنف رجل. عن علي - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: «البخيل الذي من ذكرت عنده فلم يصل علي». وفي لفظ النسائي «إن البخيل من ذكرت عنده ولم يصل علي» النسائي، عمل اليوم والليلة ص: 163.

[36] تضمين لما أخرجه مسلم في صحيحه «جـ7 ص 49» بشرح النووي. كتاب الجنائز - باب ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها. عن سليمان بن بريدة عن أبيه قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر فكان قائلهم يقول في رواية أبي بكر: السلام على أهل الديار. وفي رواية زهير: السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين وإنا إن شاء الله للاحقون أسأل الله لنا ولكم العافية».

خرجت من الدنيا وهي بك مؤمنة ادخل عليها روحاً منك وسلاماً مني»[37] ثم اقرأوا الفاتحة ثلاثاً، وآية الكرسي سبعاً، وسورة الإخلاص إحدى عشرة مرة. وقولوا عقب ذلك: أنّس الله وحشتكم، جبر الله مصيبتكم، فرّج الله كربتكم، غفر الله خطيئتكم، تجاوز الله عن سيئاتكم.

**واعلموا رحمكم الله**: أنه ما من رجل يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا إلا وعرفه ورد عليه السلام. هكذا ذكره الخطيب[38] في كتاب التاريخ[39] وابن عساكر[40] وابن عبد البر[41] في كتاب الاستذكار

---

[37] تضمين لما أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة. ص: 221 ـ باب ما يقول إذا خرج إلى المقابر. عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال كان رسول الله ﷺ إذا دخل الجبانة يقول: «السلام عليكم أيتها الأرواح الفانية والأبدان البالية والعظام النخرة التي خرجت من الدنيا وهي بالله مؤمنة اللهم أدخل عليهم روحاً منك وسلاماً مني».

[38] هو: أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب. أحد الحفاظ المؤرخين المقدمين. ولد في «غزية» منتصف الطريق بين الكوفة ومكة سنة 392هـ ـ 1002م» من مؤلفاته «تاريخ بغداد» و«الكفاية في علم الرواية» و«شرف أصحاب الحديث» توفي سنة «463هـ ـ 1072م» معجم الأدباء جـ 1 ص: 248 ـ طبقات الشافعية جـ 3 ص: 12 ـ الأعلام جـ 1 ص: 166.

[39] وعبارته: «عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: ما من عبد يمر بقبر رجل كان يعرفه في الدنيا: فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام». تاريخ بغداد جـ 6 ص 137.

[40] هو: أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عساكر الدمشقي. حافظ مؤرخ رحالة ولد بدمشق سنة «499هـ 1105م» من مؤلفاته «تاريخ دمشق الكبير» ويعرف بتاريخ ابن عساكر و«الإشراف على معرفة الأطراف» و«تبيين كذب المفتري فيما نسب للإمام الأشعري» توفي بدمشق سنة «571هـ ـ 1176م». طبقات الشافعية جـ 4 ص: 273 ـ البداية والنهاية جـ 12 ص: 294 ـ الأعلام جـ 5 ص: 82.

[41] هو: أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي. شيخ علماء الأندلس وأكبر محدثيها. من مؤلفاته «الاستيعاب» في تراجم الصحابة، و«التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد» و«جامع بيان العلم وفضله». ولد

والتمهيد عن النبي ﷺ. وصحّحه عبد الحق[42] بلفظ «ما من أحد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه إلا عرفه ورد عليه السلام». لأن السلام لا يكون إلا على الموجود لا على المعدوم وأهل القبور موجودة لا معدومة.

**واعلموا رحمكم الله**: أن مقر الروح في الحياة القلب، ومقرها بعد الممات في البرزخ مختلفة، والبرزخ يرحمكم الله هو: الحاجز بين الدنيا والآخرة، وله ثلاثة أشياء: حال، وزمان، ومكان. فحاله: الأرواح. وزمانه: من حين الموت إلى يوم القيامة. ومكانه: من قبره إلى عليين. فيه أرواح أهل السعادة. هكذا ذكره بعض العلماء فأرواح الأنبياء عليهم الصلاة والسلام في الجنة، وأرواح الشهداء في حواصل طيور خضر تأكل من ثمار الجنة وتشرب من أنهارها، وأرواح السعداء من المؤمنين قيل بأنها على أفنية القبور. قاله القاضي ابن العربي[43] رضي الله عنه والمعنى عندي أنها تكون على أفنية القبور لا أنها تدوم ولا تفارق بل هي: كما قال مالك[44] رحمه الله تسرح حيث شاءت.

---

بقرطبة سنة «368هـ - 978م» وتوفي بشاطبة سنة «463هـ - 1071م». ترتيب المدارك جـ 2 ص 808 وما بعدها - وفيات الأعيان جـ 2 ص 348 - الأعلام جـ 8 ص 240.

[42] هو: أبو محمد عبد الحق بن عبد الرحمن الأزدي الاشبيلي المعروف بابن الخراط. فقيه حافظ عالم بالحديث وعلله ورجاله. من مؤلفاته «المعتل من الحديث» و«الأحكام الكبرى» و«الوسطى» و«الصغرى». ولد سنة «510هـ 1116م» وتوفي ببجاية سنة «581هـ - 1185م». تهذيب الأسماء واللغات جـ 1 ص: 292 - فوات الوفيات جـ 1 ص: 284 - الأعلام جـ 4 ص: 52.

[43] هو: أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المعروف بابن العربي. من فقهاء المالكية وحفاظ الحديث. برع في الأدب وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين. من مؤلفاته «أحكام القرآن» و«المحصول في أصول الفقه» و«عارضة الأحوذي على كتاب الترمذي» ولد في اشبيلية سنة «468هـ - 1076م» وتوفي سنة «543هـ - 1148م» منصرفه من مراكش ووصل ميتاً إلى مدينة فاس ودفن بها. تاريخ قضاة الأندلس ص: 105 - نفح الطيب جـ 2 ص: 233 - الأعلام جـ 6 ص: 230.

[44] هو: أبو عبد الله مالك بن أنس الأصبحي الحميري. إمام دار الهجرة وأحد =

وهذا ما ذهب إليه ابن العربي رحمه الله تعالى، ويؤيد ذلك قوله عليه السلام حين خرج إلى المقبرة «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، نسأل الله لنا ولكم العافية»[45] وفي ذلك أقوال. وما أخبرتكم به من أن الأرواح على أفنية القبور هو الصحيح. وفي كتاب الهداية: أن أرواح الكفار في سجين، وهي الأرض السابعة السفلى. قال الحافظ جلال الدين السيوطي[46] رحمه الله: والحاصل أنه ليس للأرواح سعيدها وشقيها مستقر واحد، وكلها وعلى اختلاف محالها وتباين مقارها لها اتصال بأجسادها في قبورها ليحصل لها من النعيم والعذاب ما كتب لها. وقال الشيخ القاضي ابن حجر[47] - رحمه الله تعالى - أرواح المؤمنين في عليين وأرواح الكفار في سجين ولكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في الحياة بل أشبه به حال النائم وإن هو أشد من حال النائم اتصالاً. قال: وبهذا يجمع بين ما رواه صاحب الهداية: إن أرواح الكفار في سجين. وبين ما

---

= الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية من مؤلفاته «الموطأ» و«تفسير غريب القرآن» و«رسالة في المسائل وأخرى في الوعظ» ولد في المدينة المنورة سنة «93هـ - 712م» وبها توفي سنة «179هـ - 795م». الديباج المذهب. ص: 17 - شجرة النور الزكية. ص: 52 - الأعلام جـ 5 ص: 258.

[45] سبق تخريجه.

[46] هو: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق الدين الخضيري السيوطي. من الأئمة الحفاظ والمؤرخين الأدباء. بلغت مؤلفاته نحو 600 مؤلف منها: «الإتقان في علوم القرآن» و«همع الهوامع» و«تدريب الراوي» ولد سنة «849هـ - 1445م» وتوفي سنة «911هـ - 1505م». الضوء اللامع جـ 4 ص: 65 - شذرات الذهب جـ 8 ص: 51 - الأعلام جـ 4 ص: 72.

[47] هو: أبو الفضل شهاب الدين أحمد بن علي بن محمد الكناني العسقلاني المعروف بابن حجر. أحد أئمة العلم والتاريخ. من مؤلفاته «الإصابة في تمييز الصحابة» و«فتح الباري في شرح صحيح البخاري» و«لسان الميزان». ولد بالقاهرة سنة «773هـ - 1372م» وبها توفي سنة «852هـ - 1449م». الضوء اللامع جـ 2 ص: 36 - البدر الطالع جـ 1 ص 87 - الأعلام جـ 1 ص: 173.

نقله ابن عبد البر عن الجمهور: أنها عند أفنية قبورها. وإذا نقل من قبر إلى قبر فالاتصال المذكور مستمر وكذا إذا تفرقت أجزاؤه.

**واعلموا**: أن الظاهر من القواعد الإسلامية أنه يكون للنفس بعد المفارقة إدراكات متجردة جزئية، واطلاع على بعض جزئيات أحوال الأحياء سيّما الذين كان بينهم وبين الميت تعارف في الدنيا. ولهذا ينتفع بزيارة القبور والاستعانة بنفوس الأخيار من الأموات في استنزال الخيرات، واستدفاع الملمات. فإن النفس المفارقة لها تعلق بالبدن وبالبرية التي يدفن فيها، فإذا أراد تلك البرية [زائر[1]] وتوجهت نفسه إليها تلقاه نفس الميت، وحصل بين النفسين ملاقاة وإفاضة. هكذا ذكره الشيخ سعد الدين التفتازاني[48] رحمه الله[49]. وبذلك قال شيخنا الدكالي. وقال إمامنا مالك ـ رحمه الله ـ أرواح التقاة في البرزخ ولها شعاع متصل بالقبر. والله أعلم بغيبه وأحكم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

---

[48] هو: سعد الدين مسعود بن عبد الله التفتازاني. أحد أئمة العربية والبيان والمنطق. من مؤلفاته «تهذيب المنطق» و«شرح العقائد النسفية» و«شرح الشمسية» ولد بتفتازان من بلاد خراسان سنة «712هـ ـ 1312م» وتوفي في سمرقند سنة «793هـ ـ 1390م». الدرر الكامنة جـ 4 ص: 350 ـ بغية الوعاة ص: 391 ـ الأعلام جـ 8 ص: 114.

[49] التفتازاني، شرح المقاصد «جـ2 ص: 32».

(1) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

# الرسالة السابعة

## رسالة إلى عبد الرحمن بن ساعد وعلي بن محمد أبو سلامة[1] بمدينة غريان[2]

### مخطوطات الرسالة:

للرسالة نسخة فريدة ضمن كتاب «روضة الأزهار» لكريم الدين البرموني وهذه الرسالة فيه من ص 276 إلى ص 297 وذلك من مخطوط مكتبة آل أبو زبيدة بزليتن والذي رمزت له بكلمة «الأصل». أما مخطوط مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس فقد جاءت فيه من منتصف الورقة 119 إلى الورقة 127 وقد رمزت له بالحرف «ج».

---

(1) لم أقف على ترجمتهما.

(2) مدينة غريان إحدى المدن الليبية الجميلة الواقعة جنوبي مدينة طرابلس بمسافة تقدر بنحو 94 كلم. الزاوي، معجم البلدان الليبية. ص: 245.

## نص الرسالة

### بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما. من عبد السلام بن سليم الفيتوري إلى من أكرمهم الكريم ولا يفارقهم النعيم المقيم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد؛

فهذه نصيحة إليكم في معرفة(1) ما يصلح بكم في تصحيح إيمانكم ومسائل من فرض العين.

**اعلموا رحمكم الله**: إن قواعد الإسلام خمسة كما قال [رسول الله(2)] ﷺ «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام»[1].

**واعلموا**: أن أقسام الإسلام عشرة. أولها: شهادة أن لا إله إلا الله وهي الملة. والثانية: الصلاة وهي الفطرة. والثالثة: الزكاة وهي الطهارة. والرابعة: الصوم وهو الجنة. والخامسة: الحج وهو الشريعة. والسادسة: الجهاد وهو الفوز ويقال الكفارة. والسابعة: الأمر بالمعروف وهو الوفاء. والثامنة: النهي عن المنكر وهو الغيرة. والتاسعة: الجماعة وهي الألفة. والعاشرة: طلب العلم وهي الحجة. وشرائع الدين أربعة وهي: من تكلم فصدق. ومن اؤتمن فلم يخن، ومن عاهد فأوفى، ومن عصى معصية فكف. وعلامات النفاق أربعة وهي: من إذا حدث كذب، وإذا وعد خلف، وإذا عاهد غدر(3)، وإذا

(1) في «ج» من معرفة.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(3) في «ج» وإذا [illegible] اؤتمن خان ويصلح الدين... إلخ.

[1] أخرجه البخاري في صحيحه «جا ص: ٩» كتاب الإيمان - باب دعاؤكم إيمانكم. باختلاف في ترتيب بعض ألفاظه.

خاصم فجر[2]، ويصلح الدين بخمسة: العقل، والعلم، والحلم، والصدق، واليقين، ويفسد بخمسة: الحمق، والجهل، والحرص، والطمع، والكذب.

**واعلموا**: أن فرائض القلب ثلاثة تقابلها ثلاثة. اعتقاد الإيمان ومجانبة الكفر، واعتقاد السنة ومجانبة البدعة، واعتقاد الطاعة ومجانبة المعصية. وتنقسم الأعمال كلها على أربعة حواس: القلب، والعقل، واللسان، والجوارح. ففرض القلب النية، وفرض العقل اليقين، وفرض اللسان الكلام بالصدق، وفرض الجوارح العمل بالطاعة. وأقسام الإيمان سبعة وهي: إيمان بالله، وإيمان لله، وإيمان بالعبودية، وإيمان بالخصوصية، وإيمان بالقبضتين، وإيمان بالقدر، وإيمان بالناسخ والمنسوخ. فالإيمان بالله أن تؤمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالموت، والقبر وعذابه وضمته والمساءلة فيه ودخول منكر ونكير فيه، والصراط، والميزان، والعرض على الله عز وجل، والحوض، والشفاعة، والجنة، والنار، وأن الله يرى يوم القيامة وإن أقواماً من الموحدين يخرجون من النار بعد أن امتحنوا فيها ويدخلون الجنة برحمة الله تعالى، وشفاعة محمد ﷺ. والإيمان لله: أن تعبدوا الله خالصاً على حكم الكتاب والسنة، ولا تعملوا شيئاً من أعمال الكفر(1). والإيمان بالعبودية: أنك عبد لله ولو ملكت ملك سليمان عليه السلام، أو ملك ذي القرنين. لا تتكبر ولا تتجبر على معبودك. والإيمان بالخصوصية فحين خلق الله الخلق غمسهم في النور، فمنهم من غمسه فيه كله ولم يظهر منهم شيء، ومنهم من أخذ منه شيئاً، ومنهم من لم يأخذ منه شيئاً. فأما الذين انغمسوا في النور

---

[2] تضمين لما أخرجه البخاري في صحيحه «جـ1 ص: 13» كتاب الإيمان ـ باب علامات المنافق «عن عبد الله بن عمرو أن النبي ﷺ قال: أربع من كن فيه كان منافقا خالصا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها إذا اؤتمن خان وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر وإذا خاصم فجر».

(1) [illegible] ولا تعملوا شيئاً من أعمال البر إلا لله.

ولم يظهر منهم شيء فهم النبيئون والصديقون والشهداء والصالحون. وأما الذين أخذوا من النور شيئاً فهم أهل التخليط من المؤمنين الذين يفعلون الخير والشر. وأما الذين لم يأخذوا من النور شيئاً فهم الكفار والمنافقون. والإيمان بالقبضتين فحين خلق الله آدم عليه السلام قبض قبضة على كفه الأيمن فاستخرج منها ذرية كالذر في بياض البيضة. وقال: خلقت هؤلاء للجنة وبعمل أهل الجنة يعملون ولا أبالي، ثم قبض قبضة على كفه الأيسر فاستخرج منها ذرية سوداء كالقار، وهو الزفت وقال: خلقت هؤلاء للنار وبعمل أهل النار يعملون ولا أبالي. والإيمان بالقدر أن تؤمن بالقدر كله، خيره وشره، حلوه ومره، وما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو جاهد أهل السموات والأرض أن يضروك بشيء ولم يكتبه الله عليك [لما قدروا على ذلك، ولو جاهد أهل السموات والأرض أن ينفعوك بشيء ولم يكتبه الله لك(1)] لما قدروا على ذلك النفع. والإيمان بالناسخ والمنسوخ أن تعلم أن آية رحمة نسختها آية عذاب، وآية عذاب نسختها آية رحمة، وأن تؤمن بالكل.

**واعلموا**: أن معرفة الله تعالى لا تكون إلا بعد معرفة النفس. من عرف نفسه عرف ربه، فمن عرف نفسه بالعجز والعبودية، عرف ربه بالقدرة والربوبية. ومن عرف نفسه أنه محدث فان، عرف ربه أنه قديم باقٍ، ومن عرف نفسه بالشهود والعيان عرف ربه بالغيبة والحضور. فإن قال قائل: هل النظر والاستدلال أول الواجبات أم الإيمان بالله تعالى؟ فيقال له: إن العلماء اختلفوا في ذلك على قولين، فمن قال: إن النظر والاستدلال أول الواجبات استدل بقوله تعالى: ﴿قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ الآية[3]. وقال أبو جعفر[4]: من جعل النظر والاستدلال أول الواجبات فقل له متى يجب على العبد الإيمان بالله.

---

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

[3] يونس: 101 وتمامها ﴿وَمَا تُغۡنِي ٱلۡأٓيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوۡمٖ لَّا يُؤۡمِنُونَ﴾.

[4] هو: أبو جعفر محمد بن أحمد السمناني. قاض حنفي ومقدم الأشعرية في وقته =

ويلقن العبد وإن كان في المهد[1] ينشأ عليه ويضمن به نفسه فإن مات هذا العبد قبل البلوغ مات عبداً مسلماً، وإن بلغ حد التكليف فحينئذ يلزمه النظر والاستدلال والبحث عن معبوده. وبذلك قال الغزالي[5] وبه قال تلميذه أبو الوليد الباجي[6] وجماعة من العلماء رضي الله عنهم أجمعين. والذي عليه الأئمة وعلماء المسلمين: أن الإيمان بالله هو أول الواجبات. ومعنى النظر والاستدلال: أن ينظر بين الصانع والمصنوع.

**واعلموا**: أن كل صنعة تفتقر إلى الصانع الذي صنعها واخترعها وابتدعها، والصانع هو الله والمصنوع خلقه.

**واعلموا**: أن الإيمان بني على خمس: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه ورسله، واليوم الآخر وما فيه. فإن قال قائل: ما الدليل على أن الإيمان على خمس؟ فالجواب أن تقول له: بني بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾[7] وضد الإيمان الكفر وقواعده خمسة بدليل قوله: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾[8] والإيمان أصل والإسلام فرع.

---

= له تصانيف في الفقه، ولد سنة «361هـ ـ 972م» وتوفي بالموصل سنة «444هـ 1052م». نكت الهميان ص: 237 ـ الجواهر المضية جـ 2 ص: 21 ـ الأعلام جـ 6 ص: 206.

[5] تقدمت ترجمته في الرسالة السادسة ص: 174.

[6] هو: أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي الباجي. فقيه مالكي محدث. من مؤلفاته «أحكام الأصول» و«التسديد إلى معرفة التوحيد» و«السراج في علم الحجاج» ولد في باجة الأندلس سنة «304هـ ـ 1012م» وتوفي بالمرية سنة «474هـ ـ 1081م». الوفيات جـ 1 ص: 215 ـ الديباج المذهب ص: 120 ـ الأعلام جـ 3 ص: 186.

[7] البقرة: 177.

[8] النساء: 136.

(1) في الأصل ينهى عليه.

قال ابن القاسم[9]: الإيمان لا يزيد ولا ينقص، والإسلام يزيد بزيادة الأعمال وينقص بنقص الأعمال، والإيمان من أعمال القلب والإسلام من عمل الجوارح، والإيمان بالباطن والإسلام بالظاهر، والإيمان ليس بقول ولا فعل وإنما هو اعتقاد بالقلب، والإيمان [لا(1)] يتجزأ ولا يتبعض بخلاف الإسلام الذي يتجزأ ويتبعض، والإيمان ينقسم على أربعة أقسام: إيمان كفر، وإيمان جحد، وإيمان بدعة، وإيمان كامل. أما إيمان كفر: قول بلا عمل. وأما إيمان جحد: قول وعمل بلا نية. وأما إيمان بدعة: قول وعمل ونية بغير موافقة السنة. وأما إيمان كامل: قول وعمل [ونية(2)] بموافقة السنة. فهذا إيمان كامل. والإسلام ينقسم على ثلاثة أقسام: قسم منه متعلق بالأبدان(3)، وقسم متعلق بالأموال، وقسم متعلق بالزمان والمكان. فأما القسم الذي هو متعلق بالأبدان هو: قول لا إله إلا الله، والصلاة، والصيام. والقسم الذي هو متعلق بالأموال هو: الزكاة. والقسم الذي هو متعلق بالزمان والمكان هو: الحج. والإيمان هو: التصديق. وله شروط مرتبطة بشروط أربع: علم دون جهل، وإخلاص دون شك، واستواء الظاهر والباطن. ومراتبه ثلاثة: إيمان، وإسلام، وإحسان. ولكل مرتبة قواعد فأولها قواعد الإيمان عشرة: أن تؤمنوا بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره حلوه ومره. وقواعد الإسلام أربعة: دال، ودليل، ومبين، ومستدل. فالدال هو: الله سبحانه. والدليل هو: القرآن العظيم. والمبين: رسول الله ﷺ. والمستدل: العلماء رضي الله عنهم. وأيضاً قواعد الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد عبدِه ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام لمن استطاع إليه سبيلا. وقواعد الإحسان الظاهرة ثلاثة: أن تعبد الله كأنك تراه، إن لم

(1) (2) ما بين الحواصر ساقط من الأصل.
(3) في الأصل: قسم متعلق بالأبدان وهو قول لا إله إلا الله والصلاة والصيام وقسم متعلق بالأبدان... الخ.

[9] لم يتضح لي من هو. ولعله: أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم. تلميذ الإمام مالك وستأتي ترجمته في الرسالة العاشرة.

تكن تراه، فإنه يراك. وأصوله أربعة: الصبر، والشكر، والرضا، والتوكل. فإن قال قائل: ما هو الإيمان؟ وما هو محله؟ وما دواعيه؟ وما شروطه؟ وما حقيقته؟ فالجواب: إن الإيمان بالله تعالى هو: التصديق به لقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَـٰدِقِينَ﴾[10] أي بمصدق به فكل من آمن بشيء فهو مصدق به. وأما محله فهو: القلب لقوله تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ﴾[11] وأما دواعيه فهي النظر في الأشياء لقوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[12] وأما شروطه فهي: [التقوى] لقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ﴾[13] وأما حقيقته فهي: بدل الروح لقول النبي ﷺ «لا يبلغ أحدكم حقيقة الإيمان حتى يحب لأخيه المؤمن ما يحب لنفسه من الخير»[14] أما عن الإسلام ما هو؟ وما محله؟ وما دواعيه؟ وما شروطه؟ فالإسلام هو: الاستسلام. والاستسلام هو: الانقياد. والانقياد هو: الامتثال لأوامر الله. لقوله: عز وجل: ﴿وَمَآ ءَاتَـٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَـٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾[15] وأما محله فهو: الصدر لقوله: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ

---

[10] يوسف: 17.

[11] المجادلة: 22.

[12] الغاشية: 17 ـ 18 ـ 19.

[13] المائدة: 88.

[14] أخرجه ابن حبان في صحيحه عن أنس بن مالك بلفظ: «لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير» الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان «جـ1 ص: 471» كتاب الإيمان ـ ذكر البيان بأن نفي الإيمان عمن لا يحب لأخيه ما يحب لنفسه إنما هو نفي حقيقة الإيمان لا الإيمان نفسه مع البيان بأن ما يحب لأخيه أراد به الخير دون الشر.

[15] الحشر: 7.

مِّن رَّبِّهِۦ﴾[16] وأما دواعيه فالسؤال لقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[17] وأهل الذكر هم: أهل العلم. وأما شروطه فهي: [(1)] كف الأذى لقول النبي ﷺ: «من سلم الناس من لسانه ويديه وفرجه مسلم»[18]. فإن قال قائل: هل الإيمان أعم من الإسلام أم الإسلام أعم؟. فقل: [له(2)] الإيمان أعم من الإسلام فكل مؤمن مسلم، وليس كل مسلم مؤمن. لأن من اعتقد الإيمان في الباطن متعلق به في الظاهر بخلاف الإسلام. لأن المنافق والزنديق يظهران الإسلام ويعتقدان الكفر فهما مسلمان في الظاهر وكافران في الباطن. وإذا سألك سائل عن الإيمان بالله تعالى هو مخلوق أو غير مخلوق. فالجواب أن تقول له: ينقسم على قسمين: مخلوق وغير مخلوق. فالإيمان بالله تعالى هو: التصديق بوجوده، ووحدانيته. هذا غير مخلوق. وأما إيمان العبد فإنه مخلوق لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾[19] وفي الإيمان من يزيد وينقص، وفيه من يزيد ولا ينقص، وفيه من لا يزيد ولا ينقص. أما الذي يزيد وينقص فهو: إيمان المسلمين الموحدين، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية. وأما الذي يزيد ولا ينقص فهو: إيمان الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. وأما الذي لا يزيد ولا ينقص فهو: إيمان الملائكة فإنهم على الدوام وليس عليهم معصية تنقص إيمانهم. بل هم عباد مكرمون ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[20] واختلف في الإيمان والإسلام هل هما لفظان مترادفان؟ أي على معنى واحد. أو إسمان مختلفان باختلاف المعاني؟

---

[16] الزمر: 22.

[17] النحل: 43 والأنبياء: 7.

[18] أخرجه البخاري في صحيحه «جـ1 ص: 7» كتاب الإيمان ـ باب أي الإسلام أفضل. عن أبي موسى بلفظ «قالوا: يا رسول الله أي الإسلام أفضل؟ قال: من سلم المسلمون من لسانه ويده».

[19] الصافات: 96.

[20] التحريم: 6.

(1) (2) ما بين الحواصر ساقط من الأصل.

فَمِن قائل: إن الإيمان والإسلام شيء واحد. واحتج من ذهب إلى هذا بقوله: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[21].

**واعلموا**: أن الإيمان والإسلام شيئان والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾[22] الآية فإن قال قائل: لا إله إلا الله هل هي مقيدة أو مطلقة؟ فالجواب أن تقول له: مقيدة بثمانية شروط وهي: أن تكون عن علم لا عن جهل، وعن يقين لا عن شك، وعن اختيار لا عن إكراه، وعن إخلاص لا عن شرك، وأن تقولها مع الأعمال، حتى تموت مع اعتقاد ما تحت الغنى والافتقار. فإن قال قائل: لا إله إلا الله هل هي كسبية أو مستعيرة؟ فالجواب أن تقول له: كسبية لمن نجاه الله من النار، ومستعيرة لمن شقاه بناره.

**واعلموا**: أن معرفة التوحيد على أربعة أقسام: ذاتية، ومعنوية، وفعلية، وسلبية. أما الصفة الذاتية فهي: الوجود، والوحدانية، والقدم، والبقاء، والقيام بالنفس، والمخالفة للحوادث. وأما المعنوية فهي: العلم، والقدرة، والإرادة، والحياة، والكلام، والسمع، والبصر. وإدراك جميع الملموسات فهي لمعنى قائماً بذات الله تعالى لا يعلم كيف هو إلا هو. وأما الصفة الفعلية فهي الرحمان الرحيم الخالق الرازق. وأما الصفة السلبية [فهي(1)]: لا شبيه له، ولا والد له، ولا صاحبة له ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[23]. [وأصول التوحيد على أربعة أقسام: اسم، وذات، وصفة، وفعل. فأما الاسم: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ﴾[24] والذات: ﴿قُلْ هُوَ

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

---

[21] الذاريات: 35.

[22] الحجرات: 14 وتمامها ﴿قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

[23] الشورى: 11.

[24] البقرة: 255.

﴿ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[25] والصفة ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾(1)] والفعل ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾[26] والتوحيد على ثلاثة أقسام: ظاهر، وباطن، وحقيقة. فظاهره: الاسم، وباطنه الإيمان. وحقيقته التقوى. والتقوى لباس المؤمن وستر له من الذنوب، والعمل الصالح طهره وشرفه، والله يرفعه ويحببه لعباده المتقين.

**واعلموا**: أنه لا يكون الطالب طالباً ولا الفقير فقيراً حتى يعرف أين هو أصل الأصول، والأصل فوق الأصول، والأصل الذي يجي به الأصول، والأصل دون الأصول. فأما أصل الأصول فهو: الله سبحانه. وأما الأصل فوق الأصول فهو: كلام الله تعالى. وأما الأصل الذي يجيء به الأصول فهو: جبريل عليه السلام. وأما الأصل دون الأصول فهو: محمد ﷺ. فإن قال قائل: أين الفرض الذي ينظر إليه كل فرض؟ والفرض الذي يقوم منه كل فرض؟ والفرض الذي يقطع كل فرض؟ فالجواب: أما الفرض الذي ينظر إليه كل فرض فهو: مكة. وأما الفرض الذي يقوم منه كل فرض فهي: أم القرآن. وأما الفرض الذي يقطع كل فرض فهو: الموت. فإن قال قائل: ما الفرض؟ وفرض الفرض؟ وما يتم به الفرض؟ وصلاة لا فرض؟ وصلاة تركها فرض؟ وصلاة بالطول والعرض؟ وصلاة بين السماء والأرض؟ وصلاة في السماء والأرض؟ فالجواب: أما الفرض فهو: الصلوات الخمس. وأما فرض الفرض فهو: الوضوء. وأما ما يتم به الفرض فهو: الصلاة على رسول الله ﷺ. وأما الصلاة التي لا فرض: فصلاة الصبي قبل البلوغ. وأما الصلاة التي تركها فرض: فصلاة السكران. وأما الصلاة التي بالطول والعرض: فصلاة يونس في بطن الحوت. وأما الصلاة التي ما بين السماء والأرض: فصلاة سليمان بن

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

[25] الإخلاص: 1.

[26] الرحمن: 29.

داوود عليه السلام. وأما الصلاة التي في السماء والأرض: فصلاة رسول الله ﷺ ليلة المعراج. فإن قال قائل: ما معرفة الفرض؟ وعن فرض في ابتداء كل فرض؟ وعن فرض يحتاج إليه كل فرض؟ وعن فرض يستغرق في فرض؟ فالجواب: أما معرفة الفرض: فمعرفة الله تعالى. وأما فرض في ابتداء كل فرض فهو: النية. وأما فرض يحتاج إليه كل فرض: فالعلم. وأما فرض يستغرق في الفرض: فالاغتسال من الجنابة. فإن قال قائل: ما الفرض عليك؟ [وما فرض الفرض؟[1]] وما الفرض الذي يؤدي إلى الفرض؟ وما السنة الداخلة في الفرض؟ وما السنة التي تقطع منها الفرض؟ وما السنة التي تغني عن الفرض؟ وما السنة التي يتم بها الفرض؟ وما السنة المستغرقة في الفرض؟ وما السنة التي تتم بها الفروض كلها؟ [وما الفرض بين سنتين؟[2]] وما السنن بين فرضين؟ وما الفرض الذي يتصرف في كل فرض؟ فالجواب: أما الفرض علي: الصلوات الخمس. وأما فرض الفرض: الوضوء. وأما الفرض الذي يؤدي إلى الفرض: فنقل الماء إلى الأعضاء. وأما السنة الداخلة في الفرض: فتخليل الأصابع. وأما السنة التي تقطع منها الفرض فهي: الوتر. وأما السنة التي تغني عن الفرض: فالمسح على الخفين. وأما السنة التي يتم بها الفرض: الاختتان. وأما السنة المستغرقة في الفرض: فغسل الملتمس[3] عند الجنابة. وأما السنة التي تتم بها الفروض كلها: فالحج إلى بيت الله الحرام[4]. وأما الفرض بين سنّتين: فغسل المارن عند الوضوء والغسل. وأما السنن بين فرضين: فالمضمضة والاستنشاق ومسح الأذنين. وأما الفرض الذي يتصرف في كل فرض: فالنية. والحاصل فعليكم: بتصحيح إيمانكم، ومعرفة ما يصلح بكم من فرض العين. قال شيخنا فيما كتب لي: عليك بمعرفة العقائد الأشعرية، وبدوام الذكر، وبالصلاة على رسول الله ﷺ فهي معراج السلوك إلى الله.

والصلاة من الله على نبيه زيادة تكرمة وإنعام، ومن الملائكة دعاء واستغفار، ومن الآدميين عبادة أي قربة إلى الله. وهي واجبة في العمر

(1) (2) ما بين الحواصر ساقط من «ج».

(3) كذا في النسختين ولم أفقه لها معنى.

(4) كذا في النسختين وهو سهو ظاهر.

مرة. [وباقيها مستحب[(1)]]. وأما سلام الله على نبيه فزيادة تأمين له وطيب تحية وإعظام. وأما الآل فهم: أهله ﷺ أي أهل بيته. وأما صحبه ﷺ فقال العلماء: حقيقة الصاحب هو من لقي النبي ﷺ وآمن به ومات على الإسلام. وأما حقيقة الحمد فهو: الثناء بالكلام على المحمود بجميل صفاته سواء كانت من باب الإحسان أو من باب الكمال. وينقسم إلى أربعة أقسام: من قديم إلى قديم قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[27] ومن قديم إلى حادث قوله تعالى: ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾[28] أي صبار. ومن حادث إلى قديم كحمدنا لمولانا جلّ وعزّ. ومن حادث إلى حادث كحمد المخلوقات لبعضهم بعضا. وهو واجب مرة واحدة في العمر وباقيه مستحب. وحقيقة الشكر هو: الثناء باللسان أو بغيره عن المنعم بسبب ما أسدى إلى الشاكر من النعم. وحقيقة الحكم العادي هو: إثبات الربط بين أمر وأمر وجوداً أو عدماً بواسطة تكرر الاقتران بينهما على الحس. وحقيقة الحكم العقلي عبارة عما يدركه العقل بمجرد إثبات أمر أو نفيه من غير توقف على تكرار أو وضع واضع. وأما الواجب فعلى قسمين: ضروري كتحيُّز الجرم أي أخذه قدر ذاته من الفراغ، ونظري كقدم مولانا عزّ وجلّ. والمستحيل على قسمين: ضروري ككون الجرم متحركاً ساكناً معاً. ونظري ككون ذاته العلية جرماً. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. والجائز على قسمين: ضروري كوجود الحركة والسكون للجرم ونظري كتعذيب المطيع وإثابة العاصي. ونعتقد أنه لا تأثير في الطاعة في دخول الجنة ولا تأثير للمعصية في دخول النار إنما هو بمحض اختياره جلّ وعزّ. وأما حقيقة الواجب فهو: الثبوت الذي لا يقبل النفي. وحقيقة المستحيل هو: النفي الذي لا يقبل الثبوت. وحقيقة الجائز هو: الذي يقبل الثبوت والنفي. ومن لا يعرف أقسام

---

[27] الفاتحة: 1.
[28] ص: 30.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

الواجب والمستحيل والجائز فليس من العقلاء كما نص عليه الإمام السنوسي رحمه الله تعالى[29]. ويجب على كل مكلف شرعاً وهو: البالغ العاقل الرشيد أن يعرف ما يجب في حق الله وما يستحيل وما يجوز. ويجب عليه مثل ذلك في حق الرسل عليهم الصلاة والسلام لأنه بمعرفة ذلك يكون مؤمناً محققاً لإيمانه على بصيرة في دينه. وحقيقة المعرفة هي: الجزم المطابق لما في نفس الأمر عن دليل وبرهان. ولا يكفي التقليد وهو: الجزم المطابق في عقائد الإيمان بلا دليل.

**واعلموا**: أن هذا العلم لا يحصل ضرورة ولو كان كذلك لأدركه جميع العقلاء ولا يحصل إلهاماً إذ لو كان كذلك لوضعه الله في قلب كل حي. ولا يصح أن يقال(1) إنه تعالى يعلم بالتقليد. فمما يجب لمولانا جلّ وعزّ عشرون صفة، ويستحل في حقه تعالى أضدادها. وقد أشير بمن التبعيضية إلى أن صفات مولانا جلَّ وعزّ الواجبة له لا تنحصر في هذه العشرين إذ كمالاته تعالى لا نهاية لها. لكن العجز عن معرفة ما لا ينصب عليه دليل عقلي ولا نقلي لا نؤاخذ به فضل من الله تعالى. وهي: الوجود وضده العدم. وحقيقة الوجود هي: الصفة المقابلة للعدم. والبرهان من العقل وجود المخلوقات والدليل من النقل قوله تعالى: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾[30] والقدم وضده الحدوث. وحقيقته: عبارة عن سلب العدم السابق على الوجود، والدليل من العقل لو لم يكن قديماً لكان حادثاً، ومن النقل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ﴾[31] والبقاء وضده الفناء. وحقيقة البقاء:

---

[29] وعبارته: «قال إمام الحرمين وجماعة إن معرفة هذه الأقسام الثلاثة هي نفس العقل فمن لم يعرف معناها فليس بعاقل». السنوسي، شرح الصغرى. ص: 8. مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2059 د.

[30] البقرة: 115.

[31] الحديد: 3.

(1) في «ج» ولا يصح أن العلم بالتقليد.

عبارة عن سلب العدم اللاحق للوجود. والدليل من العقل لو أمكن أن يلحقه العدم لانتفى عنه القدم، والدليل من النقل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ﴾ بعد الأشياء بلا نهاية. والمخالفة للحوادث وضدها المماثلة. وحقيقة المخالفة: سلب الجرمية والعرضية ولوازمهما. والدليل من العقل: لو ماثل شيئاً منها لكان حادثاً مثلها، ومن النقل قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[32] والقيام بالنفس وضده الافتقار. وحقيقة القيام بالنفس: سلب الافتقار إلى المحل والمخصص، والدليل من العقل لو احتاج تعالى إلى محل لكان صفة ولو احتاج إلى مخصص لكان حادثاً، والدليل من النقل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[33]. والوحدانية وضدها التعدد. وحقيقة الوحدانية: سلب التعدد في الذات، وفي الصفات والأفعال. والدليل من العقل: لو لم يكن واحداً لزم أن لا يوجد شيء من العالم، والدليل من النقل قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾[34]. وأما صفات المعاني فهي: القدرة وضدها العجز. وحقيقة القدرة: صفة يتأتى بها إيجاد الممكن وإعدامه على وفق الإرادة. والدليل من العقل: إيجاده للخلق بلا معين، ومن النقل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[35]. والإرادة وضدها الكراهة. وحقيقة الإرادة: صفة يتأتى بها تخصيص الممكن ببعض ما يجوز عليه. والدليل من العقل...(1)، ومن النقل قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[36]. والعلم وضده

(1) سقط الدليل العقلي من قبل الناسخ في النسختين معاً. ومعلوم أن من الأدلة العقلية على ثبوت صفة الإرادة لله سبحانه أنه لو لم تثبت له للزم أن يقع في ملكه ما لا يريده وهذا ما لا يكون قطعاً لأنه لا يتلاءم مع الكمال الذي يجب له فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

[32] الشورى: 11.

[33] فاطر: 15.

[34] الإخلاص: 1.

[35] جزء آية وردت في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم نذكر منها: البقرة: من الآية: 284.

[36] يس: 82.

الجهل. وحقيقة العلم: صفة ينكشف بها المعلوم على ما هو به انكشافاً لا يحتمل النقيض بوجه من الوجوه. والدليل من العقل لو لم يكن عالماً لكان جاهلاً، ومن النقل قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٌ﴾[37]. والحياة وضدها الممات(1). وحقيقة الحياة: عبارة عن انقطاع مدة الحياة(2) وهذا في حق المخلوقات. وأما في حقه تعالى فهو: حي بلا روح ولا مجاز. والدليل من العقل: لو انتفت عنه الحياة لما وجد شيء من الحوادث، ومن النقل قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾[38]. والسمع وضده الصمم وحقيقة السمع: صفة ينكشف بها المسموع انكشافاً يباين ما سواه ضرورة. [والبصر مثله(3)] والدليل من العقل على السمع والبصر والكلام. الكتاب والسنة والإجماع(4) فلو لم يتصف بها للزم أن يتصف بأضدادها وهي نقائص والنقص عنه تعالى محال، والدليل على السمع والبصر من النقل قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾[39]. وحقيقة الكلام هو: المعنى القائم بالذات، المعبر عنه بأنواع العبارات المختلفات، المباين لجنس الحروف والأصوات، المنزه عن البعض والكل والتقديم [والتأخير(5)] والسكوت واللحن والإعراب وسائر أنواع التغيّرات، المتعلق بما يتعلق به العلم من المتعلقات. ودليله من النقل: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾[40] وحقيقة [الصفات(6)] المعنوية على الجملة صفات معنوية [لا تتصف بالوجود ولا بالعدم ملازمة للسبع الأولى وهي: كونه تعالى قادراً، ومريداً، وعالماً، وحياً، وسميعاً، وبصيراً،

(1) في «ج» الموت.

(2) هكذا وردت هذه العبارة في النسختين، ويبدو الاضطراب واضحاً فيها وفيما بعدها من عبارات.

(3) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(4) كذا في النسختين والعبارة مضطربة.

(5) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(6) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

---

[37] جزء آية وردت في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم نذكر منها: سورة النور: من الآية: 35 ومن الآية: 64.

[38] غافر: 65.

[39] جزء آية وردت في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم منها: سورة الحج من الآية: 75.

[40] النساء: 164.

ومتكلماً. وضد قادر عاجز[1]]، وضد مريد مكره، وضد عالم جاهل، وضد حي ميت، وضد سميع أصم، وضد بصير أعمى، وضد متكلم أبكم. ويجمع معاني هذه العقائد قول: لا إله إلا الله محمد رسول الله. فتظهر الهمزة من إله، وأن لا تطيل مد ألف لا جداً، وكذا تفصح بالهمزة من إلاّ، وتشدد اللام بعدها. وحقيقة لا إله إلا الله هو: المعبود بحق. ومعنى لا إله إلا الله: المستغني[2] عن كل ما سواه ومفتقر إليه كل ما عداه إلا الله. فيندرج تحت الاستغناء: الوجود، والقدم والبقاء، والمخالفة للحوادث، والقيام بالنفس، والسمع، والبصر، والكلام. وسميعاً، وبصيراً، ومتكلماً. فهذه إحدى عشرة صفة مع أضدادها وهي: العدم، والحدوث، والفناء، والمماثلة، والافتقار، وأصم، وأعمى، وأبكم. والصمم. والعمى، والبكم. ونفي الغرض ضده ثبوت الغرض، ونفي التأثير ضده ثبوت التأثير، وجواز الفعل ضده وجوب الفعل. فهذه ثمانية وعشرون صفة تندرج تحت الاستغناء. وأما الافتقار فيندرج تحته الحياة، والقدرة، والإرادة، والعلم، والوحدانية، وحيّا، وقادراً، ومريداً، وعالماً. مع أضدادها الموت، والعجز، والكراهة، والجهل، [والتعدد[3]]. وميتاً، وعاجزاً، وكارهاً، وجاهلاً. ونفي التأثير، وجواز حدوث العالم. وضد نفي التأثير وجوب التأثير. وضد جواز حدوث العالم وجوب حدوث العالم. فهذه اثنتان وعشرون صفة تندرج تحت الافتقار. وأما محمد رسول فيندرج تحتها الصدق، والتبليغ، والأمانة. ويستحيل أضدادها وهي: الكذب، والخيانة، وعدم التبليغ، وجواز الفعل، وجواز الأعراض البشرية. فهذه ثمانية صفات تندرج تحت محمد رسول الله، وثمانية وعشرون صفة تندرج تحت لا إله إلا الله محمد رسول الله. ولما كانت هذه الصفات المعنوية لازمة لصفات المعاني رتبها على حسب ترتيب تلك. فكونه تعالى: قادراً لازم للقدرة القائمة بذاته تعالى. وكونه: مريداً لازم لإرادته القائمة بذاته تعالى. [وكونه: عالماً لازم للعلم القائم بذاته تعالى[4]]. وكونه: حياً لازم للحياة

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(2) في «ج» لا مستغنياً عن كل ما سواه.
(3) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(4) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

القائمة بذاته تعالى. وكونه: سميعاً لازم للسمع القائم بذاته تعالى. وكونه: متكلماً لازم للكلام القائم بذاته تعالى. وتنقسم الصفات إلى أربعة أقسام: نفسية، وسلبية، ومعاني، ومعنوية. وحقيقة الصفات السلبية على الجملة صفات سلبية سلبت عن الله أمراً لا يليق به تعالى. وتنقسم بحسب التعلق إلى أربعة أقسام: قسم لا يتعلق [بشيء[1]] وهو: الحياة. وقسم يتعلق بالممكنات فقط وهو: القدرة والإرادة. وقسم يتعلق بجميع الموجودات وهو: السمع والبصر. وقسم يتعلق بالواجب والمستحيل والجائز وهو: العلم والكلام. واعلم أن الصفات المتعلقة أعمها في التعلق العلم والكلام. وبين متعلق القدرة والإرادة، وبين متعلق السمع والبصر عموم وخصوص من وجه فتزيد القدرة والإرادة بتعلقهما بالمعدوم الممكن، ويزيد السمع والبصر بتعلقهما بالموجود الواجب. كذات مولانا جل وعز وصفاته. ويشترك القسمان في تعلقهما بالموجود الممكن. وكلامه تعالى منزه عن التلاوة، والقراءة، والحروف، والأصوات، واللغات. وكلام الله شيء واحد يفهم منه الأمر، والنهي، والترغيب، والترهيب. وليس بعربي وإنما التلاوة عربية وتسمية كلام الله قرآناً تسمية إلهية لا تسمية اصطلاحية. ومن زعم أن الله قارىء أو تالٍ فقد خرج عن مذهب المسلمين. وأن التعلق على ثلاثة مراتب: تعلق القدرة، وتعلق الإرادة، وتعلق العلم بجميع الممكنات[2]. فالأول مرتب على الثاني والثاني مرتب على الثالث. وإنما لم تتعلق القدرة والإرادة بالواجب والمستحيل [لأن القدرة والإرادة[3]] لمّا كانتا صفتين مؤثرتين لزم أن ما لا يقبل العدم أصلاً كالواجب لا يقبل أن يكون أثراً لهما. وإلاّ لزم تحصيل الحاصل وما لا يقبل الوجود أصلاً كالمستحيل لا يكون أثراً لهما، فلو تعلقت القدرة والإرادة بالمستحيل لزم على هذا التقدير الفاسد تعلقهما بإعدام أنفسهما، وسلب الألوهة عمن تجب له. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. [فاعرف[4]] حقيقة [التعلق[5]] وهو: طلب الصفة أمراً زائداً بعد القيام بمحلها. وتعلق القدرة طلبها الاختراع،

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(2) في «ج» وتعلق العلم بالممكنات.
(3) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(4) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(5) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

والحياة وهي لا تتعلق بشيء وهي الأصل في الجميع، وتعلق السمع والبصر طلبهما الانكشاف بالموجودات. وتعلق الكلام طلب الأدلة. وأما برهان وجود العالم فلأنه لو وجب عليه تعالى شيء منها عقلاً أو استحال عقلاً لانقلب الممكن واجباً أو مستحيلاً وذلك لا يعقل. وأما برهان صدقهم عليهم الصلاة والسلام فلأنهم لو لم يصدقوا للزم الكذب في خبرهم. وأما برهان وجود الأمانة لهم عليهم الصلاة والسلام فلأنهم لو خانوا بفعل محرم أو مكروه لانقلب المحرم أو المكروه طاعة في حقهم. وأما دليل جواز الأعراض البشرية عليهم - عليهم الصلاة والسلام - فمشاهدة وقوعها بهم عليهم الصلاة والسلام.

**إخواني**: عليكم بالتوحيد وهو مذهب الأشعري والأستاذ السنوسي. وأكثروا من الذكر والدعاء، فإن الله عزّ وجلّ يحب العبد الملحاح بالدعاء، ولا تدعوا بدعاء مبتدع فقد كان إمام سلسلتنا الشاذلي[41] يقول: من دعا بدعاء لم يدع به رسول الله ﷺ فهو مبتدع. وادعوا بالدعاء الوارد كقوله عليه الصلاة والسلام: «اللهم بك نصبح، وبك نمسي، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور». [في الصباح(1)] وفي المساء «وإليك المصير»[42] وتزيد عقبها في الصباح «اللهم اجعلني من أعظم عبادك عندك حظاً ونصيباً في كل خير تقسمه في هذا اليوم، وفيما بعده من نور تهدي به، أو رحمة تنشرها، أو رزق تبسطه، أو ضر تكشفه، أو ذنب تغفره، أو شدة تدفعها، أو فتنة تصرفها، أو معافاة تمنّ بها برحمتك إنك على كل شيء قدير». ومن

---

[41] تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة ص: 165.

[42] لعله يشير إلى ما أخرجه ابن ماجه في سننه «جـ2 ص: 1272» كتاب الدعاء - باب ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى. عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: إذا أصبحتم فقولوا: اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا وبك نموت. وإذا أمسيتم فقولوا: اللهم بك أمسينا وبك أصبحنا وبك نحيا وبك نموت وإليك المصير.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

دعائه عليه الصلاة والسلام عند إرادة النوم: «اللهم: باسمك وضعت جنبي، وباسمك أرفعه. اللهم: إن أمسكت نفسي فاغفر لها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين من عبادك. اللهم: إني أسلمت نفسي إليك، وألجأت ظهري إليك، [وفوّضت أمري إليك، ووجهت وجهي إليك رهبة منك ورغبة إليك(1)] لا منجا ولا ملجأ منك إلا إليك أستغفرك وأتوب إليك. آمنت بكتابك الذي أنزلت، وبرسولك الذي أرسلت. اغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت. أنت إلهي لا إله إلا أنت ربي قني عذابك يوم تبعث عبادك»[43] ومما روي في الدعاء عند الخروج من المنزل: «اللهم: إني أعوذ بك أن أضل أو أضل، أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم، أو أجهل أو يجهل عليّ[44]. باسم الله، توكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله». يقول ذلك ثلاثاً ومما روي عنه عليه الصلاة والسلام من الأذكار في دبر كل صلاة مفروضة: «أن تسبح لله ثلاثاً وثلاثين تسبيحة، وتكبر الله ثلاثاً وثلاثين [تكبيرة(2)]، وتحمد الله ثلاثاً وثلاثين تحميدة، وتختم المائة بلا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»[45]. وفي أكثر الروايات

---

[43] مقتبس من عدة أحاديث صحيحة أوردها كل من:
1 ـ البخاري في صحيحه «جـ1 ص: 219» كتاب الدعوات.
2 ـ مسلم في صحيحه «جـ17 ص: 28» بشرح النووي ـ كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب الدعوات والتعوذ.
3 ـ الترمذي في سننه «جـ5 ص: 125» أبواب الدعوات.

[44] لعله يشير إلى ما أخرجه ابن ماجه في سننه «جـ2 ص 1278» كتاب الدعاء ـ باب ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته. عن أم سلمة أن النبي ﷺ كان إذا خرج من منزله قال: «اللهم إني أعوذ بك أن أضل أو أزل أو أظلم أو أظلم أو أجهل أو يجهل عليّ».

[45] لعله يشير إلى ما أخرجه [illegible] في صحيحه «جـ2 ص: 98» كتاب الصلاة ـ باب استحباب الذكر بعد الصلاة. عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ: من سبح لله دبر كل صلاة ثلاثاً وثلاثين وحمد الله ثلاثاً وثلاثين وكبر الله ثلاثاً وثلاثين فتلك =

(1) (2) ما بين الحواصر ساقط من الأصل.

إسقاط «يحيي ويميت». ومما روي ما يقال عند دخول بيت الخلاء: «بسم الله اللهم: إني أعوذ بك من الخبث والخبائث الرجس النجس الضال المضل الشيطان الرجيم[46]» ويقال عند الخروج من بيت الخلاء: «الحمد لله الذي رزقني لذته، وأخرج عني مشقته، وأبقى في جسمي قوته. اللهم: غفرانك. الحمد لله الذي سوغنيه طيباً، وأخرجه مني خبيثاً من غير حول مني ولا قوة. اللهم: غفرانك»[47] ثلاثاً. ومما يقال عند الانتباه من النوم(1) إلى حين منامه أثناء ليله ونهاره. فليقل إذا انتبه من نومه: «الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور»[48] وليقل عند خروجه من بيته رافعاً رأسه إلى السماء: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية[49] وليقل عند الاستياك: «اللهم: طهر فمي من الكذب والغيبة وفحش الكلام». وليقل عند الشروع في الوضوء: «بسم الله الرحمن الرحيم اللهم: اجعلني وجيهاً

---

= تسعة وتسعون وقال تمام المائة لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير. غفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر.

[46] لعله يشير إلى ما أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة. ص: 17 ـ 18 باب التسمية عند دخول الخلاء. عن عدي بن عمارة الدارع قال: سمعت قتادة يحدث عن أنس بن مالك يحدث عن رسول الله ﷺ قال: «هذه الحشوش محتضرة فإذا دخل أحدكم الخلاء فليقل: باسم الله». وما أخرجه أيضاً في باب ما يقول إذا دخل الخلاء. عن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الخلاء قال: اللهم إني أعوذ بك من الخبث والخبائث. وعنه أيضاً قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل الغائط قال: اللهم إني أعوذ بك من الرجس النجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم.

[47] أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة. ص: 19 ـ باب ما يقول إذا خرج من الخلاء. باختلاف في بعض ألفاظه وطرقه.

[48] لعله يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه «جـ4 ص: 152» كتاب الدعوات ـ باب ما يقول إذا أصبح. عن أبي ذر قال: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل قال: اللهم باسمك أموت وأحيا، فإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور.

[49] تمام الآية: ﴿وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ آل عمران: 190.

(1) في «ج» عند هبوبه من نومه.

عندك ـ كما أن الوضوء مأخوذ من النزاهة والوجاهة ـ لا إله إلا أنت لا إله غيرك ولا معبود سواك». وينوي الوضوء وليقل عند غسل اليدين: «اللهم طهر يديَّ من أعمال المفسدين» وليقل عند المضمضة: «اللهم: صرِّف لساني فيما ترضى به عني». وليقل عند الاستنشاق: «اللهم: متعني بروائح الجنة». وليقل عند الاستنثار: «اللهم: نقني من كل قذر وهدر». وليقل عند غسل وجهه: «اللهم: بيِّض وجهي يوم تبيض وجوه وتسود وجوه». وليقل عند غسل ذراعه اليمنى: «اللهم: اجعلني من أهل اليمين والتمكين». وليقل عند غسل اليسرى: «اللهم: لا تجعلني من أهل الشمال والوبال». وليقل عند مسح الرأس: «اللهم: ارزقني تواضعاً يرفعني عندك». وليقل عند غسل رجليه: «اللهم ثبت قدمي على الصراط يوم تثبت أقدام وتزلزل(1) أقدام». وليقل عند الفراغ من الوضوء: «اللهم: اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين»[50]. وليقل عند دخول المسجد: «بسم الله وبالله. اللهم: اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك»[51]. وليقل إذا سمع الآذان مثل ما يقول المؤذن إلا الهيلعة فيعوضها بالحوقلة[52]. ويسلم

---

[50] لعله يشير بذلك إلى ما أخرجه الترمذي في سننه «جـ1 ص: 38» أبواب الطهارة ـ باب فيما يقال بعد الوضوء. عن عمر بن الخطاب قال رسول الله ﷺ من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين. فتحت له ثمانية أبواب الجنة يدخل من أيها شاء.

[51] لعله يشير بذلك إلى ما أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة. ص: 43 باب ما يقول إذا دخل المسجد. عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: إذا دخل أحدكم المسجد أو أتى المسجد فليسلم على النبي ﷺ وليقل: اللهم افتح لي أبواب رحمتك... وعن أنس بن مالك قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل المسجد قال: بسم الله اللهم صلّ على محمد... وعن ابن عمر قال: علم النبي ﷺ الحسن بن علي رضي الله عنهما إذا دخل المسجد أن يصلي على النبي ﷺ ويقول: «اللهم اغفر لنا ذنوبنا...».

(1) في «ج» وتزل أقدام.

إذا دخل المسجد ولو لم يكن إلا الملائكة ومؤمنو الجن. وليقل بين ركعتي الفجر وصلاة الصبح مائة مرة. «سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم أستغفر الله». وليقل عند الصباح: «اللهم: إني [أصبحت(1)] أشهدك وأشهد حملة عرشك وسائر ملائكتك وجميع خلقك أنك أنت الرب لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك شهادة أستودعك إيَّاها إلى حين موتي ودخولي قبري ووقوفي بين يديك يا من لا تضيع بين يديه الودائع» وليقل إذا أقيمت الصلاة: «اللهم أقمها وأدمها ما دامت السموات والأرض»[53] وليقل إذا توجه للصلاة: «وجهت وجهي للذي فطر السموات والأرض حنيفاً وما أنا من المشركين إن صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين»[54]. وليقل في ركوعه: «سبحان ربي العظيم وبحمده» ثلاثاً. وفي السجود: «سبحان ربي العلي الأعلى» ثلاثاً. وليقل دبر كل صلاة: آية الكرسي والقلاقل[55] ثلاثاً وسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي

---

[52] لعله يشير بذلك إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه «جـ1 ص: 79» كتاب الأذان ـ باب ما يقول إذا سمع المنادي. عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن... وعن يحيى قال: حدثني بعض إخواننا أنه قال لما قال حيّ على الصلاة قال: لا حول ولا قوة إلا بالله. وقال: هكذا سمعنا نبيكم ﷺ يقول.

[53] لعله يشير بذلك إلى ما أخرجه أبو داود في سننه «جـ1 ص: 125» كتاب الصلاة ـ باب ما يقول إذا سمع الإقامة. عن أبي أمامة أو عن بعض أصحاب النبي ﷺ أن بلالاً أخذ في الإقامة فلما أن قال: قد قامت الصلاة. قال النبي ﷺ: أقامها الله وأدامها.

[54] أخرجه مسلم في صحيحه. «جـ2 ص: 185» كتاب صلاة المسافرين ـ باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه.

[55] يشير بذلك إلى ما أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة. ص: 55 باب ما يقول في دبر صلاة الصبح. عن عقبة بن عامر قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أقرأ المعوذتين دبر كل صلاة. وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: من قرأ آية الكرسي دبر كل صلاة مكتوبة لم يحل بينه وبين دخول الجنة إلا الموت.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

العظيم. ثلاثاً وثلاثين كما قدمناها مفردة أو مجمعة والأحسن الإفراد
كما جرى به فعل مشايخ طريقتنا، ولم أذكر في الرواية الأولى التهليل
والحوقلة وهي أشهر رواية.



# الرسالة الثامنة

## رسالة إلى أصحابه بمدينة طرابلس الغرب[1]

**وهم:**

1 ـ ناصف خليل الحنفي

2 ـ مصطفى خليل الحنفي

---

(1) طرابلس الغرب: مدينة كبيرة على الساحل الشمالي لإفريقيا وعلى خط طول 13 ـ 20 شرقاً وخط عرض 32 ـ 50 ـ شمالاً وهي الآن عاصمة ليبيا وقرنت بالغرب تميزاً لها عن مدينة طرابلس الشام كما أنها أكثر قرباً من حدود ليبيا الغربية التونسية إذ لا تبعد إلا بسوى 655 كلم من مدينة تونس العاصمة وتتميز بمناخ حار رطب صيفاً مع شتاء قصير ممطر وتنقسم عمرانياً إلى طرابلس القديمة التي أقيمت فوق مدينة أويا الفينيقية وطرابلس الحديثة التي بدأ إنشاؤها بعد الاحتلال الإيطالي سنة 1912م ويرجع تاريخ طرابلس إلى العصر الفينيقي إذ أقيمت في هذا الموضع مستعمرة باسم تريبوليس أي «ذات المدن الثلاث» وهي أويا «طرابلس المدينة» وليبوتس ماجنا «صبراتة» وليبوتس مانيا «لبدة» ثم تحولت المستعمرة إلى ولاية رومانية في عهد الأمبراطور سيفروس واستولى عليها الفندال في القرن الخامس ثم استعادها البيزنطيون عام 534م ثم افتتحها العرب المسلمون سنة 22هـ ـ 642م، بقيادة عمرو بن العاص الذي كتب إلى عمر بن الخطاب في المدينة المنورة بعد أن فتح شروس عاصمة جبل نفوسة إذ ذاك بقوله: «إن الله قد فتح علينا أطرابلس وليس بينها وبين أفريقية إلا تسعة أيام فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها على يديه فعل» ويفهم منه أن كلمة طرابلس تطلق على القطر كله لأنه كتبه بعد أن فتح سرت ولبدة وطرابلس وصبراتة ورحل إلى شروس. للمزيد من المعلومات: دائرة المعارف الإسلامية جـ 15 ص: 106 ـ القاموس الإسلامي جـ 4 ص: 482 ـ معجم البلدان الليبية ص: 23 وما بعدها.

3 ـ خليل الحنفي
4 ـ مامي بن علي
5 ـ علي بن مصطفى الزرلي
6 ـ محمد بن ملا علي
7 ـ عبد الرحمن حمزة شاكونة
8 ـ عمر عبد الرحمن القريوي
9 ـ عبد الرحمن علي بو فارس
10 ـ موسى بن إسماعيل
11 ـ إبراهيم بن يونس
12 ـ محمود سالم الزميري
13 ـ أبو محمد عبد الجبار
14 ـ إبراهيم خليفة الإنجيلي
15 ـ عبد القادر بن مديون
16 ـ عبد الله محمد المكني
17 ـ يحيى بن سوف الجين
18 ـ علي محمد أبو بكر التاجوري
19 ـ محمد بن محمود دعي «الصغيّر التاجوري»[1]

## مخطوطات الرسالة:

للرسالة نسخة فريدة تضمنها كتاب «روضة الأزهار» لكريم الدين البرموني وهذه الرسالة فيه من ص 321 إلى ص 336 من مخطوط مكتبة آل أبو زبيدة بزليتن لكتاب «روضة الأزهار» وقد رمزت له بكلمة «الأصل» وبحسب مخطوط مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس فقد جاءت فيه من ثلث الورقة 137 إلى الورقة 143 وقد رمزت له بالحرف «ج».

(1) معظمهم لم أقف على تراجم لهم ومن وقفت على ترجمة له ستأتي في مكانها عند ذكره في صلب الرسالة.

## نص الرسالة

### بسم الله الرحمن الرحيم

من العبد الفقير إلى الله عبد السلام بن سليم الفيتوري الحازمي النبيلي الحسني إلى الإخوان الداخلين في طريقتنا العروسية الشاذلية منهم: سيدي ناصف بن خليل الحنفي، وشقيقه سيدي مصطفى، وأبيهما، وسيدي مامي بن علي، وسيدي علي بن مصطفى الزرلي(1)، وسيدي الحاج محمد بن ملا علي، والأخ في الله عبد الرحمن بن حمزة شاكونة، والمريد الصادق العالم العلامة عمر الشهير بالقريوي[1]، وعبد الرحمن بن علي بن بو فارس السيدي، وموسى بن إسماعيل، وإبراهيم بن يونس، ومحمود بن سالم الزميري، وأبو محمد بن عبد الجبار، وإبراهيم بن خليفة الأنجيلي، وعبد القادر بن مديون، وعبد الله بن محمد المكني، ويحيى بن سوف الجين، وعلي ابن محمد بن أبي بكر التاجوري، ومحمد بن محمود دعي الصغيّر التاجوري، وكل من بطرابلس وقراها وأحوازها.

---

[1] هو: أبو حفص عمر بن عبد الرحمن. شهر بالقريوي من علماء طرابلس ورجالاتها ولد بها سنة 906هـ ـ 1500م ونشأ وترعرع ثم ارتحل إلى جامع الزيتونة بتونس للدراسة والطلب ثم عاد إلى طرابلس فترة من الوقت ليغادر بعدها إلى الجامع الأزهر بمصر ليجمع بين منهج المغاربة والمشارقة في التلقي والدرس وبعد أن امتلأت أوطابه من العلوم المنقولة والمعقولة رجع إلى طرابلس وفي طريق عودته توقف بزاوية الأسمر واجتمع بشيخها عبد السلام الأسمر الذي أسلكه في طريقته السلامية العروسية وفي طرابلس جلس للتدريس بمدرسة الرخام وفيها تبوأ المكانة العلمية والاجتماعية العالية فكان [illegible] الكلمة نافذ الرأي وفي أواخر عمره انتقل إلى الصابرية وهي قرية من قرى الزاوية الغربية وبها كانت وفاته سنة «999هـ ـ 1590م». روضة الأزهار جـ 2 ـ ص: 438 ـ أعلام ليبيا ص: 288.

(1) في «ج» علي بن مصطفى الخروبي.

**السلام عليكم ورحمة الله**. وبعد:

**فإنني أوصيكم ونفسي**: بتقوى الله [واتباع(1)] سنة رسول الله ﷺ التي هي المحجة البيضاء، وبتصحيح إيمانكم، وبالنظر والاستدلال وذلك أول الواجبات. وما يجب عليكم من فرض العين، وبلين الجانب لكل بار وفاجر، وبالإحسان لجيرانكم، واصبروا على إذايتهم لكم، واكتموا أسرارهم، واستروا عوراتهم، ولا تقابلوهم بضد ما فعلوا، واعفوا عنهم. ففي الحديث «من صبر على أذى جاره ملكه الله داره»[2] وقال الله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ وهو الذي ليس بينك وبينه قرابة. ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾ يعني الرفيق بالطريق. ﴿وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يعني الغريب. ﴿عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ﴾[3] يعني المماليك. وقال ﷺ «الجار إن استعان بك أعنته، وإن استقرضك أقرضته، وإن غاب عنك حفظته، وإن افتقر جدت عليه، وإن مرض عدته ـ أي زرته ـ وإن مات اتبعت جنازته، وإن أصابه خير هنأته، وإن أصابته مصيبة عزيته، ولا تستطيل عليه بالبناء فتحجب عنه الريح إلا بإذنه، وإذا اشتريت فاكهة فأهد له منها فإن لم تفعل فأدخلها سراً، ولا يخرج بها ولدك ليغيظ بها ولده، ولا تؤذه بقتار قدرك إلا أن تغرف له منها»[4] وقال ﷺ: «من أفطر ثلاثة غفر له ومن كانت له جيرة ثلاثة

---

[2] أورده العجلوني في «كشف الخفاء. جـ 2 ص: 219» بلفظ «من أذى جاره أورثه الله داره» وقال عنه: كذا رأيته في كلام بعض من جمع الحديث ممن لا يعرف لكن بلفظ ورثه بتشديد الراء فلينظر حاله. ثم رأيت النجم قال: أورده في الكشاف، ولعله مثل سائر وليس بحديث ومأخذه في كتاب الله ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۖ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ﴾. إبراهيم: 13 ـ 14.

[3] النساء: 36.

[4] جزء من حديث طويل قال عنه العراقي في المغني في تخريج الإحياء. «جـ2 ص: 213» رواه الخرائطي في مكارم الأخلاق وابن عدي في الكامل وهو ضعيف.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

كلهم راضون عنه غفر له». وقال عليه الصلاة والسلام «إذا قال جيرانك أحسن فقد أحسنت، وإذا قالوا أسأت فقد أسأت»[5] وقال عليه الصلاة والسلام «لا يدخل الجنة من لا يأمن جاره بوائقه»[6] يعني غوائله وشره [وقال: إذا طبخت مرقة فأكثرها وتعاهد جيرانك[7](1)] وقال عليه الصلاة والسلام: «إذا رميت كلب جارك فقد أذيته»[8] وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تأكل اللحم دون جارك حتى تذيقه منه ولو عظماً أو مريقة فإن من أكل اللحم دون جاره أزال الله عنه عشر عقله ورفع البركة من كسبه فيكون كثير التعب قليل المنفعة والرزق».

**واعلموا رحمكم الله**: أنه يحرم الإشراف على بيوت الناس، والاستماع لهم وإلى حديثهم لغير مصلحة ظاهرة. وإياكم والتجسس على أحوال الناس بالاستماع لهم، وبالسؤال عن أحوالهم. يعني أن تقولوا لغيركم فلان آش يفعل هذا الزمان، أو زوجته، أو أولاده. وغير ذلك ممّا لا يعني مع حصول الغيبة والنميمة، فعلى العاقل أن يدع الناس وما صنعوا في غفلاتهم إلا أن يكون أمّاراً بالمعروف، نهّايا عن المنكر، قادراً على التنكير والتغيير بإذن الأمير، مع إقامة رسم

---

[5] أخرجه ابن ماجه في سننه «جـ2 ص: 1412» كتاب الزهد ـ باب الثناء الحسن. عن عبدالله بن مسعود بلفظ: «قال رجل لرسول الله ﷺ: كيف لي أن أعلم إذا أحسنت وإذا أسأت قال النبي ﷺ: إذا سمعت جيرانك يقولون: أن قد أحسنت فقد أحسنت وإذا سمعتهم يقولون قد أسأت فقد أسأت».

[6] أخرجه مسلم في صحيحه «جـ2 ص: 276» بشرح النووي. كتاب الإيمان ـ باب تحريم إيذاء الجار.

[7] أخرجه مسلم في صحيحه، «جـ16 ص: 177» بشرح النووي. كتاب البر والصلة والآداب ـ باب الوصية بالجار والإحسان إليه. عن أبي ذر بلفظ «إن خليلي ﷺ أوصاني إذا طبخت مرقاً فأكثر ماءه ثم انظر أهل بيت من جيرانك فأصبهم منها بمعروف».

[8] قال عنه العراقي في تخريج الإحياء: لم أجد له أصلاً. المغني بذيل الإحياء جـ 2 ص: 112.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

الشرع لأن تغيير المناكر لا يكون إلا لأمير أو مأمور.

واحسنوا إلى مماليككم، وأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، واعفوا عن زلاتهم، ولا تنظروا إليهم(1) بعين الكبر والازدراء، وعاشروهم بأحسن المعاشرة، ولا تكلفوهم ما لا يطيقون، وعلموهم أمر دينهم كالتوحيد وأحكام الصلاة، وإن استباعوهم فبيعوهم. قال شيخنا عبد الواحد ـ حاكياً عن غيره ـ: يجب على السيد أن يمكن عبده من تعلم القرآن قدر ما يؤدي به الفرض، كما يجب عليه تمكينه من فعل الصلاة، ويجب عليه أن يمكنه من نفسه زماناً يكتسب فيه قدر أجرة التعليم إن لم يجد متبرعاً، وليس للسيد أن يسوي بين عبيده مطلقاً، وله أن يفضل من إيمائه ذات الجمال والفراهة. وقال ﷺ: «حسن الملكة يمن وبر ونماء وسوء الملكة شؤم»[9] وقال عليه الصلاة والسلام: «ما من رجل يضرب عبده إلا أقيد منه يوم القيامة»[10].

وفي جامع الترمذي[11] عن عائشة[12] رضي الله عنها أن رجلاً

---

[9] أخرجه أبو داود في سننه «جـ4 ص: 341» كتاب الأدب ـ باب في حق المملوك. عن رافع بن سكيت بلفظ: «أن النبي ﷺ قال: حسن الملكة نماء وسوء الخلق شؤم». وفي نسخة «حسن الملكة يمن».

[10] أخرجه البخاري في الأدب المفرد عن عمار بن ياسر. بلفظ: «لا يضرب أحد عبداً له وهو ظالم له إلا قيد منه يوم القيامة». فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد «جـ1 ص: 274» باب قصاص العبد.

[11] هو: أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة السلمي البوغي الترمذي. من فحول أئمة علماء الحديث وحفاظه. تتلمذ على البخاري وشاركه في بعض شيوخه، من مؤلفاته «الجامع الكبير» في الحديث و«الشمائل النبوية». ولد سنة 209هـ 824م. وتوفي بترمذ سنة «279هـ ـ 892م» وفيات الأعيان جـ 1 ص: 484 ـ تذكرة الحفاظ جـ 2 ص: 187 ـ الأعلام جـ ص: 213.

[12] هي: أم المؤمنين عائشة بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن عثمان: تزوجها النبي ﷺ في السنة الثانية من الهجرة فكانت أحب نسائه إليه وأكثرهن رواية للحديث عنه. روي عنها 2210 حديثاً. ولدت بمكة سنة «9ق هـ ـ 613م» وتوفيت =

(1) فى الأصل و«ج» ولا تنظرونهم بعين الكبر. والصواب ما أثبتناه.

قعد بين يدي النبي ﷺ فقال: يا رسول الله إن لي مملوكين يكذبونني، ويخونونني، ويعصونني، وأشتمهم وأضربهم فكيف أنا منهم؟ فقال ﷺ: «تحسب ما خانوك وعصوك وكذبوك وعقابك إياهم، فإن كان عقابك إياهم بقدر ذنوبهم كان كفافاً فلا لك ولا عليك، وإن كان عقابك إياهم دون ذنوبهم كان فضلاً لك، وإن كان عقابك إياهم فوق ذنوبهم اقتص لهم منك الفضل». فتنحى الرجل فجعل يبكي ويهتف. فقال رسول الله ﷺ: أما تقرأ كتاب الله ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾[13] الآية فقال الرجل: «والله يا رسول الله ما أجد لي ولهم شيئاً خيراً من مفارقتهم. أشهدك أنهم أحرار كلهم»[14] وفي الصحيحين «ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»[15] فالإمام الذي على الناس راع وهو مسؤول عنهم والرجل راع على أهل بيته وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولدها وهي مسؤولة عنهم، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه. ألا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته. وقال ﷺ: «الإحسان إلى الخادم مما يكبت الله به العدو». وقال عليه الصلاة والسلام «من أحسن إلى ما ملكت يمينه نصره الله على عدوه». وقال عليه الصلاة والسلام «من أعتق رقبة أعتق الله بكل عضو منها

---

= بالمدينة سنة «58هـ - 678م» طبقات ابن سعد جـ 8 ص: 39 - الحلية جـ 2 ص: 43 - الأعلام جـ 3 ص: 240.

[13] تمام الآية: ﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ الأنبياء: 47.

[14] الجامع الكبير أو سنن الترمذي «جـ5 ص: 3» أبواب تفسير القرآن عن رسول الله ﷺ. سورة الأنبياء.

[15] 1 - صحيح البخاري «جـ1 ص: 110» كتاب الجمعة - باب الجمعة في القرى والمدن.

2 - صحيح مسلم «جـ3 ص: 1458» كتاب الإمارة - باب فضيلة الإمام العادل وعقوبة الجائر والحث على الرفق بالرعية والنهي عن إدخال المشقة عليهم.

عضواً منه من النار حتى فرجه بفرجه»[16]. وينبغي للعبد أن يبذل جهده لسيِّده ولا يتفجر ولا يتكاسل وإذا ناداه يقول له: نعم. ما لم يدعه لمعصية فلا يطاوعه. فـ«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»[17]. وعليكم: ببر الوالدين وبصلة الرحم كلها.

**واعلموا رحمكم الله**: أن الأرحام هم القرابة كالآباء والأمهات، والبنين والبنات، والإخوة والأخوات، والأعمام والعمات، والأخوال والخالات، وأولاد العم والعمة، والخال والخالة. ونحوهم من القرابات المشتبكات. أما برُّ الوالدين فهو مما يتأكد في حق كل أحد لأن الله تعالى قرن اسمه باسمهما فقال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا﴾[18] وفي الحديث عن النبي ﷺ: «من أصبح وأمسى ووالداه راضيان عليه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أصبح وأمسى ووالداه ساخطان عليه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار»[19]. وأما صفة صلة الرحم فهي: أن يفعل الإنسان مع أقاربه ما يعدّ به مواصلاً غير منافر ولا مقاطع. فإن كان عنده مال وصلهم بهدية ونحوها، فإن لم يقدر على الصلة بالمال أو لم يكونوا محتاجين وصلهم بزيارة وإعانة في أعمالهم إن احتاجوا، وإن كان غائباً عنهم وصلهم بالكتب وإرسال السلام ولين الكلام ونحو ذلك فإن قدر على المشي إليهم فهو أفضل وهذا عام في كل قريب.

---

[16] أخرجه مسلم في صحيحه «جـ4 ص: 217» كتاب العتق ـ باب فضل العتق. عن أبي هريرة رضي الله عنه باختلاف يسير في بعض ألفاظه.

[17] أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخه «جـ9 ص: 396» عن عمران بن حصين.

[18] الاسراء: 23 ـ 24.

[19] أورده المتقي في كنز العمال «جـ16 ص: 278» باختلاف وزيادة في بعض ألفاظه عن زيد بن أرقم الديلمي عن ابن عباس وعزاه إلى الدارقطني في الافراد.

فإن كانوا ميِّتين فليزر قبورهم ويدعو لهم بالمغفرة بالأدعية المأثورة ويتصدق عليهم إن قدر وإلا فالدعاء [كاف(1)]. فإن كان بعيداً عن قبورهم كمسافة يومين فصاعداً فليدع لهم من الموضع الذي هو فيه وبه، وإن قدر على الذهاب إلى قبورهم بالمشي أو الركوب زار قبورهم وزار من كان حياً من أخلائهم لأن الصداقة كالأخوة. وأما الوالد فله حقوق زائدة فوق الصلة ذكرها أبو الليث[20] وغيره[21].

**أحدها**: إذا احتاج إلى الطعام أطعمه.

**الثاني**: إذا احتاج إلى الكسوة كساه إن قدر عليها.

**الثالث**: إذا احتاج إلى الخدمة أخدمه.

**الرابع**: إذا دعاه أجابه وحضره.

**الخامس**: إذا أمره بأمر غير معصية أطاعه.

**السادس**: أن يتكلم معه باللين وخفض الصوت ولا يتكلم معه بالغلظ.

**السابع والثامن**: لا يدعوه باسمه فيقول يا فلان بل يا أبتي ويا والدي، ولا يستسب له، ولا يمشي أمامه، ولا يجلس قبله. وكذا الشيخ الذي هو والد السر والعالم، لا يدعى باسمه ولا يمشي قدامه. وقد روي أن ذلك يورث الفقر.

---

[20] هو: أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندي. الملقب بإمام الهدى. علامة من أئمة الحنفية ومن الزهاد المتصوفين من مؤلفاته «تفسير القرآن» و«عمدة العقائد» و«تنبيه الغافلين». توفي سنة «373هـ - 983م» الجواهر المضية جـ 2 ص: 196 - الفوائد البهية ص: 220 - الأعلام جـ 8 ص: 27.

[21] أبو الليث السمرقندي، تنبيه الغافلين في الموعظة بأحاديث سيد المرسلين. ص: 64.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

**التاسع**: أن يدعو له بالمغفرة كما يدعو لنفسه قال بعض التابعين: من دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات فقد أدى حقهما لأن الله تعالى قال: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَيَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[22] فشكر الله تعالى أن يصلي كل يوم خمس مرات، وكذلك شكر الوالدين أن يدعو لهما [في كل يوم خمس مرات. قال ﷺ: «إن الرجل ليموت والداه وهو عاق لهما فيدعو الله لهما(1)] بعد موتهما فيكتبه الله من البارين»[23] وقال بعض الصحابة: ترك الدعاء للوالدين يضيِّق المعيشة على الولد، والدعاء لهما يوسِّع العيش عليه. نسأل الله تعالى أن يرضي عنا والدينا ويجازيهم عنا خيراً. قال ﷺ «بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والحج والعمرة والجهاد في سبيل الله تعالى»[24] وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يجزىء ولد عن والده إلا أن يجده مملوكاً فيشتريه فيعتقه»[25] ومن بر الوالدين بعد موتهما: أن يأتي ما يسرّهما من الطاعات لله تعالى وغيرها مما ليس بمنهى عنه ومنه: الإحسان إلى صديقهما قال ﷺ: «إن من أبر البر أن يصل الرجل أهل ودِّ أبيه»[26] بعد أن يولي الأب وأنشدوا: (الكامل).

---

[22] لقمان: 14.

[23] أخرجه البيهقي في الشعب «جـ6 ص: 202» باب في بر الوالدين ـ فصل في حفظ حق الوالدين بعد موتهما. عن محمد بن سيرين.

[24] أورده الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» ص: 257 وأعقبه بقوله: «قال في المختصر لم يوجد».

[25] أخرجه مسلم في صحيحه «جـ10 ص: 152» بشرح النووي. كتاب العتق ـ باب فضل عتق الوالد. عن أبي هريرة رضي الله عنه. وعنه أيضاً أخرجه الترمذي في سننه «جـ 3 ص: 209» أبواب البر والصلة ـ باب ما جاء في حق الوالدين.

[26] أخرجه مسلم في صحيحه «جـ16 ص: 109» بشرح النووي. كتاب البر والصلة والآداب باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم ونحوهما. عن عبد الله بن عمر وعنه أيضاً أخرجه الترمذي في سننه «جـ3 ص: 209» أبواب البر والصلة ـ باب إكرام صديق الوالد.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

خالل خليل أبيك وارع أخاه — واعلم بأن أخا أبيك أبوك
وبنوك ثم بنو بنيك فكن لهم — براً فإن بني بنيك بنوك
والطف بجدك رحمة وتعطفا — وارحم فإن أبا أبيك أبوك

وقد ذكر ﷺ في الكبائر: العقوق[27]. وهو كل ما أتى به الولد مما يتأذى به الوالد ونحوه تأذياً ليس بالهين مع أنه ليس بالواجب في الأصح. ولا منع للوالد من حج الفرض. ويمنعه من حج التطوع وليس له المنع من السفر لطلب العلم وإن لم يتعين عليه أو كان يمكنه التعلم [في بلده على الأصح، ولا منع من سفر التجارة، وكل سفر مباح إن قصر(1)] فإن كان طويلاً وظهر خوفه فله المنع(2) وإن غلب الأمن فلا إذن ولا منع.

**إخواني**: من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليبر والديه حيّين أو ميّتين والبرور قدمنا صفته فلا تجهلوا ولا تعصوا. وإياكم: وعقوق الوالدين الرفيقين الشفيقين على الذرية. ليس منا من عقّ والديه نعوذ بالله منه لأن الفقير الصحيح الذي لا يدخله الغلط والهوى لا يكون عاقًّا لوالديه ولا لمؤدبه ومعلمه. أيها الفقراء كونوا صادقين مصدقين.

**واعلموا**: أن الفقراء جمع فقير فعيل من الفقر. [قال في كتاب الانتباه(3)] الفقر لغة: عبارة عن خلو اليد من متاع الدنيا. واصطلاحاً عبارة: عن خلو القلب مما سوى الله. وحقيقته هو ما بيّنه رسول الله ﷺ لجعفر الخلدي[28] ـ رضي الله عنه ـ قال: خدمت ستمائة شيخ فما

---

[27] لعله يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه «جـ4 ص: 35» كتاب الأدب ـ باب عقوق الوالدين من الكبائر. عن أبي بكرة عن أبيه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: ألا أنبئكم بأكبر الكبائر، قلنا: بلى يا رسول الله، قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال ألا وقول الزور وشهادة الزور ألا وقول الزور وشهادة الزور فما زال يقولها حتى قلت لا يسكت».

[28] هو: أبو بكر جعفر بن محمد بن نصير الخلدي. شيخ الصوفية في أيامه =

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(2) في «ج» فلهم.

(3) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

وجدت من شفى قلبي في أربعة مسائل حتى وقف عليّ رسول الله ﷺ في النوم فقال لي: اسأل عن مسائلك الأربع فقلت: يا رسول ما العقل؟ فقال: أدناه تفكر الدنيا[1] وأعلاه ترك التفكير في ذات الله سبحانه. فقلت: وما التوحيد؟ [فقال[2]] كل ما أتى به الوهم وأجلاه الفهم فربنا عز وجل مخالف لذلك. فقلت: وما التصوف؟ فقال: ترك الدعاوي وكتمان المعاني فقلت: وما الفقر؟ فقال: هو سر من أسرار الله يودعه فيمن يشاء [من عباده[3]] فمن كتمه فهو من أهله وزاده الله منه، ومن باح به نفاه الله عنه.

قال: فانظر قرب معنى التصوف من معنى [الفقر[4]] كلاهما يشير إلى الخمول[5]. ولهذا المعنى عاب صاحب المباحث الأصلية[29] على مدعي الفقر وإن كان مع توفر شرائطه بقوله: (الرجز).

قول الفقير إنني فقير ... فللظهور أبداً يشير

قال الشيخ[6]: سيدي أحمد زروق[30] - رحمه الله - في شرحه: «أما قول الفقير إنني فقير فهو إشارة للظهور كما قال وذلك محمود ومذموم بحسب قصده وهو على ثلاثة أوجه:

**أحدها**: أن يقصد به التبرىء عما كان عليه قبل من الجهالة والغي ليكون عنواناً له على عدم العودة لما كان عليه. وهذا [أمر[7]] لا بأس به إن وقف على حده.

(1) في الأصل: ترك الدنيا.
(2) - (3) ما بين الحواصر ساقط من «ج».
(4) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(5) في «ج» يشير إلى الخلو.
(6) في «ج» قال شيخ مشايخنا.
(7) ما بين الحواصر ساقط من النسختين والزيادة من شرح زروق للمباحث الأصلية.

= ببغداد وأعلمهم بالحديث. تنسب إليه رسالة في محنة الإمام الشافعي بالمكتبة الظاهرية. ولد في بغداد سنة «253هـ - 867م» وبها توفي سنة «348هـ - 959م». طبقات الأولياء ص: 170 - الأعلام جـ 2 ص: 387.

[29] صاحب المباحث الأصلية هو: أبو العباس أحمد بن محمد بن يوسف التجيبي المعروف بابن البناء السرقسطي نسبة إلى سرقسطة بلدة بتخوم الجزيرة كان أصل نسبته منها ثم استقر بفاس وبها كانت وفاته. ابن عجيبة، الفتوحات الإلهية فى شرح المباحث الأصلية. ص: 2.

[30] سبقت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 166.

**الثاني**: أن يقوله ليستخبر به من عسى أن يرجو فيه خيراً ليكون له عوناً على البر والتقوى، ويقتدي به في شأنه. وهذا أيضاً لا بأس به إن لم يتعد به محله. وعلامة هذين الوجهين أن يقول ذلك مع انكسار وتبري واستغفار وحمد [لله(1)] واستبشار [يفيد من حقيقته قلبه فافهم(2)].

**الثالث**: أن يقول ذلك بقصد التبجّح والاستتباع وإظهار المزية والتعزز بالنسبة والاتصاف وطلب الرئاسة والشهرة. وهذا لا يجوز ولا يصح الالتفات لصاحبه. وعلامته [في ذلك(3)] الاستظهار بالدعاوي، وإشاعة الأمر في العموم، والتعرّض لكل أحد والتّعريض به. وشاهد الحال لا يخفى[31]. قال بعض الشيوخ: الفقير من افتقر في كل أحواله إلى ربه عزّ وجلّ وسكن قلبه إليه. وإن كانت الخواطر تلدغه فهو لا يلتفت إليها ويفتقر إلى ربه عز وجل ويعول عليه وبالله التوفيق. قال بعضهم في نعت الفقير: [الكامل].

| | |
|---|---|
| فاء الفقير فناؤه ببقائه | والقاف قرب محله للقائه |
| واليا ليعلم كونه عبداً له | في جملة العتقاء من طلقائه |
| والراء راحة جسمه من كده | وبلائه وعنائه وشقائه |
| هذا الفقير يا من طلبت وجدته | في جملة الأصحاب من رفقائه |
| أهل الصيانة والديانة والتقى | مضمون قصد الحق من تلقائه |

وقال بعضهم: الفقر تجرد القلب عن العلائق، واشتغاله بالله سبحانه وتعالى، والتخلي عن الأملاك من أحد أوصاف الفقر لأنها شواغل قواطع لكل عبد سكن بقلبه إليها. وعلامة صحة التجرد عن الأملاك أن لا يتغير عليه الحال بوجود الأسباب وعدمها لا في القوة ولا في الضعف، ولا في السكون ولا في الارتجاع، ولا تؤثر فيه المهالك. فإذا كان كذلك فهو فقير لا يأسره رق الأسباب

(1)(2) ما بين الحواصر ساقط من النسختين والزيادة من شرح زروق للمباحث الأصلية.

(3) ما بين الحاصرتين ساقط من النسختين والزيادة من شرح زروق للمباحث الأصلية.

[31] أحمد زروق، شرح المباحث الأصلية. ص: 233.

[ولا[1]] يهزه وجودها ولا يستقر عدمها فإن ملك فكأن لم يملك، وإن لم يملك فكأن ملك. فلا [يرى[2]] لنفسه في الدنيا والآخرة مقاماً [ولا[3]] قدراً وكما لا يرى لا يطلب، وكما لا يطلب لا يتمنى[4] فهو مشتغل به، واقف بلا طمع، لا يسقط بالرد، ولا ينقض بالقبول، ولا يعتقد أن طريقه بأفضل من غيرها. وهو موقف رفيع والأمر فيه دقيق، وما لم يصل العبد لربه عزّ وجلّ لا يصل إلى حقيقة هذا الوصف، ولا يكون العبد صادقاً في فقره حتى يخرج عن فقره بانتفاء شهوده لفقره. والحاصل أن المنتسب للفقراء يسلم له في أمره وحاله من جهة انتسابه إلى الجناب العالي. فإن كنتم فقهاء فسلموا للفقراء، وإن كنتم فقراء تأدبوا مع العلماء لأنهم أطباء الدين وأمناء الرسل ما لم يدخلوا الدنيا ولم يخالطوا السلطان. فإذا دخلوا الدنيا وخالطوا السلطان فاحذروهم واعتزلوهم[32] فشؤمهم على أنفسهم ولا تقولوا فيهم شيئاً يسوءهم فإن لحومهم سم قاتل. ولا بد لكم من زيارتهم يوم الجمعة واطلبوا منهم الدعاء، ولا بد من المصافحة لهم ولو بتقبيل أيديهم ورؤوسهم لأنهم ورثة الأنبياء[33]. وقد اختلف في تقبيل اليد قال بعضهم: سلام العرب مصافحة باليد فإذا صافح أحد منهم صاحبه فتناول يده فجعلها في يده فإن الآخر لا يجذبها ولا يزيلها من يد آخذها حتى يكون الذي أخذها هو الذي يتركها. والمصافحة تجلب المودة وتذهب الوحشة. وأما تقبيل اليد فقد كرهه[5] كثير من الكبراء وقوم من الذين يقبلون الأيدي فأما الرؤساء والكبراء الذين كرهوا ذلك

---

[32] تضمين لحديث نبوي عن أنس قال ﷺ: «العلماء أمناء الرسل على عباد الله عز وجل ما لم يخالطوا السلطان ويدخلوا الدنيا فإذا خالطوا السلطان ودخلوا الدنيا فقد خانوا الرسل فاحذروهم»، أخرجه الديلمي في الفردوس جـ 3 ص: 75.

[33] تضمين لحديث نبوي عن أبي الدرداء رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «. . . إن العلماء ورثة الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهماً إنما ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظ وافر» أخرجه ابن ماجه في سننه «جـ1 ص: 81» المقدمة - باب في فضل العلم والحث على طلب العلم.

(1) (2) (3) ما بين الحواصر ساقط من «ج».

(4) في «ج» لا يشفى.

(5) في «ج» فكرهه.

فإنهم رأونه منهم رضى بمذلة(1) الناس إليهم فأنكروا ذلك على فاعله. وأما من كرهه من الذين يقبلون فإنه اجتناب مذلة وإظهار النفس اللـيمة(2) ولكنه كثر استعماله حتى صار تاركه ربما نسب إلى الإعجاب(3). وقال قوم: تقبيل اليد سجدة ولا يستقيم السجود لغير الله. وروي عن بعض أكابر العرب: أنه تناول يد عمر بن الخطاب[34] ـ رضي الله عنه ـ ليقبلها فقبضها عنه ومنعه، فانكب على رجله ليقبلها فقال له عمر: ما رضيت منك بتلك فكيف بهذه. وروي أن عقال لما دخل على عبد الملك بن مروان[35] فأراد تقبيل يده فمنعه من ذلك وقال: مه فإنه لم يفعل هذا من العرب إلا هلوع جزوع، ومن العجم إلا ذليل خضوع خشوع[36]. وأما تقبيل يد إمام الدين(4) فطاعة لله وإجلالٌ لمواضع العلم، ولا بأس بها(5) إذا كان إماماً عالماً مقدماً عادلاً. وقيل إن موضع قبلة الرجل زوجته الفم، وقبلة [الوالد(6)] الولد الرأس، وقبلة الأم ولدها الخد، وقبلة الأخ أخته العنق. والقيام للكبراء ورد [بأنه(7)] واجب من أي قوم كانوا، والتوسعة في المجلس للداخلين مستحبة.

وأما تقبيل اليد فقد سئل مالك[37] عنه فقال: تركه أحب

---

[34] تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة ص: 161.

[35] هو: أبو الوليد عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي. من أعاظم الخلفاء ودهاتهم نشأ في المدينة فقيهاً واسع العلم متعبداً ناسكاً وبموت أبيه سنة «56هـ ـ 684م» انتقلت إليه الخلافة الإسلامية فضبط أمورها وظهر بمظهر الشدة والقوة فكان جبّاراً على معانديه قوي الهيبة والشكيمة. ولد بالمدينة المنورة سنة «26هـ ـ 646م» وتوفي بدمشق سنة «86هـ ـ 705م» تاريخ الطبري جـ 8 ص: 56 ـ ابن الأثير جـ 4 ص: 198 ـ الأعلام جـ 4 ص: 312.

[36] نسب ابن عبد ربه في كتابه العقد الفريد «جـ2 ص: 128» والسفاريني في كتابه غذاء الألباب لشرح منظومة الآداب «جـ 1 ص: 327» هذه القصة إلى هشام بن عبد الملك دون ذكر اسم الرجل الذي أراد تقبيل يده.

[37] تقدمت ترجمته في الرسالة السادسة. ص: 184.

(1) في «ج» بذلة الناس.

(2) كذا في النسختين.

(3) في «ج» إلى «الحجاب».

(4) في «ج» وإما قبلة إمام الدين.

(5) في الأصل: ولا بأس بهذا.

(6)(7) ما بين الحواصر ساقط من «ج».

إلي[38]: قلت قوله: أحب إلي يقتضي كراهته(1) لا منعه. وأجازه جماعة من الحنفية والشافعية حتى قال ابن بطال[39] في شرحه لجامع البخاري[40]: لا يكره تقبيل اليد عندنا إنما يكره تقبيل يد الظلمة والجبابرة، وأما الأب والرجل الصالح ومن ترجى بركته فيجوز أن يقبل جميع جسده سوى العورة، فإن قيل لم يثبت عمل السلف بذلك فقد يجاب عن عدم فعل السلف بذلك اكتفاء برؤيته ﷺ وحسماً للذريعة في دعوى النبوة لتزلزل إيمان المنافقين، والآن قد ارتفعت العلة لاتساع بلاد الاسلام فلا يضر ذلك. وظاهر مذهب الصوفية فيه العمل بذلك فقد كان الصحابة يقبلون الأرض التي يمشي عليها ﷺ. وكذلك المعانقة لا بأس بها ولو كرهها بعضهم، والجل من أشياخ شيخنا وغيرهم أجازها. وقد روي أن سفيان بن عيينة[41] دخل على مالك رضي الله عنهما فصافحه مالك وقال لولا أن المعانقة بدعة

---

[38] وعبارته «وسئل مالك عن الرجل يقدم من السفر فيتناول غلامه ومولاه يده فيقبلها. قال: ترك ذلك أحب إلي، وذكر له حديث سالم شيخ يقبل شيخاً فأنكره إنكاراً شديداً. قال: فإياكم مثل هذه الأحاديث أن تهلكوا فيها» وقد وجه قول مالك هذا أبو الوليد ابن رشد في «البيان والتحصيل» جـ 17 ص: 85 بأتم توجيه وخير بيان.

[39] هو: أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال. عالم بالحديث من أهل قرطبة له شرح على صحيح البخاري. توفي سنة «449هـ ـ 1057م». شذرات الذهب جـ 3 ص: 283 ـ الأعلام جـ 5 ص: 96.

[40] هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري. حبر الإسلام والحافظ لحديث رسول الله ﷺ صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري والتاريخ والضعفاء في رجال الحديث والأدب المفرد. ولد في بخارى سنة «194هـ ـ 810م» وتوفي سنة «256هـ ـ 870م». تاريخ بغداد جـ 2 ص: 36 ـ تذكرة الحفاظ جـ 2 ص: 122 ـ الأعلام جـ 6 ص: 285.

[41] هو: أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي. محدث الحرم المكي. كان حافظاً ثقة واسع العلم كبير القدر له كتاب «الجامع» في الحديث وكتاب في «التفسير» ولد بالكوفة سنة «107هـ ـ 725م» وتوفي بمكة سنة «198هـ ـ 814م». الحلية جـ 7 ص: 270 ـ تاريخ بغداد جـ 9 ص: 237 ـ الأعلام جـ 3 ص: 159.

(1) في «ج» يقتضي بها منعه ولا كراهة.

لعانقتك. فقال سفيان: عانق من هو خير مني ومنك عانق النبي ﷺ جعفراً[42] حين قدم من الحبشة. قال مالك: ذلك خاص بجعفر. قال سفيان: بل عام وما يسع جعفر يسعنا إذا كنا صالحين. أفتأذن لي أن أحدث في مجلسك؟ قال: نعم يا أبا محمد. قال: حدثني عبد الله[43] ابن طاووس عن عبد الله بن عباس[44] ـ رضي الله عنه ـ قال: لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة اعتنقه النبي ﷺ وقبل بين عينيه وقال: جعفر أشبه الناس بي خَلقاً وخُلقاً يا جعفر ما رأيت بأرض الحبشة؟ قال: يا رسول الله بينما أنا أمشي في بعض أزقتها إذا بسوداء وبمكيل فيه برٌّ فصدمها رجل على دابته فوقع مكيلها وانتشر برها فأقبلت تجمعه من التراب وتقول: ويل للظلام من ديوان يوم القيامة، ويل للظالم من المظلوم يوم القيامة، ويل للظالم إذا وضع الكرسي للفصل يوم القيامة. فقال النبي ﷺ: «ليعذبن الله أمة لا تأخذ لضعيفها من قويها»[45]. قال سفيان: قد ذهبت لأصلي في مسجد رسول الله ﷺ وأبشرك برؤيا رأيتها. فقال: نامت عيناك خيراً إن شاء الله. قال

---

[42] هو: جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم. ابن عم النبي ﷺ ومن السابقين في الإسلام هاجر إلى الحبشة في الهجرة الثانية ثم قدم منها سنة سبع من الهجرة والنبي ﷺ بخيبر وحضر غزوة مؤتة بالبلقان من أرض الشام فترجل عن فرسه واقتحم الصفوف حاملاً للراية فقطعت يمناه فحمل الراية باليسرى فقطعت أيضاً فاحتضن الراية بصدره وصبر حتى وقع شهيداً وفي جسمه نحو تسعين طعنة ورمية وكان ذلك في سنة «8هـ ـ 629م» الحلية جـ 1 ص: 114 ـ الإصابة جـ 1 ص: 237 ـ الأعلام جـ 2 ص: 118.

[43] هو: عبد الله بن طاووس بن كيسان الهمداني. من رجال الحديث الثقات ومن عبّاد أهل اليمن وفقهائهم المشهورين. توفي سنة «132هـ ـ 750م». تهذيب التهذيب جـ 5 ص: 267 ـ الأعلام جـ 4 ص: 27.

[44] سبقت ترجمته في الرسالة السادسة ص: 170.

[45] أخرجه البيهقي في الشعب جـ 6 ص: 81 باب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. عن والد ابن بريدة. باختلاف في بعض ألفاظه.

سفيان: رأيت كأن قبر رسول الله ﷺ انشق فأقبل الناس يهرعون إليه من كل جانب والنبي ﷺ يرد بأحسن رد. قال سفيان: فأوتي بك والله أعرفك في منامي كما أعرفك في يقظتي فسلمت عليه فرد عليك السلام، ثم رمى في حجرك بخاتم نزعه من أصبعه فاتق الله فيما أعطاك عليه الصلاة والسلام. فبكى مالك رضي الله عنه بكاء شديداً. قال سفيان: والسلام عليكم. قال: خارج الساعة. قال: نعم. فودّعه مالك وخرج رضي الله عنهما. هذا ومتطلبة هذا الوقت ينكرون ذلك ويغلظون على فاعله فمهما تقرّر ما قيل فيهما فلا أصل لأنكارهم لتقبيل اليد والمعانقة بل ربما يستحب في هذا الزمان لوجوه [كثيرة(1)]. وقد روي عن عطاء[46] أن ابن عباس سأل ابن مسعود[47] ـ رضي الله عنهما ـ عن المعانقة. قال: أول من عانق [إبراهيم خليل الرحمن عليه الصلاة والسلام كان بمكة فأقبل إليها ذو القرنين، فلما وصل إلى الأبطح قيل له في هذه البلدة إبراهيم خليل الرحمن. فقال: ما ينبغي لي أن أركب في بلدة فيها خليل الرحمن فنزل ذو القرنين ومشى إلى إبراهيم عليه الصلاة والسلام، فسلم عليه إبراهيم واعتنقه وكان هو أول من عانق(2)] والله أعلم.

**إخواني**: وعليكم بالتسليم لكل بار وفاجر، وجاهل ومعاند، وجاحد وظالم لأن مبنى طريق التصوف كلها على التسليم والتصديق، كما أن مبنى الفقه على البحث والتحقيق. واحسنوا الظن بإخوانكم فالأصل عندنا حسن الظن حتى يتحقق الفارق وتلتمس له المعاذر.

---

[46] هو: أبو محمد عطاء بن أبي رباح. فقيه الحرم ومحدثه ولد في جند باليمن سنة 27هـ 647م وتوفي سنة 114هـ ـ 732م. الوفيات جـ 1 ص: 318 ـ الأعلام جـ 5 ص: 29.

[47] هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي. من كبار الصحابة والسابقين في الإسلام كان يلازم رسول الله عليه وسلم ويحمل نعليه الشريفين، بلغت مروياته عنه «848» حديثاً نبوياً توفي بالمدينة المنورة سنة «32هـ ـ 653م». الحلية جـ 1 ص: 124 ـ الإصابة جـ 1 ص: 233 ـ الأعلام جـ 4 ص: 137.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

ومبنى الأمر عند أهل الظاهر على عكسه. وعليكم: بالمداومة على الوضوء والطهارة، واحفظوا مساجدكم من دخول الصبيان والمجانين[48]، والكلاب والخنازير، وكل من تقع منه النجاسة في المسجد، وكذلك المآضي فاقفلوا أبوابها عن من تقع منه النجاسة، ولا تتكلموا فيها بفحش ولغو، ولا ينشد فيها ضالة خلا مسجد مكة، ولا ينازع في مكان، ولا يضيّق، ولا يؤذى أحد، ولا يرفع فيها صوت، ولا يقام حدٌّ، ولا يسل سيف، وليطيبه إمامه ولينزهه ما استطاع. فقد قال ﷺ: «إنما بنيت لذكر الله والصلاة»[49] وقال عليه الصلاة والسلام. «يأتي في آخر الزمان [ناس(1)] من أمتي يأتون المساجد يقعدون حلقاً حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا لا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة»[50] ويروى «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب الرقيق»[51]. ويحرم على الجنب المكث فيه، والتردد في جوانبه إلا لضرورة ويكره له العبور لغير غرض، ويجوز

---

[48] تضمين لحديث نبوي عن واثلة بن الأسقع أن النبي ﷺ قال: «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم وشراءكم وبيعكم وخصوماتكم ورفع أصواتكم وإقامة حدودكم وسل سيوفكم واتخذوا على أبوابها المطاهر وجمروها في الجمع». رواه ابن ماجه في سننه «جـ1 ص: 247» كتاب المساجد والجماعات، باب ما يكره في المساجد. وسيأتي الحديث عليه مفصلاً في هامش الرسالة التاسعة ص: 240.

[49] أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده «جـ2 ص: 503» عن أبي هريرة بلفظ: «دخل أعرابي المسجد ورسول الله ﷺ جالس فقال: اللهم اغفر لي ولمحمد ولا تغفر لأحد معنا فضحك رسول الله ﷺ وقال: لقد احتظرت واسعاً ثم ولى حتى إذا كان في ناحية المسجد فشبح يبول فقام إليه رسول الله عليه وسلم فقال: إنما بني هذا البيت لذكر الله والصلاة وإنه لا يبال فيه ثم دعا بسجل من ماء فأفرغه عليه. قال يقول الأعرابي بعد أن فقه: فقام النبي ﷺ إليَّ بأبي هو وأمي فلم يسب ولم يؤنب ولم يضرب».

[50] أخرجه الطبراني في المعجم الكبير «جـ10 ص: 245» عن ابن مسعود رضي الله عنه وأخرجه أيضاً عن بن مسعود أبو نعيم في الحلية «جـ 4 ص: 109».

[51] أورده الغزالي في الاحياء «جـ1 ص: 158». بلفظ «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل البهيمة الحشيش» وقال عنه العراقي في تخريجه: لم أقف له على أصل.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

للمحدث النوم فيه بلا كراهة، ونضحه بالماء المطلق، ولا يجوز بمستعمل. ولا يدخله السكران ولا كافر إلا بإذن مسلم مميز[1] لقضاء حاجة به من بناء وهدم واستعمال قفل وغير ذلك مما صعب على رجال المسلمين إذا احتيج إليه مع عدم غيره من المسلمين، فإن دخل بلا إذن عزر. ويكره اتخاذه مجلساً للقضاء، ونقشه واتخاذ الشرفات له، وحفر البئر فيه، وعمل الصنائع كالخياطة ونحوها فيه، وغرس الشجر فيه فإن فعل قطعه الإمام. ويكره البيع والشراء فيه وإن قل للمعتكف وغيره إلا لحاجة. ويكره لمن أكل ثوماً ونحوه مما له رائحة كريهة دخوله بلا ضرورة ما لم يذهب ريحه. ولا بأس بإغلاقه في غير وقت الصلاة صيانة له، ولا بالوضوء فيه إن لم يتأذ به أحد، ولا بالأكل والشرب فيه والأولى بسط صفرة ونحوها، وله غسل اليدين فيه والأولى أن يكون في طشت ونحوه. ولا يقعد فيه مريض إن خيف تلويثه. والبصق فيه خطيئة كفارتها دفنها في ترابه ومسحها بيده ونحوها أفضل. والأولى ترك الفصد والحجامة فيه، ولا يجوز إن خيف تلويثه.

**إخواني**: اعتكفوا في المساجد، وأكثروا من الذكر والفكر، وأحيوا ليالي شهر رمضان بالصلاة والذكر لكي تنالوا الخير والأجر، وربما تظفرون حين ذلك بليلة القدر التي هي خير من ألف شهر. قال بعض الشيوخ: إن الشيخ أبا الحسن الحراني قال: منذ بلغت ما فاتتني ليلة القدر. فصادقته أنه إذا كان أول شهر رمضان يوم الأحد كانت ليلة القدر ليلة التاسع والعشرين منه، [وإذا كان يوم الإثنين كانت ليلة القدر ليلة الحادي والعشرين منه[2]] وإذا كان يوم الثلاثاء كانت ليلة القدر ليلة السابع والعشرين منه، وإذا كان يوم الأربعاء كانت ليلة القدر ليلة العشرين منه[3]، وإذا كان يوم الخميس كانت ليلة القدر ليلة الخامس والعشرين منه، وإذا كان يوم الجمعة كانت ليلة القدر ليلة التاسع شر منه، وإذا كان يوم السبت كانت ليلة القدر ليلة الثالث والعشرين منه. إنتهى وبالله التوفيق.

(1) في «ج» إلا بإذن مسلم مميز لا لنوم وأكل فإن دخل بلا إذن عزر.
(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(3) في «ج» وإذا كان يوم الاربعاء كانت ليلة القدر التاسعة منه.

# الرسالة التاسعة

## رسالة إلى أصحابه بتمبكتو بمالي غرب إفريقيا[1]

**وهم:**

أحمد بن أحمد ابن أقيت[2] وأصحابه وجماعته.

**مخطوطات الرسالة:**

للرسالة كسابقاتها نسخة فريدة تضمنها كتاب «روضة الأزهار» لكريم الدين البرموني، وقد جاءت فيه من آخر ص210 إلى آخر ص227 وذلك طبقاً لمخطوط مكتبة آل أبو زبيدة بزليتن والذي أشرت إليه بكلمة «الأصل». أما بحسب مخطوط مكتبة مركز دراسة جهاد الليبين بطرابلس لكتاب «روضة الأزهار» فقد جاءت فيه من الورقة 105 إلى الورقة 111 وقد أشرت له بالحرف «ج».

---

(1) تمبكتو: مدينة إسلامية قديمة بجمهورية مالي الإفريقية تقع بالقرب من مجرى نهر النيجر كانت حاضرة من حواضر المسلمين الموفورة النشاط وكان بها جامعة شهيرة تخرج منها علماء ومؤرخون من أشهرهم المؤرخ الفقيه أحمد بابا التمبكتي. دائرة المعارف الإسلامية ج 5 ص: 465 ـ القاموس الإسلامي ج 1 ص: 496.

(2) هو: أحمد بن أحمد بن عمر بن محمد أقيت. من أكبر فقهاء المالكية في عصره بتلك الديار ووالد الفقيه المؤرخ الشهير أحمد بابا درس بالسودان ثم بالمشرق قبل أن يتصدى للتدريس بتمبكتو وأخذ عنه الطلبة طوال ربع قرن أمهات العلوم العقلية والنقلية ومن بينها مؤلفاته التعليمية المفيدة التي نذكر منها شرحه على منظومة المغيلي المنطقية وعلى صغرى السنوسي والقرطبية وجمل الخونجي في =

## نص الرسالة

### بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.
من العبد الفقير لله عبد السلام بن سليم الفيتوري إلى الأحباب الأنجاب جعلهم الله من أهل السنة والكتاب.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فهذه نصيحة مني إليكم وهي: الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وأصحابه وسلم.

**اعلموا رحمكم الله**: أن أحق شيء بالتقديم في النصيحة الوصية بتقوى الله، واتباع سنة رسول الله ﷺ. فأوصيكم أيها الفقراء المنتسبين إلينا وإلى طريقتنا(1) بأن لا تكونوا مغشين مموهين(2) ولا مبدّلين ولا مغيّرين، ولا معاندين ولا مجادلين، ولا منازعين ولا معنتين، ولا مخالفين ولا مخوفين. فأول ما يجب عليكم: تصحيح إيمانكم، ثم معرفة ما يصلح بكم من فرض العين كالطهارة والوضوء والصلاة ونحو ذلك. وتعلَّموا: النحو فإنه زين الكلام، وجمال المنطق، وقوام اللسان. وهو علم من أشرف العلوم ويزيد المرء بعلمه فهماً وفضلاً، ويكبره [عند(3)] العلماء، ولا يتم اللفظ أو الشعر إلا به. وفي الحديث «أعربوا الكلام كي تعربوا القرآن»[1].

---

= الأصول وتعليقة على عدة مواضع من المختصر الخليلي. توفي رحمه الله سنة «991هـ - 1583م». كفاية المحتاج ص: 138 - نيل الابتهاج ص: 93 - الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين لحجي جـ 2 ص: 636.

[1] أورده السيوطى فى الجامع الصغير «جـ1 ص: 173» وعزاه إلى الأنبارى فى الوقف والموهبي في فضل العلم عن أبي جعفر. معضلاً.

(1) في «ج» وإلى طريقة العروسية.
(2) في «ج» ولا مهمومين.
(3) ما بين الحواصر ساقط من «ج».

**واعلموا**: أن من اعتنى به مع حصول فرض العين إلى أن اقتصر على بعضه، وعلم منه ما يصلح به لسانه، واجتنب التوغل فيه فحسن. ولا ينبغي للنحوي أن يرى نفسه فوق غيره تكبراً، ولا يحلُّ له أن يستهزيء بكلام الغير إذا قارنه اللحن. لأن الجل من الناس برابر وأعجام، وفيهم من لا يقرأ ولا يكتب. وقد قال بعضهم: إذا فهمت المعاني لا مشاحة في الألفاظ. ولا ينبغي التعمق في المنطق بعد قدر الكفاف. قال بعضهم: والله لن أقرأ علماً جمعته الخوارج. قيل له: ما هو؟ قال: المنطق. وقد حرمه الشيخ النووي[2] وجماعة والمشهور جوازه لمن كمل عقله، وذلك مذهب الجمهور. قال شيخنا:[3] علم المنطق علم شريف يحتاج إليه في كل شيء فمن لم يتوغل في النحو والمنطق لا ثقة لي بعلمه، لأن من لا يدركهما لا يجوز له القدوم على التصانيف وقراءة الأحاديث والتفاسير. وقد ورد الكلام في فضل العربية والحث عليها قال عليه السلام: «رحم الله امرءاً أصلح من لسانه»[4] وقال عمر بن الخطاب رضي الله [عنه(1)]: تعلموا العربية فإنها تزيد في المروءة[5]. وقال شعبة[6]: إذا كان المحدِّث لا يعرف

---

[2] هو: أبو زكرياء محي الدين يحيى بن شرف النووي، علامة في الحديث والفقه. شافعي المذهب. من مؤلفاته «شرح المهذب للشيرازي» و«خلاصة الأحكام من مهمات السنن وقواعد الإسلام» و«المنهاج في شرح صحيح مسلم» مولده بنوي من قرى حوران بسوريا سنة «631هـ ـ 1233م» ووفاته بها سنة «676هـ ـ 1277م» النجوم الزاهرة جـ 7 ص: 278 ـ مفتاح السعادة جـ 1 ص: 398 ـ الأعلام جـ 8 ص: 149.

[3] هو: عبد الواحد الدكالي شيخ الأسمر وأستاذه وقد تقدمت ترجمته في الرسالة السادسة ص: 181.

[4] أخرجه البيهقي في شعب الإيمان «جـ2 ص: 276» في السابع عشر من شعب الإيمان وهو باب في طلب العلم. عن عمر بن الخطاب وحسنه السيوطي في الجامع الصغير «جـ2 ص: 11».

[5] أورده البيهقي في الشعب «جـ2 ص: 257» باب في طلب العلم.

[6] هو: أبو بسطام شعبة بن الحجاج بن الورد العتكي الأزدي مولاهم الواسطي ثم البصري. من أئمة رجال الحديث حفظاً ودراية وتثبتاً عالم بالأدب والشعر. =

(1) ما بين الحواصر ساقط من «ج».

النحو فهو كالحمار تكون على رأسه مخلاة [ليس(1)] فيها شعير[7]. وقال الشافعي[8] ـ رحمه الله ـ: ما جهل الناس ولا اختلفوا إلا لتركهم لسان العرب وميلهم إلى لسان أرسطو طاليس. وقال بعضهم: زين الرجال النحو وزين النساء الشحم. وسبب وضع النحو أن أعرابياً قدم في زمان عمر فقال من يقرئني مما أنزل الله على محمد فأقرأه رجل براءة فقال: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولِهِۦ﴾ أن الله بريء من المشركين ورسوله﴾[9] بالجر. فقال الأعرابي: أو قد برأ الله من رسوله؟ إن يكن الله برأ من رسوله فأنا أبرأ منه. فبلغ عمر مقال الأعرابي فدعاه فقال: يا أعرابي أتبرأ من رسول الله ﷺ؟ فقص عليه القصة. فقال عمر: ليس هكذا يا أعرابي. فقال: فكيف هو يا أمير المؤمنين؟ فقال:

﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ بالضم. فقال الأعرابي: وأنا والله أبرأ مما بريء الله ورسوله منه. فأمر عمر أن لا يقرىء الناس إلا عالم باللغة وأمر أبا الأسود[10] الدؤلي فوضع

---

= له كتاب «الغرائب» في الحديث. ولد بواسط سنة «82هـ ـ 701م» وتوفي بالبصرة سنة «160هـ ـ 776م» الحلية جـ 7 ص: 144ـ تاريخ بغداد جـ 9 ص: 255 ـ الأعلام جـ 3 ص: 164.

[7] نسب ابن الصلاح في مقدمته هذا الأثر إلى حماد بن سلمة. مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح. ص: 338.

[8] هو: أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي. أحد الأئمة الأربعة وإليه نسبة الشافعية كافة ولد بغزة سنة «150هـ ـ 767م» وتوفي بمصر سنة «204هـ ـ 820م» من أشهر كتبه «الأم» في الفقه يقع في سبع مجلدات، جمعه البويطي وبوبه الربيع بن سليمان و«المسند» في الحديث، و«الرسالة» في أصول الفقه، الوافي بالوفيات، جـ 1 ص: 171 ـ طبقات الشافعية: جـ 1 ص: 185 ـ الأعلام جـ 6 ص: 26».

[9] التوبة: 3.

[10] هو: أبو الأسود ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي الكناني، تابعي من الفقهاء والأعيان وواضع علم النحو ولد سنة «1ق هـ ـ 605م» وتوفي بالبصرة سنة «69هـ ـ 688م». وفيات الأعيان جـ 1 ص: 240ـ الاصابة ت 4322 ـ الأعلام جـ 3 ص: 236.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

النحو[11]. وقد اتفق العلماء على أن النحو محتاج إليه في كل فن من فنون العلم. أما التفسير: فلا يجوز أحد أن يتكلم في كتاب الله تعالى حتى يكون ملياً بالنحو، فإن القرآن عربي ولا يعرف مقاصده إلا بمعرفة قواعد العربية. وأما الحديث فقال ابن الصلاح[12] ينبغي للمحدث أن لا يروي حديثه بقراءة لحان[13]. وقال الأصمعي[14]: إن أخوف ما أخاف على طالب العلم إذا لم يعرف النحو أن يدخل في قول النبي ﷺ «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»[15] لأنه

---

[11] أورد هذه القصة أيضاً السيوطي في تفسيره المسمى بـ «الدر المنثور في التفسير المأثور» جـ 3 ص: 212 وأشار إليها أيضاً ابن حيان في تفسيره «جـ5 ص: 6» وقد اتفق على أن أول واضع لعلم النحو أو مدونه هو: أبو الأسود الدؤلي واختلف فيمن أمره بذلك فقيل: عمر بن الخطاب وقيل علي بن أبي طالب وقيل زياد بن أبيه.

[12] هو: أبو عمرو تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان بن موسى بن أبي النصر النصري الشهرزوري الكردي الشرخاني المعروف بابن الصلاح. أحد الفضلاء المقدمين في التفسير والحديث والفقه وأسماء الرجال. من مؤلفاته «معرفة أنواع علم الحديث» ويعرف بمقدمة ابن الصلاح. و«الأمالي» و«طبقات الفقهاء الشافعية». ولد في شرخان بالقرب من شهر زور سنة «577هـ 1181م» وتوفي بدمشق سنة «643هـ ـ 1245م». وفيات الأعيان جـ 1 ص: 312 ـ شذرات الذهب جـ 5 ص: 221 ـ الأعلام جـ 4 ص: 207.

[13] ابن الصلاح، مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح. ص: 338.

[14] هو: أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع الباهلي. راوية العرب وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان من مؤلفاته «المترادف» و«الإبل». و«الأضداد». ولد بالبصرة سنة «122هـ ـ 740م» وبها كانت وفاته سنة «216هـ ـ 831م» جمهرة الأنساب ص: 234 ـ وفيات الأعيان جـ 1 ص: 288 ـ الأعلام جـ 4 ص: 308.

[15] أخرجه البخاري في صحيحه «جـ1 ص: 35» كتاب العلم ـ باب إثم من كذب على النبي ﷺ من حديث الزبير بلفظ «من كذب عليَّ فليتبوأ مقعده من النار» وعن أنس بلفظ «من تعمد علي كذباً فليتبوأ مقعده من النار» وأخرجه بلفظه مسلم في صحيحه «جـ1 ص: 67» عن أبي هريرة. المقدمة ـ باب تغليظ الكذب على رسول الله ﷺ.

لم يكن يلحن، فمهما رويت عنه ولحنت فيه فقد كذبت عليه[16].
وقد ذكروا لعلم النحو تفاسير ومن أحسنها قول ابن بابشاذ[17]: هو علم مستنبط بالقياس والاستقراء من كتاب الله سبحانه [والكلام الفصيح. والغرض من النحو: معرفة صواب الكلام وخطئه، وفهم معاني كتاب الله عز وجل(1)] وفوائده. فإنه لا ينبغي لأحد أن يدخل في علم من العلوم حتى يعرف الغرض الذي لأجله دخله ليكون على بصيرة فيما دخل عليه. قال بعض الشيوخ: العلوم ثلاثة: علم نضج وما احترق وهو: علم النحو والأصول، وعلم لا نضج ولا احترق وهو: [علم(2)] البيان والتفسير، وعلم نضج واحترق وهو: علم الفقه والحديث.

**وأوصيكم**: بالحرص على طلب العلم النافع قراءة ومطالعة ومذاكرة لأن علم الدين أفضل ما يحوزه العبد من المراتب العلية، وأشرف ما يكتسبه العبد من المناقب السنية ففي الحديث: «قليل العمل مع العلم كثير وكثير العمل مع الجهل قليل بحسب المثوبة والقبول»[18]. وقال النبي ﷺ حين ذكر عنده رجلان أحدهما عابد جاهل والآخر عالم «فضل العالم العامل على العبد الغير العالم كفضلي على أدناكم»[19] وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ

---

[16] ورد في مقدمة ابن الصلاح. ص: 338 «النوع السادس والعشرون. في صفة رواية الحديث وشرط أدائه وما يتعلق بذلك».

[17] هو: أبو الحسن طاهر بن أحمد بن بابشاذ المصري الجوهري. إمام عصره في علم النحو من مؤلفاته «المقدمة» في النحو و«شرح جمل الزجاجي» و«شرح الأصول لابن السراج» توفي بمصر سنة «469هـ ـ 1077م». وفيات الأعيان جـ 1 ص: 235 ـ بغية الوعاة جـ 2 ص: 17 ـ الأعلام جـ 3 ص: 318.

[18] لم أقف عليه، وقريب منه ما أورده المتقي في كنز العمال «جـ10 ص: 156» عن أنس بلفظ: «قليل العمل ينفع مع العلم وكثير العمل لا ينفع مع الجهل»

[19] أخرجه الترمذي في سننه «جـ4 ص: 154» أبواب العلم ـ باب فضل الفقه على العبادة عن أبي أمامة الباهلي بلفظ «ذكر لرسول الله ﷺ رجلان أحدهما =

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

أنه قال: «ما عبد الله بشيء أفضل من الفقه في الدين، ولفقيه واحد أشد على الشيطان من ألف عابد جاهل، ولكل شيء عماد وعماد الدين الفقه»[20] صدق رسول الله ﷺ.

**فائدة:** تعلم العلم يكون فرض عين وهو: بقدر ما يحتاج إليه لدينه. وفرض كفاية وهو: ما زاد عليه لنفع غيره، ومندوب وهو: التبحر في الفقه وعلم القلب، وحرام وهو: علم الفلسفة والشعبذة والتنجيم والرمل والقرعة والتقازة إلى غير ذلك. قال شيخنا أبو محمد عبد الواحد الدكالي: ـ رحمه الله ـ النظر في كتب الفقه والتصوف خير من قيام الليل وإن بلا سماع. وكذا درس الفقه للمتفقه أفضل من قراءة القرآن. وكذا فضل العالم على العابد إذ نفع العالم لنفسه ولغيره ونفع العابد لنفسه.

**واعلموا رحمكم الله:** أن من فرائض الإسلام فرض عين [وهو(1)] تعلم ما يحتاج إليه العبد كالتوحيد لأن ذلك فريضة على كل مسلم ومسلمة.

**ثم اعلموا:** أنهم قالوا: العلم الذي طلبه فرض عين [على(2)] ثلاثة أوجه أحدها: علم التوحيد. مقدار ما يعرف به ذات الله تعالى وصفاته على ما يليق به تعالى، وما يعرف [به(3)] تصديق نبيه في جميع ما جاء به من عند ربه. والثاني: علم التصوف. وهو: الذي سمّاه بعضهم بعلم السر. ـ أعني ما يتعلق بالقلب(4) ـ مقدار ما يحصل

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(2) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها المقام.
(3) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.
(4) في «ج» ما يتعلق به تعظيم القلب.

= عابد والآخر عالم فقال رسول الله ﷺ: فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم. ثم قال ﷺ: إن الله وملائكته وأهل السموات والأرض حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير».

[20] أخرجه البيهقي في الشعب «ج2 ص: 266» باب في طلب العلم ـ فصل في طلب العلم وشرفه عن أبي هريرة. وأخرجه عنه أيضاً ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله «ج1 ص: 33» بدون وصف عابد بجاهل.

به تعظيم الله تعالى وإخلاص أعماله له تعالى وإصلاحها. والثالث: علم الشريعة الظاهرة. مقدار ما يتعلق به فعله كالطهارة، والصوم، والصلاة، والزكاة، والحج. ونحوها من أنواع أبواب الفقه والله أعلم.

**وأوصيكم**: بحفظ القرآن، والإكثار من تلاوته إن أمكنكم حفظه لأنه من السنة الشريفة، ولتكن قراءتكم له مع التدبر والترتيل والتفهم لمعانيه. ومن السنة أن يحفظه العبد بحيث يقرأه على ظهر قلبه بدون النظر إلى المصحف، أي يأخذه عن شيخ ماهر به فإذا تمهَّر فيه إلى أن بلغ الغاية القصوى يقرأه كيف يشاء، خلافاً لمن قال قراءة القرآن في النسخة أكثر ثواباً ممن يقرأه بدون النظر إليها. وفي الحديث: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة» والمراد بالمهارة في الحديث: جودة اللفظ، وإخراج كل حرف من مخرجه. أو جودة الحفظ وهو المناسب ها هنا. أو أن يراد به كلاهما. والكرام: جمع كريم. والبررة: جمع بار بمعنى الحسن. والسفرة: جمع سافر. وهو: الكاتب والمصلح بين القوم. والمراد بهم: الملائكة النازلة بما فيه صلاح العباد(1) من حفظهم عن الآفات والمعاصي: وإلهامهم الخير في قلوبهم. أو الملائكة الذين هم حملة اللوح المحفوظ كما قال الله تعالى: ﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ كِرَامٍ بَرَرَةٍ﴾[21] وقيل المراد بهم أصحاب رسول الله ﷺ. أو الملائكة الكاتبون أعمال العباد. كذا في كتب القوم. ومن قرأه وهو عليه شاق فله أجران أجر لقراءته وأجر لمشقته، وبسط الحديث هكذا: «والذي يقرأ القرآن ويتعتع فيه وهو عليه شاق فله أجران»[22]. والتعتعة في الكلام التردد من حصر أو عي(2). كذا ذكره أهل العلم.

---

[21] عبس: 15 ـ 16.

[22] أخرجه مسلم في صحيحه «جـ6 ص: 332» عن عائشة ـ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ـ باب فضيلة حافظ القرآن.

(1) في الأصل: صلاح العبد.

(2) في «ج» أو محو.

**إخواني**: اقرأوا القرآن على ما سلكه السلف الصالح كما في المورد والعمدة[23] المشروعين لرسمه، واستظهروه على أحسن الروايات المشهورات كرواية عيسى [بن(1)] مينا الشهير بقالون[24]. وفي كتب الفقه قال الشيخ الجزولي[25] رحمه الله: كنت أسمع في المجالس أن قراءة ورش[26] هي قراءة أهل الجنة. والظاهر أنه لا فرق بين قالون وورش.

**إخواني**: اقرأوا القرآن واستظهروه، فإن الله تعالى لا يعذب قلباً وعى القرآن. قال بعض الشيوخ: طلبنا خمساً فوجدناها في خمس: طلبنا القوت فوجدناه في صلاة الضحى. وطلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل. وطلبنا جواب منكر ونكير فوجدناه في قراءة القرآن. وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم والصدقة، وطلبنا ظل العرش فوجدناه في الخلوة.

---

[23] المورد والعمدة كتابان في رسم القرآن الكريم لإمام القراء بفاس أبي عبد الله محمد بن إبراهيم الأموي المعروف بالخراز ـ النبوغ المغربي في الأدب العربي لكنون جـ 1 ص: 209 ـ شجرة النور الزكية لمخلوف ص: 215.

[24] هو: عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى المدني الملقب بقالون لجودة قراءته انتهت إليه الرئاسة في علوم العربية والقراءة في زمانه بالحجاز. ولد في المدينة المنورة «سنة 120هـ ـ 738م وتوفي بها سنة «220هـ ـ 835م». غاية النهاية جـ 1 ص: 615 ـ النجوم الزاهرة جـ 2 ص: 235 ـ الأعلام جـ 5 ص: 110.

[25] هو: أبو زيد عبد الرحمن بن عفان الجزولي، فقيه مالكي معمر من أهل فاس قيدت عنه على رسالة ابن أبي زيد القيرواني ثلاثة تقاييد أحدها في سبعة مجلدات والثاني في ثلاثة والثالث في اثنين. توفي سنة «741هـ ـ 1340م». جذوة الاقتباس ص: 2 ـ الأعلام جـ 4 ص: 88.

[26] هو: عثمان بن سعيد بن عدي الملقب بورش لشدة بياضه. من كبار القراء. قيرواني الأصل [illegible] «110هـ ـ 728م» وتوفي بها [illegible] «197هـ ـ 812م» إرشاد الأريب جـ 5 ص: 33 ـ غاية النهاية جـ 1 ص: 502 ـ الأعلام جـ 4 ص: 205».

(1) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها المقام.

**وأوصيكم**: بأن تبادروا بصبيانكم إلى المكتب ليتعلموا القرآن وليختلط بلحومهم ودمائهم ـ كما أن قراءة الصغير كالنقش في الحجر وقراءة الكبير كالنقش في الرمل ـ ولا يجوز للمؤدب أن يعلم الصبيان في المسجد القرآن فإن فاعل ذلك يأثم، وكذلك التأديب فيه للصنائع لا يسوغ. ففي الحديث «جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم»[27].

**إخواني**: اقرأوا القرآن وقوموا به الليل. فقد كان قيام الليل بالقرآن في الصدر الأول أي الطائفة الأولى يعني الرسول ﷺ وأصحابه. وإياكم: وشرب الدخان في الفم والأنف. وهي شجرة قبيحة الرائحة تسمى بالتابغة يذكر أنها خلقت من بول إبليس لعنه الله حين سمع قول الله عزّ وجل: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[28] الآية. فدهش فبال فخلقت من بوله. وفي الحديث قال بعض الصحابة: خرجت مع رسول الله ﷺ فرأى شجرة فهز رأسه فقلت: يا رسول الله لم هززت رأسك قال: «يأتي أناس في آخر الزمان يشربون من أوراق هذه الشجرة ويصلون بها أولئك هم الأشرار هم بريئون مني وأنا بريء منهم». وعن علي بن أبي طالب[29] رضي الله عنه أن من شربها فهو في النار ورفيقه إبليس. فلا تعانقوا شارب الدخان ولا تصافحوه ولا تسلموا عليه فإنه ليس من الأمة المحمدية. وفي خبر أن شاربها من أهل الشمال. وهو: شراب الأشقياء الذين لا تعطى لهم الأمانات ولا يسلم عليهم في الجماعات. فإن قيل: بجواز شربها عن

---

[27] جزء من حديث أخرجه ابن ماجه في سننه «جـ1 ص: 247» كتاب المساجد والجماعات باب ما يكره في المساجد، عن واثلة بن الأسقع. وضعفه السيوطي في الجامع الصغير «جـ1 ص: 557» وقال عنه الألباني في كتابه «صفة صلاة النبي ﷺ. ص: 74» ضعيف لا يحتج به اتفاقاً وممن ضعفه ابن الجوزي والمنذري والهيتمي والحافظ ابن حجر العسقلاني والبوصيري وقال عبد الحق الاشبيلي لا أصل له.

[28] الحجر: 42.

[29] سبقت ترجمته في الرسالة الخامسة ص: 161.

بعضهم. قلنا: فذلك قول من لا يعتمد قوله ولا كلامه. سئل شيخنا عن شرب الدخان هل هو حرام أم لا؟ فأجاب رحمه الله بما نصه: شرب الدخان عندي محرم لثلاثة أوجه:

**الأول**: إنه من الخبائث. وقد حرم الله عز وجل في كتابه العزيز، الخبائث. فقال جل من قائل: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾[30].

**الثاني**: فيه إضاعة المال. وقد نهى ﷺ عن إضاعة المال[31].

**الثالث**: إن فيه أكل جزء من النار وأكل النار حرام. إلى أن قال: ولا يقول بجوازه إلا من يشربه والله أعلم. وسئل عنه أيضاً والد شيخنا سيدي محمد الدكالي[32] رحمه الله فأجاب: إنه حرام ولو لم يكن للعلماء فيه مقال لكان يكفينا في تحريمه قولهم: لا يجوز لأحد أن يقدم على أمر حتى يعلم حكم الله فيه وهذا لا نعلم حكم الله فيه فلا يجوز لنا القدوم عليه والله أعلم.

**وإياكم**: وخلطة الأراذل، وأهل الاعتزال، والفسقة، والزنادقة، واليهود، والنصارى، والمجوس إلا لقضاء حاجة ضرورية لا توجد عند غيرهم مع عدم الضحك في وجوههم وإنباذهم من قلوبكم. وإياكم: وصحبة الجهلة والفجرة إلا من تاب منهم، وطلب التعليم في دينه. وقد يجب الفرار من جموع أهل المعاصي ففي الحديث: «من حضر معصية فكرهها فكأنما غاب عنها ومن غاب عنها فرضيها كان

---

[30] الأعراف: 157.

[31] لعله يشير إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه «جـ4 ص: 88» كتاب الرقاق ـ باب ما يكره من قيل وقال: عن المغيرة ولفظه: «... وكان ينهى عن قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال ومنع وهات وعقوق الأمهات ووأد البنات».

[32] هو: محمد بن عبد الواحد الدكالي أعجوبة الدهر في عظمة الزهد والدين وخشونة العيش والسير على طريق ال [illegible] فأقام بها مدة وكان له فيها مواقف مع الإمام ابن عرفة ثم غادرها إلى مصر وأقام بالإسكندرية حتى وفاته سنة 799هـ ـ 1396م. إنباء الغمر جـ 3 ص: 367.

كمن حضرها»[33] وفي رواية: «من أحب قوماً على أعمالهم حشر في زمرتهم وحوسب بحسابهم وإن لم يعمل بأعمالهم»[34]. وإياكم: والكبر، والمزاح، والضحك الكثير، والحرص، والإياس كل ذلك حرام على العبد. وهو: مما يؤدي إلى الضرر في الدين والدنيا والآخرة وليس ذلك من شأن أهل الطريقة العروسية. ولله در القائل في المسائل الأربعة حيث قال: (الكامل)

الكبر ذل والتواضع رفعة ... والمزح والضحك الكثير سقوط

والحرص فقر والقناعة نعمة ... واليأس من صنع الإله قنوط

**إخواني**: وإياكم وجلسة السوء التي ينكرها الشرع ويستقبحها الطبع كالحدة، والعبسة في وجوه الإخوان الطائعين، والمشايخ العارفين. قالت المشايخ: ينبغي للجالس أن يكون أديباً حسن المنظر(1) مستبشر الوجه لين الكلام، حسن الحديث، قليل الكذب، ذا عقل وفهم، ونصح صريح، وود صحيح، وأمانة تامة. إذا صمت زين، وإذا حدث صدق، وإذا أشار برأي أصاب، وإذا سئل أجاب، وإذا اؤتمن فلا يخن، وإذا لفظ أتم، وإذا قال أحسن. وأن يكون حسن الاستماع ممّن يحادثه، ولا يقول لجليسه إن هذا قد سمعته ولو كان سمعه، بل يحدث جليسه بحسن استماعه على أنه ما سمعه قط، ولا يسرع بتكذيب المحدث فإنه سوء أدب(2). قال شيخنا الاستماع بالعين فإذا رأيت عين من يحدثك ناظرة إليك فاعلم أنه يستمع منك. ويجب على الجليس ستر عورة جليسه، وكتم عيوبه، وحفظ سره.

---

[33] أخرجه البيهقي في السنن الكبرى» جـ 7 ص: 266» كتاب الصداق ـ باب الرجل يدعى إلى الوليمة وفيها المعصية نهاهم فإن نحوا ذلك عنه وإلا لم يجب. عن أبي هريرة رضى الله عنه باختلاف يسير فى بعض ألفاظه.

[34] أخرجه الديلمي في الفردوس «جـ3 ص: 595» عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه.

(1) في «ج» حسن النظر.

(2) في «ج» فإنه من سوء الأدب.

وينبغي للجالس أن يكون خفيف الجلسة إذا رأى لطول [الجلوس موضعاً فيه ما يقربه من ربه أو ينتفع منه غيره أطال(1)] جلوسه، وإلا ترك ولا فائدة في جلوسه. وقد قيل: «إن الجليس الصالح خير من الوحدة والوحدة خير من جليس السوء»[35]. وقد نهى شيخنا: عن مجالسة الأحمق. إلى أن قال: إن كان ناصحاً يريد أن ينفعك فيضرك. وكذلك نهى عن صحبة الفاجر من العلماء، والجاهل من المتعبدين. ونهى أيضاً: عن استشارة من يهوى فإن هواه يفسد رأيه إلى أن قال: الجليس الصالح كله خير من الله ونعمة، والجليس السوء كله شر وفتنة ولا تترتب منه منفعة في الدين ولا في الدنيا ولا في الآخرة.

**إخواني**: اعملوا بما سأقرره لكم على كيفية الجلوس. فإذا جلستم مع أهل التوحيد فحدثوهم: بالعقائد الأشعرية[36] والسنوسية[37]. وإذا جلستم مع أهل القرآن فحدثوهم بالحذف والإثبات والتدبر والترتيل وكل مسألة تدل على الألفاظ القرآنية كمخارج الحروف والتفخيم والترقيق وغير ذلك مما هو مشروع عندهم. وإذا جلستم مع أهل الدنيا فحاضروهم: برفع الهمة عمَّا في أيديهم مع تعظيم الآخرة. وإذا جلستم مع أهل الآخرة فحاضروهم: بوعظ الكتاب والسنة وتعظيم دار البقاء. وإذا جلستم مع الملوك فحاضروهم: بسيرة أهل العدل وسياسة العقلاء(2) مع حفظ الأدب

[35] أخرجه الحاكم في مستدركه «جـ3 ص: 343» كتاب معرفة الصحابة ـ ذكر مناقب أبي ذر الغفاري بلفظ: «الوحدة خير من جليس السوء والجليس الصالح خير من الوحدة وإملاء الخير خير من السكوت والسكوت خير من إملاء الشر» وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة «جـ1 ص: 33».

[36] العقائد الأشعرية أي التي وضعها الإمام أبو الحسن الأشعري وضمنها الكثير من مؤلفاته كمؤلفه المسمى بالإبانة في أصول الديانة

[37] العقائد السنوسية أي التي وضعها أبو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي وهي العقيدة «الكبرى والوسطى والصغرى وصغرى الصغرى».

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ب».

(2) في «ج» وسلامة العقلاء.

معهم والعفاف عما في أيديهم. وإذا جلستم مع العلماء فحاضروهم: بالروايات الصحيحة والأقوال المشهورة في المذاهب المعلومة بالحق دون الهوى مع الإنصاف لهم في القول والفهم إذا وافق الصواب مع عدم الجدال والمراء الجالب للعلو. وإذا جلستم مع الصوفية فحاضروهم: بما يشهد لأحوالهم الحقانية، ويقيم لهم الحجة على المنكر عليهم مع أدب الباطن قبل الظاهر. وإذا جلستم مع العارفين فحاضروهم: بما شئتم فإن لكل شيء عندهم [وجها(1)] من وجوه المعرفة، لكن يشترط لين الكلام وحفظ الحرمة والأدب فإن حضرتهم صبّاغة فالمعنى الذي تدخلون عليهم به تخرجون، يكسوكم مشهدكم فيهم، ويلبسكم ما توجهتم به إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، وإن جلستم مع الفقراء الذاكرين الله جماعة فحاضروهم: بما يشهد لذكرهم وبما ينتصرون به على المنكر عليهم. وقد قالوا: إن صحبة ساعة صحبة وصحبة يوم معرفة، وصحبة جمعة قرابة، وصحبة شهر نسب، وصحبة عام رحم فمن قطعها قطعه الله ومن وصلها وصله الله وفي الحديث عن أبي(2) نعيم[38]: «إن صحبة عشر سنين رحم» وفي الحديث أيضاً «صلة الرحم واجبة وتحية وهدية» وهي: معاونة الأقارب، والإحسان إليهم، والتلطف والمجالسة إليهم، والمكالمة معهم. ويزور ذوي الأرحام غبّا فإن ذلك يزيد ألفة وحباً. بل يزور قرباه كل جمعة أو أكثر، ولا يرد بعضهم حاجة بعض لأنه من القطيعة. وفي الحديث أيضاً «صلة الرحم تزيد في العمر»[39] وفي

---

[38] لعله: أبو نعيم الفضل بن دكين «واسمه عمرو» بن حماد الكوفي. المحدث الحافظ شيخ البخاري ومسلم والمتوفى سنة «219هـ ـ 834م». الأعلام جـ 5 ص: 353. أو: أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني الحافظ المؤرخ صاحب «حلية الأولياء وطبقات الأصفياء» والمتوفى سنة «430هـ ـ 1038م» الأعلام جـ 1 ص: 150.

[39] جزء من حديث أخرجه الشهاب في مسنده «جـ1 ص: 93» عن ابن مسعود رضي الله عنه. وأخرجه أيضاً البيهقي في الشعب «جـ3 ص: 245» باب في الزكاة ـ فصل في الاختيار في صدقة التطوع. عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) في «ج» ابن نعيم.

حديث آخر «إن الله يصل من وصل ويقطع من قطع»[40] الحديث.

**وعليكم** بالزهد. قال سفيان الثوري[41] ـ رحمه الله ـ: الزهد قصر الأمل في الدنيا وليس هو أكل خبز الشعير ولبس العباءة[42]. وقال الإمام الجنيد[43]: هو خلو اليد من الدنيا، وخلو القلب من طلبها[44].

**وإياكم ثم إياكم**: أن تذكروا حال الزوجة في فراشها إذ هي أمانة عندكم، ولا يذكر حالها عند ذلك إلا فاسق خسيس لا خير فيه.

**إخواني**: اختاروا لأنفسكم وأولادكم الزوجات الطيبات ذوات الحسب والنسب. وإياكم: وتزويج الشهبرة، واللهبرة، والنهبرة، والهيدرة، واللفوتة. أما الشهبرة: فالزرقاء. وأما اللهبرة: فالطويلة الهزيلة. وأما النهبرة: فالعجوز المدبرة. وأما الهيدرة: فالقصيرة القبيحة. وأما اللفوت: فذات الولد من غيرك[45].

---

[40] لم أقف عليه بلفظه وقريب منه ما أخرجه البخاري في صحيحه «جـ4 ص: 50» كتاب الأدب باب من وصل وصله الله عن أبي هريرة بلفظ «إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم: هذا مقام العائذ بك من القطيعة. قال: نعم أما ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك. قالت: بلى يا رب. قال: فهو لك. قال رسول الله ﷺ: فاقرأوا إن شئتم ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ﴾.

[41] هو: أبو عبد الله سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري. أمير المؤمنين في الحديث وسيد زمانه في العلم والتقوى. من مؤلفاته «الجامع الكبير» و«الجامع الصغير» كلاهما في الحديث ولد في الكوفة سنة «97هـ ـ 716م» وتوفي في البصرة سنة «161هـ ـ 778م». الحلية جـ 6 ص: 356 ـ تاريخ بغداد جـ 9 ص: 151 ـ الأعلام جـ 3 ص: 158.

[42] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 164.

[43] سبقت ترجمته في الرسالة [illegible] ص: [illegible]

[44] الرسالة القشيرية: شرح المقامات أو مدارج أرباب السلوك. ص: 115 وما بعدها.

[45] يشير بذلك إلى قوله ﷺ: «لا تتزوجن شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا لفوتا» =

[وعليكم بذات الأعراق، فإنها تلد مثل أبيها وعمها وأخيها. وإياكم[(1)]] وخضراء الدمن، فإنها تلد مثل أصلها. وخضراء الدمن هي امرأة أمها قبيحة الفعل والنسب يعبر عنها أنها: مثل شجرة نبتت من مزبلة[46]. وفي الحديث قال عثمان بن عفان[47]: انكحوا النساء على أبائهن وإخوانهن فإنني لم أر في ولد أبي بكر أشبه منه بهذا لأن أمه أسماء[48] بنت [سيدنا[(2)]] أبي بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ وفي حديث أبي عمر بن العلاء[49]: قال رجل لا أتزوج امرأة حتى أنظر

---

= فالشهبرة والشهربة: الكبيرة الفانية ويقال: شهبر وبر البعير إذا اشهاب والشهبرة منه. واللهبرة: القصيرة الذميمة ويحتمَل أن يكون قلب الرهبلة وهي التي لا تفهم جلباتها أو التي تمشي مشياً ثقيلاً من قولهم جاء يترهبل. النهبرة: الطويلة المهزولة. وقيل هي التي أشرفت على الهلاك من النهابر وهي المهالك. الهيذرة: الكثيرة الهذر. اللفوت: التي لها ولد من زوج وهي تحت آخر فهي تلتفت إليه وتشغل به. الزمخشري، الفائق في غريب الحديث. جـ 1 ص: 684.

[46] يشير بذلك إلى ما أخرجه الشهاب في مسنده «جـ2 ص: 96» عن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ قال: «إياكم وخضراء الدمن. فقيل: يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في المنبت السوء».

[47] هو: ذو النورين عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية. أمير المؤمنين وثالث الخلفاء الراشدين ولد بمكة سنة «47ق هـ ـ 577م» وأسلم قديماً على يدي أبو بكر الصديق وزوجه النبي ﷺ ابنته رقية وماتت عنده في أيام بدر فزوجه بعدها أم كلثوم لذلك لقب بذي النورين. تولى الخلافة سنة 23هـ فافتتحت في أيامه أرمينية والقوقاز وخراسان وكرمان وسجستان وإفريقية وقبرص. توفي مقتولاً سنة «35ـ ـ 656م». الحلية جـ 1 ص: 55 ـ غاية النهاية جـ 1 ص: 507 ـ الأعلام جـ 4 ص: 27.

[48] هي: أسماء بنت أبي بكر الصديق عبد الله بن أبي قحافة. صحابية جليلة من الفضليات وهي أخت عائشة لأبيها وأم عبد الله بن الزبير. روت عن النبي ﷺ ستاً وخمسين حديثاً. توفيت سنة «73هـ ـ 692م». طبقات ابن سعد جـ 8 ص: 282 ـ حلية الأولياء جـ 2 ص: 55 ـ الأعلام جـ 1 ص: 305.

[49] هو: أبو عمر زبان بن عمار التميمي المازني البصري الملقب والده بالعلاء. من أئمة اللغة والأدب وأحد القراء السبعة. له عدة أخبار وكلمات مأثورة. ولد بمكة المكرمة سنة «70هـ ـ 690م» وتوفي بالكوفة سنة «154هـ ـ 771م». وفيات الأعيان جـ 1 ص: 386 ـ غاية النهاية جـ 1 ص: 288 ـ الأعلام جـ 3 ص: 72.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(2) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

ولدي منها. قيل له: وكيف ذلك؟ قال: أنظر إلى أبيها وأخيها فإنها تجيء بأحدهما. ورحم الله القائل في هذا المعنى حيث قال:

(الطويل)

وأول خبث الماء خبث ترابه     وأول لؤم المرء لؤم المناكح

وقال آخر:

(الطويل)

فإن كنت تبغ أيّما[1] بجهالة     من الناس فانظر من أبوها وخالها

فإنهما منها كما هي منهما     كقدك نعلاً إن أريد مثالها

ولا تطلب البيت الدنيء فعاله     ولا يدع[2] ذا عقل لكثرة مالها

فإن الذي ترجو من المال عندها     سيأتي عليه شؤمها وخبالها

الأيم: التي لا زوج لها صغيرة كانت أو كبيرة بكراً كانت أو ثيباً إلى غير ذلك، قال جعفر بن عمر - رضي الله عنه - [عجبت[3]] ممن يبتلى بأربع كيف يغفل عن أربع. عجبت لمن ابتلى بالهم كيف لا يقول: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[50]. لأن الله تعالى يقول: ﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾[51]. وعجبت لمن خاف شيئاً من السوء كيف لا يقول: ﴿حَسۡبُنَا ٱللَّهُ وَنِعۡمَ ٱلۡوَكِيلُ﴾[52]. لأن الله تعالى يقول: ﴿فَٱنقَلَبُواْ بِنِعۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضۡلٖ لَّمۡ يَمۡسَسۡهُمۡ سُوٓءٞ وَٱتَّبَعُواْ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضۡلٍ عَظِيمٍ﴾[53]. وعجبت لمن خاف مكر الناس كيف لا يقول: ﴿وَأُفَوِّضُ

---

[50] الأنبياء: 87.

[51] الأنبياء: 88.

[52] آل عمران: 173.

[53] آل عمران: 174.

(1) في الأصل: الأيما.

(2) كذا في الأصل و«ج». ولو قال: «ولا تبغ حسناء لكثرة مالها» لاستقام البيت.

(3) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

﴿أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[54]. لأن الله تعالى يقول: ﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُواْۖ﴾[55]. وعجبت لمن رغب في الجنة كيف لا يقول: ﴿مَا شَآءَ ٱللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾[56]. لأن الله تعالى يقول: ﴿فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ﴾[57].

**إخواني**: وإياكم واتباع علم الكيمياء، والكنوز، والجداول، والتبريج، والفال، وتقليب القلوب، وطب الأكرة(1)، واللعب بالنرد، والشطرنج كل ذلك من الباطل، وقد نهانا عن ذلك أهل الطريقة العروسية غاية النهي. ومن الباطل أيضاً: علم العزائم والأسحار، وربما يكون كفراً بالله أعاذنا الله من ذلك. فالعروسي لا يفعل شيئاً من المحرمات ولا المكروهات(2)، ولا يقتدي بجاهل لا يعرف العلم ولا أهله، وأن لا يتعلم إلا من عالم ناصح تقي الجيب، قليل العيب، عدل في الدين، كريم العرق، شريف النسب، كبير السن. لا يخالط السلطان، ولا يلابس الدنيا ملابسة تشغله عن أمر دينه. عن أنس بن مالك[58] ـ رحمه الله ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «العلماء أمناء الرسل ما لم يدخلوا الدنيا ولم يخالطوا السلطان فإذا دخلوا الدنيا وخالطوا السلطان فاحذروهم واعتزلوهم»[59].

وعن معاذ بن جبل[60] ـ رحمه الله ـ قال: إذا كان العالم راغباً

[54] غافر: 44.

[55] غافر: 45.

[56] الكهف: 39.

[57] الكهف: 40.

[58] هو: أبو ثمامة أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري، صاحب رسول الله ﷺ وخادمه، روي عنه البخاري «2286» حديثاً. ولد بالمدينة المنورة سنة «10هـ ـ 612م» وتوفي بالبصرة سنة «93هـ ـ 712م». طبقات ابن سعد جـ 7 ص: 10. تهذيب ابن عساكر جـ 3 ص: 139. الأعلام جـ 1 ص: 266.

[59] أخرجه الديلمي في الفردوس بمأثور الخطاب «جـ3 ص: 75». عن أنس وحذيفة.

[60] هو: أبو عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمر بن أوس الأنصاري =

(1) في «ج» وطلب الأكدرة واللعب بالنرد.

(2) في «ج» من المحرومات والمكروهات.

في الدنيا كانت مجالسته تزيد الجاهل جهلاً، والفاجر فجوراً، ويفسد قلب المؤمن. وقال عبد الله بن عمر[61] رضي الله عنهما: العالم طبيب الدين، والدرهم داؤه. فإذا كان الطبيب يجر الداء إلى نفسه فكيف يداوي غيره. ونعم ما قيل فيه:

(الطويل)

وغير تقي يأمر الناس بالتقى        طبيب يداوي الناس وهو مريض

**واعلموا**: أن فائدة العلم الإخلاص فيه لله تعالى، والأدب مع سائر الخلق باراً وفاجراً، ونفي الكبر من قلبه. ومن علامات الإخلاص: أن لا يتكدر ممن نسبه إلى الجهل وعدم الفهم، ولا من قال فيه: إن فلاناً يتعلم العلم حجة عليه، أو فلاناً لا يعمل بعلمه وغير ذلك، فيتساوى عنده نسبته للجهل ونسبته للعلم على حد سواء. ومن علامات ذلك أيضاً: أن لا يجد في نفسه حلاوة لما يكبر كحلقة درسه والتعظيم في أعين الناس بذلك فافهموا. ومن شأن الطالب أن ينظف باطنه [من الأشياء(1)] المهلكة كالكبر، والحرص، ودعوى العلم، ومحبة الدنيا. لأن أهل البر والمساعدة قد انقرضوا فلا أقل من رفع الهمة عن الطمع فيما بأيدي الناس، فمن طمع الآن في دنيا تصيبه من أجل علمه فقد طمع في غير مطمع، وباع دينه بلا شيء، وليثه كان بالدنيا فيكون في ذلك فائدة في التوسعة على نفسه وعياله على أنه ضرب عن العمل بالعلم صفحاً. فأحسن الناس الآن من كان محترفاً

= الخزرجي. صحابي جليل وأعلم الأمة بالحلال والحرام وهو أحد الستة الذين جمعوا القرآن على عهد النبي ﷺ شهد بيعة العقبة مع الأنصار السبعين وبدراً وأحداً وسائر المشاهد مع الرسول ﷺ. روى «157» حديثاً نبوياً. ولد سنة «20ق هـ - 603م» وتوفي بناحية الأردن سنة «18هـ - 639م» طبقات ابن سعد جـ 3 ص: 120 - الإصابة ت 8039 - الاعلام جـ 8 ص: 172.

[61] تقدمت ترجمته في الرسالة السادسة. ص: 172.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

بما يعود عليه ثمرته في دنياه، وما علمه من العلم كفاية. وقد مر إمام طريقتنا إبراهيم بن أدهم[62] - رضي الله تعالى عنه - على حجر مكتوب عليه: اقلبني تعتبر. قال فقلبه فإذا مكتوب في باطنه: أنت بما تعلم لا تعمل، فكيف تطلب علم ما لم تعلم؟

**واعلموا**: أنه لا يمكن لطالب العلم العمل بالعلم وآدابه، ويصير عليه الأنس والخير إلا إن كان يعتقد طائفة الفقراء مخالطاً لهم، فبذلك يثمر له العلم لأنهم ينبهونه على الدسائس المانعة للقلب عن قبول الخير لأن العلم قوت النفس، وكلما كثر قَوَت وتكبرت وأبت عن الخير.

**واعلموا**: أن فائدة العلم العمل به. وإياكم: والجلوس مع ثمانية أصناف من غير ضرورة وهم: كذاب، وقتاب[63]، ومغتاب، وتارك الصلاة، ومدمن خمر وزاني ولوّاط، وعائق والديه، ومتكبر. وربما يجب هجرانهم لأن الطبع يسري كما في الحديث. وقال ﷺ: «من جلس مع ثمانية أصناف زاده الله ثمانية أشياء: فمن جلس مع الأمراء زاده الله الكبر(1) وقساوة القلب، ومن جلس مع الأغنياء زاده الله الحرص في الدنيا، ومن جلس مع الفقراء زاده الله الشكر(2) والرضى بما قسم له. والعزلة أحسن. ومن جلس مع الصبيان زاده الله لهواً ولعباً، ومن جلس مع النساء زاده الله شهوة وجهلاً، ومن جلس مع الصالحين زاده الله رغبة في الطاعة، ومن جلس مع العلماء زاده الله العلم والورع، ومن جلس مع الفساق زاده الله الذنب والتسويف»[64].

---

[62] تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 452.

[63] كذا في النسختين ولم أفقه لها معنى ولعلها: قتات والقتات هو النمام. يقول الزمخشري: رجل قتات: نمام، وهو يقت الحديث: يزوره ويحسنه، الزمخشري، أساس البلاغة. ص: 491.

[64] أورده السمرقندي في تنبيه الغافلين «ص: 228» بلفظ: «يقال من جلس مع ثمانية أصناف زاده الله... الخ..».

(1) في «ج» زاده اله لهواً ولعباً.

(2) [illegible] الله الرضى بما قسم الله تعالى له.

**إخواني**: وإذا كانت لكم حاجة عند أحد فاغتسلوا عند الرواح للجمعة، ولا تكلموا أحداً، وصلوا في ميامن الصف الأول بعد قضاء الفريضة أربع تسليمات بالفاتحة وآية الكرسي، ثم يتوسل بها أيضاً بعد الصلاة ويسأل حاجته فإنها تقضى. وفي رواية: ومما جرب لقضاء الحوائج يغتسل الإنسان عند الرواح للجمعة ولا يكلم أحداً ويصلي في ميامن الصف الأول ويصلي أربع ركعات(1) بالفاتحة وآية الكرسي [في كل ركعة ويجلس تالياً لآية الكرسي(2)] حتى يؤذن المؤذن فيتوسل بها ثم يسكت [حتى يفرغ(3)] الخطيب من الخطبة فإذا أقيمت الصلاة تلاها وتوسل بها أيضاً فإذا كان في آخر سجدة من الصلاة صلى على رسول الله ﷺ وسأل حاجته فإنها تقضى بإذن الله تعالى. قال بعض الشيوخ[65]: إذا أردت أن تغلب الشر كله وتلحق الخير كله ولا يسبقك سابق ولو عمل ما عمل فقل: يا من له الأمر كله أسألك الخير كله، وأعوذ بك من الشر كله، فإنك أنت الله الغني الغفور الرحيم. أسألك ـ بالهادي محمد ﷺ ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾[66] ـ مغفرة تشرح بها صدري، وتضع بها وزري، وترفع بها ذكري، وتيسر بها أمري، وتنزه بها فكري، وتقدس بها سري، وتكشف بها ضري، وترفع بها قدري، إنك على كل شيء قدير. وفي رواية أخرى تقرأ عقب ذلك سورة قريش إلى آخرها وتقول: اللهم إنك آمن من كل شيء فبأمنك من كل شيء(4) وخوف كل شيء منك أمّنى ممّا أخاف يا خفي الألطاف أسألك بلطفك الخفي الذي ما استغاثك به أحد من خلقك إلا أمن وكفي، اكفني شرّ كل جبار عنيد، وشيطان مريد، وضعيف من الخلق وشديد، يا قادر، يا مقتدر، يا ذا العرش المجيد. تضع يدك

(1) في «ج» ويصلي أربع تسليمات.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(3) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(4) في «ج» فبأمنك من كل شيء أمني مما أخاف بطه بقاف بالذاريات بالأحقاف وبهول يوم المخاف نجني مما أخاف يا خفي الألطاف.

---

[65] هو الشيخ أبو الحسن الشاذلي. ابن الصباغ، درة الأسرار وتحفة الأبرار، ص: 138.

[66] الشورى: 52 ـ 53.

على جبهتك وتقرأه ثلاث مرات. وفي رواية أخرى عن بعضهم: تقرأه عند كل كربة ولا يختص بالجمعة ولا بغيرها. نقلت ذلك من خط شيخنا الدكالي، ثم ذكر عقبه دعاء منسوب للشيخ الشّاذلي[67] [وهو[1]] اللهم لا تكلني إلى نفسي في حفظ ما ملَّكتني مما أنت أملك به مني، وامددني بدقيقة من دقائق اسمك الحفيظ الذي حفظت به نظام الموجودات، واكسني درعاً من كفايتك، وركبني مركب النجاة في المحيا والممات، وامددني بجيش من رقائق أسمائك القاهرة تدافع عني من أرادني بسوء من جميع المؤذيات. أتوسل إليك بكلماتك التامات، لا إله إلا أنت عالم السرائر المضمرات والخفيات، وولني ولاية تقطع رقبة كل جبار وكل جبارة، يا عزيز، يا جبار، يا الله، يا واحد، يا قدوس، يا ذا الجلال والإكرام. اللهم وألق عليَّ من زينتك، ومحبتك، وكرامتك، ومن نعوت ربوبيتك ما تبهر له القلوب، وتذل النفوس[2]، وتخضع له الرقاب، وتبرق له الأبصار. يا جبار، يا متكبر، يا قهار. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) في «ن» وتذل له الرقاب وتبرق له الأبصار.

[67] تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة ص: 165.

# الرسالة العاشرة

## رسالة إلى أصحابه بتونس[1]

**وهم:**

1 ـ محمد بن علي بن رباح.

2 ـ سالم بن مبارك.

3 ـ ابن عبد الكريم.

4 ـ مبارك بن يحيى الحمروني[2]

## مخطوطات الرسالة:

للرسالة نسخة فريدة ضمن كتاب «روضة الأزهار» لكريم الدين

---

(1) تونس: دولة عربية إسلامية تطل على البحر الأبيض المتوسط في شمال أفريقيا يحدها شمالاً البحر الأبيض المتوسط وشرقاً البحر وليبيا وجنوباً ليبيا والجزائر وغرباً الجزائر. افتتحها العرب المسلمون عام «27هـ ـ 647م» في خلافة سيدنا عثمان بن عفان على يد واليه عبد الله بن أبي السرح بعد أن تم لهم فتح مصر وبرقة وطرابلس. وفي خلافة معاوية قضى واليه معاوية بن هديج عام «45هـ ـ 665م» على البقية الباقية من الاستعمار الروماني في شمال أفريقيا وافتتح سوسة وبنزرت عنوة وأعقبه على ولاية أفريقيا عقبة بن نافع عام «50هـ ـ 670م» فبنى مدينة القيروان وجعلها قاعدة الدولة الإسلامية الإفريقية. القاموس الإسلامي جـ 1 ص: 517.

(2) لم أقف على تراجم لهم.

البرموني وقد جاءت فيه من ص: 241 إلى ص: 266 وذلك من مخطوط مكتبة آل أبو زبيدة بزليتن لكتاب «روضة الأزهار» والذي رمزت له بكلمة «الأصل» أما مخطوط مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس فقد سقطت منه هذه الرسالة.

## نص الرسالة

### بسم الله الرحمن الرحيم
### وبه نستعين

سبحانك اللهم لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1] ﴿رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾[2] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[3] من العبد الفقير إلى الله عبد السلام بن سليم إلى الأخلاء والأصحاب الأتقياء.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد:

فإنني أوصي نفسي وإياكم: بتقوى الله رب الأرباب، ومسبب الأسباب الذي لا إله إلا هو، ولا معبود سواه، ولا موجود ولا مقصود على الحقيقة إلا إياه. فالسعيد من اعتمد عليه، وفوض كل أمر إليه، وألقى نفسه متبرئاً من حوله وقوته مسلماً بين يديه، صادقاً في رغبته، وطلبه لما لديه. والشقي المحروم من أعرض عن ذكر مولاه، واتبع هواه، وآثر دنياه على أخراه.

---

[1] البقرة: 32.

[2] الممتحنة: 4.

[3] الأعراف: 43.

وعليكم: بالتوكل على الله، والثقة بضمانته، والطمأنينة بكفالته وكفايته، والاستعانة به في كل أمر، والاعتماد عليه في كل حال، وإنزال جميع الحوائج بفناء كرمه وجوده. وعليكم: بالإياس ممّا في أيدي الناس، وبقطع الطمع فيهم، والاستشراف إلى ما في أيديهم. وإن أسدى أحد من المسلمين إليكم معروفاً فاقبلوا منه، واشكروه، وادعوا له، واصرفوه في حاجاتكم. فإن لم يكن لكم حاجة إليه فتصدقوا به. وإذا أسدى إليكم شيء من وجه ليس بطيّب فردوه. وعليكم: بالمحافظة على الصلوات الخمس. فإنها عماد الدين وهي من الدين بمنزلة الرأس من الجسد. ومن المحافظة عليها أن تصلى أول الوقت وفي الجماعة ما أمكن. ورأس المحافظة حضور القلب فيها وخشوعه، وقبيح بالمصلي أن يكون جسده بين يدي ربه، وقلبه متردد في أودية الدنيا. وإياكم: أن تستغلوا القصر والجمع في [غير(1)] محله فإن الله يحب أن تؤتى رخصة كما يحب أن تؤتى عزائمه[4]. وعليكم: بالملازمة لجميع أورادكم التي كنتم تواظبون عليها في الحضر، فلا تتساهلوا بترك شيء منها في السفر، وما تعذر فعله منها بسبب السفر فاقضوه عند التمكن إن كان مما يقضى، وإلا فقد خفّف الله عن المسافر. وفي الحديث: «إن المؤمن إذا سافر أو مرض يأمر الله ملائكته يكتبون له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً»[5]. وهذا فضل من الله ورحمة وتخفيف، فله الحمد ما أرحمه بعباده وألطفه. وعليكم: بالإكثار من الذكر في كل حين، وبملازمة الطهارة الباطنة وهي: خلو القلب من الغل، والحسد، والغش لأحد من المسلمين.

---

[4] تضمين لقوله ﷺ: «إن الله عز وجل يحب أن تؤتى رخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه» رواه الطبراني في المعجم الكبير «جـ11 ص: 323» عن ابن عباس رضي الله عنه.

[5] أخرجه البخاري في صحيحه «جـ2 ص: 114» كتاب الجهاد والسير - باب يكتب للمسافر مثل ما كان يعمل في الإقامة، عن أبي موسى بلفظ: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل مقيماً صحيحاً».

(1) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

وبملازمة الطهارة من الحدث والنجس. وقد أوحى الله إلى موسى: «إذا أصابتك مصيبة وأنت على غير طهارة فلا تلومن إلا نفسك». وواظبوا: على أذكار الصباح والمساء فإنها حصن من الشيطان، وحرز من الشر. وحافظوا: على أذكار السفر، وما يقال عند الركوب والنزول، ودخول البلد إلى غير ذلك من الأذكار وعليكم: بسلامة الصدور، وسخاوة النفوس، والرحمة بكل مسلم، وحسن المصاحبة والمعاشرة مع من صحبتموه، والسعي في مهمّاته كسعيكم لأنفسكم، وبالحرص على إدخال السرور على قلبه، وبالنصح له، وهدايته إلى ما ينفعه في آخرته ودنياه. ولا يمنعكم الحياء من ذلك، فشر الحياء حياء يمنع من العمل بالخير والدعوة إليه. وإنما هو حين سماه الشيطان باسم الحياء ترويجاً على ضعفاء الإيمان. وعليكم: بحسن الخلق مع من يصحبكم، وخفض الجناح له. فإن الخير كله في لين وسعة الاحتمال وإيثار الصاحب. وأن يكون المؤمن سريع الرضا بطيء الغضب، بل المؤمن الكامل لا يغضب لنفسه رأساً، وإنما يغضب لربه. ومهما غضب المؤمن لنفسه منعه إيمانه أن يشفي نفسه وينفذ غضبه. وقد قال رجل: يا رسول الله أوصني. فقال: «لا تغضب»[6]. وعليكم: بالتواضع. وهو: أن ينظر الإنسان إلى غيره من أهل الإيمان بعين الاجلال والتَّعظيم، وإلى نفسه بعين الاحتقار والاستصغار. وبالإخلاص وهو: أن يريد الإنسان لكل خير يعمله وكل شيء يتركه وجه الله وثوابه. فمن أراد مع وجه الله منزلة عند الناس أو مدحاً أو مالاً فهو رياء، والرياء محبط للعمل ومبطل للثواب. وعليكم: بصحبة الأخيار، والتأدب بآدابهم، والاستفادة من أعمالهم وأقوالهم، وبزيارة الأحياء والأموات منهم، مع التعظيم البالغ لهم وحسن الظن بهم الصادق فيهم، فبذلك يحصل الانتفاع للزائرين، ويفيض المدد من

---

[6] أخرجه البخاري في صحيحه «جـ7 ص: 100» كتاب الأدب ـ باب الحذر من الغضب. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

جهتهم. وإنما قلّ انتفاع أهل الزمان بالصالحين من حيث قلة التعظيم لهم وضعف حسن الظن بهم، فحرموا بسبب ذلك بركاتهم، ولم يشاهدوا كراماتهم، حتى توهموا أن الزمان خال من الأولياء، وهم والحمد لله كثيرون ظاهرون مخفيون، ولا يعرفهم إلا من نوّر الله قلبه بأنوار التعظيم، وحسن مصاحبتهم. وقد قيل المدد في المشهد. وعليكم: بمجانبة الأشرار، وترك مصاحبتهم، والاختلاط بهم، فإن فيه الخسار والعار في الدنيا والآخرة. وهو الذي يعوج المستقيم. وفيه من الإضرار بالقلب والدين أمر عظيم. وما أحسن ما قيل: (الكامل).

ما يبرىء الجرباء قرب سليمة     منها ولكن السليمة تجرب

ولا تدخلوا بلاداً فيها قتال وأفتان أو وباء أو طاعون. وقد صرح شراح البخاري ومسلم[7] كابن حجر[8] وغيره: بأن الوباء اسم لكل مرض عام. وأن كل طاعون وباء وليس كل وباء طاعون. وقد يجوز الفرار من ذلك ويكره الدخول عليه وربما يحرم. وقد ذكر شيخ الإسلام ابن حجر في كتابه المسمى بـ «بذل الماعون في فضائل الطاعون» مستنبطاً «من أحد الأوجه في النهي عن الدخول إلى بلد الطاعون وهو: منع التعرض إلى البلاء. ومن الأدلة الدالة على مشروعية الدواء والتحرّز في أيام الوباء من أمور أوصى بها حذَّاق الأطباء مثل: إخراج الرطوبات الفضلية، وتقليل الغذاء، وترك الرياضة، والمكث في الحمام، وملازمة السكون، وأن لا يكثر من

---

[7] هو: أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. الإمام الحجة الحافظ من مؤلفاته «صحيح مسلم» وقد جمع فيه اثني عشر ألف حديث. و«المسند الكبير» و«الجامع» مرتب على الأبواب. ولد بنيسابور سنة «204هـ ـ 820» وتوفي بظاهرها سنة «261هـ ـ 875م» تاريخ بغداد جـ 3 ص: 100 ـ وفيات جـ 2 ص: 91 ـ الأعلام جـ 7 ص: 222.

[8] تقدمت ترجمته في الرسالة السادسة. ص: 185.

استنشاق الهواء الذي عفن. وصرح الرئيس أبو علي[9] بن سينا بأن أول شيء يبدأ به في علاج الطاعون: الشرط إن أمكن، فيسيل ما فيه ولا يترك حتى يجمد فتزداد سميته، فإن احتيج إلى مصه بالمحجمة فليفعل بلطف. وقال أيضاً: يعالج الطاعون بما يقبض ويبرد، وبأسفنجة مبلولة مغموسة في خل وماء ودهن ورد، أو دهن تفاح، أو دهن آس. ويعالج بالاستفراغ بالفصد بما يتحمله الوقت، أو يوخز بما يخرج الخلط. ثم يقبل على القلب بالحفظ والتقوية بالمفردات والمعطرات، ويجعل على القلب من أدوية أصحاب الخفقان الجبار. قلت: وقد أغفل الأطباء في عصرنا وما قبله عن هذا التدبير، فوقع التفريط الجدير الشديد من تواطئهم على عدم التعرض لصاحب الطاعون بإخراج الدم، حتى شاع ذلك فيهم وذاع بحيث صار عامتهم يعتقد تحريم ذلك، وهذا النقل عن رئيسهم يخالف ما اعتقدوه، والعقل يوافقه لما تقدم أن الطاعون يثير الدم الكامن فيسيح في البدن فيصل إلى مكان منه، ثم يصل أثر ضرره إلى القلب فيقتل. وكذلك قال ابن سينا لما ذكر العلاج بالشرط أو الفصد» انتهى[10]. قال بعض مشايخ الحنفية: إذا تزلزلت الأرض وهو في بيته يستحب له بل يجب له الفرار إلى الصحراء لقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[11] وفيه قيل: إن الفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين. وهو يفيد جواز الفرار من الطاعون إذ نزل ببلدة. والحديث في الصحيحين

---

[9] هو: أبو علي الحسين بن عبد الله بن سينا. الفيلسوف الرئيس. من مؤلفاته «الشفا» في الحكمة و«أسرار الحكمة المشرقية» و«أسرار الصلاة» ولد في قرية من قرى بخارى سنة «370هـ ـ 980م» وتوفي بهمذان سنة «428هـ ـ 1037م». وفيات الأعيان جـ 1 ص: 152 ـ لسان الميزان جـ 2 ص: 291 ـ الأعلام جـ 2 ص: 241.

[10] ابن حجر، بذل الماعون في فضل الطاعون. ص: 115 «مخطوط» مقتنيات الخزانة العامة بالرباط تحت رقم «312ق».

[11] البقرة: 195.

بخلافه[12]. وروى العلاء في فتواه أنه ﷺ مر بهدف مائل فأسرع في المشي فقيل له: أتفر من قضاء الله تعالى؟ فقال ﷺ: «فرار إلى قضاء الله تعالى» الحديث[13]. ولا يدخل المسافر بلدة ليس فيها سلطان، ولا سائس - أي صاحب سياسة من الولاة وقيل ولا طبيب حاذق - ولا بلدة فيها عذاب أو فتنة كما مرَّ، ولا يأتي أرضاً فيها الزاحف والمزحوف. وأما الطاعون قيل هو: قروح يخرج مع لهيب الإبط والأصابع وفي سائر البدن يسودّ ما حولها أو يخضرّ أو يحمرّ. وأما الوباء فقيل هو: الطاعون. والصحيح أنه مرض يكثر في الناس ويكون نوعاً واحداً كما ذكر بعض العارفين. لكن التحقيق للقبول والأقرب إلى السداد ما ذكره شارح الأوراد حيث قال: الطاعون هل هو ورم في الأعضاء العددية؟ يكون حدوثه من مادة سميكة كما هو مذهب الأطباء، ويؤيده نفع معالجتهم، وبيان أشياء واقعة لقبول مزاج المطعون من الأغذية، وبيان سبب الطاعون من فساد الهواء وانحراف المزاج. أو هو: طعن من الجن سلطه الله على الناس بسبب الزنا. قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةً﴾[14] ويؤيده اسمه، ورؤية بعض المرضى والصبيان، أو بعض(1)... في المنام يرى أن شخصاً في صورة المبتدعين أو في غيرها طعن فلاناً وفلاناً في عنقه أو إبطه أو خلف أذنه مع وقوعه مطابقاً للواقع. ونفع قراءة التعوذات المشتملة على الاستعاذة من الجن المأثورة عن الكبار

---

[12] صحيح البخاري «جـ7 ص: 21» كتاب المرض - باب ما يذكر في الطاعون.
صحيح مسلم «جـ14 ص: 204» بشرح النووي - كتاب السلام - باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها.

[13] أخرجه البيهقي في الشعب «جـ2 ص: 124» باب التوكل والتسليم. عن يحيى بن كثير قال: «بلغني عن النبي ﷺ أنه اذا مر بهدف مائل أو صدف مائل أسرع المشي» دون قوله: فقيل له أتفرّ من قضاء الله تعالى... إلخ..

[14] الأنفال: 25.

(1) بياض بالأصل مقدار كلمة.

والأخيار، وبينهما أقوال. ويحتمل أن طعن الجن يتوقف على حكمة استعداد الفعل، والمناسبة بينه وبين المطعون. ومعلوم أنه خلق(1) وغالب حربه نار قال الله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾[15] فإذا كانت الحرارة غالبة على البدن بسبب الغذاء أو الهواء الفاسد تحصل المناسبة. وأما الوباء فهو: فساد يعرض بجوهر الهواء لأسباب سماوية أو أرضية كالماء الآسن، والجيف الكثيرة والرديئة الكثيرة العفن، أو بسبب أرياح ساقت أدخنة رديئة من مواضع نابية فإذا وصل ذلك الهواء الردىء الكيفية إلى القلب فيفسد مزاج الروح الذي فيه ويعفن ما يحويه من الرطوبة، وحدثت حرارة خارجة عن الطبع وانتشرت بينهما في البدن والمستعد. وقال آخر: فإذا وقع ذلك أي الطاعون بأرض لا يخرج منها فراراً منه. وعن أسامة بن زيد[16] ـ رضي الله عنهما ـ عن النبي ﷺ «الطاعون رجز أرسل على طائفة من بني إسرائيل فإذا سمعتم به بأرض فلا تدخلوا عليه وإذا وقع بأرض وأنتم بها فلا تخرجوا فراراً منه»[17] وتلك الطائفة هي الذين أمرهم(2) الله تعالى أن يدخلوا الباب سجداً فخالفوا أمر الله تعالى[18] فأرسل الله

---

[15] الرحمن: 15.

[16] هو: أبو محمد أسامة بن زيد بن حارثة. من كنانة عوف. صحابي جليل روى له البخاري ومسلم «128» حديثاً نبوياً. ولد بمكة سنة «7ق هـ ـ 615م» وتوفي بالجرف بالمدينة المنورة سنة «54هـ ـ 674م». طبقات ابن سعد جـ 4 ص: 42 ـ الإصابة جـ 1 ص: 29 ـ الأعلام جـ 1 ص: 282.

[17] أخرجه البخاري في صحيحه «جـ7 ص: 21» كتاب المرض والطب ـ باب ما يذكر في الطاعون ومسلم في صحيحه» جـ 14 ص: 204» بشرح النووي. كتاب السلام ـ باب الطاعون والطيرة والكهانة كلاهما عن أسامة بن زيد بألفاظ متقاربة.

[18] يشير بذلك إلى قوله جل شأنه: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُواْ يَظْلِمُونَ﴾ الأعراف: 161 ـ 162.

(1) كذا في الأصل. ويبدو أن كلمة أو اكثر قد سقطت من تركيب الجملة.

(2) كذا في الأصل.

تعالى عليهم الطاعون فمات منهم في ساعة واحدة أربعة وعشرون ألفاً من شيوخهم وكبرائهم. وقد يقال: كان سبب الطاعون في بني إسرائيل زنا زمري بن شلوم بامرأة من الكنعانيين، ثم إن فنحاص بن العيزر بن هارون أخذ حربته وكانت كلها حديد فانتظمهما في حربته ورفعهما إلى السماء وقتلهما فارتفع الطاعون، فحسب من هلك منهم من الطاعون فيما بين أن أصاب زمري المرأة إلى أن قتلهما فنحاص فوجد الهالكون سبعون ألفاً في ساعة واحدة. وفي قولنا: وإذا سمعتم به فلا تقدموا عليه تحذيراً منه ونهياً للتعرض للتلف إذ لا يجوز إلقاء النفس في التهلكة. وفي قوله: لا تخرجوا فراراً لإثبات التوكل والتسليم لقضائه، فإن العذاب لا يدفعه الفرار، وإنما يدفعه الثبوت والاستغفار. فلو خرج لحاجة من غير فرار جاز. وذكر بعضهم في تأويل هذا الحديث فقال: إذا كان بحال لو دخل وابتلي به وقع عنده أنه ابتلي بدخوله، ولو خرج فنجا وقع عنده أنه نجا بخروجه فلا يدخل ولا يخرج صيانة لاعتقاده. وإذا كان يعلم أن كل شيء بقدر الله تعالى وأنه لا يصير إلا ما كتب الله فلا بأس أن يدخل ويخرج. وحكي أن عبد الملك بن مروان[19] هرب من الطاعون فركب ليلاً ومعه غلام كان ينام على دابته فقال للغلام: حدثني فقال من أنا حتى أحدثك؟ فقال: على كل حال حدث حديثاً سمعته. فقال: بلغني أن ثعلباً كان يخدم أسداً ليحميه عن الآفات والبليات فرأى ذلك الثعلب يوماً عقاباً يقصده فلجأ إلى الأسد وأعلمه القضية. فقال الأسد: لا تخف. فلم يسكن الثعلب واشتد فزعه، فلما رأى الأسد خوفه رحمه فأقعده على ظهره، فانقض العقاب فاختلسه من ظهره فصاح الثعلب: يا أبا الحرث أغثني فأين عهدك؟ فقال: إنما أقدر على أهل الأرض فانصرف وارض بالقضاء.

---

[19] سبقت ترجمته في الرسالة الثامنة. ص: 225.

شعر: (الكامل).

فإذا خشيت مَن الأمور مقدرا ففررت منه فنحوه تتوجه

وإذا دخل المسافر قرية أو بلدة فليقل: اللهم إني أسألك من خير هذه القرية وخير ما فيها، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها. ويستحب أن يأكل من فحماء كل أرض يأتيها - أي من فومها وهو: الثوم. ويقال: الحنطة. وقال بعضهم: الفوم الحمص لغة شامية - وبصلها، وبقولها - جمع بقل وهو ما أنبتته الأرض من الخضروات والمراد به ههنا أطايب البقول التي يأكلها الناس كالنعناع والكرفس والكراث - ونحوها فلا يضره ماؤها ووباؤها قصراً ومداً المرض العام. وقيل: يعني الهلاك كما مر نقلاً. ويعجِّل الأوبة - أي يعجل الرجوع - إلى أهله تعجيلاً بعد قضاء حاجته فإن السفر قطعة من العذاب[20] حيث يشتمل على أنواع المشاق. وقد يروى: السفر قطعة من سقر. وقد يعكس ويقال: النار قطعة من السفر. ويهدي إلى أهله شيئاً من الهدايا إذا رجع من سفره، يعني: أن السنة أن يحمل لأهل بيته ولأقربائه تحفة من مطعوم أو غيره على قدر إمكانه، ولو كان حجراً على ما روي[21] وقد قالوا: إذا لم يجد المسافر ما يهدي إلى أهله وأقاربه فليضع في مخلاته حجراً وكأن هذا مبالغة في الاستحباب على هذه المكرمة، لأن الأعين تمد إلى القادم من السفر والقلوب تفرح فتتأكد المحبة بها ويزداد السرور معها. ولا يدخل على أهله ليلاً كي لا يعثر

[20] تضمين لحديث نبوي عن أبي هريرة قال: قال ﷺ: «السفر قطعة من العذاب يمنع أحدكم طعامه وشرابه ونومه فإذا قضى نهمته فليعجل إلى أهله». أخرجه البخاري في صحيحه، جـ 1 ص: 219» كتاب الحج - باب السفر قطعة من العذاب.

[21] لعله يشير إلى ما أورده المتقي في «كنز العمال» جـ 6 ص: 708 عن أبي الدرداء قال: «إذا قدم أحدكم من سفر فليقدم معه بهدية ولو أن يلقي في مخلاته حجراً» وهو من الأحاديث الضعيفة كما نبه على ذلك السيوطي في الجامع الصغير «جـ1 ص: 121» والمناوي في فيض القدير جـ 1 ص: 415.

على مكروه أو يطلع على شنيع حتى تتهيأ له المرأة فتمشط وتستحد استحداداً أي تزيل الشعر عانتها. وقد طرق ـ أي ليلاً ـ رجلان أهلهما في عهد النبي ﷺ أي في زمانه بعد أن نهى عنه، فوجد كل واحد منهما مع امرأته رجلاً[22]. فيستحب للمسافر أن يدخل [على(1)] أهله غدوة أو عشية وهي ما بين زوال الشمس إلى غروبها، ويبدأ بالمسجد ويصلي فيه، والأولى أن يدخل وقت الضحى[23]. وعن كعب بن مالك[24] رحمه الله أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ينبغي للمؤمن أن يخالق كل صنف بخلقه من أهل الدنيا والآخرة فإن الفاجر يرضى من الرجل بحسن الخلق بحسب الظاهر ولا يطلب موافقة باطنه وحسن اعتقاده له»[25]. والحال أن مخالطة المؤمن ومصافاته واجبة فينبغي للمرء أن يتعامل مع كل مؤمن وإن كان فاجراً لكن ينبغي أن يعامله بحسن طريقته في السفر والحضر. حُكي عن الإمام الشافعي[26] رضي

---

[22] يشير بذلك إلي ما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير «جـ11 ص: 245» عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «لا تطرقوا النساء ليلاً» يعني إذا قدم أحدكم من سفر لا يأتي أهله إلا نهاراً. قال: فقدم رسول الله ﷺ قافلاً من سفر وذهب رجلان فسبقا بعد قول رسول الله ﷺ فأتيا أهليهما فوجد كل واحد مع أهله رجلاً».

[23] كما كان رسول الله ﷺ يفعل فقد أخرج مسلم في صحيحه «جـ2 ص: 156» كتاب صلاة المسافرين ـ باب استحباب الركعتين في المسجد لمن قدم من سفر أول قدومه. عن كعب بن مالك أن رسول الله ﷺ كان لا يقدم من سفر إلا نهاراً في الضحى فإذا قدم بدأ بالمسجد فصلى فيه ركعتين ثم جلس فيه.

[24] هو: كعب بن مالك بن عمرو البدري الأنصاري السلمي الخزرجي، صحابي جليل وشاعر من شعراء النبي ﷺ في الإسلام وروى عنه ثمانين حديثاً توفي سنة «50هـ ـ 670م». الإصابة تـ7435 ـ خزانة الأدب جـ 1 ص: 200 ـ الإعلام جـ 6 ص: 85.

[25] أورده الغزالي في الإحياء «جـ2 ص: 206» بلفظ: «خالص المؤمن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة فإن الفاجر يرضى بالخلق الحسن في الظاهر» ولم يعزه إلى النبي ﷺ بل قال: قال بعضهم... إلخ..

[26] سبقت ترجمته في الرسالة التاسعة. ص: 234.

(1) ما بين الحاصرتين زيادة يقتضيها السياق.

الله عنه قال: نزل بمصر وباء فخشينا منه فوقع عندي خوف عظيم فوقف علي رجل في المنام وعلمني هذه الأبيات وهي هذه:

(الرمل).

| | |
|---|---|
| ليس غير الله شيء(1) أبدا | جل ربي عن مقامات السقوط |
| قل هو الرحمن آمنا به | وعبدناه على وفق الشروط |
| يا رافع المجد وماسك السماء(2) | زحزح الأعداء عنا بالهبوط |
| نجنا من كيدهم يا ذا العلا | مثل ما نجيت قدماً آل لوط |
| فرجائي فيك أضحى ثابتا | ولك الحكم ولا عندي قنوط |

فسكت عني فقلت له: من أنت؟ فقال: أخوك العباس الخضر اعلم أن كل من قرأ هذه الأبيات في دار لم يصب أهلها طاعون ولا وباء أبداً. قال: فقرأتها فنجاني الله أنا وأهلي ببركة هذه الأبيات.

**واعلموا**: أن أعظم الأمراض وأضرها ما ينشأ عن الوباء لإخراجه الهواء من اعتدال الصحة إلى إيجاب المرض بفساد الأمزجة كما قاله غير واحد. ثم إن حصل عنه مرض معين فعلاجه معلوم في محله، وإلا فعلاجه بالفصد، والتنقية بما يخرج الخلط الفاسد، وكثرة أكل البقول والحوامض، وتقليل ما يولد الدم كاللحم وكل حلو، وإصلاح الهواء بالبخورات والمشمومات ونحوها. فعلى ما ذكر يكون أعم من الطاعون، وبعضهم جعله مرادفاً له. وبتره كالباقل وأكبر وأصله من الدم وسببه وخز أعداء الإنس من الجن كما في صحيح الحديث[27]. وأما حديث «إنه وخز إخوانكم من الجن» قال ابن حجر:

(1) كذا في النسختين والصواب: ليس غير الله رباً أبداً.

(2) كذا في النسختين والصواب:

يا رفيع المجد سماك السماء
زحزح الأعداء عنا بالهبوط

نجّنا من كيدهم يا ذا العلا
مثل ما نجّيت نوحا مع لوط

فرجائي فيك اضحى ثابتاً
ولك الحمد وما منك قنوط

ينظر الفوائد الجامعة ص 297.

[27] لعله يشير إلى ما أخرجه الحاكم في مستدركه «جـ1 ص: 50» وصححه عن أبي بكر بن أبي موسى عن أبيه قال ذكر الطاعون عند أبي موسى الأشعري فقال أبو موسى: سألنا عنه رسول الله ﷺ فقال: «وخز إخوانكم أو قال أعدائكم من الجن وهو لكم شهادة».

لم يرد[28]. وعليه قال بعضهم: إن وخز المسلمين من الكفار وعكسه. وقال بعضهم: إنه الكبة. وليس هو الكبة المعروفة بمصر وإن أشبهته في الصورة. وأردأه على الأصح ما في الإبط الأيسر، ثم الفخذ الأيسر، ثم العنق. وقيل العنق أردأه. وأردأ ألوانه الأسود، فالأخضر، فالأصفر، فالأحمر. وأسرع الناس هلاكاً به الأطفال، فالأغراب خصوصاً أصحاب الأمزجة الضعيفة كالزنوج والهنود. وعلاجه على قول من قال به من حذاق الأطباء، كفرس الآس[1]، واللينوفر، والطرفاء، ورش ماء الطين الأرمني، والخل، وأكل نحو النارنج، والبصل، والنعناع، والتفاح، وتعليقه في المحل، وأكل العدس، ورش مائه، واستعمال ما فيه البنفسج، وما يبرد الدم كالفواكه، والبقول. وحمل الياقوت، والمرجان، والدرونج. قيل: والزمرد.

وذكر أيضاً حذاق الأطباء له من المعاجين وغيرها أشياء كثيرة منها: أن يشرب في كل أسبوع نصف مثقال من هذا المركب وهو: صبر، سقطري في جزء زعفران، ومرٌّ من كلٍّ نصف جزء يحل بماء الورد ويشرب على الريق. وهذا المعجون يغني عن جميع المعاجين فإنه من الذخائر مجرب لدفع تغيّر الهواء، والوباء، والطاعون، والخفقان، والسموم. وينعش القوى والأعضاء الرئيسية، وتبقى قوته

---

أو إلى ما أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده عن أبي موسى أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ «فناء أمتي بالطعن والطاعون فقيل يا رسول الله هذا الطعن قد عرفناه فما الطاعون؟ قال: وخز أعدائكم من الجن وفي كل شهداء». الساعاتي، الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني. جـ 17 ص: 204 أبواب الطاعون والوباء.

[28] وعبارته كما في كتابه «فتح الباري» جـ 10 ص: 152 «تنبيه: يقع في الألسنة وهو في النهاية لابن الأثير تبعاً لغريبي الهروي بلفظ «وخز إخوتكم» ولم أره بلفظ إخوانكم بعد التتبع الطويل البالغ في شيء من طرق الحديث المسندة لا في الكتب المشهورة ولا الأجزاء المنثورة وقد عزاه بعضهم لمسند أحمد أو الطبراني أو كتاب الطواعين لابن أبي الدنيا ولا وجود لذلك في واحد منها والله أعلم».

(1) كذا في النسختين، وواضح أن كلمة أو أكثر قد سقطت من تركيب الجملة.

عشر سنين. وصفته: ورد يابس، وبنفسج، ونعناع، ومرز نجوش من كلٍّ عشرة. طين أرمني، درونج، صندل، بهمن أبيض، كسفرة مجففة بعد نقعها في الخل من كلٍّ خمسة. صبر، زعفران، طين مختوم، مصطكى، حب أترج مقشر، بسد من كلٍّ أربعة. كهرباء، طباشير، لاذن من كلٍّ ثلاثة. صمغ عربي، عنبر من كلٍّ اثنين. ياقوت أحمر مثقال فإن لم يوجد فبدله وهو ضعفه من الذهب. يسحق الكلُّ، وينقع في نصف رطل ماء ورد، ثم يعجن بشراب الديباس والسفرجل، أو تفاح ويرفع. وشربته ثلاثة قراريط. وهو: من أعظم المفرحات. وفي الحديث أخرج أبو نعيم[29] في الحلية[30] عن الشافعي قال: أحسن ما يداوى به الطاعون البنفسج[31] وفي بعض(1)... لم أر للوباء أنفع من البنفسج يدهن ويشرب. انتهى وذكر بعضهم ما يكتب للوباء ويعلق:

---

[29] سبقت ترجمته في الرسالة التاسعة. ص: 244.

[30] حلية الأولياء وطبقات الأصفياء للحافظ أبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني المتوفي سنة 430هـ ـ 1038م. يقول عنه حاجي خليفة في كتابه القيّم كشف الظنون «جـ1 ص: 689»: «كتاب حسن مُعتبر يتضمن أسامي جماعة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأعلام المحققين والمتصوفة والنساك وبعض أحاديثهم وكلامهم وصدّر بذكر الخلفاء إلى تمام العشرة في الترتيب ثم جعل من سواهم أرسالاً لئلا يستفاد منه تقديم فرد على فرد لكنه أطال فيه بالأسانيد وتكرير كثير من الحكايات وأمور أخرى منافية لموضوعه ولذلك اختصره الشيخ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي اختصاراً حسناً وسماه صفوة الصفوة وانتقد عليه بعشرة أشياء فأوجز في الاختصار بحيث لم يبق منه إلا رسومه ثم إن صاحب مجمع الأخيار «محمد بن الحسن الحسني» سلك في اختصاره مسلكاً وسطاً مع زيادة تراجم...».

[31] جاء في كتاب: «بذل الماعون في فضل الطاعون» لابن حجر ما نصه: «فصل: وقع في بعض النسخ من الحلية عن الشافعي أحسن ما يداوى به الطاعون التسبيح. قيل ووجهه أن الذكر يدفع العقوبة والهلكة قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾ وعن كعب قال: سبحان الله يمنع العذاب... قلت والمعروف عن الشافعي ما ذكره ابن أبي حاتم وغيره لم أر للوباء أنفع من البنفسج يدهن به ويشرب» بذل الماعون. ص: 44 ـ 45.

(1) واضح بأن هناك كلمة قد سقطت من تركيب الجملة ولعل تقديرها: وفي بعض النسخ لم أر للوباء أنفع من البنفسج يدهن ويشرب.

اللهم سكن صدمة فتنة قهرمان الجبروت بألطافك الخفية النازلة من باب الملكوت حتى تتشبث بلطفك وتعتصم بك عن إنزال قدرتك يا ذا القدرة الكاملة والرحمة الشاملة يا ذا الجلال والإكرام. انتهى.

والطاعون أخص من الوباء لأنه طعن الجن، والوباء مرض عام وهو بالمد والقصر. قال شيخنا الدكالي: الطاعون وخز الجن لا دواء له إلا الدعاء والاستغفار والصلاة على النبي ﷺ وهو: رجز من الجن الكافر يوخز المؤمن فيتأذى منه فمن كان منه قاصر اليدين أو به عياب أو عمي فينفخ على المؤمن نفخاً فيتأذى منه. والجن جرم شفاف فتارة يدخل في بدن الإنسان ويوخزه في كبده، وتارة يوخزه في دماغه فيتقيأ الدم من أنفه أو من فيه، فالجن الكافر يوخز المؤمن فيموت شهيداً إن حضر أجله والجن المؤمن يوخز الكافر فإن مات يموت كافراً والله أعلم.

**إخواني**: وعليكم بحفظ قلوبكم من الخواطر المذمومة وتنظيفها من الأخلاق القبيحة المشؤومة، وكف جميع جوارحكم عن المعاصي والآثام والمبالغة في حفظ ألسنتكم من المحضور والفضول من الكلام. وإياكم: وغيبة أحد من أهل الإسلام فإن إثم الغيبة أعظم من إثم الزنى. واحذروا من الكذب فإنه مناقض للإيمان. وفي الحديث: «من أراد أن يلعن نفسه فليكذب»[32]. وبالجملة فخطر اللسان عظيم، وحفظه صعب شديد، ومن وفق له فقد أخذ من الخير بحظ وافر.

**وعليكم**: بالإكثار من تلاوة القرآن مع الخشوع والحضور والتدبر والترتيل. واعدوا سورة يس منه لجلب كل خير ودفع كل ضر.

---

[32] لم أقف عليه بلفظه ومصداقه قول الله سبحانه: ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾ الذاريات: 10 أي لعن الكذابون. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن «جـ17 ص: 33».

وجانبوا: الامتلاء من الطعام فإنه يقسي ويكسل ويحجب عن مشاهدة الأنوار، ويمنع التأثر بالعبادات والأذكار.

**وعليكم**: بتجريد النية والقصد لحج بيت الله الحرام وقضاء مناسككم وتعظيم حرماته وشعائره، وزيارة قبر النبي ﷺ. فلا يكون لكم في سفركم عرض ولا أرب سوى ذلك، وما يلحق به من المقاصد المحمودة. واحذروا: أن تخلطوا بهذه النيات الشريفة طلب نزهة أو رغبة في تجارة.

**وعليكم**: بالإكثار من الطواف بالبيت العتيق فإن الطائف به خائض في الرحمة، ولتكن قلوبكم في حال طوافكم طافحة بتعظيم رب البيت وإجلاله، ولا تشتغلوا في طوافكم بشيء سوى التلاوة والذكر والدعاء، واحذروا: من اللغو فيه، وحافظوا: على الأذكار والدعوات التي تقال في الطواف والسعي وغيرهما من المواطن. وليكن لكم غاية بزيارة جميع المشاهد المعظمة، وأكثروا: من الاعتمار سيما في شهر رمضان فإن عمرة فيه تعدل حجة مع النبي ﷺ[33].

**وعليكم**: بإجلال الحرم والأدب فيه، وتعظيم أهله واعرفوا لهم حق المجاورة، وأحسنوا الظن بهم خاصة، وبالمسلمين عامة. وإن رأيتم أو سمعتم ما تكرهون فاصبروا واصمتوا، وإن استطعتم أن تقولوا الحق فافعلوا فإنه لا يسوغ السكوت على الباطل إلا عند تيقن العجز عن الباطل. وما أحسن حال من أقبل على الله وعلى طاعته إقبالاً لا

[33] لعله يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه «جـ10 ص: 3» بشرح النووي كتاب الحج ـ باب فضل العمرة في رمضان. عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال لإمرأة من الأنصار يقال لها أم سنان «ما منعك أن تكوني حججت معنا» قالت: ناضحان كانا لأبي خلاف «زوجها» حج هو وابنه على أحدهما وكان الآخر يسقي عليه غلامنا. قال «فعمرة في رمضان تقضي حجة أو حجة معي».

يشعر معه بشيء مما عليه أهل الزمان من المخالفة لهدي السلف الصالح، والمتابعة لسيرهم المحمودة. ﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[34].

**وعليكم**: بالإكثار من أعمال البر في الحرم. فإن الحسنة فيه بمائة ألف وهذه المضاعفة قد وردت في الصلاة على الرسول ﷺ وقد جعلها بعض العلماء عامة في جميع الطاعات. وكما أن الطاعة في الحرم يزاد في ثوابها كذلك المعصية فيه يعظم عقابها حتى قال بعض السلف: ما من موضع يؤاخذ الإنسان فيه بالهم على المعصية سوى مكة. واستدلوا لذلك بقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍۭ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾[35].

وقال ابن عباس: لئن أذنب ذنباً بموضع ذكره خارج الحرم أحبّ إلي من أن أذنب ذنباً واحداً بمكة حرسها الله وزادها تعظيماً وتشريفاً وتبجيلاً وتكريماً. وفي الحديث حج رسول الله ﷺ على رحل رث وتحته قطيفة لا تساوي أربعة أو خمسة دراهم فلما انصرف راجعاً قال: «اللهم اجعله حجاً مبروراً لا رياء فيه ولا سمعة»[36]. وطاف عمر رضي الله عنه بالبيت فاستلم الحجر وقبله وبكى ثم قال: والله أعلم إنك حجر لا تضر ولا تنفع ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يفعل هذا لم أفعله. ثم التفت فرأى علياً كرم الله وجهه. فقال: يا أبا الحسن ها هنا تسكب العبرات. فقال له: ـ كرم الله وجهه ـ يا أمير المؤمنين بل يضر وينفع وذلك أن الله لما أخذ الميثاق على الذرية يوم ألست كتب كتاباً وألقمه هذا الحجر فهو يشهد لمن استلمه بصدق. ولقي رجل عبد الله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ في الطواف فكلمه في

---

[34] الكهف: 17.

[35] الحج: 25.

[36] أخرجه ابن ماجه في سننه «جـ2 ص: 965» كتاب المناسك ـ باب الحج على الرحل. عن أنس بن مالك باختلاف في بعض ألفاظه.

حاجة له في حال الطواف فلم يردّ عليه شيئاً فلما لقيه بعد ذلك قال له: وجدت في نفسك حين لم أردّ عليك؟ ألم تعلم أنّا في حال الطواف نتراءى الله؟ وقد قضيت حاجتك. ومر علي بن الحسين[37] رضي الله عنهما يوماً على الحسن البصري[38] وهو يقصّ على الناس في المسجد فوقف عليه وقال: يا حسن هل ترضى للموت نفسك؟ فقال: لا. قال: فعملك للحساب؟ قال: لا. قال فهل من بيت يقصده الناس من كل وجهة غير هذا؟ قال: لا. قال: لم تشغل الناس بقصصك عن الطواف؟ فترك الحسن القصص ولم يقص بعد ذلك بمكة. وقال طاووس[39]: رأيت علياً بن الحسين في جوف الليل قائماً يصلي في الحجر فدنوت منه وقلت: رجل صالح ومن أهل البيت لعلي أسمع منه ما أنتفع به. فسمعته يقول ـ وهو ساجد ـ سائلك بفنائك، مسكينك بفنائك، فقيرك بفنائك، عبدك بفنائك. فما دعوت بها في شيء إلا رأيت أثر الإجابة أو كما قال. ولما أحرم علي بن

---

[37] هو أبو الحسن زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي. رابع الأئمة الإثني عشر عند الإمامية وممن يضرب بهم المثل في الحلم والورع. ولد في المدينة المنورة سنة «38هـ ـ 658م» وبها كانت وفاته سنة «94هـ ـ 712م». الحلية جـ 3 ص: 133 ـ وفيات الأعيان جـ 1 ص: 320 ـ الأعلام جـ 5 ص: 86.

[38] هو: أبو سعيد الحسن بن يسار البصري. الإمام الفقيه المشهور وأحد كبار التابعين الأجلاء علماً وعملاً وإخلاصاً. من مؤلفاته كتاب في «فضائل مكة» كما له مقولات جليلة سائرة احتوى كتاب البيان والتبيين للجاحظ على بعض منها. ولد في المدينة المنورة سنة «21هـ ـ 642م» وتوفي في البصرة سنة «110هـ ـ 728م». الحلية جـ 2 ص: 131 ـ وفيات الأعيان جـ 2 ص: 69 ـ الأعلام جـ 2 ص: 226.

[39] هو: أبو عبد الرحمن طاووس بن كيسان الخولاني الهمذاني بالولاء. من أكابر التابعين تفقهاً في الدين ورواية في الحديث وتقشفاً في العيش وجرأة على وعظ الخلفاء والملوك. ولد باليمن سنة «33هـ ـ 653م» وتوفي حاجاً بمزدلفة أو بمنى سنة «106هـ ـ 724م». الحلية جـ 4 ص: 3 ـ وفيات الأعيان جـ 1 ص: 233 ـ الأعلام جـ 3 ص: 322.

الحسين وأراد أن يلبي ارتعد وتغيّر ووقع من راحلته، فسئل عن ذلك. فقال: خشيت أن أقول: لبيك. فيقول: لا لبيك ولا سعديك. ولقي سالم بن عبد الله بن عمر[40] هشام بن عبد الملك[41] وهو خليفة في جوف الكعبة فقال هشام: اطلب مني حاجة. فقال: أستحيي أن أسأل غيره وأنا في بيته. فلما خرجا من البيت قال له: الآن قد خرجت. فقال له: تعني من حوائج الدنيا أو من حوائج الآخرة. فقال هشام: ما أملك سوى الدنيا. فقال: لم أسأل الدنيا ممن خلقها فكيف أسألها من غيره؟ ومر الحسن بطاووس رحمهما الله وهو على العلم في حلقة كبيرة في المسجد الحرام فدنا منه وقال له في أذنه: إن كنت تعجبك نفسك فقم. فقام طاووس من فوره. وعن وهيب بن الورد[42] قال: طفت بالبيت ليلاً فسمعت بين البيت والأستار صوتاً يقول: أشكو إليك يا جبريل ما أسمع من الطائفين حولي من اللغو والغيبة لئن لم ينتهوا لانتفضن انتفاضة يرجع كل حجر مني إلى موضعه. وعن بعض الصالحين قال: رأيت رجلاً يطوف أو يسعى وحوله غلمان يذودون الناس من حوله، ثم رأيته بعد ذلك ببغداد يسأل الناس. فقلت له: ما

---

[40] هو: أبو عمر سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب القرشي العدوي. أحد فقهاء المدينة السبعة ومن سادات التابعين وعلمائهم. توفي في المدينة المنورة سنة «106هـ ـ 725م». الحلية جـ 2 ص: 193 ـ غاية النهاية جـ 1 ص: 301 ـ الإعلام جـ 3 ص: 114.

[41] هو: هشام بن عبد الملك بن مروان. أحد ملوك الدولة الأموية تولى الملك بعد وفاة أخيه يزيد سنة 105هـ من منجزاته ابتنائه للرصافة على أربعة فراسخ من الرقة وهي غير رصافتي بغداد والبصرة. ولد في دمشق سنة «71هـ ـ 690م» وتوفي في الرصافة سنة «125هـ ـ 743م». تاريخ الطبري، جـ 8 ص: 283 ـ ابن الأثير جـ 5 ص: 96 ـ الأعلام جـ 9 ص: 84.

[42] هو: أبو أمية وهيب بن الورد المخزومي بالولاء. كان اسمه عبد الوهاب فصغر فقيل وهيب. كان عابداً حكيماً وهو من أقران ابن أدهم وسفيان الثوري. له أخبار وكلمات مأثورة توفي بمكة سنة «153هـ ـ 770م». طبقات الصوفية ص: 44 ـ الحلية جـ 8 ص: 140 ـ الإعلام جـ 9 ص: 1529.

شأنك؟ فقال: تكبرت في موضع يتواضع الناس فيه فوضعني الله في موضع يتكبر الناس فيه. وعن بعضهم قال: رأيت في المسجد الحرام فقيراً عليه سيما الخير جالساً على سجادة وكان معي شيء من الدراهم فتقدمت إليه ووضعتها على سجادته فقلت له: تستعين بهذه. فقال لي: يا هذا إني قد اشتريت هذه الجلسة من الله بكذا وكذا ألفاً فتريد أن تحوجني منها، ثم نفض سجادته ومضى. فما رأيت أعزّ منه حين انصرف وأذلّ مني حين بقيت التقط الدراهم. وعن الإمام سيدنا إبراهيم بن أدهم[43] قال: خلا المطاف ليلة وكانت ليلة ممطرة فكنت أطوف وأدعو: اللهم اعصمني حتى لا أعصيك. فهتف بي هاتف يا إبراهيم أنت تسألني العصمة وكل عبادي يسألوني ذلك فإذا عصمتك فعلى من أتفضل ولمن أغفر؟ ووقف الحسن بعرفات في الشمس في يوم شديد الحر فقال له قائل: ألا تتحول إلى الظل؟ قال: أوفي الشمس أنا؟ إني تذكرت ما أتيته فلم أحس بحر الشمس. وقد صارت ثيابه بحيث لو عصرت لسال العرق منها من شدة الحرّ. ولعل هذا الذنب لو صدر من غيره لم يعدّ من الصغائر فانظر كيف كان إجلال السلف لربهم وبعدهم عن معاصيه. وبلغنا عن بعضهم أنه أخذ سبع حصيات من عرفات فأشهدها على نفسه أنه يشهد أن لا إله إلا الله، فرأى بعد ذلك أنه واقف بين يدي الله للحساب فأمر به إلى النار فكل ما جيىء به أبوابها السبعة فتجيىء حجرة فتسده وعرف أنها تلك الأحجار التي أشهدها على التوحيد، ثم جاءت شهادة أن لا إله إلا الله وفتحت له باب الجنة. وعن علي بن الموفق[44] ـ رحمه الله ـ قال: رأيت ليلة عرفة ملكين نزلا من السماء فقال أحدهما للآخر: أتدري

[43] تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 162.

[44] هو أبو الحسن علي بن الموفق من كبار العبّاد وزهادهم أخذ عن ابن أبي الحواري وتوفي سنة «265هـ ـ 878م». طبقات الأولياء ص: 340 ـ الحلية جـ 10 ص: 312 ـ جامع كرامات الأولياء جـ 2 ص: 158.

كم حج بيت ربنا هذه السنة؟ قال: لا. فقال له: حجه ستمائة ألف. ثم قال: أتدري كم قبل منهم؟ قال: لا. قال: قبل ستة أنفس. قال ابن الموفق: فبقيت مغموماً حزيناً فقلت: أين أكون من هؤلاء الستة؟ فلما كانت النحر رأيت كأن الملكين نزلا فقال أحدهما للآخر: أتدري ماذا حكم ربنا؟ قال: لا. فقال: وهب كل مائة ألف لواحد من الستة. فانتبهت وبي من الفرح ما يجل عن الوصف. وقال أيضاً: حججت سنة من السنين، ثم تفكرت في من لم يقبل حجّه فقلت: اللهم إني وهبت ثواب حجتي لمن لم تقبل. قال: فلما نمت رأيت رب العزة فقال لي: يا علي أتتسخى عليَّ؟ وأنا خلقت السخاء والأسخياء، وأنا أجود الأجودين وأكرم الأكرمين، وأحق بالجود والكرم من العالمين، قد وهبت من لم أقبله لمن قبلته[45]. وبالله التوفيق.

**واعلموا**: أن هذه النصيحة للعروسيين وغيرهم من أهل الحضر والسفر ولو كتبتها لأهل تونس فافهموا. وهذه: وظيفة الحضرة اذكرها عقبها ومحل قراءتها ليلة الإثنين وليلة الجمعة بعد قضاء الفريضة وهي: البسملة، والصلاة على النبي ﷺ، والفاتحة «ثلاثاً» وسورة الإخلاص «ثلاثاً» وسورة الفلق «ثلاثاً» وسورة الناس «ثلاثاً» ثم بعد تقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم «ثلاثاً» فضل من الله ونعمة، شكر من الله ورحمة، الحمد لله على التوفيق، ونستغفر الله في كل تقصير، غفرانك ربنا وإليك المصير، نعم المولى ونعم النصير «ثلاثاً» سبحان ربي العلي الأعلى الوهاب «ثلاثاً» ثم بعد تقول: سبحانك ما عبدناك حق عبادتك، سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، ونشهد أن لا إله إلا

---

[45] أورد هذه الحكاية كل من:

1 ـ الأصفهاني في حلية الأولياء «جـ10 ص: 312».

2 ـ ابن الملقن في طبقات الأولياء، «ص: 340».

الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير «ثلاثاً» ـ زاد شيخنا الدكالي في الثالثة وإليه المصير ـ ثم بعد تقول: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، لا إله إلا الله الملك الحق المتين، لا إله إلا الله الملك الحق اليقين، لا إله إلا الله أرحم الراحمين، لا إله إلا الله أكرم الأكرمين، لا إله إلا الله حبيب التوابين، لا إله إلا الله غياث المستغيثين، لا إله إلا الله أبداً حقاً، لا إله إلا الله إيماناً وصدقاً، لا إله إلا الله تلطفاً ورفقاً، لا إله إلا الله تعبداً ورقاً، لا إله إلا الله القوي الجبار، لا إله إلا الله الواحد القهار، لا إله إلا الله الحليم الستار، لا إله إلا الله العزيز الغفار، لا إله إلا الله هو رب كل شيء، لا إله إلا الله هو قبل كل شيء، لا إله إلا الله هو بعد كل شيء، لا إله إلا الله يبقى ربنا ويفنى ويموت كل شيء، لا إله إلا الله المعبود في كل مكان، لا إله إلا الله المذكور في كل لسان، لا إله إلا الله المعروف بالإحسان، لا إله إلا الله الحليم المنان، لا إله إلا الله العزيز الرحمن، لا إله إلا الله العظيم السلطان، لا إله إلا الله كل يوم هو في شان، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده، وهزم الأحزاب وحده، لا شيء قبله، ولا شيء بعده، لا إله إلا الله له النعمة وله الفضل، وله الثناء والإحسان، ولا نعبد إلا إياه ﴿مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[46] ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[47] ـ زاد سيدي فتح الله بوراس[48]: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾[49] ـ ثم بعد تقول: ﴿حَسْبُنَا

---

[46] غافر: 14.

[47] الحديد: 3.

[48] هو: فتح الله بن فتح الله بن سعيد المشهور بأبي رأس القيرواني. أحد أقطاب الطريقة العروسية تولى الإفتاء بالقيروان ثم غادرها على أثر محنة جرت له فتوجه إلى طرابلس ومنها إلى برنو بالسودان حيث توفي هناك. المرموني، روضة الأزهار «جـ1 ص: 240».

[49] الشورى: 11.

﴿ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾[50] ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾[51] «ثلاثاً» ـ زاد شيخنا: لا إله إلا الله. وزاد أيضاً: الله لا إله إلا الله. عشرين مرة وأنا أقولها: من غير عدد والأحسن الإكثار منها ـ ثم تقول: لا إله إلا الله. على ثلاثة أوزان ما يزيد على المائة والصفة التامة أن يتم معها محمد رسول الله في الافتتاح والاختتام ولو مرة، ثم بعد تقول اللهُ اللهْ بالضم والسكون «مائة» ثم تقول: اللهْ اللهْ بالسكون وتشرع في الذكر أنت ومن معك أيها القوال، ثم تستقل قائماً ولا تجلس إلى أن تتم الذكر لأن عند القوم الداخل في الذكر كالداخل في الصلاة لا يحل له الخروج منها ولا التحدث فيها إلا بعد انتهائها، والأقل فيه أي في الذكر خمسة أوراد، والأكثر لا حد له. ويكون بين الورد والورد إنشاد كلام المشايخ وشيء من الوعظ، ويكون القوال أي المنشد ذا صوت وأنغام طيبة مستلذة ولا يحل للفقير الجلوس وقت الذكر إلا بعد الفراغ منه، فمن جلس من غير عذر قوي يمنعه كلسع حية أو غشية أو ضربة أو نخسة أو إغماء أو سكر وشبه ذلك فهو مسلوب مطرود مبعد. نعوذ بالله منه لأنه تولاه الشيطان وتفل في قلبه فإن لم يتعوذ بالله من شيطانه ويجدد التوبة بأن لا يعود إلى ذلك الفعل ويقوم يذكر مع إخوانه فاطردوه ولا تقبلوه. وإذا أتممتم ما أردتموه من الأوراد فقولوا: يا سلام سلم «ثلاثاً» واجلسوا وقولوا: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله «ثلاثاً» اللهم أحينا عليها وأمتنا عليها وانفعنا بها عند الشدائد والحاجة إليها يا رب العالمين يا الله «ثلاثاً» اللهم أحينا سعداء وأمتنا شهداء ولا تخالف بنا عن طريق الهدى يا رب العالمين يا الله «ثلاثاً» ثم تدعو بهذا الدعاء سراً «ثلاثاً» وهو هذا: اللهم إني أسألك موجبات رحمتك، وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل بر، والفوز بالجنة، والنجاة من النار. ثم تقول جهراً: أجب دعانا يا مولانا أجب دعانا وارحمنا يا الله، أجب دعانا يا مولانا أجب دعانا واسترنا يا

[50] آل عمران: 173.

[51] الأنفال: 40.

الله، أجب دعانا يا مولانا أجب دعانا واجبرنا يا الله، أجب دعانا يا مولانا أجب دعانا ولا تفضحنا يا الله. صلوات دائمات طيبات على محمد «ثلاثاً» التحيات الزاكيات الطيبات على محمد «ثلاثاً» ذو الجلال والإكرام يا الله، اختم لنا بالإسلام يا الله «ثلاثاً» يا ذا الجلال والإكرام والعزة القاهرة ثبتنا بالقول الثابت في الدنيا والآخرة «ثلاثاً» آمين آمين آمين رب العالمين «ثلاثاً» اللهم صلِّ الله وسلم على سيدنا محمد، وبارك على محمد وعلى آل محمد. من غير عدد والأحسن الإكثار منها. ثم بعد تقول: آمين آمين آمين رب العالمين «ثلاثاً» - زاد سيدي عبد الله العبّادي[52]: بالقرشي توسلنا النبي العربي اغفر لنا ذنوبنا واعف عنا يا رب - ثم تختم وتقول في آخر اختتامك: وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

**خاتمة**: ينبغي للفقير أن لا يؤخر غسل الجنابة فإنه يكثر الوسواس ويمكن الخوف من النفس، ويقلل البركة من الحركات.

**واعلموا**: أن الأكل على الجنابة والكلام في الخلاء يورث الصمم. والبول في المستحم يورث الوسواس. والبول في الماء الراكد يورث النسيان. وأكل سؤر الفار، والتفاح الحامض، وكنس البيت بالخرقة، وأكل الكزبرة الخضراء، والمشي على قشور البيض، وقراءة كتابة القبور، والنظر إلى المصلوب، والمشي بين الجملين المقطورين، وطرح القمل على الطريق، وإدمان النظر إلى البحر كل ذلك يورث النسيان والفقر. وظفر شعر الشارب لا ينبغي بل ربما يورث الفقر. ويقال: إن طول شعر الشارب منزلة للشيطان. قال النبي ﷺ: «احفوا الشوارب واعفوا عن اللحى»[53] وجاء أن من مشط لحيته

---

[52] عبد الله العبّادي. أحد مشايخ الطريقة العروسية الذين أخذ عنهم الأسمر وقد ذكره الخروبي في كتابه «شرح الإرادة» وأثنى عليه. الخروبي، شرح الإرادة. ص: 21 - محمد مخلوف، تنقيح روضة الأزهار ص: 120.

[53] الحديث سبق تخريجه في الرسالة السادسة. ص: 468.

قائماً مات جائعاً ولو كانت ثلث الأرض ملكه. وجاء أيضاً عن النبي ﷺ أن: «من مشط بمشط مكسر أو كتب بقلم معقد فتح الله له سبعين باباً من الفقر»[54] ويقال: إن تقليم الأظفار بالأسنان لا ينبغي كما في الحديث. ولا يشتري أحدكم شيئاً من ظالم أو سارق أو غال من الغلول وهي الخيانة في مال الغنيمة. ويجتنب المكاسب الخبيثة.

**واعلموا**: أن الخبيث ما يكره لرداءته وخسته. ويستعمل للحرام أيضاً من حيث كراهية الشرع واسترداده. والمراد ههنا ما هو أعم منهما نحو: كسب الحجام بالشرط، ومخيطة الخراز، وتقطيع اللحم، وبيع الدخان، وطبخ الفول لمن يبيعه للذراري والنسوان والإماء من غير إذن أوليائهم إلى غير ذلك. ونهى العلماء عن القبض على عود السواك، والسواك في الخلاء، وطول شعر العانة، والتعميم قاعداً، والتسرويل قائماً، والنوم عريان، وفرط النوم، وحرق قشر البصل والثوم، ونومة الضحى، وكثرة الضحك، والقهقهة والكذب، والضحك في المقابر، واللعب في الحمَّام، ونظر العورة، ووجه الميت، وغصب البكر، والزنى، وعمل الذنوب، وكثرة السهر مع التعب كل ذلك لا خير في فعله. والشريعة تجري مجراها. وتكره الصلاة على النبي ﷺ في مواضع على ما كرهه ابن القاسم[55] رضي الله عنه قال: تكره عند الذبح، وعند العطاس، وعند الجماع، والعثر، والتعجب، وإشهار البيع، وقضاء الحاجة، والحمام، والأكل، ومواضع، الأقذار.

---

[54] الحديث قال عنه الصاغاني: موضوع. العجلوني، كشف الخفاء «جـ2 ص: 272».

[55] هو: أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة العتقي المصري. أشهر تلاميذ الإمام مالك بن أنس تنسب إليه «المدونة» وقد جمعها في بادىء الأمر أسد بن الفرات وهي تحتوي على أجوبة ابن القاسم عن أسئلة أسد عن مذهب الإمام مالك ثم جاء سحنون فرتب أبوابها وراجعها على ابن القاسم فصحح الكثير منها. ولد سنة «132هـ 750م» وتوفي سنة «191هـ ـ 806م». الديباج المذهب ص: 146 ـ شجرة النور ص: 58 ـ الإعلام جـ 3 ص: 323.

**واعلموا**: أن المداومة على المكروه تؤدي بصاحبها إلى الحرام. وحب الدنيا رأس كل خطيئة. قيل لإمام سلسلتنا إبراهيم بن أدهم: كيف أنت وكيف حالك؟ فقال: (الطويل).

نرقع دنيانا بتمزيق ديننا ... فلا ديننا يبقى ولا ما نرقع
فطوبى لعبد آثر الله ربه ... وجاد بدنياه لما يتوقع[56]

وقال آخر: (البسيط).

يا نائم الليل مسروراً بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التي كانت منعمة ... كر الليالي إقبالاً وإدبارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسي ويصبح في دنياه سفارا
هلا تركت من الدنيا معانقة ... حتى تعانق في الفردوس أبكارا
إن كنت تبغي جنان الخلد تسكنها ... فينبغي لك أن لا تأمن النار[57]

وقال آخر: (الطويل).

أرى طالب الدنيا وإن طال عمره ... ونال من الدنيا سروراً وأنعما
كبان بنى بنيانه فأتمه ... فلما استوى ما قد بناه تهدما

وقال آخر (الكامل).

---

[56] أورده أبو نعيم في الحلية «جـ8 ص: 10» من طريق يعلي بن عبيد قال: «دخل إبراهيم بن أدهم على أبي جعفر المنصور فقال: كيف شأنكم يا أبا إسحاق؟ قال يا أمير المؤمنين: نرقع دنيانا... البيتين.. ومن طريق أبي عميرة عن ضمرة قال: دخل إبراهيم بن أدهم على بعض الولاة فقال له: مم معيشتك؟ قال: نرقع دنيانا... إلخ... فقال: أخرجوه فقد استقبل».

[57] وقفت على هذه الأبيات في «إحياء علوم الدين» للغزالي على هذا النحو:

يا نائم الليل مسروراً بأوله ... إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التي كانت منعمة ... كر الجديدين إقبالاً وإدبارا
كم قد أبادت صروف الدهر من ملك ... قد كان في الدهر نفاعاً وضرارا
يا من يعانق دنيا لا بقاء لها ... يمسي ويصبح في دنياه سفارا

هب الدنيا تساق إليك عفواً ... أليس مصير ذاك إلى انتقال

وما دنياك إلا مثل ظل ... أضلك ثم أدنى للزوال

وقال آخر: (السريع).

يا خاطب الدنيا إلى نفسها ... تنح عن خطبتها تسلم

إن التي تخطب غدارة ... قريبة العرس من المأتم[58]

وقال آخر: (الطويل).

أرى علل الدنيا علي كثيرة ... وصاحبها إلى الممات عليل(1)

لكل اجتماع من خليلين فرقة ... وإن الذي دون الممات قليل

وإن افتقادي واحداً بعد واحد ... دليل على أن لا يدوم خليل

**واعلموا**: أن الدنيا دنيَّة، وإذا أقبلت أدبرت، وإذا أمنت خانت، دنيَّة الملاهي والتباهي والدواهي تخلي قلوب الخلق على طاعة الله(2)... دنيَّة الهم والغمّ، دنيَّة الغرور والنكور، دنية المحن والفتن، دنية النحوس والتعوس، دنيَّة الدخول والفضول، دنيَّة الغمام والظلام، دنيَّة الخلاء والبلاء، دنيَّة الكسر والقدر، دنيَّة الريغ والزيغ، كثيرة العيوب. ثم إن النفس أكثر منها عيباً.

**أصحابي**: اعبدوا من لا تراه العيون ولا تخيبوا فيه الظنون. وانبذوا محبة الدنيا من قلوبكم. فإن قيل إنها مطية الآخرة قلنا: لا يقوم من ذلك دليل في تعظيم الدنيا فهي والله كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾[59].

**واعلموا**: أن هذه الخاتمة لا تخلو من مناسبة النصيحة قبلها بل

(1) كذا في الأصل. ولو قال: «وصاحبها حتى الممات عليل» لسلم البيت.

(2) كلمة غير مقروءة.

---

[58] هذان البيتان والأبيات الأربعة السابقة أوردها أيضاً الغزالي في إحيائه باختلاف في بعض الكلمات ولم ينسبها إلى قائل معين: إحياء علوم الدنيا جـ 2 ص: 203.

[59] آل عمران: 185. والحديد: 20.

يمكن للّبيب الفطن أن يستخرج منها آداباً يحتاج إلى التأدب بها في تلك المواطن.

وأيضاً ففي ذكر السلف الصالح وإثبات سيرهم أنس تام لسالك طريق الآخرة فإنهم القدوة وبهم الاقتداء. وإنما يعرف الإنسان ما هو عليه من القصور والتقصير عند العلم بما كان عليه السلف من الجد والتشمير. أما من ينظر إلى أهل الزمان وما هم عليه من التسويف والغفلة فلا يرجع إلاَّ بالإعجاب بنفسه أو سوء الظن بهم وكلا الأمرين شرٌّ. فالعبد من اقتدى بسلفه، واحتج على نفسه فطابت نفسه أن تسير بسيرهم المحمودة على جادتهم المستقيمة.



# الرسالة الحادية عشرة

## رسالة إلى أصحابه بسوس الأقصى[1]

**وهم:**

1 ـ سعيد بن محمد السوسي.

2 ـ محمد بن علي.

3 ـ أبو عزة بن عز الدين[2].

---

(1) كان الجغرافيون العرب القدماء يطلقون لفظ «سوس» على كل القطر المغربي من طنجة إلى الصحراء. كما كانوا يقسمونه إلى قسمين سوس الأدنى ويمتد من طنجة إلى سفح الأطلس المتوسط وسوس الأقصى وهو يضم كل نواحي وسط المغرب وجنوبه. وقد ذكر ياقوت في معجم البلدان أنه يلزم لقطع المسافة بين القسمين شهران كاملان ولكن مع مرور الزمن خصص لفظ «سوس» للقسم الجنوبي في حين أطلق على سوس الأدنى لفظة «الغرب» بل صار هذا اللفظ أعني «سوس» يطلق فقط على النواحي الواقعة جنوب مراكش وغربها وعلى هذا سقط الاصطلاح «سوس الأقصى» إذ لم يبق له موجب واكتفى بلفظة «سوس» للقطر الذي يعرف بهذا الاسم اليوم والذي يضم قبائل كثيرة ومدناً مهمة مثل: أكادير وتارودانت وتيزنيت... الخ. سوس عند الجغرافيين والمؤرخين قديماً وحديثاً للأستاذ محمد الفاسي ـ مجلة المناهل. العدد الثالث والعشرون ـ السنة التاسعة ـ جمادي الأولى 1402هـ ـ مارس 1982م. ص: 9. وللمزيد من المعلومات حول سوس ورجالاتها يراجع: «سوس العالمة» و«المعسول». لمحمد المختار السوسي.

(2) لم أقف على تراجم لهم.

## مخطوطات الرسالة:

للرسالة مصدر فريد وهو كتاب «روضة الأزهار» لكريم الدين البرموني وقد جاءت فيه من آخر ص: 336 إلى أوائل ص: 411 وذلك من مخطوط مكتبة آل أبو زبيدة بزليتن لكتاب «روضة الأزهار» وقد رمزت له بكلمة «الأصل». أما مخطوط مكتبة مركز دراسة جهاد الليبيين بطرابلس لكتاب «روضة الأزهار» فقد جاءت فيه من آخر الورقة 143 إلى آخر الورقة 174 وقد رمزت له بالحرف «ج».

## نص الرسالة

### بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. من العبد الفقير إلى الله عبد السلام بن سليم الفيتوري الطرابلسي إلى الجماعة المحبين لنا المنعطفة قلوبهم إلينا سيدي سعيد بن محمد السوسي مولداً وداراً الأنصاري نسباً، وسيدي محمد بن علي، وسيدي أبي عزة بن عز الدين، وسائر الجماعة المنتسبين إلينا بسوس عمَّرها الله بالعلم وأهله. أما بعد:

فهذه نصيحة مني إليكم بأن تقبلوها وتعملوا [بما(1)] فيها من الأمر والنهي. فأول ما أوصيكم: بمعرفة الله سبحانه وتعالى، وما يجوز في حقه وما يستحيل، ثم الفقه، ثم التصوف، والزكاة، والصوم، والحج إلى بيت الله الحرام.

**واعلموا**: أن للصوم فوائد جليلة. منها: إجابة(2) الدعاء[1]، ونزول البركة من السماء. وللصائم فرحة عند فطره، وفرحة عند لقاء ربه[2]. وعندي أن فرحته عند الفطر إنما هي: بلوغه إلى الحالة التي يتيقن بها إجابة الدعاء ويرجو حسن [الجزاء](3). وللصائم دعوة لا ترد سواء كان فرضاً أم نفلاً. والصائم إذا أكل عنده صلت عليه الملائكة

---

[1] يشير بذلك إلى قوله ﷺ: «صمت الصائم تسبيح ونومه عبادة ودعاؤه مستجاب وعمله مضاعف». الفردوس بمأثور الخطاب للديلمي. جـ 2 ص: 397.

[2] يشير بذلك إلى قوله ﷺ: «كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة عشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف قال الله عز وجل إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به يدع شهوته وطعامه من أجلي للصائم فرحتان فرحة عند فطره وفرحة عند لقاء ربه ولخلوف فيه أطيب عند الله من ريح المسك». صحيح مسلم «جـ2 ص: 807» كتاب الصيام ـ باب فضل الصيام.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) في «ج» إجابة الدعوة.

(3) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

حتى يفرغوا[3]. ومنها: مجاهدة الجوع والعطش، وليس شيء عند الله أفضل منهما. قال ﷺ: «أفضلكم عند الله [منزلة يوم القيامة(1)] أطولكم جوعاً وأكثركم تفكراً [في الله سبحانه(2)]، وأبغضكم عند الله(3) يوم القيامة كلّ نؤوم أكول شروب»[4]. وقال عليه الصلاة والسلام: «إن الله يباهي الملائكة بمن قل مطعمه(4) ومشربه في الدنيا يقول: انظروا إلى عبدي ابتليته بهذه الشهوات الضعيفة الطعام والشراب في الدنيا فصبر وتركها. أشهدكم يا ملائكتي ما من أكلة تركها إلا عوضته عنها درجات في الجنة»[5]. وقال عليه الصلاة والسلام: «سيّد الأعمال الجوع، وقلة الطعام هي العبادة»[6]. وقال أبو سليمان[7]: لأن أترك من عشائي لقمة أحب إلي من قيام ليلة إلى الصباح. وفي حكمة لقمان[8]: يا بني إذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة، وقعدت الأعضاء عن العبادة. وقال ذو النون[9]:

---

[3] يشير بذلك إلى قوله ﷺ: «إن الصائم تصلي عليه الملائكة إذا أكل عنده حتى يفرغوا» وربما قال: «حتى يشبعوا». سنن الترمذي «جـ2 ص: 141» أبواب الصلاة ـ باب ما جاء في فضل الصائم إذا أكل عنده.

[4] الحديث أورده الغزالي في الإحياء. «جـ3 ص: 69». وقال عنه مخرج أحاديثه العراقي: لم أجد له أصلاً.

[5] أورده أيضاً الغزالي في الإحياء. وعزا العراقي روايته إلى ابن عدي في الكامل ولم يعلق عليه بشيء. المغني بذيل الإحياء «جـ3 ص: 70».

[6] أورده الغزالي في إحيائه بلفظ «سيد الأعمال الجوع وذل النفس لباس الصوف» وعلق عليه العراقي بقوله: لم أجد له أصلاً. المغني بذيل الإحياء. جـ 3 ص: 69.

[7] هو: أبو سليمان عبد الرحمن الداراني. وقد سبقت ترجمته في الرسالة الخامسة ص: 164.

[8] هو: لقمان بن باعوراء ابن أخت أيوب النبي ﷺ أو ابن خالته وقيل كان في زمن النبي رسول الله داود عليه السلام، قال ابن عباس: لقمان لم يكن نبياً ولا ملكاً ولكن راعياً أسود رزقه الله العتق ورضي قوله ووصيته وحكاها في القرآن الكريم. تفسير القرطبي جـ 14 ص: 59 ـ الإكمال في أسماء الرجال ص: 744 ـ دائرة معارف القرن العشرين. جـ 8 ص: 370.

[9] هو: أبو الفيض ذو النون ثوبان بن إبراهيم الإخميمي المصري. أحد الزهاد =

(1) (2) ما بين الحواصر ساقط من «ج».
(3) في «ج» وأبغضكم إلى الله كل نؤوم أكول شروب وإن الله يباهي الملائكة بمن قل طعامه يقول انظروا إلى عبدي ابتليته بهذه الشهوات الضعيفة الطعام والشراب في الدنيا فتركهما أشهدكم ما من أكلة تركها إلا عوضته عنها درجات في الجنة».
(4) في الأصل: قال مطعمه.

من أكل حتى شبع، وشرب حتى روي عصى الله تعالى شاء أم أبى على رغم أنفه. وقال بعضهم: لا تأكلوا كثيراً فتشربوا كثيراً فترقدوا كثيراً فتخسروا كثيراً. قال الغزالي[10]: الجوع الصادق أن تشتهي أي خبز كان من غير إدام. وقيل أن لا تميّز بين خبز وخبز. ومن أكل كل يوم مرتين لم يكن له حال جوع أصلاً. ومنها: الاستيلاء على النفس التي أضلاها إضلالها(1) أصعب شيء عليه، والتمكن من السهر، وأن لا ينسى البلاء وأهله، والتمكن من إيثار الفقراء، والتخلص من شر بطنه فلم يفتقر إلى مال كثير فتسقط عنه أكثر هموم الدنيا، ويستريح من الطلب، والطبخ ومؤنته، ومن غسل اليد والخلال، وكثرة التردد إلى الخلاء. ومنها: أنه يفيد الصحة فإن كل من قل أكله قل مرضه وكثرة الأخلاط سبب الأمراض. ولهذا قال بعض الحكماء: الدواء الذي لا داء فيه أن لا تأكل الطعام حتى تشتهيه وأن ترفع [يدك(2)] عنه وأنت تشتهيه. وفي الخبر: «صوموا تصحوا»[11]. وعن علي[12]: الصوم يزيد في الحفظ ويذهب البلغم. وقال ﷺ: «إن الشيطان

---

= العباد المشهورين كان صاحب فصاحة وحكمة وشعر وهو أول من تكلم بمصر في «ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية» توفي بمصر سنة «245هـ 859م». تاريخ بغداد جـ 8 ص: 393 ـ طبقات الأولياء ص: 218 ـ الأعلام جـ 2 ص: 102.

[10] سبقت ترجمته في الرسالة السادسة. ص: 174.

[11] جزء من حديث أخرجه الديلمي في الفردوس «جـ2 ص: 393» عن علي بن أبي طالب وعزاه العراقي في تخريج الإحياء «جـ3 ص: 75» إلى الطبراني في الأوسط وأبو نعيم في الطب عن أبي هريرة بسند ضعيف وأورده الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة «جـ1 ص: 378» قائلاً: «ولا ينافيه قول المنذري في الترغيب جـ 2 ص: 60. والهيتمي في المجمع. جـ 3 ص: 179. بعد أن نسباه للطبراني. ورجاله ثقات لأنه لا ينفي أن يكون في السند مع ثقة رجاله علة تقتضي ضعفه كما لا يخفى على العارف بقواعد هذا العلم ولعل الصنعاني قد بالغ حين قال «وهذا الحديث موضوع»».

[12] لعله الإمام علي بن أبي طالب وقد سبقت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 161.

(1) كذا في الأصل وفي «ج» أخلاها اخلاعها. وهما غير مفهومتين.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

ليجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع والعطش»[13]. ففي الصيام والتقلل من الطعام صحة الأجسام من الأسقام، وصحة القلوب من الآثام.

**وعليكم**: بالاعتكاف في المساجد، والجلوس مع العلماء والنظر في وجوههم. قال الله تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرۡفَعَ﴾ إلى قوله: ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾[14] وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[15] الآية.

وقال ﷺ: «من آثر جلوسه في المساجد على جلوسه في المنزل أعطاه الله خمس خصال: سهل الله له ضيق المعيشة، وضيق القبر، وأعطاه الله كتابه بيمينه، وجاز الصراط كالبرق الخاطف اللامع، ودخل الجنة مع الأبرار» وقال ﷺ: «لا تزال الملائكة تصلي على أحدكم ما دام في المسجد تقول: اللهم اغفر له اللهم ارحمه ما لم يحدث»[16] وقال ﷺ: «من بنى لله مسجداً بنى الله له بيتاً في الجنة»[17] وقال ﷺ: «إذا نزلت عاهة من السماء صرفت عن عمار المساجد»[18] وقال الله تعالى: «إذا نظرت إلى المجالس وعمار المساجد سكن غضبي

[13] أورده ابن عجيبة في الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية. بلفظ «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فضيقوا مسالكه بالجوع» وعزا روايته إلى ابن أبي الدنيا في مكايد الشيطان. الفتوحات ص: 153. وأورده الغزالي في الاحياء وقال عنه مخرجه العراقي: «متفق عليه من حديث صفية دون قوله: فضيقوا مجاريه بالجوع» المغني بذيل الإحياء جـ 1 ص: 238.

[14] النور: 36 ـ 37 ـ 38.

[15] تمام الآية ﴿مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمۡ يَخۡشَ إِلَّا ٱللَّهَۖ فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ التوبة: 18.

[16] أخرجه الترمذي في سننه «جـ2 ص: 150» أبواب الصلاة ـ باب ما جاء في القعود في المسجد وانتظار الصلاة من الفضل. عن أبي هريرة.

[17] أخرجه الطبراني في المعجم الصغير «جـ2 ص: 276» عن أبي ذر رضي الله عنه.

[18] أخرجه السيوطي في جمع الجوامع «جـ1 ص: 290» باختلاف يسير وعزا روايته لابن عساكر عن أنس وأعقبه بقوله: «وفيه زافر بن سليم صدوق كثير الغلط».

وصفحت عنهم»[19] وقال الله تعالى: «إن أحب عبادي لي المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم»[20]. وقد ضمن الله تعالى لمن كانت بيوتهم المساجد بالروح والراحة والإجارة من النيران إلى رضوان الجنان. وقال عليه الصلاة والسلام. «ورجل راح إلى المسجد فهو ضامن على الله تعالى حتى يتوفاه فيدخله [الجنة(1)] أو يرده بما نال من أجر أو غنيمة»[21]. قوله: ضامن أي صاحب ضمان يعني في رعاية الله تعالى. ويروى: «ست مجالس ما كان المسلم في مجلس منها إلا كان ضامناً على الله تعالى: الغازي في سبيل الله، أو في مسجد جماعة، أو عند مريض، أو تبع جنازة، أو في بيته، أو عند إمام مقسط»[22]. وقال ﷺ: «من اعتكف عشراً في رمضان كان كحجتين وعمرتين»[23] وإنما ينال كل هذه الفضائل من يعظم المساجد ففي تعظيمها تعظيم الله تعالى لأنها بيوت الله. وإذا جلستم فيها أو اعتكفتم فيها فلا تتكلموا فيها بكلام الدنيا كزيد باع أو اشترى أو مشى أو فعل كذا أو أخذ كذا. فلا يحل لمسلم أن يتكلم بشيء في المسجد من كلام الدنيا. وأما الكلام الفاحش والغيبة والنميمة فلا يجوز لا في المسجد(2) ولا في غيره وذلك من الكبائر. ويجوز الذكر فيه وتلاوة القرآن من غير صوت عال، ولا ينشد فيه ضالة خلا مسجد مكة، ولا ينازع في مكان، ولا

---

[19] أخرجه النازلي في خزينة الأسرار «ص: 71» باختلاف يسير.

[20] أخرجه الطبرسي في مكارم الأخلاق «ص: 498» عن أبي ذر رضي الله عنه.

[21] جزء من حديث أخرجه ابن السني في عمل اليوم والليلة. ص: 69 باب فضل من دخل بيته بسلام، عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه.

[22] أخرجه الديلمي في الفردوس «جـ2 ص: 328» عن عبد الله بن عمرو. باختلاف يسير.

[23] أخرجه البيهقي في الشعب «جـ3 ص: 425» باب في الاعتكاف. عن الحسين بن علي وضعفه السيوطي في الجامع الصغير. الجامع الصغير جـ 2 ص: 575.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من النسختين وقد أثبتناه من نص الحديث الذي أخرجه ابن السني الهامش رقم: 21

(2) في «ج» المساجد.

يضيّق على إنسان، ولا يؤذي أحداً، ولا يرفع فيه صوتاً مزعجاً كأصوات الحمير. وليطهره [إمامه(1)]، ويغسله، ويطيبه، ولينزهه ما استطاع. فقد قال ﷺ: «إنما بنيت لذكر الله والصلاة»[24]. وقال ﷺ: «يأتي في آخر الزمان أناس من أمتي يأتون المساجد يقعدون حلقاً ذكرهم الدنيا وحب الدنيا فلا تجالسوهم فليس لله بهم حاجة»[25] ويروى «الحديث في المسجد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب الرقيق اليابس»[26] ويمنع منه الصبيان والمجانين، والسكارى، والكفار. والكافر لا يدخله إلا بإذن مسلم لقضاء حاجة به من بناء، وهدم، واستعمال قفل، أو باب، وغير ذلك مما يصعب على رجال المسلمين إذا احتيج إليه مع عدم غيره من المسلمين. ويكره اتخاذه مجلساً للقضاء، ونقشه، واتخاذ الشرفات له، وحفر بئر فيه، وعمل الصنائع كالخياطة ونحوها فيه، وغرس شجر فيه. فإن فعل قطعه الإمام وجوباً. ويكره البيع والشراء فيه وإن قل للمعتكف وغيره إلا لحاجة ضرورة.

**وعليكم**: بالأدب مع الله، ومع رسوله، ومشايخكم، وجميع الخلق من بار وفاجر.

**وعليكم**: بالإحسان إلى جيرانكم، ومماليككم، وأصحابكم فمن لم يتأدب مع سائر الخلق لا ينتفع من انتسابه بشيء. قال بعض العلماء: فمن جهل المريد أن يسيء الأدب فتؤخر العقوبة عنه فيقول من جهله وانطماس بصيرته: لو كان هذا سوء أدب لقطع الامداد وأوجب البعاد ولعجل لي بالعقوبة لإساءة أدبي ولهلكني أستاذي أو سلبني وقطع الامداد عني. وهذا لا بد من قطع الامداد عنه والعقوبة

---

[24] سبق تخريجه في الرسالة الثامنة. ص: 520.

[25] سبق تخريجه في الرسالة الثامنة. ص: 521.

[26] سبق تخريجه في الرسالة الثامنة. ص: 521.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

له من حيث لا يعلم ولو لم يكن إلا منع الزيادة أو إقامته مقام البعد وتخليته بينه وبين ما يريد لكفى. قال الشيخ سيدي محمد بن عباد[27] رضي الله عنه في شرحه على الحكم العطائية في موضع يشبه هذا المحل: «هذا نوع من الاستدراج وسوء أدب المريد موجب لعقوبته. ولكن العقوبات مختلفة فمنها: معجلة. ومنها: مؤجلة. ومنها: جلية. ومنها: خفية. فالعقوبة الجلية: العقوبة بالعذاب، والعقوبة الخفية: بوجود الحجاب فالعقوبة بالعذاب لأهل الخطايا والذنوب، والعقوبة بالحجاب لأهل إساءة الأدب بين يدي علام الغيوب. وقد تكون العقوبة الخفية والمؤجلة أشد على المريد من العقوبة الجلية والمعجلة. ومثال تلك(1) العقوبة الخفية ما ذكره من قطع المدد عنه. وإقامته مقام البعد منه. وهذا هو مبدأ وقوع الحجاب الذي ذكرناه. فإذا ابتلي به المريد ولم تتداركه رحمة من الله تعالى في الحال العتيد كان ذلك موجباً لسقوطه من عين الله تعالى، ووقوع الحجاب على قلبه، وتبدل الأنس بالوحشة، وانتساخ الضياء بالظلمة. ولم يمكنه بعد ذلك معاودة الحالة الأولى لأنه إذ ذاك تنقطع عنه الامدادات المتصلة، والواردات المتحصلة فتنكسف عنه حينئذ شمس العرفان وتستتر عنه الكشوفات والبيان. وهذه جنود الله تعالى [في قلب العبد فإذا فقد النصرة من الله تعالى(2)] بذلك وقع في الخذلان واستحوذ عليه الشيطان فأنساه الذكر، وحاق به سيىء المكر، ورجع إلى متابعة هوى نفسه الأمارة، وخرج من دائرة الصفوة المختارة.

[27] هو: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن عباد النفزي الحميري الرندي. متصوف باحث من أهل رندة بالأندلس استوطن فاس وتولى الخطابة بمسجد القرويين. من مؤلفاته «شرح الحكم العطائية» و«الرسائل الكبرى» في التوحيد والتصوف ومتشابه الآيات و«الرسائل الصغرى». ولد سنة «733هـ - 1333م» وتوفي في فاس سنة «792هـ - 1390م». جذوة الاقتباس ص: 25 - نفح الطيب جـ 3 ص: 178 - الأعلام جـ 5 ص: 299.

(1) في الأصل: ومثال ذلك وقد سقطت الكلمة برمتها من «ج» والتصويب من شرح الحكم لابن عباد ص: 54.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

فنعوذ بالله من سوء المقدور وعدم التوفيق إلى مراعاة أوائل الأمور. وما احتج به المريد لنفسه من الكلام الذي ذكره [المؤلف رحمه الله(1)] يقتضي توجه هذه العقوبة إليه ضربة لازب لأن قوله: لو كان هذا سوء أدب إلى آخره. دليل على رضاه بحاله واستحسانه لأعماله وهذا هو الموجب له عدم المزيد الذي اقتضاه قطع المدد عنه. ولو كان المدد متواصلاً إليه لازداد عندما يقع منه سوء الأدب تواضعاً لربه وافتقاراً إليه وخوفاً من مكره، ولم يستحسن حال نفسه ولم يرضها. قال سيدي أبو العباس[28] ـ رضي الله عنه ـ كل سوء أدب يثمر لك أدباً مع الله تعالى فهو أدب. وهو الذي أوجب له أيضاً التخلية بينه وبين ما يريد الذي اقتضى له إقامته مقام البعد إذ لو كان مقاماً في القرب لبعد عن رؤية نفسه وكان متهماً لها في إرادتها وكان واقفاً مع مراد الله. فإن أقدم على أمر بإرادته وشهوته تداركه الله [تعالى(2)] بالعصمة وعوق عليه ما أراده وسد عليه مسالكه ولم يخلّه وما أراد من ذلك. ويقال: من [علامة(3)] التوفيق ثلاث: دخول [أعمال(4)] البر عليك من غير قصد منك إليها، وصرف المعاصي عنك مع السعي فيها، وفتح باب اللجوء والافتقار إلى الله تعالى [في كل الأحوال. ومن علامة الخذلان ثلاث: تعسّر الطاعات عليك مع السعي فيها، ودخول المعاصي عليك مع الهرب منها، وغلق باب اللجا إلى الله تعالى(5)]. وترك الدعاء في الأحوال والأدب له موقع عظيم في التصوف. ولذلك قال أبو حفص[29] رضي الله عنه: التصوف كله

[28] هو: أبو العباس أحمد بن عمر المرسي. فقيه متصوف من أهل الاسكندرية وأصله من مرسية في الأندلس صاحب الإمام الشاذلي وخليفته من بعده ولد بمرسية سنة «616هـ ـ 1219م» وتوفي بالاسكندرية سنة 686هـ ـ 1287م». طبقات الأولياء ص: 418 ـ النجوم الزاهرة جـ 7 ص: 371 ـ الأعلام جـ 1 ص: 186.

[29] لعله أبو حفص عمرو بن سلمة النيسابوري أحد الأئمة السادة وأول من أظهر طريقة التصوف بنيسابور. توفي سنة «264هـ ـ 877م». الحلية جـ 10 ص: 229 ـ طبقات الأولياء. ص: 248 ـ شذرات الذهب جـ 2 ص: 150.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج» والزيادة من الأصل الذي ينقل عنه الأسمر وهو شرح ابن عباد على الحكم العطائية جـ1 ص: 54.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(3) (4) (5) ما بين الحواصر ساقط من «ج».

أدب. لكل وقت أدب، ولكل حال أدب، ولكل مقام أدب. فمن لزم آداب الأوقات بلغ مبلغ الرجال، ومن ضيّع الآداب فهو بعيد من حيث يظن القرب، ومردود من حيث يظن القبول.

وقال أبو عبد الله بن خفيف[30]: قال لي رويم[31]: يا بني اجعل عملك ملحاً وأدبك دقيقاً. وقال بعضهم: الزم الأدب ظاهراً وباطناً [فما أساء أحد الأدب ظاهراً إلا عوقب ظاهراً، وما أساء أحد الأدب باطناً(1)] إلا عوقب باطناً. وقال ذو النون المصري ـ رضي الله عنه ـ إذا خرج المريد عن حد الأدب(2) فإنه يرجع من حيث شاء[32]. وقال النوري(3)[33] ـ رضي الله عنه ـ: من لم يتأدب للوقت فوقته مقت[34]. وقال ابن المبارك[35] ـ رضي الله عنه ـ نحن إلى قليل من الأدب أحوج منا إلى كثير من العلم[36]. وقيل لبعضهم: يا سيء الأدب. فقال:

---

[30] هو: أبو عبد الله محمد بن خفيف الشيرازي. شيخ المشايخ في وقته وأوحدهم علماً وأدباً. توفي بشيراز سنة «371هـ ـ 981م». الحلية جـ 10 ص: 385 ـ طبقات الأولياء ص: 290 ـ شذرات الذهب جـ 3 ص: 76.

[31] هو: القاضي أبو محمد رويم بن أحمد بن يزيد. مقرىء فقيه كبير الشأن توفي ببغداد سنة «303هـ ـ 915م». حلية الأولياء جـ 10 ص: 296 ـ الرسالة القشيرية ص: 390 ـ طبقات الأولياء ص: 228.

[32] ورد في الرسالة القشيرية ص: 287 بلفظ: «إذا خرج المريد عن استعمال الأدب... إلخ...».

[33] هو: أبو الحسين أحمد بن محمد النوري البغدادي المولد والمنشأ. الخراساني الأصل المعروف بابن البغوي. كان من أجل مشائخ القوم وعلمائهم توفي سنة «295هـ ـ 908م». تاريخ بغداد جـ 5 ص: 13 ـ الرسالة القشيرية ص: 438 ـ طبقات الأولياء ص: 62.

[34] ورد في الرسالة القشيرية ص: 287.

[35] هو: أبو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي بالولاء التميمي المروزي الحافظ شيخ الإسلام في وقته. من مؤلفاته كتاب في «الجهاد» وهو أول من ألف فيه وكتاب في الرقائق «ولد سنة «118هـ ـ 736م» وتوفي بهيت على الفرات منصرفاً من غزو الروم سنة «181هـ ـ 797م». الحلية جـ 8 ص: 162 ـ تاريخ بغداد جـ 10 ص: 152 ـ الأعلام جـ 4 ص: 296.

[36] ورد في الرسالة القشيرية ص: 285.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(2) في «ج» عن محل الأدب.

(3) في الأصل وكذا في شرح ابن عباد «وقال الثوري» وفي «ج» وقال النووي والتصويب من الرسالة القشيرية ص: 287.

لست بسيء [الأدب(1)]. فقيل له: ومن أدبك؟(2) فقال: الصوفية[37]. والآداب اللازمة للمريد عامة في ظاهره وباطنه، وآداب الظاهر تبع لآداب الباطن. وآداب الباطن [هي(3)]: التحلي بمحاسن الأخلاق كلها. وفي الحديث عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أدبني ربي فأحسن تأديبي ثم أمرني بمكارم الأخلاق فقال[38]: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[39]. ولا يحصل لك ذلك بعد توفيق الله تعالى وتأييده إلا بالرياضة والمجاهدة. قال ابن عطاء[40]: «رضي الله عنه ـ النفس مجبولة على سوء الأدب، والعبد مأمور بملازمة الأدب. فالنفس تجري بطبعها في ميدان المخالفة، والعبد يردها بجهده عن سوء المطالبة، فمن أطلق عنانها فهو شريكها في فسادها[41]. ويختلف ما ذكرناه من المجاهدة والرياضة باختلاف الأشخاص فرب شخص زكي الفطرة، كريم السجية، سهل المقادة لا يحتاج في ذلك إلى كثير معاناة ولا تعب. ورب شخص يكون حاله على عكس هذا. فلا جرم يحتاج إلى زيادة تعب، وقوة ممارسة(4)، وشدة مجاهدة لرداءة فطرته ونقصان غريزته، وبين هذين درجات لا تحصى. ولهذا كله يحتاج

---

[37] ورد في الرسالة القشيرية ص: 286.

[38] أخرجه السمعاني في أدب الإملاء والاستملاء. ص: 1 وصححه السيوطي في الجامع الصغير جـ 1 ص: 51 وضعفه المناوي في الفيض جـ 1 ص: 244 والسخاوي في المقاصد ص: 29 مورداً قول ابن تيمية بأنه «لا يعرف له إسناد ثابت».

[39] الأعراف: 199.

[40] لعله: أبو العباس أحمد بن محمد بن سهل بن عطاء الأدمي المتوفى سنة «309هـ ـ 921م». الحلية جـ 10 ص: 302 ـ الرسالة القشيرية ص: 391 ـ طبقات الأولياء. ص: 59. أو: أبو عبد الله أحمد بن عطاء الروذباري، المتوفى سنة «369هـ ـ 979م». الرسالة القشيرية ص: 415 ـ طبقات الأولياء. ص: 54.

[41] ورد في الرسالة القشيرية ص: 151 ـ 152.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(2) في «ج» وما أدبك قال: الصوفية.

(3) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(4) في «ج» وقوة معاونة.

المريد إلى صحبة المشايخ والتأدب بآدابهم واتباع أوامرهم ونواهيهم لأنه إن لم تجر أفعاله على مراد غيره لا يصح له الانتقال عن الهوى ولو بلغ في الرياضة والمجاهدة كل مبلغ وذلك لكثافة حجاب نفسه. وقد سئل الدقاق(1)[42] ـ رضي الله عنه ـ بماذا يقوّم الرجل اعوجاجه؟ فقال: بالتأدب بإمام فإن لم يتأدب بإمام بقي بطالاً فإذا دام العبد على ذلك [تزكت(2)] نفسه، وطهر قلبه، وتهذبت أخلاقه، وظهر على ظاهره أنوار ذلك، فتكون حركات ظاهره وباطنه مزمومة بزمام الأدب حتى تنتهي به المحافظة إلى اجتناب أمور غير مستنكرة في ظاهر العلم ويكون ترك محافظته عليها ذنباً من مثله، وقد يعاتب عليه وقد يعاقب من أجله. [قال السري السقطي[43] ـ رضي الله عنه ـ صليت وردي ليلة من الليالي ومددت رجلي في المحراب، فنوديت: يا سري هكذا تجالس الملوك فضممت رجلي ثم قلت: وعزتك وجلالك لا مددت رجلي أبداً. قال الجنيد[44] رضي الله عنه: فبقي ستين سنة حامداً رجله ليلاً ولا نهاراً. وقال أبو القاسم القشيري[45] ـ رضي الله عنه ـ كان الأستاذ أبو علي الدقاق ـ رضي الله تعالى عنه ـ لا يستند إلى شيء، فكان يوماً في مجمع فأردت أن أضع وسادة خلف ظهره لأني رأيته غير مستند، فتنحى عن الوسادة قليلاً. فتوهمت أنه توقى الوسادة

---

[42] لعله: أبو علي الحسن بن علي الدقاق النيسابوري، شيخ القشيري وأستاذه. والمتوفى سنة «406هـ ـ 1015م». شذرات الذهب جـ 3 ص: 180.

[43] تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 163.

[44] تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 164.

[45] هو: أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة النيسابوري القشيري من بني قشير بن كعب، شيخ خراسان في عصره علماً وزهداً. من مؤلفاته «الرسالة القشيرية» في التصوف و«التيسير في علم التفسير» ويسمى التفسير الكبير قال عنه ابن خلكان والسبكي والسيوطي بأنه من أجود التفاسير وأوضحها. و«لطائف الإشارات» وهو تفسير صوفي لآيات مختارة من القرآن الكريم. ولد ببلدة «استوا» سنة «376هـ ـ 986م» وتوفي بنيسابور سنة «465هـ ـ 1072م». تاريخ بغداد جـ 11 ص: 83 ـ الوفيات جـ 1 ص: 299 ـ الأعلام جـ 4 ص: 180.

(1) في الأصل: الزقاق.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

لأنه لم يكن عليها خرقة ولا سجادة. فقال: لا أريد الاستناد. فتأملت بعد ذلك فعلمت أنه لا يستند إلى شيء أبداً[(1)][46]. وقال أبو القاسم الجنيد ـ رضي الله عنه ـ كنت جالساً في مسجد الشونيزية[47] أنتظر جنازة أصلي عليها وأهل بغداد على طبقاتهم جلوس ينتظرون الجنازة. فرأيت فقيراً عليه أثر النسك يسأل الناس فقلت في نفسي: لو عمل هذا عملاً يصون به نفسه كان أجمل به. فلما انصرفت إلى منزلي وكان لي شيء من الورد بالليل من البكاء والصلاة وغير ذلك(2) فثقل علي جميع أورادي، فسهرت ليلي وأنا قاعد. فغلبتني عيني فرأيت ذلك الفقير جاءوا به على خوان(3) ممدود وقالوا لي: كل لحمه فقد اغتبته وكشف لي عن الحال. فقلت: ما اغتبته وإنما قلت في نفسي شيئاً. فقيل لي: ما أنت ممن يرض بهذا اذهب فاستحلّه. فأصبحت ولم أزل أتردد حتى رأيته في موضع يلتقط من الماء عند ترداد الماء أوراقاً من البقل مما تساقط من غسل البقل فسلمت عليه. فقال: هل تعود يا أبا القاسم؟ فقلت: لا. فقال: غفر الله لنا ولك(4)[48] إلى غير ذلك من آدابهم رضي الله عنهم أجمعين.

والظاهر [أن(5)] مراد القوم كابن عطاء الله وغيره بإساءة الأدب ما كان [فيه(6)] نوع من الرعونة، وإظهار الدعوى، واتصاف العبد بصفة المولى، وانبساطه وإدلاله في موقف الهيبة والحياء وما أشبه ذلك(7) مما يخاف على صاحبه وقوع الاستدراج والمكر به. ولكن ينبغي للمريد أن لا يتهاون(8) بشيء من الآداب، ولا يستحقرها فإن التهاون بذلك والاستحقار له من محاذره وجود الجهل وعدم المعرفة بالله تعالى وهذا أقبح أنواع سوء الأدب. فإن وقعت منه إساءة أدب

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(2) في «ج» وغيره.
(3) في «ج» جاء على خوان... إلخ..
(4) في «ج» غفر الله لنا ولكم.
(5) (6) ما بين الحواصر ساقط من «ج».
(7) في «ج» وما أشبه هذا مما يخاف...
(8) في «ج» لا يتهاوى.

[46] الرسالة القشيرية ص: 284.

[47] الشونيزية: مقبرة في الجانب الغربي من بغداد و[illegible] كان مجتمعاً لصوفية بغداد. ياقوت، معجم البلدان جـ 3 ص: 374.

[48] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 158 ـ 159.

فليكن خائفاً من ذلك مستعظماً للأمر فيه، وليبادر إلى التوبة والاعتذار. والتنصل منها خشية أن توجه إليه العقوبة من حيث لا يشعر. [وأكد ما ينبغي أن يجتنبه المريد من مقتضيات هذه الجملة التي ظهر لنا أنها مراد ابن عطاء الله في حكمه من أنواع سوء الأدب أن يوطن خاطره على شيء من الاعتراض على الله تعالى، وتعاطي التدبير معه، والتبرم بأحكامه المؤلمة في نفسه أو غيره، وأن يسرح لسانه بالشكوى إلى الخلق والعيب لما يوافق هواه أو نقص في نظره مما يراه من الحق. فإن خطر بباله أو جرى على لسانه شيء من ذلك فليبادر إلى الاستغفار منه والتقصي عنه وليعلم أن تشاغله بذلك من أعظم الحسنات، وأفضل القربات. وذلك يدخله في مقامات الرضا ويوصله إلى غاية النعيم والعطاء. كما أن توطينه عليه وتهاونه به من أعظم خطاياه وأكبر ذنوبه، ويؤديه ذلك إلى تسخط الأقدار والوقوع في دركات النار نعوذ بالله من ذلك.

ضاع لبعض الصوفية ولد صغير فلم يعرف له خبراً ثلاثة أيام. فقيل له: لو سألت الله تعالى أن يرده عليك. فقال: اعتراضي عليه فيما قضى أشد عليّ من ذهاب ولدي[1]]. وقال بعض السادة: أذنبت ذنباً فأنا أبكي عليه منذ ستين سنة، وكان قد اجتهد في العبادة لأجل التوبة من ذلك الذنب. فقيل له: ما هو؟ قال: قلت مرة [الشيء[2]] ليته كان. وقال بعض السلف: لو قرض جسمي بالمقاريض كان أحب إلي من أن أقول لشيء قضاه الله تعالى ليته لم يقضه. وقال بعضهم: مرض الجنيد رضي الله عنه فقال: اللهم عافني، فسمع هاتفاً يقول: مالك والدخول بيني وبين ملكي. ومن مقتضياتها أيضاً أن يعلق بقلبه شيء من الاعتراض على المشايخ والأولياء، وأن يترك تعظيمهم، وأن لا يقبل إشارتهم فيما يشيرون به عليه. فقد قالوا: عقوق الأستاذين لا توبة له. وقالوا أيضاً: من قال لأستاذه لم؟ لا يفلح. وقال أبو القاسم القشيري - رضي الله تعالى عنه - ومن صحب شيخاً من الشيوخ ثم

(1) (2) ما بين الحواصر ساقط من «ج».

اعترض عليه بقلبه فقد نقض عهد الصحبة ووجبت عليه التوبة[49]. وإن بقي من أهل السلوك قاصد لم يصل إلى مقصوده فليعلم أن موجب حجبه اعتراض خامر قلبه على بعض شيوخه في بعض أوقاته. فإن الشيوخ بمنزلة السفراء للمريدين. وفي الخبر: «الشيخ في أهله كالنبي في أمته»[50] وكذلك من سوء أدبه تصدره للتعليم والهداية، وتصديه للأمر والولاية، ومحبته للاستتباع والرئاسة، وتربيته للجاه(1) والحشمة والقبول بين الناس واستدعاؤه بسره أن يكره ويعظّم، ويتبرّك به، وتقبّل يده، ويسارع في قضاء حوائجه. وذلك من أضر الأشياء به وهو نتيجة استحسانه لما هو عليه وعدم تفقده لعيوبه واتهام نفسه في كل حال من أحواله وذلك مذموم منه. قال أبو عثمان[51] ـ رضي الله عنه ـ لا يرى أحد عيب نفسه وهو يستحسن من نفسه شيئاً، وإنما يرى عيوب نفسه من يتهمها في جميع الأحوال. [وقال أبو عبد الله السجزي[52] ـ رضي الله عنه ـ من استحسن شيئاً من أحواله في حال إرادته فسدت عليه إرادته إلا أن يرجع إلى ابتدائه ويروض نفسه ثانياً(2)]. وقال أبو عبد الرحمن السلمي[53] ـ رضي الله عنه ـ سمعت

---

[49] الرسالة القشيرية ص: 334.

[50] أخرجه الديلمي في الفردوس «جـ2 ص: 373». عن ابن عباس. وأورده ابن تيمية في أحاديث القصاص ص: 68 وعلق عليه بقوله: «هذا ليس من كلام النبي ﷺ وإنما يقوله بعض الناس» وأورده أيضاً العجلوني في كشف الخفاء «جـ2 ص: 17» وبعد أن أورد اختلاف العلماء فيه علق عليه بقوله «يقويه حديث العلماء ورثة الأنبياء وإن كان ضعيفاً ويؤيده قوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

[51] لعله: أبو عثمان سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور الحيري المتوفى بنيسابور سنة «298هـ ـ 910م». حلية الأولياء جـ 10 ص: 244 ـ طبقات الأولياء. ص: 239.

[52] هو: أبو عبد الله السجزي: من كبار مشايخ خراسان في وقته وفتيانهم. طبقات الصوفية ص: 254 ـ الحلية جـ 10 ص: 350.

[53] هو: أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى الأزدي السلمي =

(1) في «ج» وتربيته الجان الخشية...

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

جدي يقول: آفة العبد رضاه من نفسه بما هو فيه. فإن استشعر المريد من نفسه شيئاً مما ذكرناه فليبادر إلى قطع مواده واستئصال عروقه من قبل أن يستحكم ذلك فيه ويرسخ فيه. فبدايات الأمور هي التي ينبغي أن تراعى كثيراً. ومن أنواع سوء أدب المريد المفضي إلى عطبه نزوله عن مقتضيات الحقيقة إلى رخص الشريعة فقد عدّوا هذا من الجنايات العظيمة الموجبة لانحطاط الرتبة والبعد عن محل القربة. ولهذا قالوا: إذا رأيت المريد انحط عن رتبة الحقيقة إلى رخص الشريعة فاعلم أنه قد نقض عهده مع الله وفسخ عقده بينه وبين الله. [وقال ابن خفيف ـ رضي الله عنه ـ: الإرادة استدامة الكد وترك الراحة، وليس شيء أضر على المريدين من مسامحة النفس في قبول الرخص والتأويلات. وقال يوسف بن الحسين[54] ـ رضي الله عنه ـ إذا رأيت المريد يشتغل بالرخص فاعلم أنه لا يجيء منه شيء[55](1). وقال أبو إسحاق إبراهيم ابن شيبان[56]: من أراد أن يتعطل فليلزم الرخص[57]. ويعني بالرخص

---

= شيخ الصوفية وصاحب تاريخهم وطبقاتهم وتفسيرهم. قيل كان يضع الحديث للصوفية بلغت مؤلفاته مائة أو أكثر منها: «حقائق التفسير» مختصر على طريقة أهل التصوف. و«طبقات الصوفية» و«مقدمة في التصوف». ولد بنيسابور سنة «325هـ ـ 936م» وبها كانت وفاته سنة «412هـ ـ 1021م». تاريخ بغداد جـ 2 ص: 248 ـ ميزان الاعتدال جـ 3 ص: 46 ـ الأعلام جـ 6 ص: 99.

[54] هو: أبو يعقوب يوسف بن الحسين الرازي. شيخ الري في وقته علماً وخلقاً صحب ذا النون وأبا تراب ورافق أبا سعيد الخراز في بعض أسفاره. توفي سنة «304هـ ـ 916م». الحلية جـ 10 ص: 238 ـ تاريخ بغداد جـ 14 ص: 314 ـ طبقات الأولياء ص: 379.

[55] ورد في الرسالة القشيرية ص: 203 وطبقات الأولياء ص: 379.

[56] هو: أبو إسحاق إبراهيم بن شيبان القرميسني نسبة إلى مدينة قرميسين من جبال العراق. شيخ الجبل في وقته. صحب أبا عبد الله المغربي وإبراهيم الخواص وغيرهما. توفي سنة «330هـ ـ 941م». طبقات الأولياء ص: 21 ـ طبقات الشعراني جـ 1 ص: 132 ـ شذرات الذهب جـ 2 ص: 344.

[57] ورد في الرسالة القشيرية ص: 425.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

ههنا ما كان مضاداً لحال المريد من تناول الشهوات واللذات، والميل إلى المألوفات والمعتادات، والركون إلى الدعة والراحات، وارتكاب الشبه والتأويلات. فإن حال المريد يقتضي مباينته لهذا كله وإن كان بعض ذلك مباحاً في رخص الشرع لعامة الناس.

وكان إبراهيم الخوّاص[58] ـ رضي الله عنه ـ يقول: ألا إن هذه الشهوات التي أظلمت قلوب المتعبدين بعد صفاء نورها، وفتّرت أبدانهم بعد اجتهادها، وحجبت قلوبهم بعد قربها، وأطالت آمالهم بعد قصرها، وألفوا بالمخلوقين بعد الهرب منهم، وتواطأوا الفرش بعد الترك لها، فسقتهم الدنيا بعد كأس سمها فنظروا إلى ظاهرها بعد باطنها فناموا بعد السهر، وشبعوا بعد الجوع، واكتسوا بعد العري.
وقال أبو سليمان الداراني[59] ـ رضي الله عنه ـ أوحى الله [تعالى(1)] إلى داود عليه السلام إني إنما خلقت الشهوات لضعفاء خلقي. فإياك أن تعلق قلبك منها بشيء فأيسر ما أعاقبك به أن أسلب(2) حلاوة حبي من قلبك. وفي أخبار داوود عليه السلام [يا داود(3)] تمسك بكلامي، وخذ من نفسك لنفسك لا تؤتينَّ منها فأحجب محبتي عنك. اقطع شهوتك إلي(4) فإني إنما أبحت الشهوات لضعفاء خلقي. ما بال الأقوياء أن ينالوا الشهوات فإنها تنقص حلاوة مناجاتي. فإني لم أرض الدنيا لحبيبي ونزهته عنها. يا داود لا تجعل بيني وبينك عالماً سكراناً بحبها يحجبك بسكره عن محبتي، أولئك قطاع الطرق على عبادي المريدين. استعن على قطع الشهوات بإدمان الصوم. يا داود تحبب إلي بمعاداة نفسك وامنعها الشهوات أنظر إليك وترى الحجب بيني وبينك مرفوعة.

[وقال إبراهيم بن أدهم[60] ـ رضي الله عنه ـ لن ينال الرجل

---

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(2) في «ج» أن أنسخ.
(3) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(4) في «ج» أقطع شهوتك لي فإنما أبحث الشهوات لضعفة خلقي...

[58] سبقت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 165.
[59] سبقت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 164.
[60] سبقت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 162.

درجة الصالحين حتى يغلب النفس ويترك الشهوات[61]. وقال إبراهيم الخوّاص ـ رضي الله عنه ـ كنت في جبل اللكّام[62] فرأيت رماناً فاشتهيته فدنوت منه فأخذت منه واحدة فشققتها فوجدتها حامضة فمضيت وتركت الرمان فرأيت رجلاً مطروحاً قد اجتمعت عليه الزنابير. فقلت: السلام عليك. فقال: وعليك السلام يا ابراهيم. فقلت: كيف عرفتني؟ فقال: من عرف الله تعالى لم يخف عليه شيء. فقلت: أرى لك حالاً مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك ويقيك من هذه الزنابير. فقال: وأرى لك حالاً مع الله تعالى فلو سألته أن يحميك ويقيك من شهوة الرمان فإن لدغ الرمان يجد الإنسان ألمه في الآخرة ولدغ الزنابير يجد ألمه في الدنيا(1)][63]. وقال السرّي[64] ـ رضي الله عنه ـ إن نفسي تطالبني منذ ثلاثين سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة في دبس فما طعمتها[65]. فلما كان ترك الشهوات والتنعمات من شأن المريد ومن مقتضى حاله، لزمه الوفاء به وكان عمله على خلافه نقضاً وفسخاً كما تقدم. قال جعفر بن نصير[66] ـ رضي الله عنه ـ دفع إليَّ الجنيد درهماً وقال: اشتر به التين الوزيري، فاشتريته. فلما أفطر أخذ واحدة ووضعها في فيه ثم ألقاها وبكى

---

[61] في الأصل الذي ينقل عنه الأسمر هنا وهو شرح الحكم لابن عباد: «وقال إبراهيم ابن أدهم: لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات أولاها أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل. والثانية أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة. والثالثة أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد. والرابعة أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت. وقال إبراهيم الخواص: كنت في جبل لبنان فرأيت رماناً فاشتهيته...». ابن عباد، شرح الحكم جـ 1 ص: 57.

[62] جبل اللكام هو: الجبل المشرف على أنطاكية وبلاد ابن ليون والمصيصة وطرسوس. ياقوت، معجم البلدان. جـ 5 ص: 22.

[63] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 153.

[64] تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 162.

[65] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 153.

[66] سبقت ترجمته في الرسالة الثامنة. ص: 221.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

وقال: احمله. فقلت له في ذلك. فقال: هتف في قلبي هاتف: أما تستحي شهوة تركتها من أجلي ثم تعود إليها[67]؟ وعن شقيق بن إبراهيم[68] قال: لقيت إبراهيم بن أدهم[69] ـ رضي الله عنه ـ بمكة في سوق الليل عند مولد رسول الله ﷺ وهو جالس في ناحية من الطريق يبكي، فعدلت إليه وجلست عنده وقلت له: أي شيء هذا البكاء يا أبا إسحاق؟ فقال: خير [وعافية(1)] فعاودته مرة واثنين وثلاثة، فلما أكثرت عليه قال: يا شقيق أتستر عليَّ؟ فقلت: يا أخي قل ما شئت. قال لي: اشتهت نفسي سكباجاً منذ ثلاثين سنة فمنعتها جهدي فلما كان البارحة كنت جالساً وقد غلبني النعاس فإذا أنا بفتى شاب بيده قدح أخضر يعلو منه بخار ورائحة سكباج قال فاجتمعت همتي عليه فقرب مني وقال: يا إبراهيم كل. فقلت: ما آكل شيئاً قد تركته لله تعالى. فقال لي: فإذا أطعمك الله تأكل فما كان لي جواب إلا أن بكيت. فقال لي: كل يرحمك الله. قال إبراهيم: فقلت له: قد أمرنا أن لا نطرح في وعائنا إلا من حيث نعلم. فقال لي: كل يرحمك الله فإنما أعطيته، وقد قيل لي يا خضر اذهب بهذا وأطعم نفس إبراهيم بن أدهم فقد رحمها الله من طول صبرها على ما يحملها من منعها. اعلم يا إبراهيم إني سمعت الملائكة يقولون: من أعطيَ فلم يأخذ طلب فلم يعط. فقلت: فإن كان كذلك فها أنا بين يديك لا أحل العقد مع الله عزّ وجلّ ثم التفت فإذا أنا بفتى آخر ناوله شيئاً وقال له: يا خضر لقمه أنت فلم يزل يلقمني حتى شبعت فانتبهت وحلاوته في فمي. قال [شقيق(2)] ـ رضي الله عنه ـ فقلت: أرني كفك فأخذت كفه بكفي

---

[67] ورد في الرسالة القشيرية ص: 154.

[68] هو: أبو علي شقيق بن إبراهيم البلخي. زاهد صوفي من مشاهير المشايخ في خراسان. استشهد في غزوة كولان سنة «194هـ ـ 810م». الحلية جـ 8 ص: 58 ـ طبقات الأولياء. ص: 12 ـ الأعلام جـ 3 ص: 249.

[69] سبقت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 162.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

فقبلتها وقلت: يا من يطعم الجياع الشهوات إذا صححوا المنع، يا من يقدح في الضمير اليقين، يا من سقى قلوبهم من محبته أترى لشقيق عندك حالاً؟ ثم رفعت يد إبراهيم إلى السماء فقلت: إلهي بقدر هذه الكف، وبقدر صاحبها، وبالجود(1) الذي وجد منك جد على عبدك الفقير بفضلك وإحسانك ورحمتك، وإن لم أستحق ذلك. قال إبراهيم ـ رضي الله عنه ـ ومشى حتى دخل المسجد الحرام. وقال عتبة الغلام[70] لعبد الواحد بن زيد[71] ـ رضي الله عنهما ـ إن فلاناً يصف من قلبه منزلة ما أعرفها. قال: لأنك تأكل مع خبزك ثمراً وهو لا يزيد على الخبز شيئاً. فقلت: إن تركت أكل الثمر [عرفت تلك المنزلة. قال: نعم وغيرها. فأخذ يبكي فقال له بعض أصحابه: لا أبكى الله عينك أعلى التمر(2)] تبكي؟ فقال عبد الواحد: دعه فإن نفسه قد عرفت صدق عزمه في الترك. هو إذا ترك شيئاً لم يعاود فيه أبداً. وقال أحمد بن أبي الحواري[72]: اشتهى أبو سليمان الداراني[73] ـ رضي الله عنه ـ رغيفاً حاراً بملح فجئت به إليه فعض منه عضة ثم طرح الرغيف وقال: عجّلت إليّ شهوتي بعد إطالتي جهدي وشقوتي

---

[70] هو: عتبة بن أبان بن ثعلب الغلام البصري. أحد مشاهير الزهاد كان يشبّه في حزنه بالحسن البصري. توفي شهيداً في إحدى غزوات الروم. الحلية جـ 6 ص: 226 ـ سير أعلام النبلاء جـ 7 ص: 62 ـ جامع كرامات الأولياء جـ 2 ص: 142.

[71] هو: عبد الواحد بن زيد البصري. شيخ العبَّاد وأعظم من لحق الحسن وغيره. يروي عن الليث بن عامر ويونس بن عبيد وغيرهما. ويروي عنه عثمان بن مسلم وغيره قال عنه يحيى بن معين: هو ثقة. ويرى بعضهم أنه ليس بشيء. توفي سنة «177هـ ـ 793م». سير أعلام النبلاء جـ 7 ص: 178 ـ شذرات الذهب جـ 1 ص: 287 ـ جامع كرامات الأولياء جـ 2 ص: 132.

[72] هو: أبو العباس أحمد بن أبي الحواري عبد الله بن ميمون الدمشقي. ريحانة أهل الشام وأحد عبادها وزهادها صحب أبا سليمان الداراني وغيره. ولد سنة «148هـ ـ 765م» وتوفي سنة «230هـ ـ 844م». الرسالة القشيرية ص: 410 ـ طبقات الأولياء ص: 31 ـ البداية والنهاية جـ 10 ص: 348.

[73] سبقت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 164.

(1) في «ج» وبالذي وجدك جد على عبدك الفقير إلى فضلك...

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

قد عزمت على التوبة فاقبلني. قال أحمد: فما رأيته أكل الملح حتى لقي الله تعالى.

وقال أبو بكر بن الجلاء(1) ـ رضي الله عنه ـ أعرف إنساناً تقول له نفسه: أنا أصبر لك على طي عشرة أيام وأطعمني بعد ذلك شهوة أشتهيها. فيقول لها: لا أريد أن أطوي عشرة أيام ولكن اتركي هذه [الشهوة(2)]. وقال أبو سليمان[74] ـ رضي الله عنه ـ ترك شهوة من شهوات النفس أنفع للقلب من صيام سنة وقيامها. وقال أبو حامد الغزالي[75] ـ رضي الله عنه ـ وقد اشتد خوف السلف رضي الله عنهم من تناول لذائذ الأطعمة وتمرين النفس عليها، ورأوا أن ذلك علامة الشقاوة، ورأوا أن منع الله منه غاية السعادة حتى روي أن وهب بن منبه[76] ـ رضي الله عنه ـ قال: التقى ملكان في السماء الرابعة فقال أحدهما للآخر: من أين؟ فقال: أمرت بسوق حوت من البحر اشتهاه فلان اليهودي. وقال الآخر: أمرت بإهراق زيت اشتهاه فلان العابد. وقال: وهذا تنبيه على أن تيسير الشهوات ليس من علامات الخير. قال الشيخ أبو حامد الغزالي ـ رضي الله عنه ـ والأصل المهم في المجاهدة الوفاء بالعزم. فإذا عزم على ترك شهوة فقد تيسرت(3) أسباب ذلك ويكون ذلك من الله ابتلاء واختياراً فينبغي أن يصبر ويستمر فإنه إن عوّد نفسه كسر العزم ألفت ذلك وفسدت، وإذا اتفق منه كسر عزم فينبغي أن يلزم نفسه عقوبة عليه» كما ذكره القوم كابن

---

[74] هو أبو سليمان الداراني وقد سبقت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 164.

[75] سبقت ترجمته في الرسالة السادسة. ص: 174.

[76] هو: أبو عبد الله وهب بن منبه الأنباوي الصنعاني الذماري. مؤرخ كثير الأخبار عن الكتب القديمة، عالم بأساطير الأولين ولا سيما الإسرائيليات يعد من التابعين وأصله من أبناء الفرس وأمه حميرية. من مؤلفاته: «ذكر الملوك المتوجه من حمير وأخبارهم وقصصهم وقبورهم وأشعارهم» و«قصص الأنبياء» و«قصص الأخيار». ولد بصنعاء سنة «34هـ ـ 654م» وبها كانت وفاته سنة «114هـ 732م». الحلية جـ 4 ص: 22 ـ وفيات الأعيان جـ 2 ص: 180 ـ الأعلام جـ 4 ص: 150،

(1) في «ج» أبو بكر الجلاز.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(3) في «ج» فقد تيسر أسباب ذلك من الله ابتلاء واختيارا.

عباد وغيره «فإذا لم يخوف النفس بعقوبة غلبته وحسّنت عنده[1] تناول الشهوة وتفسد الرياضة عليه بالكلية فهذا كلام أبي حامد» وغيره «وهو حسن ومعناه صحيح مجرّب فلتعتمد عليه أيها المريد، وقد يعجل الله تعالى لبعض هؤلاء العقوبة رحمة له ومنَّة عليه. قال أبو تراب النخشبي[77] ـ رضي الله عنه ـ ما تمنت نفسي شهوة من الشهوات إلا مرة واحدة، تمنيت خبزاً وبيضاً وأنا في سفر فعدلت إلى قرية فقام واحد وتعلق بي وقال: هذا كان مع اللصوص فضربوني سبعين درة[2]، ثم عرفني رجل منهم فقال: هذا أبو تراب النخشبي. فاعتذروا إليَّ فحملني رجل منهم إلى منزله وقدم لي خبزاً وبيضاً فقلت في نفسي: كلي بعد[78] سبعين درة[79]. وقال بعضهم: اشتهى أبو الخير العسقلاني ـ رضي الله عنه ـ السمك سنين ثم ظهر له ذلك من موضع حلال فلما مد يده ليأكل دخلت شوكة من عظامه إصبعه فذهبت في ذلك يده. فقال: يا رب هذا لمن مد يده بشهوة إلى حلال فكيف بمن مد يده بشهوة إلى حرام[80]؟ وقال إبراهيم الخوَّاص: كنت جائعاً في الطريق فعدلت إلى بلاد فخطر ببالي أن لي بها معارف فإذا دخلتها أضافوني وأطعموني فلما دخلت البلد رأيت فيه منكراً احتجت أن آمر فيه بالمعروف، فأخذوني وضربوني فقلت في نفسي من أين أصابني هذا الضرب على جوعي، فنوديت في سري إنما أصابك ذلك لأنك سكنت[3] إلى معارفك بقلبك وقلت إنهم يطعمونني إذا دخلت البلد. [وقال بعضهم من همّ بشيء مما أباحه العلم تلذذاً عوقب بتضييع

(1) في «ج» وحسنت عليه.

(2) في «ج» فضربوني وأخذوا مني سبعين درة.

(3) في الأصل: شكيت إلى معارفك.

[77] هو: أبو تراب عسكر بن حصين النخشبي. شيخ عصره في الزهد والتصوف اشتهر بكنيته حتى لا يعرف إلا بها توفي سنة «245هـ ـ 859م». مفتاح السعادة جـ 2 ص: 174 ـ الكواكب الدرية جـ 1 ص: 202 ـ الأعلام جـ 5 ص: 26.

[78] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 144 ـ ص: 436.

[79] الدرة ـ بالكسر ـ: التي يضرب بها. مختار القاموس ص: 207.

[80] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 142.

العمر وقسوة القلب وتعب الهم بالدنيا(1)].

وحكيَ عن إبراهيم بن شيبان(2) ـ رضي الله عنه ـ أنه قال: كنت بحلب[81] واشتهيت شبعة من الخبز والعدس فاتفق ذلك، فأكلت حتى شبعت فرأيت على باب المسجد قوارير معلقة شبه نموذجات[82] فتوهمتها خلاً. فقال لي قائل: أما تنظر إليها؟ إنها خمر. فقلت: لزمني فرض. فدخلت الحانوت فلم أزل أصب دناً دناً حتى أتيت على الجميع، فأخذوني وضربوني مائتي(3) خشبة وطرحوني في السجن أربعة أشهر، حتى دخل أستاذي أبو عبد الله المغربي[83] البلد فسمع بحالي فشفع لي. فلما وقع بصره عليَّ قال: ما شأنك؟ قلت: شبعة(4) خبز وعدس وضربت مائتي خشبة وسجنت أربعة أشهر. فقال لي: نجوت مجاناً[84] أي وردت عقوبة هذه الأكلة على ظاهرك ولم تقدم فيما كنت فيه من سرائرك(5) فكان ذلك رفقاً من الله بك. قال الإمام أبو القاسم القشيري: وما أصدق ما قال فإن من أدب في دنياه فيما يتعاطاه من متابعة هواه فقد خفف عنه في عقباه بل ظهر بالتأدب جوهره ومعناه.

وحكاية خير النساج[85] ـ رضي الله عنه ـ المشهورة من معنى ما

---

[81] حلب: مدينة سورية وصفها ياقوت في معجمه بأنها: مدينة عظيمة واسعة كثيرة الخيرات طيبة الهواء صحيحة الأديم والماء. ياقوت، معجم البلدان جـ 2 ص: 282.

[82] النموذجات: مفردها نموذج وأنموذج، وهي لفظة فارسية معربة تعني مثال الشيء، دوزي تكملة المعاجم العربية. جـ 1 ص: 205.

[83] هو: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل المغربي. أستاذ إبراهيم بن شيبان وتلميذ علي بن رزين توفي بجبل طورسينا سنة «299هـ ـ 911م». الحلية، جـ 10 ص: 335 ـ الرسالة القشيرية ص: 434 ـ طبقات الأولياء ص: 402.

[84] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 153.

[85] اختلف في اسمه فقيل: محمد بن إسماعيل. وقيل: خير بن عبد الله وقيل: محمد بن علي وهو يعد من كبار الزهاد والمتصوفين أصله من سامراء ونزل =

(1) ما بين الحاصرتين ساقط عن الأصل المنقول عنه وهو شرح ابن عباد على الحكم جـ1 ص: 58.

(2) في الأصل: إبراهيم بن سفيان.

(3) في «ج» مائة خشبة.

(4) في «ج» شبعت خبزاً وعدساً وسجن أربعة أشهر.

(5) في «ج» من سر أمرك.

ذكرناه فانظرها ففيها عبرة للمعتبرين. قال الحافظ أبو نعيم ـ رضي الله عنه ـ حدثني جعفر بن محمد بن نصير في كتابه قال: سألت خير النساج أكان النسج حرفتك؟ قال: لا. قلت: فمن أين سميت به؟ قال: عاهدت الله واعتقدت أني لا آكل الرطب أبداً فغلبتني نفسي يوماً فأخذت نصف رطل فلما أكلت واحدة إذا برجل نظر إليّ وقال: يا خير أين هربت مني؟ ـ وكان له غلام اسمه خير فوقع عليّ شبهه وصورته ـ فخنقني واجتمع الناس فقالوا: والله هذا غلامك خير، فبقيت متحيراً وعلمت بماذا أخذت وعرفت جنايتي فحملني إلى حانوته الذي كان ينسج فيه صنّاعه. فقالوا: يا عبد السوء تهرب من مولاك ادخل واعمل عملك الذي كنت تعمل، وأمرني بعمل الكرباس فدليت رجلي على أن أعمل فأخذت بيدي آلة الدف فكأني كنت أعمل من سنين، فبقيت معه شهراً أنسج له فقمت ليلة فنسجت وقمت إلى صلاة الغداة فسجدت وقلت في سجودي: اللهم يا إلهي لا أعود إلى ما فعلت. فأصبحت فإذا الشبه قد ذهب عني وعدت إلى صورتي التي كنت عليها فأطلقت فثبت علي هذا الاسم فكان سبب النسج اتباعي شهوة عاهدت الله تعالى أن لا آكلها فعاقبني الله بما سمعت[86]. وفي بعض الأخبار عن الله تعالى: «إن أدنى ما أصنع بالعالم إذا آثر شهوته على محبتي أن أحرمه لذيذ مناجاتي[87] ويؤيد ذلك قول ابن عطاء الله[88]: لولا ميادين النفوس ما

= بغداد وصحب الجنيد والخواص والشبلي وغيرهم ولد سنة «202هـ ـ 817م» وتوفي سنة «322هـ ـ 934م». تاريخ بغداد جـ 2 ص: 48. جـ 8 ص: 345 ـ الرسالة القشيرية. ص: 437 ـ طبقات الأولياء. ص: 196.

[86] الحلية. جـ 10. ص: 308.

[87] أورده الغزالي في الإحياء. «جـ4 ص: 48». وقال عنه مخرج أحاديثه العراقي: غريب لم أجده.

[88] هو: أبو الفضل أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري الصوفي الزاهد صاحب الشيخ أبي العباس المرسي. من مؤلفاته «الحكم» و«تاج العروس» و«لطائف المنن» توفي بالقاهرة سنة «709هـ ـ 1309م». الدرر الكامنة جـ 1 =

تحقق سير السائرين[89].

ولهذا المعنى كرهوا له التزويج من غير ضرورة محققة لأنه إنما يقصد بذلك قضاء شهوته وبلوغ نهمته وذلك في الضرورة بمنزلة السم القاتل وقد قالوا: من وافق شهوته عدم صفوته. [وقال بعضهم: من هم بشيء مما أباحه العلم تلذذاً عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب وتعب الهم بالدنيا(1)]. وقال أبو سليمان الداراني ـ رضي الله عنه ـ ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا: من طلب معاشاً، أو تزوج امرأة، أو كتب الحديث. وقال: ما رأيت أحداً من أصحابنا تزوج فثبت على مرتبته. وكان إبراهيم بن أدهم ـ رضي الله عنه ـ يقول: من تعوّد(2) أفخاذ النساء لا يفلح. [وقيل لبعضهم: لم لا تتزوج؟ فقال: المرأة لا تصلح إلا للرجال وأنا ما بلغت مبلغ الرجال. ثم فيه من مكابدة أمر غيره، ومن مراعاة توفية حقوقه، ومعاناة أخلاقه، واتباع مرضاته ما يشوش على المريد حاله ويكدر عليه وقته. وقد كان له في معاناة أمر نفسه أعظم شاغل من أن تنضاف إلى نفسه نفس أخرى مع ما يتسلط على باطنه من خوف الفقر، ومحبة الجمع والمنع، وما يرتكبه بسبب ذلك من التأويلات والرخص. وذلك كله مضاد لحال المريد(3)] وقد قالوا: إذا تزوج الصوفي فقد ركب السفينة فإذا(4) ولد له فقد غرقت السفينة. وكان بشر الحافي[90] ـ رضي الله عنه ـ يقول: لو كنت أعول دجاجة خفت أن أكون جلوازاً على الجسر. وفي الخبر في فتن آخر الزمان قال: وفي ذلك الوقت حلت العزبة فقيل: وكيف؟

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.
(2) في «ج» من تعاهد.
(3) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(4) في «ج» فإن ولد فقد غرقت السفينة.

---

= ص: 273 ـ الرحلة العياشية جـ 1 ص: 357 ـ الأعلام جـ 1 ص: 222.

[89] ابن عباد. شرح الحكم جـ 2 ص: 66.

[90] هو: أبو نصر بشر بن الحارث بن علي بن عبد الرحمن المروزي المعروف بالحافي [illegible] ثقة زاهد ورع. ولد سنة «150هـ ـ 767م» وتوفي في بغداد سنة «227هـ ـ 841م». الحلية جـ 8 ص: 336 ـ تاريخ بغداد جـ 7 ص: 67 ـ الأعلام جـ 2 ص: 26.

قال يعيّرونه بالفقر فيتكلف ما لا يطيق فيورده موارد الهلكة. وفي الخبر عن رسول الله ﷺ «خيركم بعد المائتين رجل خفيف الحاذ. قيل: يا رسول الله وما خفيف الحاذ؟ قال: «الذي لا أهل له ولا ولد»[91]. وقال سهل بن عبد الله[92] ـ رضي الله عنه ـ: إيَّاكم والاستماع إلى النساء، والميل إليهن. فإن النساء مبعدات من الحكمة، قريبات من الشيطان، وهن مصائده وحظه من بني آدم، فمن عطف إليهن بكليّته فقد عطف على حظ الشيطان، ومن حاد عنهن يئس منه. وما مال الشيطان إلى أحد كميله إلى من استرق بالنساء، وإن الشر معهن حيث كن فإذا رأيتم في وقتكم من قد ركن إليهن(1) فايأسوا منه. قيل له: فحديث رسول الله ﷺ «حبب إليَّ من دنياكم ثلاث»[93] فذكر النساء فقال: النبي ﷺ معصوم، وقد بلغكم ما كان فيه معهن. هي عدوة الرجل ظاهراً وباطناً إن أظهرت له المحبة أهلكته. وإن أضمرتها له أغوته. وإن الله عزّ وجلّ جعلهن فتنة، فنعوذ بالله من فتنتهن. [انتهى كلام سهل رضي الله عنه. وقال حذيفة المرعشي[94] ـ رضي الله عنه ـ كان ينبغي للرجل لو خيِّر بين أن يضرب عنقه وبين أن

---

[91] أخرجه الخطيب في تاريخ بغداد «جـ6 ص: 198» عن حذيفة باختلاف في بعض ألفاظه. وأخرجه عنه أيضاً ابن عدي في الكامل «جـ3 ص: 1037».

[92] سبقت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 163.

[93] أخرجه النسائي في سننه «جـ7 ص: 61» كتاب عشرة النساء ـ باب حب النساء عن أنس بلفظ «حبب إليّ من الدنيا النساء والطيب وجعل قرة عيني في الصلاة» وعن أنس أيضاً أخرجه الحاكم في مستدركه «جـ2 ص: 160» وابن عدي في الكامل «جـ3 ص: 1150» والعقيلي في الضعفاء الكبير «جـ2 ص: 160». ويقول علي القارىء في شرح الشفاء «جـ1 ص: 305» وليس فيه لفظ «ثلاث» وإنما وقع في بعض الكتب كالإحياء وغيره فما وقع في بعض النسخ من لفظ «ثلاث» بعد دنياكم خطأ فاحش ومما يدل على بطلانه تغير سياق الحديث.

[94] هو: حذيفة بن قتادة المرعشي. صحب سفيان الثوري وسمع منه. الحلية جـ 8 ص: 267.

(1) في «ج» من يركن إليهن.

يتزوج امرأة في الفتنة لاختار ضرب العنق على تزويج المرأة في الفتنة. وإنما قال ذلك لما يؤول إليه أمر المتزوج من اكتساب الحرام، وارتكاب الآثام في زمان الفتنة. وضرب العنق أحسن حالاً، وأحمد عاقبة من التعرض لارتكاب شيء من معاصي الله عزّ وجلّ. فإن قارب شيئاً من ذلك المريد فهو: داء عضال في حقه. فقد قالوا: زلة بعد الإرادة أقبح من سبعين زلة قبل الإرادة. وفي المثل: «من عرف بالخيانة لا يعتمد عليه في الأمانة». وقال بعض الأنبياء في مناجاته لربه: لو عفوت عن فلان ذنوبه بعد عظيم نعمك. فأوحى الله إليه ليس الذنب في القرب كالذنب في البعد(1)]. وسُئل بعضهم: هل يجد العاصي حلاوة الطاعة؟ فقال: لا، ولا من همّ بالمعصية.

ومن عظيم سوء أدب المريد أن يميل إلى أهل الدنيا، وأن يتقرّب منهم، أو أن يصاحبهم. قال الإمام أبو القاسم القشيري ـ رحمه الله ـ ومن شأن المريد التباعد عن أبناء الدنيا فإن صحبتهم سم مجرب لأنهم ينتفعون به وهو ينتقص بهم[95] قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾[96]. ومن ذلك أيضاً: معاشرته للأحداث والشبان، وقبول إرفاق النسوان. فإن تعرض لاستجلاب ذلك منهن فهو أشد. قال يوسف بن الحسين الرازي[97] ـ رضي الله عنه ـ رأيت آفات الصوفية في صحبة الأحداث، ومعاشرة الأضداد، ورفق النسوان[98]. قال الإمام أبو القاسم: ومن أصعب الآفات في هذه الطريق صحبة الأحداث[99] ومن ابتلاه الله بشيء من ذلك فبإجماع من الشيوخ أن ذلك عبد أهانه الله عزّ وجلّ وخذله، بل

---

[95] الرسالة القشيرية. ص: 364.

[96] الكهف: 28.

[97] [illegible]

[98] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 414.

[99] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 362.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

عن نفسه شغله ولو بألف ألف كرامة أهّله. ثم قال بعد كلام كثير: فليحذر المريد من مجالسة الأحداث ومخالطتهم، فإن اليسير منه فتح باب الخذلان وبدء حال الهجران ونعوذ بالله من قضاء السوء. وآداب المريد كثيرة وإنما نبّهنا ها هنا على بعض ما يعظم فيه الخطر والضرر مما حذر منه أئمتنا رضي الله عنهم وبالغوا في التوصية به والنهي عنه»[100] انتهى. وقال إمام سلسلتنا الشيخ أبو الحسن الشاذلي[101] - رضي الله عنه - مجالسة الأكابر آدابها بأربعة أوصاف. الأول: بالتخلي عن أضدادهم، والميل والمحبة والتخصيص لهم. الثاني: إلقاء السمع بين أيديهم، وترك ما تهوى لما يهوون. الثالث: إيثار أقوالهم وأفعالهم، وترك التجسُّس عن عقائدهم. الرابع: تعلق الهمة بما تعلقت به هممهم بشرط الموافقة لهم في أفعالهم. وقال: إذا جالست العلماء فجالسهم بالعلوم المنقولة والرواية الصحيحة إما تفيدهم أو تستفيد منهم [وذلك غاية الربح منهم(1)]. وإذا جالست العبّاد والزهّاد فجالسهم على بساط الزّهد والعبادة، وحل لهم ما استمرروه، وسهل عليهم ما استوعروه، وذوقهم من المعرفة ما لم يذوقوه. وإذا جالست الصديقين ففارق ما تعلم، ولا تنتسب لما لا تعلم فتظفر بالعلم المكنون، وببصائر أجرها غير ممنون(2). وقال آداب الحضرة ثلاثة: حرام النظر، وإلقاء السمع، والتوطي لما يرد من الحكم. وقال: أربعة آداب إذا خلا الفقير المتجرد عنها فاجعله والتراب سواء: الرحمة للأصاغر، والحرمة للأكابر، والانتصاف من النفس وترك الانتصاف لها. وأربعة آداب إذا خلا الفقير المتسبب منها فلا تعبأنّ به وإن كان أحدهم أعلم البرية: مجانبة الظلمة، وإيثار أهل الآخرة، ومواساة أهل الفاقة، ومواضبة الخمس في الجماعة. وقال: آداب السؤال - يعني منازل السائلين - ثلاثة: سائل يسأل عن عين التصديق بتحقيق القرب،

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(2) في «ج» وببصائر أرضها أجرها غير ممنوع.

---

[100] ابن عباد، شرح الحكم جـ 1 ص: 54 - 60.

[101] تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة ص: 165.

وسائل يسأل عن عين التحقيق برفع الحجاب، وسائل يسأل عن النيابة بالفناء عن نفسه. وقال: إذا سألت فاسأل الله فإن أعطاك فاشكر، وإن منعك فارض عنه. وإيَّاك: وكزازة النفس(1)، وسوء الظن، وغلبة الشهوة فتحرم المحبة والمعرفة والرضا والمغفرة، وتحجب عن الله وتطرد من المحل الأعلى إلى الأسفل من ذلك.

وقال: إذا مشيت إلى بعض الظلمة فقل: اللهم اجعل مشيي إليهم تواضعاً لوجهك، وابتغاء لفضلك، ونصرة لك ولرسولك، وزيني بزينة الفقراء ﴿ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾[102]. وحصّني بالمحبة والإيثار ورفع الحجاب(2) من الصدور في الليل والنهار وقني شح نفسي واجعلني من المفلحين و﴿ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[103]. ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾[104]. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾[105]. ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[106]. يا الله يا الله يا الله يا قدوس يا قدوس يا قدوس ﴿لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَـٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[107]. ﴿سَلَـٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾[108] فرد جبار شكور تواب ظهير زكي؛ وقال إذا دخلت على جبار أو ظالم فقل ﴿إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى

[102] الحشر: 8.

[103] الحشر: 10.

[104] آل عمران: 8.

[105] البقرة: 201.

[106] آل عمران: 194.

[107] الأنبياء: 87.

[108] يس: 58.

(1) في «ج» وحزامة النفس.

(2) في «ج» ورفع الحاجة.

﴿وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾[109]. وقال: إذا أردت أن تسأل حاجة من الناس فارفعها إلى الله من قبل أن ترفعها إليهم، فإن قضاها لك منهم فاشكره واشكرهم، وإن لم يقضها لك منهم فارض عن الله ولا تنسب شيئاً إليهم. ولا تذم أحداً إلا بما [ذمه الله ولا تمدح أحداً إلا بما مدحه الله وإلا فامسك فهو أسلم[1]] لك وأقرب الرضا من الله عنه. واعبد الله باليقين ترفع إلى الدرجات العلى وإن قل عملك. وقال: أحسن الناس منزلة عند الله من جعل دينه سبباً لقضاء حوائجه. وقال: إذا كانت لك حاجة فأثبت الملك والقدرة والعلم والإرادة والمشيئة لله واجعل فقرك إلى الله وحاجتك عنده وأحذرك أن تستمد بصر قلبك إلى غير الله فتحجب عن الله بل فوض أمرك إليه واعتمادك عليه، ولا تفرح ولا تحزن ولا ترج ولا تذل لأحد، والمؤمن لا يذل نفسه. وقل: بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم. انتهى كلام الشيخ أبو الحسن الشاذلي[*].

**قلت:** ينبغي للمريد الصادق أن يتعلم الأدب لأن الأدب هو العلم كله ولا تصح المشيخة إلا بعد معرفته ولا مجالسة العارفين إلا به فربما مقت من ساء أدبه معهم ومحي من ديوان القرب [اسمه[2]] لأن الدرجات في الدنيا دليل على الدرجات في الآخرة والكرامات هنا دليل على الكرامات في الآخرة كما أن البعد هنا دليل على الطرد في الآخرة قال الله تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْـَٔاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾[110].

---

[109] غافر: 27.

(*) معظم أقوال الشاذلي هذه أوردها ابن الصبّاغ في كتابه «درّة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأفعال وأحوال ومقامات ونسب وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبو الحسن الشاذلي»، ص: 150 وما بعدها.

[110] الإسراء: 72.

(1) (2) ما بين الحواصر ساقط من «ج».

والمراد بهذا العمى هو عمى البصيرة بالضلال والرشد عن طريق الحق وهو: الجهل بعينه. فمن لا يتعلم العلم لا يعرف الأدب ولا أهله، بل ربما يقع في مهواة تكفرة لا سيما إذا أساء الأدب مع ولي بعطب أو عثر عثرة توجب القتل. قال شيخنا: الولي هو: العارف بالله تعالى وبصفاته حسب الإمكان، المواظب على الطاعات، المجتنب للمعاصي، المعرض عن الإنهاك في اللذات والشهوات المباحة، الفارغ من تأديب نفسه. فهو ممن تولى الله أمره فلم يكله إلى نفسه ولا لغيره. وقيل: علامة الولي ثلاثة: شغله بالله، وفراره إلى الله، وهمه لله. وقال سيدي أحمد زروق رحمه الله: «ولا بد في طريق المعرفة من شيخ ناصح، أو أخ صالح، فإن المجاهدات ثلاثة: مجاهدة التقوى [والشيخ فيها شرط كمال، ومجاهدة استقامة والشيخ فيها شرط صحة، ومجاهدة كشف(1)] والشيخ فيها شرط وجوب. ولكل مقام مقال، ولكل عمل رجال. ومشاهدة أهل الله أصل كل خير». انتهى المراد(2) قاله في كتاب الجامع لجمل ممّن الفوائد والمنافع[111]. وقال في موضع آخر: «لا يصلح للمشيخة إلا من تخلّق بأخلاق رسول الله ﷺ». وقال في أصول الطريقة: «وشروط الشيخ الذي يلقي المريد إليه نفسه خمسة: علم صحيح. قال الشيخ الخروبي ـ رحمه الله ـ قلت لأنه دليل ولا بد للدليل من علم تصح به دلالته. ثم قال: وذوق صريح. قلت: إذ بالذوق تتحقق عبارته وتفهم إشارته فبعلمه يقتدى وبذوقه يهتدى. فبعلمه تستقيم الظواهر في الأقوال والأفعال. وبذوقه تتحقق البواطن في الأحوال. فبعلمه يختبر ظواهر المريدين وبذوقه تختبر بواطن السالكين. ثم قال: وهمّة عالية. قلت: عن الأكوان لتنتقل همم المريدين إلى الله تعالى. إن همة المريد من همة شيخه. ثم قال: وحالة مرضية. قلت: مع الله تعالى ومع

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) في «ج»: انتهى المراد منه في كتاب الجامع...

[111] أحمد زروق، كتاب الجامع لجمل من الفوائد والمنافع. ص: 101 «مخطوط من ضمن مقتنيات الخزانة العامة بالرباط تحت رقم «2207د».

الخلق، مع الله تعالى باستقامة أحواله، ومع الخلق بمكارم الأخلاق. وإنما اشترط في الشيخ أن تكون أحواله مرضية لأنه يقتدى به فيها. وإنما أمر التلميذ بملازمة شيخه ليقتدي به في أحواله، والأقوال والأفعال يمكن أن يقتدي به وإن لم يلازمه فافهم. ثم قال: وبصيرة نافذة. قلت: لينظر بها بنور الله تعالى في أصول تابعيه الباطنة إذ الشيخ مطالب بالنظر في ظاهر الفقير وباطنه، ولا يتوصل إلى النظر [إلى الباطن(1)] إلا بالبصيرة فمن لا بصيرة له ينظر بها بنور الله تعالى فتابعوه معه على غرر لعدم اطلاعه على بواطنهم. وهذه الأوصاف كلها قد وجدت في سيدنا ومولانا محمد ﷺ إذ لما جعله الله تعالى هادياً إليه ودليلاً يدل عليه، وأمر الخلق بالاقتداء به ﷺ جمع فيه مكارم الأخلاق. فوارثيه لا بد أن يكونوا على خلقه وقلَّ والله أن يوجد في زماننا هذا مَنْ هذه أوصافه، ولذلك كثر الحرمان، وقلّ الانتفاع، واندرست الطريق، وجاد الفقراء على المنهج القويم، وتصدّر للتربية من ليس هو أهل لها فضل وأضل فإنا لله وإنا إليه راجعون. ولا تصلح المشيخة الكاملة إلا لمن كان على قدم رسول الله ﷺ وهو: من كملت أحواله، واستقامت أقواله وأفعاله، وكان متخلقاً بالقرآن العظيم، متحلياً بمعاني أسماء الله الحسنى، وكان ذا علم راسخ، وعقل سليم، ونفس طاهرة، فامحى هواه، وانشرح صدره، وتنور قلبه بأنوار المعرفة فسلمت فطنته وفطرته، وتنورت بصيرته، وترجح رأيه، وأخذ عن وارث كما قال سيدي أبو مدين[112] - رضي الله عنه - الشيخ من شهدت له ذاتك بالتقديم وسرك بالتعظيم. الشيخ من هذّبك بأخلاقه، وأدّبك بإطراقه، وأنار باطنك بإشراقه الشيخ من

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل المنقول عنه وهو الدرة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة للخروبي.

---

[112] هو: أبو مدين شعيب بن الحسن الأندلسي التلمساني. من أشهر صوفية عصره أندلسى الأصل أقام بفاس وسكن بجاية وكثر أتباعه حتى خشيه السلطان يعقوب المنصور. توفي بتلمسان سنة «594هـ - 1198م». أنس الفقير ص: 11 وما بعدها - تعريف الخلف جـ 2 ص: 172 - الأعلام جـ 3 ص: 244.

جمعك في حضوره وحفظك في مغيبه. [وقال: لا يجلس على رتبة البيعة إلا من تمسك باثني عشر وصفاً. يتمسك من آدم عليه السلام (بالحزن والسياحة، ومن يوسف عليه السلام بالأمانة والعفة، ومن يعقوب عليه السلام)(1) بالشوق والصبابة، ومن أيوب عليه السلام بالشكر والصبر، ومن موسى عليه السلام بالإخلاص، والمناجاة، ومن محمد ﷺ بالعلم والخلق. ومتى عجز على هذه الأوصاف فمبايعته حرام(2)]. وقال الشيخ ابن عطاء الله ـ رضي الله تعالى عنه ـ في لطائف المنن[113]: «ليس شيخك من سمعت منه إنما شيخك من أخذت عنه، وليس شيخك من واجهتك عبارته إنما شيخك الذي سرت فيك إشارته، وليس شيخك الذي دعاك للباب إنما شيخك من رفع بينك وبينه الحجاب، وليس شيخك من واجهك مقاله إنما شيخك الذي نهضك حاله. شيخك هو الذي أخرجك من سجن الهوى ودخل بك على المولى. شيخك الذي ما زال يجلو مرآة قلبك حتى تجلت فيها أنوار ربك نهض بك إلى الله فنهضت إليه وسار بك حتى وصلت إليه وما زال محاذياً لك حتى ألقاك بين يديه فزج بك في نور الحضرة وقال ها أنت وربك»[114]. ثم قال رحمه الله تعالى: ومن فيه خمسة لا تصح مشيخته. قلت: لما ذكر رحمه الله الشروط التي لا بد من وجودها في الشيخ فظهر من كلامه التسليم في المشيخة لمن وجدت فيه الشروط المذكورة اتبعنا كلامه رضي الله تعالى عنه من كلام المشايخ بما ينتبه به على أوصاف الشيخ الكامل، فأخذ رحمه الله بذكر أوصاف ما لا تصح مشيخته ليتحذر منه فقال: الجهل بالدين. قلت:

(1) ما بين الأقواس ساقط من «ج».

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل المقارن به وهو نسخة [illegible] الدرة الشريفة للخروبي.

[113] لطائف المنن في مناقب الشيخ أبو العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبو الحسن. من تأليف العارف بالله الشيخ تاج الدين ابن عطاء الله السكندري المتوفي سنة «709هـ ـ 1309م» ذكر فيه جملاً من مناقب الشيخ أبو العباس المرسي وشيخه الشاذلي أبو الحسن. وقد طبع الكتاب أكثر من مرة.

[114] ابن عطاء الله، لطائف المنن. ص: 276.

لأن الجاهل بالدين لا يصح الاقتداء به أصلاً فهو لا يهدي نفسه. فكيف يهدي غيره؟ فالجاهل أعمى لا يهتدي إلى الطريق. فكيف يهدي غيره إليها؟ هذا في المحسوسات فكيف في المعاني؟ الثاني قال: وإسقاط حرمة المسلمين. قلت: لأن سقوط حرمتهم عنده يقتضي عدم الاهتمام بهم والنصح لهم جرياً على طريقه ﷺ. الثالث[1] قال: والدخول فيما لا يعني. قلت: لأن ذلك من الفضول الداعي إلى شر عظيم ونقص كبير ومن دخل فيما لا يعنيه [ترك ما يعنيه[2]]، وليس ذلك من أحوال من يقتدى به. الرابع قال: واتباع الهوى في كل شيء. قلت: لأنه مضل عن سبيل الله تعالى. والشيخ وظيفته أن يهدي إلى سبيل الله تعالى ومن ضل عنها لا يهدي غيره، والشيخ يأمر بمخالفة الهوى في كل شيء. وكيف يأمر بمخالفته وهو متبع له؟ فلا يمكنه ذلك وإن أمكنه لا يفيد منه شيء. الخامس قال: وسوء الخلق من غير مبالاة. قلت: من ساء خلقه لا تصح مشيخته لأن الشيخ يحتاج إلى خلق عظيم، وقلب سليم، وحال كريم. وكيف لا؟ وهو مطالب أن يسع الناس بأخلاقه لأنه يأتيه الجاهل ذو الفضاضة والغلظة فيقابله بحسن خلق وسلامة قلب فبذلك تصح الهداية. وقد أمر الله تعالى نبيه ﷺ بما هو نتاج حسن الخلق وهو: العفو والصفح. فقال تعالى: ﴿فَٱعۡفُ عَنۡهُمۡ وَٱصۡفَحۡ﴾[115] وقضاياه ﷺ الدالة على حسن خلقه كثيرة مشهورة معلومة كقضيته عليه الصلاة والسلام مع الأعرابي الذي جذبه من ردائه حتى أثرت حاشية الرداء في عنقه ﷺ[116]، ومع اليهودية[117] التي سمته في الذراع[118]. ومع الذي قال له: يا محمد

---

(1) في «ج» الثالث في الدخول فيما لا ينبغي ولا يعني.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

[115] المائدة: 13.

[116] صحيح مسلم «جـ3 ص: 103» كتاب الزكاة - باب إعطاء من سأل بفحش وغلظة.

[117] وهي: زينب بنت الحارث أخت مرحب اليهودي. غوامض الأسماء المبهمة. جـ 1 ص: 162.

[118] صحيح مسلم «جـ5 ص: 39» كتاب السلام - باب السحر.

أفتمنعني حقي فإنكم يا بني عبد المطلب[119] قوم مطل[120]. وكثير من هذا المعنى الدال على خلقه وعفوه اللذين هما نتائج حسن الخلق. وقد مدحه سبحانه وتعالى بحسن الخلق بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[121] [فوارثوه فلا بد وأن يكونوا على قدمه ﷺ في خلقه وفي جميع أحواله. وليكن الشيخ ذا خلق(1)] عظيم فيحتمل الجفوات، ويتجاوز عن العدوات، ويعفو عن السيئات، ويقيل العثرات، وينقل ذوي الأخلاق الذميمة إلى الأخلاق الحميدة بالحكمة والموعظة الحسنة. قوله: من غير مبالاة. يريد والله أعلم لا يبالي في إساءة خلقه في حق أو باطل فإن كان ولا بد فليغضب لله تعالى. قال رضي الله عنه: وآداب المريد مع الشيخ والإخوان خمسة. قلت: لما ذكر ما يشترط في الشيخ ومن تصح مشيخته ومن لا تصح مشيخته أخذ يذكر آداب المريدين مع الشيخ ومع الإخوان مع أن بعض الآداب اللازمة للمريد مع شيخه قد لا تكون مع الإخوان لتفاوت الحقوق ولكن الشيخ رضي الله عنه أورد حكمهما لتقارب الحقوق فافهم. وربّ أخ بمنزلة الشيخ فيعطى حقوق الأدب. الأول: قال رحمه الله تعالى: اتباع الأمر وإن ظهر له خلافه. قلت: وهو أحق وأوكد الآداب الخمسة، كما أن الخمسة أوكد من غيرها من الآداب. إذ آداب المريد مع الشيخ كثيرة ذكرها الشيوخ في كتبهم لكن وإن كثرت فمدارها كلها على الخمسة التي ذكرها الشيخ، وإنما لزم المريد اتباع أمر شيخه لما

---

[119] هو: أبو الحارث عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف. جد رسول الله ﷺ وزعيم قريش في الجاهلية وأحد سادات العرب ومقدميهم. ولد بالمدينة ونشأ بمكة وبها كانت وفاته سنة «45ق هـ ـ 579م». الطبري جـ 2 ص: 176 ـ ابن الأثير جـ 2 ص: 4 ـ الأعلام جـ 4 ص: 145.

[120] المطل: التسويف والمدافعة بالعدة والدين وليانه. ابن منظور، لسان العرب جـ 3 ص: 500.

[121] القلم: 4.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل المقارن به وهو نسخة الخزانة العامة بالرباط من النبذة الشريفة للخروبي.

فيه من المصالح العامة، ولو لم يكن فيه إلا خروجه من مراده لما في ذلك من الخروج عن الهوى. قال الشيخ أبو القاسم القشيري ـ رضي الله عنه ـ شرط المريد أن لا يتنفس نفساً إلا بإذن شيخه، ومن خالف شيخه في نفس سراً أو جهراً فيسري عنه من غير ما يحبه سريعاً. ومخالفة الشيوخ فيما يسترونه منهم أشد ممّا يكابدونه بالجهر وأكثر لأن هذا يلتحق بالخيانة، ومن خالف شيخه لا يشم رائحة الصدق. فإن برز منه شيء من ذلك فعليه بسرعة الإعذار والإفصاح عما حصل منه من المخالفة والخيانة ليهديه شيخه إلى ما فيه كفارة جرمه، ويلتزم في الغرامة ما يحكم به عليه. فإذا رجع المريد إلى شيخه بالصدق. وجب على شيخه جبران نقصه بهمّته. فإن المريدين عيال على شيوخهم فرض عليهم أن ينفقوا عليهم من قوت أموالهم ما يكون جبراناً لتقصيرهم. انتهى وقال الشيخ العارف الرباني أبو العباس أحمد البوني[122] رحمه الله تعالى ورضي عنه: إيَّاك: أن تحقر فعلاً يخطر لك ألا تلقيه للشيخ طاعة كان أو معصية على نوع بروزه لك، ولو اختلف عليك ألف مرة في الساعة، اختلفت عليه ألف ساعة في الخاطر ليعلمك الدواء الذي تزعجه به، أو يحمل عنك بهمته. قال: ولقد رأيت تلميذاً من أصحاب الإمام تاج العارفين أبي محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي[123] ـ رحمه الله تعالى ـ وكنت

---

[122] هو: أبو العباس أحمد بن علي بن يوسف البوني. نسبة إلى بونة بأفريقية على الساحل متصوف مغربي الأصل له مصنفات عديدة في علم الحروف منها: «شمس المعارف الكبرى» و«لطائف المعارف في علم الحروف والخواص» في أربعة أجزاء و«رسالة في شرح اسم الله الأعظم». توفي بالقاهرة سنة «622هـ ـ 1225م». جامع كرامات الأولياء جـ 2 ص: 25 ـ معجم المؤلفين جـ 2 ص: 25 ـ الأعلام جـ 1 ص: 169.

[123] هو: أبو محمد عبد العزيز بن أبي بكر القرشي المهدوي. الشيخ العارف أخذ عن الشيخ أبي مدين شعيب وكانت له معه مكاتبات ومراسلات. توفي سنة «671هـ ـ 1272م». أنس الفقير ص: 97 ـ جامع كرامات الأولياء جـ 2 ص: 72.

جالساً عنده فدخل عليه بعض تلامذته وفي يده بقلات فقال: يا سيدي وجدت هذه البقلات فما أصنع بها؟ فقال: اتركها حتى تفطر عليها. فقلت: يا سيدي حتى البقلات يعلمك بها. فقال: يا ولدي لو خالفني في لحظة من خطراته لم يفلح أبداً. انتهى[124]. قلت: وإنما يصح هذا في حق الشيخ الوارث الرباني الذي هو نائب عن الله تعالى في عباده، وخليفته في بلاده بأمره ونهيه بالله. فهو يتكلم بالله ومن الله ولا شك أن من خالف من هذه الأحوال الربانية أحواله لا يفلح أبداً لأن مخالفته لله ولرسوله ﷺ. الثاني: اجتناب النهي. قلت: كما لزم المريد اتباع أمر شيخه لزمه أيضاً اجتناب نهيه لأن[1] المقصود الذي أمره به نهاه فما أمر إلا بقصد حسن. وإن ظهر للتلميذ في الأمر والنهي خلاف ما قصده الشيخ فوجب ترك نظره لنظر شيخه فيما أمره به ونهاه عنه، لأنه أعلم بالمصالح والمضار فيمتثل أمره ويجتنب نهيه وإن كان في ذلك حتف أنفه. والثالث قال: وحفظ حرمته حاضراً أو غائباً حياً أو ميتاً. قلت: لأن حرمته من حرمة الله وحرمة رسوله ﷺ لأنه نائب عنهما. فمن حفظ حرمة شيخه حفظ الله حرمته، ومن أهانها أهانه الله تعالى. وما تضرر كثير من المريدين إلا لعدم حفظهم حرمة المشايخ فحرموا بذلك من بركاتهم. ويدخل في حفظ الحرمة اعتقاد الكمال. والرابع قال: «والقيام بحقوقه بقدر الإمكان بلا تقصير». قلت: كما لزم الشيخ القيام بحقوق المريد لزم المريد القيام بحقوق شيخه وإلا لم يكن إنصافاً. قال بعضهم: القيام بالحقوق توجب الحقوق. وحقوق الشيخ على تلميذه كثيرة والقيام بها عسير إلا لمن وهب لشيخه كله، وحمل عنه كله، واعترف مع ذلك بالتقصير فافهم. والخامس قال: «وعزل عقله وعلمه ورئاسته إلا ما يوافق ذلك من شيخه» قلت: لا يحسن بالمريد أن يرجع في أموره إلى عقله

(1) في «ج» من المقصد الذي أمره به ونهاه فما أمره إلا لمقصد حسن.

[124] ورد في شرح الحكم لابن عباد ج 2 ص: 70.

وعلمه وسياسته إذ قل ما ينجح فاعل ذلك، وأن يرجع المريد في جميع أحواله إلى نظر شيخه إذ هو أعلم به من نفسه وبذلك يكون الفتح ويحصل المقصود. نعم لو وافق ما عنده ما عند شيخه فلا يرجع إلى ما عنده إلا بالإشارة من الشيخ إذ في ذلك الخروج عن المراد وخمود النفس تحت قهر الأمر المخرج لها من مرادها فافهم، وفي ذلك تجوهرها. قال رحمه الله تعالى: «ويستعين على ذلك بالإنصاف والنصيحة». [قلت: لأن بالانصاف تقع المساعدة والموافقة[(1)] وبالنصيحة يحصل الانقياد والقبول. قال رحمه الله: وهي معاملة الإخوان. قلت: يريد الإنصاف والنصيحة. قوله: إن لم يجد شيخاً مرشداً. قلت: [مفهومه[(2)] إن المشيخة مقدمة على الأخوة وهو كذلك لعموم نظر الشيخ في الأمور وذلك لكماله واستيفاء شروط المشيخة فيه. قال رحمه الله تعالى: وإن وجده ناقصاً عن شروطه الخمسة اعتمد عليه فيما كمل فيه. قلت: يريد من الشروط. قوله: وعومل بالأخوة في الباقي. [قلت[(3)]: يريد فيما لا يوجد فيه من الشروط والله المستعان ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً. انتهى من النبذة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة[125].

قلت: قال شيخنا عبد الواحد الدكالي[(4)]: الطريقة الشاذلية في التربية إنما هي بالهمّة، والسر كله في صدق المريد، فصدقه هو شيخه وهو الذي يردّ له كل شيطان ملهما. قال ابن عطاء الله: «لا يعوزك وجدان الدليل وإنما يعوزك وجدان الصدق في طلبهم. جد صدقاً تجد مرشداً. ثم قال: فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله اضطرار الظمآن إلي الماء، والخائف إلى الأمن لوجدت ذلك أقرب إليك من

(1) (2) (3) ما بين الحواصر ساقط من «ج».

(4) في «ج» قال شيخنا عبد السلام بن سليم. وهو وهم من الناسخ.

---

[125] الخروبي، النبذة الشريفة أو الدرة الشريفة في الكلام على أصول الطريقة. ص: 53 ـ 59 «مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم «2201د» ونسخة أخرى تحت رقم «2705د» كلاهما ضمن مجموع».

وجود طلبك، [ولو اضطررت إلى الله سبحانه اضطرار الأم لولدها إذا فقدته لوجدت الحق منك قريباً ولك مجيباً ولَوَجَدْتَ الوصول غير متعذر عليك، ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك(1)]»[126]، قال الشيخ أبو عبد الله القرشي[127]: إذا تحققت طبت الأعيان. قال في لطائف المنن: «سئل بعض العارفين عن أولياء المدد أينقصون في زمن واحد؟ قال: لو نقص منهم واحد ما أرسلت السماء قطرها ولا أبرزت الأرض نباتها. وفساد الوقت لا يكون بذهاب أعدادهم ولا بنقص أمدادهم ولكن إذا فسد الوقت كان مراد الله سبحانه وقوع اختفائهم مع وجود بقائهم، فإذا كان أهل الزمان معرضين عن الله مؤثرين لما سوى الله لا تنفع فيهم الموعظة، ولا تميلهم إلى الله التذكرة، لم يكونوا أهلاً لظهور الأولياء فيهم ولذلك قالوا: أولياء الله عرائس ولا يرى العرائس المجرمون(2)»[128] فمن حقق نسبته إلى شيخ معين من أهل عصره وصدق في محبته، وفي محبة من انتسب إليه انتفع منه. إذ لا يحل لمسلم أن يقول: إن التربية انقطعت مستدلاً بما ذكره مولانا زروق وغيره. وكم رأينا من مشايخ بعد مولانا زروق ومولانا عبد الواحد كالشيخ سيدي محمد بن حجلة وسيدي عبد الحميد بن إجلال وهما من أعظم المربين وأضرابهما. وممّن سمعنا به أكثر فلا يصح حمل ذلك الكلام وإطلاقه، ففي كل عصر سادة وقادة. قال شيخنا عبد الواحد ـ رحمه الله ـ من دخل في طريقتي وصدق في إرادته معي أنا أربيه سواء كنت حياً أو ميتاً. وقال: من عمل بكلامي رقي مقامي

---

[126] ابن عطاء الله، لطائف المنن. ص: 66.

[127] لعله: أبو عبد الله محمد بن سعيد القرشي. زاهد صوفي له كتاب «شرح التوحيد». الحلية جـ 10 ص: 337. أو: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم القرشي المتوفى ببيت المقدس سنة «599هـ ـ 1202م». جامع كرامات الأولياء. جـ 1 ص: 82.

[128] ابن عطاء الله، لطائف المنن، ص: 22.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) في الأصل: ولا يرى العرائس إلا المحرم.

وقال: طريقتنا العروسية أقرب إلى الله من كل طريقة وهي مأخوذة عن رسول الله ﷺ بسلسلة ممتدة، فمن حلف يميناً بالله إن الطريقة العروسية هي التي كانت عليها بواطن أصحاب رسول الله ﷺ لم يحنث في يمينه. وقال: ولا بد من تصحيح النية عند أخذ العهد، وهو السر في جميع ما تقدم وما سيأتي لأن الصوفية قالت: النية هي المطية، ومن لم تكن له نية فليست له مطية. وهذا عند أخذ التلقين والتوبة على [يد[1]] شيخ أو نقيب مأذون. قال النبي ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات ولكل امرىء ما نوى»[129].

وقال عليه السلام: «لا قول ولا عمل إلا بنية، ولا قول ولا عمل ولا نية إلا بموافقة السنة»[130]. وقال عليه السلام: «لو أحسن أحدكم بحجر لنفعه»[131]. قال سيدي علي بن وفا[132] رضي الله عنه:

---

[129] هو بعض حديث مشهور متفق عليه رواه البخاري في صحيحه «جـ1 ص: 16» كتاب الإيمان ـ باب ما جاء أن الأعمال بالنية... من حديث عمر بن الخطاب بلفظ: «الأعمال بالنية ولكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه».

وقد روي بلفظ: «إنما الأعمال بالنيات.. الخ..» كما في سنن ابن ماجه «جـ2 ص: 1413» كتاب الزهد ـ باب النية.

وقد أورده أيضاً باقي أصحاب الكتب الستة، وأحمد، وأبو نعيم في الحلية، والدارقطني في غرائب مالك، وابن عساكر في أماليه.

[130] أخرجه الديلمي في الفردوس «جـ5 ص: 185» من حديث علي رضي الله عنه وكرم الله وجهه.

[131] المتعارف عليه بين العوام قولهم «لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه» وقد أورد لنا الألباني خلاصة ما قيل فيه بقوله: «لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه، موضوع كما قال ابن تيمية وغيره قال الشيخ علي القارىء في موضوعاته. وقال ابن القيم هو من كلام عباد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار. وقال ابن حجر: لا أصل له». الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة جـ 1 ص: 453.

[132] هو: أبو الحسن علي بن محمد بن وفا القرشي الأنصاري، كان من =

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

من مشهدك يأتيك روح مددك لأن المدد لا ينقطع من الأولياء إلى أن يأتي أمر الله. فلو اضطررت إلى من يوصلك إلى الله اضطرار الضمآن إلى الماء لوجدت ذلك أقرب إليك من وجود طلبك، ولو اضطررت إلى الله سبحانه اضطرار الأم لولدها إذا فقدته لوجدت الحق منك قريباً ولك مجيباً ولوجدت الوصول غير متعذر عليك، ولتوجه الحق بتيسير ذلك عليك[133].

**واعلموا**: أن أخذ العهد له أصل في الشرع العزيز لأن الله تعالى أخذه من الأرواح قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[134] قال: هلموا أعهدكم. وإليه الإشارة بقول العلماء: يوم ألست بربكم.

قال ابن سبعين[135]: لقد أخذ العهد من الأرواح ثم غيبهم في الغيب فلما وجد الجسمانية وربطها مع الأرواح الروحانية قرّرهم على العهد القديم وذكّرهم عليه، ثم ردّهم إلى الغيب في الأصلاب، ثم أبرزهم في الذر فذكّرهم بالعهد كما أخبر به سبحانه وتعالى بقوله:

---

= اليقظين الحادّي الذهن مشتغلاً بالأدب والوعظ من مؤلفاته «الباعث على الخلاص في أحوال الخواص» و«الكوثر المترع من الأبحر الأربع» في الفقه و«ديوان شعر» ولد سنة «759هـ ـ 1357م» و«وتوفي سنة «807هـ ـ 1404م». الضوء اللامع جـ 6 ص: 21 ـ جامع كرامات الأولياء جـ 2 ص: 185.

[133] لطائف المنن. ص: 66.

[134] الأعراف: 172.

[135] هو: أبو محمد عبد الحق بن إبراهيم بن سبعين الأشبيلي المرسي الرقوطي. من زهاد الفلاسفة ومن القائلين بوحدة الوجود. من مؤلفاته «الحروف الوضعية في الصور الفلكية» و«البد» و«اللمع» قال بكفره كثير من الناس كما له أتباع ومريدون يعرفون بالسبعينية. ولد سنة «613هـ 1216م» وتوفي سنة «669هـ ـ 1270م». نفح الطيب جـ 1 ص: 421 ـ شذرات الذهب جـ 5 ص: 329 ـ الأعلام جـ 3 ص: 280.

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ﴾[136] الآيـة. ثـم ردهـم إلـى الأصلاب حتى يبرزهم على عالم الغيب والشهادة ونسي بعضهم، ثم ظلمة غيوب الأصلاب وحرضهم على العهد فمن نسي عهد الله تعالى انتقم منه بناره، ومن أوفى بالعهد كان من أهل الجنة. قال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِيٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ﴾[137]. وقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾[138]. اللهم: لا تجعلنا من الناقضين للعهود ولا من المخالفين للحدود. والحاصل أن أخذ العهد له أصل في الكتاب والسنة والاجماع.

**وعليكم**: بالإخلاص في كل الطاعات والعبادات. والإخلاص هو: إفراد الحق سبحانه وتعالى في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله تعالى. كذا قرره القشيري[139] فما خرج عن هذا القصد فهو رياء. قال ﷺ: «من طلب الدنيا بعمل الآخرة فما له في الآخرة من نصيب»[140]. وقال الشيخ أبو الحسن الشاذلي - رضي الله عنه - الإخلاص نور من نور الله تعالى استودعه قلب عبده المؤمن ليقطعه به عن غيره. فذلك هو الاخلاص الذي لا يطلع عليه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله. وتتشعب عنه أربع إرادات: إرادة الاخلاص [في العمل(1)] على التعظيم لله. وإرادة الاخلاص على التعظيم لأمر الله. وإرادة الاخلاص لطلب الأجر والثواب. وإرادة الاخلاص في تصفية العمل من الشوائب. فلا يراعي فيه غير ذلك وكل هذه الإرادات استعبدنا بها(2) فمن تمسّك بواحدة منها فهو مخلص. وهم درجات عند الله والله بصير بما يعملون وإلى

[136] الأعراف: 172.

[137] البقرة: 40.

[138] المائدة: 13.

[139] القشيري: الرسالة. ص: 207.

[140] أورده المتقي في كنز العمال «ج10 ص: 203» عن أنس وعزاه للديلمي.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) في «ج» استعهدنا به.

ذلك الإشارة بقوله تعالى فيما يحكي عنه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ: «الاخلاص سر من سري استودعته قلب من أحببت من عبادي»[141]. وقال: رأيت كأني أطوف بالكعبة طالباً من نفسي الإخلاص وأنا أفتش عليه في سري فإذا النداء علي لم تدنون(1) مع من يدنون وأنا السميع البصير القريب العليم الخبير وتعريفي(2) يغنيك عن علم الأولين والآخرين ما خلا علم الرسل وعلم النبيين. وإنما هو أربعة: إخلاص من مخلص بمخلص به لمخلص له. وهو على ضربين إخلاص الصادقين وإخلاص الصديقين فإخلاص الصادقين لطلب الأجر والثواب وإخلاص الصديقين وجود الحق مقصوداً به لا شيء من غيره فمن استودع ذلك في قلبه فهو المستثنى على لسان عدوه بقوله: ﴿وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾[142]. وقال: إن أردت السلامة من الغرور فأخلص العمل لله بشرط العلم ولا ترضَ عن نفسك بشيء. وقال يحكي عن غيره: من عمل بقصد الدرجات في الجنة فقد رضي بالقليل بدلاً عن الكثير لأنه هو المتكفل بنا. إلى أن قال: ولا يحل لمسلم أن يقول بصميم قلبه: عبادتي تدخلني الجنة، أو تسببي يرزقني. بل يخلص عمله لله ويفوض أمره إلى الله[143]. قلت:

**وعليكم**: بتلاوة القرآن في كل حين وأوان إن كنتم تحفظونه فإن

---

[141] أورده الغزالي في الإحياء عن الحسن رضي الله عنه. وقال العراقي في تخريجه: «رويناه في جزء من مسلسلات القزويني مسلسلاً يقول كل واحد من رواته سألت فلاناً عن الاخلاص فقال... وهو من رواية أحمد بن عطاء الهجيجي عن عبد الواحد بن زيد عن الحسن عن حذيفة عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله تعالى. وأحمد بن عطاء وعبد الواحد كلاهما متروك وهما من الزهاد. ورواه أبو القاسم القشيري في الرسالة من حديث علي بسند ضعيف». المغني بذيل الإحياء جـ 4 ص: 322.

[142] الحجر: 39 ـ 40. وص: 82 ـ 83.

[143] ابن الصباغ، درة الأسرار. ص: 140 وما بعدها.

(1) في «ج» لم تدبرون وأنا السميع البصير.

(2) في «ج» وتعرفي.

لم تكونوا تحفظونه فعليكم بالإنصات لقارئه مع التدبر فإن صعب عليكم التدبر أي فهم معانيه فلا تتدبروه بالجهل فإن تدبرتموه بالجهل كأنكم فسرتموه فالمدبر كالمفسر ومن قال بتفهمه من غير فهم فلا أصل لكلامه إذ «لا يحلّ لأحد أن يقدم على شيء حتى يعلم حكم الله فيه» [الحديث][144](1) وكان شيخنا يقول: لا يحل لمسلم أن يتدبر القرآن بالجهل فيدخل في قوله عليه السلام: «من فسر القرآن برأيه وأصاب فقد أخطأ فإن لم يصب فقد كفر»[145] الحديث. إلى أن قال: والتدبر من غير فهم أصل من أصول الكفر والعياذ بالله فمن حفظ القرآن وتمهر فيه فعليه بفهم معانيه وتجويده فمن لم يكن كذلك لا فائدة له في قراءته وتكون تعتعته خاسرة. فاقرأوا القرآن على ما سلكه السلف الصالح من ضبط ورسم وتجويد وفهم. وأكثروا من التلاوة فيه فهو من أشرف العبادات في ديننا معاشر الإسلام. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾[146]. وقال النبي ﷺ: «القرآن غناء لا غناء دونه ولا فقر بعده»[147] [وقال عليه السلام: «لا فاقة لعبد يقرأ القرآن ولا غناء له بعده»(2)][148]

---

[144] لم أقف عليه. وهو من الأحاديث التي كثيراً ما يستشهد بها الفقهاء. يقول ابن الصلاح «وقول المصنفين من الفقهاء وغيرهم قال رسول الله ﷺ كذا وكذا ونحو ذلك كله من قبيل المعضل» والمعضل: نوع من أنواع الحديث الضعيف وهو عبارة عما سقط من إسناده اثنان فصاعداً. مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح «ص: 147».

[145] لم أعثر عليه بلفظه وقريب منه ما أخرجه الترمذي في جامعه «جـ4 ص: 369» أبواب تفسير القرآن ـ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه. عن جندب بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ».

[146] فاطر: 29 ـ 30.

[147] أخرجه الديلمي في الفردوس «جـ3 ص: 229، عن أنس بن مالك، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة «جـ4 ص: 62» مع اختلاف في بعض ألفاظه.

[148] أخرجه الشهاب في مسنده «جـ2 ص: 46» عن الحسن رضي الله عنه.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

وقال عليه السلام: «لا يجتمع الزنى والغنى في بيت ولا الفقر وقراءة القرآن في بيت». وقال عليه السلام: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن أقول ألف حرف ولام حرف وميم حرف»[149]. وقال عليه السلام: «قراءة القرآن نور فمن شاء نور بيته»[150]. وقال عليه السلام: «القرآن هو الدواء»[151]. وقال عليه السلام «من لم يستشف بالقرآن فلا شفاه الله»[152]. وقد قال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[153]. وقال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[154]. أي من الأوجاع. وقال ﷺ «حملة القرآن هم المحفوفون برحمة الله، الملبسون نور الله، المعلمون كلام الله، من عاداهم فقد عادى الله، ومن والاهم فقد والى الله. يقول الله:

يا حملة كتاب الله تحببوا إلى الله بتوقير كتابه يزدكم الله حباً ويحببكم إلى خلقه. ويدفع عن مستمع القرآن شر الدنيا، ويدفع عن تالي القرآن بلوى الآخرة، ولمستمع آية من كتاب الله خير من صفرة ذهب ولتالي آية من كتاب الله خير مما تحت العرش إلى تخوم الأرض السفلى»[155]. وقال عليه السلام: «خيركم من تعلم القرآن

---

[149] أخرجه الترمذي في سننه «جـ4 ص: 248» أبواب فضائل القرآن. باب ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

[150] أخرجه النازلي في خزينة الأسرار «ص: 69» عن أنس رضي الله عنه بلفظ: نوروا منازلكم بالصلاة وقراءة القرآن».

[151] أخرجه الديلمي في الفردوس «جـ3 ص: 229» عن علي كرم الله وجهه. وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة «جـ4 ص: 63».

[152] أورده المتقي في كنز العمال «جـ10 ص: 9». عن أبي هريرة وعزا روايته إلى الدارقطني في الأفراد.

[153] الاسراء: 82.

[154] فصلت: 44.

[155] جزء من حديث طويل أورده السيوطي في جمع الجوامع ص: 86 ـ 87 وعزا =

وعلمه»[156]. وقال عليه السلام: «خير ما أخذ عليه الأجر كتاب الله»[157]. وقال عليه السلام: «إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والظل يوم الحشر، والهدي من الضلالة فادرسوا القرآن فإنه كلام الرحمن، وحرز حريز من الشيطان، ورجحان في الميزان»[158]. وقال عليه السلام: «من شهد ختمة القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد الفاتحة كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله»[159] وقال ابن مسعود[160]: البيت الذي لا يقرأ فيه القرآن كالبيت الخرب الذي لا عامر له[161]. وقال أبو هريرة[162]: «البيت الذي يقرأ فيه القرآن تحضره الملائكة وتخرج منه الشياطين ويتسع بأهله ويكثر خيره، والبيت الذي لا يقرأ فيه القرآن تحضره الشياطين

---

= روايته إلى أبي نصر السجزي في الإبانة عن عائشة رضي الله عنها. كما أورده ببعض اختصار الغافقي في فضائل القرآن. ص: 6 عن محمد بن علي الهاشمي.

[156] أخرجه البخاري في صحيحه «جـ6 ص: 108» كتاب فضائل القرآن ـ باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه. عن عثمان رضي الله عنه.

[157] أخرجه البخاري في صحيحه «جـ4 ص: 12» كتاب الطب ـ باب الشرط في الرقية بقطيع من الغنم. عن ابن عباس بلفظ: «إن أحق ما أخذتم عليه أجراً كتاب الله».

[158] أخرجه الديلمي في الفردوس «جـ5 ص: 371 ـ 372» عن عصيف بن الحارث مع اختلاف يسير في اللفظ. كما أورده الغافقي في فضائل القرآن. ص: 18 عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه.

[159] أورده الغافقي في فضائل القرآن ص: 26 عن حذيفة. وبلفظ متقارب أخرجه أبو محمد الدارمي في سننه «جـ2 ص: 468» كتاب فضائل القرآن ـ باب فضل من قرأ القرآن. عن أبي قلابة.

[160] تقدمت ترجمته في الرسالة الثامنة. ص: 228.

[161] أخرجه الغافقي في فضائل القرآن. ص: 20.

[162] هو: أبو هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي صحابي جليل كان من أكثر الصحابة حفظاً للحديث ورواية له بلغت مروياته «5374» حديثاً ونقلها عنه أكثر من «800» رجل ما بين صحابي وتابعي. ولد سنة «21ق هـ ـ 602م» وتوفي بالمدينة المنورة سنة «59هـ ـ 679م». تهذيب الأسماء واللغات جـ 2 ص: 270 ـ الاصابة ت 1179 ـ الأعلام جـ 4 ص: 429.

وتخرج منه الملائكة ويضيق بأهله ويقل خيره. فاقرؤوه فإنه يطفي غضب الله»[163]. وقال ﷺ: «من علم ولده آية من كتاب الله كان له أجرها حيث ما تليت وكتب الله له براءة من النار»[164]. وكذلك المؤدب الذي علّمه. ومن علّم ولده آية من كتاب الله حتى بكت عيناه فقد أدى ما أوجب الله عليه وتستغفر له الملائكة حتى إلى الموت. ويستغفر للمؤدب كل شيء طلعت عليه الشمس حتى الحيتان في البحر. ومن علم ولداً حتى كتب بيده كتب من الصديقين ومن علم ولده حتى بلغ سورة البقرة فقد بلغ درجة النبوة واستكمل النبوة إلا أنه لا يوحي إليه. كما ورد أنه: «يؤتى بحامل القرآن فيقال له اقرأ وارقَ»[165]. وقيل: عدد درج الجنة عدد حروف القرآن فمن حفظ القرآن كان في أعلى الجنة منزلة. وأي شيء أعظم من القرآن وهو كلام الله؟ وروي عنه ﷺ أنه قال: «إذا كان [يوم القيامة(1)] حامل القرآن يشفع في سبعين من أهل بيته» وقال ﷺ: «من أنفق على ولده درهماً كان أفضل عند الله من جهاد ألف سنة ولحرف واحد يكتبه الصبي في لوحه ويمحوه بيده فإنه يمحو(2) الذنوب عن والده ولو كانت مثل زبد البحر ومثل قطر الأمطار، ويستغفر له كل شيء خلقه الله، ويعطيه الله بكل حرف ألف مدينة في الجنة، وفي كل مدينة ألف دار في كل دار ألف بيت في كل بيت ألف سرير على كل سرير فراش من استبرق على كل فراش حوراء». وروت عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إذا سقطت دمعة الصبي على خده حين

---

[163] أخرجه أبو محمد الدارمي في سننه «جـ2 ص: 429» باختلاف في بعض ألفاظه.

[164] أخرجه السيوطي في جمع الجوامع «جـ3 ص: 138» عن أنس بلفظ: «من علم آية من كتاب الله كان له ثوابها ما تليت».

[165] أخرجه الترمذي في سننه «جـ4 ص: 250» أبواب فضائل القرآن ـ باب 19 عن عبد الله بن عمر بلفظ: «يقال ـ يعني لصاحب القران ـ اقرأ وأرق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرأ بها».

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».
(2) في «ج» فإن الله يمحو...

يضربه المؤدب أو ينهر عليه يغفر الله لوالديه وللمؤدب ذنوبهما أربعين يوماً وقيل أربعين سنة». وقال هلال بن سالف: من أعطى درهماً أو صاعاً على قراءة القرآن أفضل من ألف دينار يتصدق بها في سبيل الله. وقال عطاء بن رباح: كان رجل من أهل الفساد فلما مات رأيته في المنام فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال لي: عصيت الله أربعاً وثمانين سنة فلما كنت ذات يوم مررت بقوم يكتبون أجرة المعلمين لتعليم أولادهم القرآن وكان معي عشرون درهماً فدفعتها إليهم فلما مت أوقفني بين يديه وقال لي: أنت عبدي الذي أعطيت عشرين درهماً على كلامي. فقلت أنت أعلم يا سيدي ومولاي. فقال: إنك أعطيتهم لوجهي ليس فيهم رياء ولا سمعة فقد غفرت لك ذنوب أربعاً وثمانين سنة ولا أحاسبك بها سراً ولا جهراً ثم أعطاني ما لا عين رأت ولا أذن سمعت [ولا خطر على قلب بشر(1)] وقال ﷺ: «العلم للقلوب شفاء والقرآن للقلوب شفاء كما أن المريض يداوى بالأطباء فكذلك القلب يداوى بذلك والعلماء هم الأطباء والدنيا ظلمة والعلماء مصابيحها» وقال عليه السلام: «كما أن البيت إذا لم يكن فيه ساكن يخرب كذلك القلب إذ لم يكن فيه علم كمثل البيت المظلم» وقال عليه السلام: «من جالس العلماء فكأنما جالسني ومن صافح عالماً فكأنما صافحني»[166] وجاء في الحديث: «إن العلم حياة القلوب كما أن الماء حياة الأرض» وعن ابن عباس[167] ـ رضي الله عنه ـ قال: نظرت سبعين كتاباً فما وجدت فيها أفضل من تلاوة القرآن. وذكر النبي ﷺ: أن ثلاثة نفر من بني إسرائيل عبدوا الله سبعين سنة ولم يعصوه طرفة عين فتعجب ﷺ فنزل عليه سيدنا جبريل فقال: يا محمد

---

[166] جزء من حديث موضوع. أخرجه القاري في الموضوعات الصغرى «ص: 184» وابن عراق في تنزيه الشريعة «جـ1 ص: 272».

[167] سبقت ترجمته في الرسالة السادسة. ص: 170.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

إقرأ إنا أنزلناه هي أفضل مما تعجبت»[168] وقال عبد الملك: من شرّف علماً على القرآن فقد كفر. وقال ﷺ: «أفضل عبادة أمتي تلاوة القرآن»[169] وقال أيضاً: «اقرأوا القرآن فإنه يأتي شافعاً»[170] وقال ﷺ: «أفضل مني القرآن بسبع وسبعين درجة لأني مخلوق وكلام الله ليس بمخلوق»[171]. وقالت عائشة رضي الله عنها [قلت يا رسول الله ـ ﷺ ـ(1)] أرأيت من حفر بئراً بين الشام والمدينة، وغزا سبعين غزوة في سبيل الله ما ثوابه عند الله؟ قال: الثواب الجزيل آية من كتاب الله».

وقال زيد بن ثابت[172]: حدثني أبو هريرة ـ رضي الله عنهما ـ [أنه قال(2)]: جلست ذات يوم مع النبي ﷺ فقلت: يا رسول الله أوصني بوصية أنتفع بها. فقال: أوصيك بقراءة القرآن. فقلت: وما فضله؟ فقال: خلق الله العرش والكرسي وخلق الجنة ثمانمائة قائمة

---

[168] أخرجه السيوطي في الدر المنثور «جـ6 ص: 371» باختلاف يسير.

[169] أخرجه الشهاب في مسنده «جـ2 ص: 246» عن النعمان بن بشير.

[170] أخرجه مسلم في صحيحه «جـ6 ص: 90» كتاب صلاة المسافرين ـ باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة. عن أبي أمامة الباهلي بلفظ: «اقرؤوا القرآن فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه...».

[171] لم أقف عليه بلفظه وعجز الحديث يفيد نفي الخلق عن كلام الله، «القرآن» وفي هذا الصدد يقول البيهقي: «ونقل إلينا عن أبي الدرداء رضي الله عنه مرفوعاً «القرآن كلام الله غير مخلوق» وروي ذلك أيضاً عن معاذ بن جبل وعبد الله بن مسعود وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم مرفوعاً. ولا يصح شيء من ذلك أسانيده مظلمة لا ينبغي أن يحتج بشيء منها ولا أن يستشهد بشيء منها» الأسماء والصفات للبيهقي. ص: 239 ـ 244.

[172] هو: أبو خارجة زيد بن ثابت بن الضحاك الأنصاري الخزرجي. صاحب رسول الله ﷺ وأحد كتاب الوحي. ولد بالمدينة سنة «11ق هـ ـ 611م» ونشأ بمكة وهاجر مع النبي ﷺ وهو ابن إحدى عشر سنة فتعلم وتفقه في الدين وكان أحد الذين [illegible] القرآن في عهد النبي ﷺ من الأنصار وهو الذي كتبه في المصحف لأبي بكر ثم لعثمان حين جهز المصاحف إلى الأمصار. توفي سنة «45هـ ـ 665م». تهذيب التهذيب جـ 3 ص: 395 ـ غاية النهاية ص: 296 ـ الأعلام جـ 3 ص: 57.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من الأصل.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

وبين كل قائمة وقائمة ثلاثة ألف شجرة في كل شجرة مائة ألف عالم [كل عالم(1)] أكثر من أهل السموات والأرض يدعون بالمغفرة لحامل القرآن». وقال ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ قال رسول الله ﷺ: «ما من موضع يتلى فيه القرآن إلا افتخر على سائر الأرض»[173] وقال أحمد بن حنبل[174] ـ رضي الله عنه ـ رأيت ربي في المنام فقلت: يا رب بأي شيء يتقرب إليك المتقربون؟ فقال: بكلامي[175]. وقال عليه السلام: ما من موضع يتلى فيه القرآن إلا تزوره الملائكة سبعين مرة في الساعة» أيها الناس: القرآن ستة آلاف آية وستمائة وستون آية. ألف منها أمر وألف منها نهي وألف منها وعيد، وألف منها وعد. وألف منها عبر وأمثال، وألف منها قصص وأخبار، وخمسمائة منها حلال وحرام، ومائة منها تسبيح وتقديس وستون منها ناسخ ومنسوخ. وكل آية فيها قنطار والقنطار مائة رطل، والرطل فيه ستة عشر أوقية، والأوقية أربعون درهماً، والدرهم فيه قيراط، والقيراط أكبر من جبل أحد. وقال عمرو بن العاص[176] ـ رضي الله عنه ـ تلاوة آية من كتاب

---

[173] أخرجه النازلي في خزينة الأسرار «ص: 32» عن أنس بن مالك بلفظ: «ما من بقعة يصلي فيها أو يذكر الله عليها إلا استبشرت بذلك إلى منها إلى سبع أراضين وفخرت على ما حولها...».

[174] هو: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني الوائلي. إمام المذهب الحنبلي وأحد الأئمة الأربعة. من مؤلفاته «المسند» وهو يحتوي على ثلاثين ألف حديث و«الناسخ والمنسوخ» و«فضائل الصحابة» ولد سنة «164هـ ـ 780م» وتوفي سنة «241هـ ـ 855م». الحلية جـ 9 ص: 161 ـ تاريخ بغداد جـ 4 ص: 412 ـ الأعلام جـ 1 ص: 203.

[175] أخرجه الغافقي في فضائل القرآن. ص: 18 والغزالي في إحياء علوم الدين جـ 1 ص: 246.

[176] هو: أبو عبد الله عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي. فاتح مصر وأحد عظماء العرب ودهاتهم أسلم في هدنة الحديبية وولاه النبي ﷺ إمرة جيش «ذات السلاسل» وأمده بأبي بكر وعمر ثم استعمله على عمان كما ولاه عمر على فلسطين ولما كانت الفتنة بين علي ومعاوية انحاز إلى معاوية فولاه على =

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

الله أفضل من سبعين غزوة في سبيل الله. وقال: ما من موضع يتلى فيه القرآن إلا وتجلى له ربنا جل جلاله بقدرته ويقول: قد غفرت لأهل الموضع. وقال أنس ـ رضي الله عنه ـ ليلة أسري بنبينا ﷺ إلى أعلى عليين نظر إلى ساق العرش فنظر هناك قصراً عالياً له خمسة آلاف باب بين الباب والباب مسيرة خمسمائة عام وإذا بجارية من باب القصر وعلى رأسها تاج وعلى يدها حلة قد علا نورها على الشمس فقال: لمن أنت يا جارية؟ فقالت: أنا وثمانمائة ألف(1) جارية لمن يقرأ القرآن وقال عليه السلام: من صلى خلف حامل القرآن لم يحرقه الله بناره. وقالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ أهل القرآن يسبقون أهل العلم إلى الجنة بمائة عام. وقالت: من عليه ذنب فليقرأ القرآن. وقال معاذ بن جبل ـ رضي الله عنه ـ في جهنم واد(2) فيه جب يسمى بجب الإحراق لو قطرت منه قطرة بالمشرق لاحترق من كان بالمغرب فقلت لمن أعده الله قال: لمن يبغض حامل القرآن. وقال عطاء بن أبي رباح ـ رضي الله عنه ـ من قضى حاجة لحامل القرآن قضى الله له سبعين حاجة من حوائج الدنيا وسبعين حاجة من حوائج الآخرة. وعن عطية بن قيس[177] ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من كلام الله أفضل عندي من كلامه»(3)[178] وعن عبد الملك ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «القرآن حبل الله المتين لا تمله الألسنة

(1) في «ج» وثمانية ألف جارية.
(2) في «ج» في جهنم ألف واد فيها يسمى جب الإحراق.
(3) كذا في النسختين والمعنى مضطرب وغير مفهوم ويبدو أن هناك اسقاطاً من طرف الناسخ.

= مصر وأطلق يده في خراجها فجمع أموالاً طائلة. ولد سنة «50ق هـ ـ 574م» وتوفي بمصر سنة «43هـ ـ 664م». الاستيعاب بهامش الإصابة. جـ 2 ص: 501 ـ الإصابة ت8584 ـ الأعلام جـ 5 ص: 79.

[177] لعله: أبو يحيى عطية بن قيس الكلابي الشامي. قال عنه ابن حجر ثقة مقرىء من الثالثة مات سنة إحدى وعشرين وقد جاوز المائة . تقريب التهذيب لابن حجر جـ 2 ص: 25.

[178] لم أقف عليه والحديث مضطرب في لفظه ومعناه ولعل المراد قوله ﷺ «ما من كلام عند الله أعظم من كلامه». سنن الدارمي «جـ2 ص: 440».

ولا تشبع منه العلماء»[179] وقال ﷺ: أكثركم عبادة أكثركم للقرآن تلاوة[180] وقال الفضيل[181] ـ رضي الله عنه ـ حامل القرآن حامل راية الإسلام[182] وذكر الترمذي ـ رضي الله عنه ـ عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال: قال رسول الله ﷺ: حسنة حرف القرآن بعشر أمثالها. قال ابن مسعود: ولا أقول ألم حرف بل الألف حرف واللام حرف والميم حرف[183] وقال علي ـ رضي الله عنه وكرم وجهه ـ من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة، ومن قرأه في غير الصلاة وهو على وضوء(1) فخمسة وعشرون حسنة، ومن قرأه على وضوء فعشر حسنات[184]. وقال الترمذي ـ رضي الله عنه ـ عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله ﷺ أنه قال: يؤتى

[179] جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه «جـ4 ص: 245» أبواب فضائل القرآن ـ باب ما جاء في فضل القرآن عن علي رضي الله عنه.

[180] أخرجه الغافقي في فضائل القرآن «ص: 21» بلفظ: «أعبد الناس أكثرهم تلاوة للقرآن».

[181] هو: أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي اليربوعي شيخ الحرم المكي ومن أكابر العباد والزهاد. ولد في سمرقند سنة 105هـ 723م وتوفي بمكة سنة 187هـ 803م. الحلية جـ 8 ص: 84 ـ وفيات الأعيان جـ 1 ص: 415 ـ الأعلام جـ 5 ص: 153.

[182] أورده الغزالي في إحياء علوم الدين «جـ2 ص: 281» وهو جزء من حديث أخرجه الديلمي في الفردوس جـ 2 ص: 135 عن أبي أمامة بلفظ «حامل القرآن حامل راية الإسلام من أكرمه فقد أكرم الله ومن أهانه فعليه لعنة الله».

[183] سنن الترمذي «جـ4 ص: 248» أبواب فضائل القرآن ـ باب ما جاء في من قرأ حرفاً من القرآن ما له من الأجر.

[184] أخرجه الغافقي في فضائل القرآن ص: 12 بلفظ «قال علي رضي الله عنه من قرأ القرآن وهو قائم في الصلاة كان له بكل حرف مائة حسنة ومن قرأه وهو جالس في الصلاة كان له بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأه في غير الصلاة وهو على وضوء كان له بكل حرف خمس وعشرون حسنة ومن قرأه وهو على غير وضوء فعشر حسنات وما كان من القيام بالليل فهو أفضل لأنه أفرغ للقلب».

(1) في «ج» ومن قرأه في غير الصلاة على وضوء كان له بكل حرف عشر حسنات وقال الترمذي...

بصاحب القرآن يوم القيامة. فيقول: يا رب حملته في قلبي فألبسني حلة الكرامة، ويؤتى بأبويه فيفعل بهما كذلك. فيقولان: يا ربنا من أنزلنا هذه الكرامة ولا تبلغ بها أعمالنا؟ فيقول: بتعليم أولادكم لكلامي وبكرمكم للذي علمهم»[185] وعن معاذ بن جبل - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله ﷺ: إن أردتم عيش السعداء، وموت الشهداء، والنجاة يوم الحشر، والظل يوم النشور، والهدى بعد الضلال». قالوا: ذلك يا رسول الله، قال: «ادرسوا القرآن. فإنه كلام الرحمن، وحرز من الشيطان، وثقل في الميزان»[186]. وأما سور القرآن فإنها مائة وأربعة عشر سورة. المكي منها تسعون، والمدني أربعة وعشرون. وأعشاره ستمائة عشر وإحدى وعشرون عشر. وآياته ستة آلاف ومئتان وستة وثلاثون آية. وكلماته تسع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسعة وثلاثون كلمة. وأما حروفه فثلاثمائة ألف(1) وسبعون حرفاً. وللقارىء بكل حرف عشر حسنات، فإن قرأ في الصلاة فله بكل حرف خمسون حسنة، كما مرَّ. ومن أهم ذلك السور والآيات التي وردت فيها الفضليات قال النبي ﷺ: «تعلموا البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة»[187] وقال عليه السلام: «من قرأها - يعني البقرة - لن يدخل بيته شيطان ثلاثة أيام»[188]. ومنه المواظبة على آية الكرسي صباحاً ومساء وفي كل وقت. قال ﷺ: «ما قرئت في دار إلا هجرتها الشياطين ثلاثين يوماً، ولا يدخلها ساحر ولا ساحرة أربعين ليلة. يا علي علمها أهلك وولدك وجيرانك فما أنزلت

[185] لم أقف عليه في مظانّه من سنن الترمذي فلعله في مؤلفاته الحديثية الأخرى.

[186] الحديث سبق تخريجه بالهامش رقم: (158).

[187] جزء من حديث طويل أخرجه مسلم في صحيحه «جـ6 ص: 90» كتاب صلاة المسافرين باب فضل قراءة القرآن وسورة البقرة. من حديث أبي أمامة الباهلي.

[188] جزء من حديث أخرجه ابن حبان في صحيحه باختلاف في بعض ألفاظه. الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان جـ 3 ص: 59.

(1) في «ج» فثلاثة آلاف حرف وسبعون حرفاً.

آية أعظم منها»[189]. و«من قرأها إذا أخذ مضجعة أمنه الله على نفسه وجاره وجار جاره والأبيات حوله»[190]. قال الثعلبي[191]: «وقد جعل الله آية الكرسي أماناً لأهل الإيمان من شر الشيطان». ويروى: أن أبا هريرة كان معه مفتاح بيت الصدقة، وكان فيه تمر فذهب يوماً ففتح الباب فإذا التمر قد أخذ منه ملء الكف، ثم دخل يوماً آخر فإذا قد أخذ منه مثل ذلك. ثم دخل يوماً آخر فإذا هو قد أخذ منه مثل ذلك. فذكر ذلك النبي ﷺ فقال: أيسرك أن تأخذه؟ قال: نعم. قال: فإذا فتحت الباب فقل: سبحان من سخرك لمحمد ـ فذهب ففتح الباب. وقال ذلك، فإذا هو قائم بين يديه. فقال له: يا عدو الله أنت صاحب هذا؟ قال: نعم فإني لا أعود إلى ما كنت آخذه، إن لي أهل بيت فقراء من الجن. فتركه، ثم عاد فذكر ذلك للنبي ﷺ فقال: أيسرك أن تأخذه؟ قال: نعم. فقال له مثل ما تقدم ففتح الباب وقال: سبحان من سخرك لمحمد ﷺ، وإذا هو قائم بين يديه. فقال: يا عدو الله أليس قد عزمت أنك لا تعود؟ قال: دعني هذه المرة فإني لا أعود. فتركه، ثم أعاد الثالثة فأخذه فقال له: أليس عاهدتني أنك لا تعود، لا أدعك حتى أذهب بك إلى رسول الله ﷺ فقال: لا تفعل فإنك إن تدعني علمتك كلمات إذا قلتها لا يقربك أحد من الجن صغير ولا كبير ذكر ولا أنثى. قال له: أتفعلن. قال: نعم. قال: فما هي؟ قال: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ﴾[192] حتى ختمها فتركه

[189] أخرجه النازلي في خزينة الأسرار «ص: 145» عن علي رضي الله عنه.

[190] جزء من حديث أورده المتقي في «كنز العمال جـ 1 ص: 569» باختلاف يسير وعزاه إلى البيهقي في الشعب عن علي رضي الله عنه.

[191] هو: أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي. فقيه مفسر من أهل نيسابور. من مؤلفاته «الكشف والبيان في تفسير القرآن» ويعرف بتفسير الثعلبي. و«عرائس المجالس» في قصص الأنبياء. توفي سنة «427هـ ـ 1035م». وفيات الأعيان جـ 1 ص: 113 ـ البداية والنهاية جـ 2 ص: 401 ـ الأعلام جـ 1 ص: 212.

[192] البقرة: 255.

فذهب ولم يعد. فذكر ذلك أبو هريرة للنبي ﷺ فقال: «أما علمت يا أبا هريرة إنه كذلك صدق الخبيث» رواه الثعلبي[193] ونحوه رواه البخاري في صحيحه[194] أيضاً وقال في آخره «أما إنه صدقك وهو كذوب تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال ذلك الشيطان» ونحو ذلك روى الترمذي في جامعه[195] أيضاً عن أبي أيوب الأنصاري[196] وذكر أنه الذي فعل ذلك القول. ويروى: أن عمر لقي جنياً. فقال له الجني: هل لك أن تصارعني فإنك إن صارعتني علمتك آية إذا قرأتها حين تدخل منزلك لم يدخله شيطان. فصارعه عمر(1). فقال له الجني: اقرأ «آية الكرسي» فإنه لا يقرأها أحد إذا دخل بيته إلا خرج الشيطان وله خبج كخبج[197] الحمار[198]. وقال ﷺ: «من خرج من منزله فقرأ «آية الكرسي» بعث الله إليه سبعين ألفاً من الملائكة يدعون له ويستغفرون له، فإذا رجع إلى منزله ودخل بيته فقرأ «آية الكرسي»

---

[193] الثعلبي، الكشف والبيان في تفسير القرآن. «جـ2 ص: 1 ـ 2» مخطوط بالخزانة العامة بالرباط تحت رقم 2078ك.

[194] صحيح البخاري «جـ6 ص: 104» كتاب فضائل القرآن ـ باب فضل سورة البقرة.

[195] سنن الترمذي «جـ4 ص: 233» أبواب فضائل القرآن ـ باب ما جاء في سورة البقرة وآية الكرسي.

[196] هو: أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري. صحابي جليل شهد العقبة وبدراً وما بعدها من المشاهد ونزل عليه النبي ﷺ لما قدم المدينة. فأقام عنده حتى بنى بيوته ومسجده كما كان شجاعاً صابراً تقياً محباً للغزو والجهاد في سبيل الله حتى وافته المنية وهو محاصر للقسطنطينية مع جيش المسلمين بقيادة يزيد بن معاوية فأقبر في أصل حصن القسطنطينية وكان ذلك على أرجح الأقوال سنة «52هـ ـ 672م». الاستيعاب جـ 2 ص: 424 ـ أسد الغابة جـ 1 ص: 573 ـ الإصابة جـ 2 ص: 234 ـ الأعلام جـ 2 ص: 295.

[197] الخبج: الضراط. ابن الجوزي، غريب الحديث جـ 1 ص: 262.

[198] أخرجه الدارمي في سننه «جـ2 ص: 448» باب فضل أول سورة البقرة وآية الكرسي باختلاف في بعض ألفاظه. والغافقي في فضائل القرآن «ص: 50» عن ابن مسعود.

(1) في «ج» [illegible] فعاوده فصرعه فقال له الجني.

نزع الله الفقر من عينيه»[199] وقال عليه السلام: «سيد القرآن البقرة، وسيد البقرة «آية الكرسي» إن لفيها خمسين كلمة في كل كلمة خمسون بركة»[200] وقال أبو جعفر الباقر[201]: من قرأ «آية الكرسي» ثلاث مرات صرف الله عنه ألف مكروه من مكروه الدنيا، وألف مكروه من مكروه الآخرة. أيسر مكروه الدنيا الفقر، وأيسر مكروه الآخرة عذاب القبر[202]. [وقال ﷺ: قال تعالى: وعزتي وجلالي ما من عبد قرأكن يعني «الفاتحة» و«آية الكرسي» و﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾[203]. و﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ﴾ إلى قوله ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾[204]. دبر كل صلاة مكتوبة إلا أسكنته حضرة القدس على ما كان منه، ولأنظرن إليه يعني في كل يوم سبعين مرة، ولأقضين له في كل يوم سبعين حاجة أدناها المغفرة، ولأعيذنه من كل عدو ونصرته عليه، ولا يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت». ذكره الثعلبي[205] وغيره(1)]. وقال ﷺ لمعاذ: ما منعك من صلاة الجمعة؟ قال: دين لفلان خشيت أن يحبسني. فقال: أتحب أن يقضي الله دينك؟ قال: قلت نعم قال: قل ﴿ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ﴾ إلى قوله ﴿بِغَيۡرِ حِسَابٍ﴾ رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما تعطى منهما من تشاء وتمنع [منهما(2)] من تشاء اقض

---

[199] أخرجه النازلي في خزينة الأسرار «ص: 152» عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[200] جزء من حديث طويل أورده الثعلبي في تفسيره. الكشف والبيان في تفسير القرآن «جـ2 ص: 3».

[201] هو أبو جعفر محمد بن علي زين العابدين بن الحسين الطالبي الهاشمي القرشي الباقر خامس الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. كان ناسكاً عابداً له في العلم وتفسير القرآن آراء وأقوال. ولد بالمدينة سنة «57هـ ـ 676م» وتوفي سنة «114هـ ـ 732م». الحلية جـ 3 ص: 180 ـ وفيات الأعيان جـ 1 ص: 450 ـ الأعلام جـ 6 ص: 270.

[202] أورده الثعلبي في تفسيره الكشف والبيان «جـ2 ص: 3».

[203] آل عمران: 18.

[204] آل عمران: 26 ـ 27.

[205] الثعلبي، الكشف والبيان في تفسير القرآن جـ 2 ص: 29.

(1) (2) ما بين الحواصر ساقط من الأصل.

ديني. فلو كان عليك ملء الأرض ذهباً لأداه الله عنك»[206] وروى ابن السني[207] عن محمد بن إبراهيم عن أبيه قال: وجهنا رسول الله ﷺ في سرية وأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وإذا أصبحنا: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾[208] الآية فقرأنا فغنمنا وسلمنا[209]. وقال ﷺ: «لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال»[210] وقال عليه الصلاة والسلام: «لو يعلم الناس ما في ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[211] لعطلوا المال والأهل ولتعلموها. ما من عبد يقرأها بليل إلا بعث الله إليه ملائكة يحفظونه في دينه ودنياه ويدعون له بالمغفرة والرحمة، وإن قرأها بالنهار أعطي من الثواب بعدد ما أضاء عليه النهار وأظلم عليه الليل[212]». وقال

[206] أخرجه الثعلبي في تفسيره «جـ2 ص: 29» وأخرجه أيضاً السيوطي في تفسيره الدر المنثور جـ 2 ص: 14.

[207] هو: أبو بكر أحمد بن محمد السني. محدث ثقة من تلاميذ النسائي وراوي سننه، من مؤلفاته «عمل اليوم والليلة» و«فضائل الأعمال» و«الطب النبوي» ولد سنة «284هـ ـ 897م» وتوفي سنة «364هـ ـ 974م». طبقات الحفاظ جـ 3 ص: 142 ـ شذرات الذهب جـ 3 ص: 47 ـ الأعلام جـ 1 ص: 209.

[208] المؤمنون: 115.

[209] ابن السني، عمل اليوم والليلة، ص: 39» باب ماذا يقول إذا أصبح.

[210] أخرجه أبو نعيم في الحلية «جـ1 ص: 7» عن عبد الله بن مسعود أنه قرأ في أذن مبتلي. فقال له رسول الله ﷺ: ما قرأت في أذنه؟ قال: مبتلى قرأت في أذنه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا﴾ حتى ختم السورة، فقال رسول الله ﷺ: «لو أن رجلاً موقناً قرأها على جبل لزال» والحديث موضوع كما نبه على ذلك ابن الجوزي في كتابه «الموضوعات» جـ 3 ص: 8211 والشوكاني في كتابه «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة» ص: 309.

[211] البينة: 1.

[212] أخرجه الغافقي في فضائل القرآن «ص: 90» وهو جزء من حديث طويل. كما أورد جزءاً منه ابن عراق الكناني في كتابه «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» جـ 1 ص: 295 وعزاه الخطيب في رواة مالك إلى أبي الشيخ كلاهما عن أبي الدرداء رضي الله عنه.

المسعودي[213]: بلغنا أن من قرأ في أول ليلة من رمضان ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[214] في التطوع حفظ في ذلك العام[215]. ومنه يس قال عليه السلام: «يس قلب القرآن لا يقرأها رجل يريد الله والدار الآخرة إلا غفر له فاقرؤوها على موتاكم[216] «وقال عليه السلام: «من قرأها وهو خائف أمن، ومن قرأها وهو جائع شبع، أو ظمآن روي، وهي لما قرئت له بصدق ونية»[217]. و«من قرأها فكأنما قرأ القرآن عشر مرات»[218]. «وعدلت له سبعين حجة ومن سمعها عدلت له بألف دينار في سبيل الله، ومن كتبها وشربها دخل جوفه ألف دواء، وألف يقين، وألف زلفة، وألف رحمة، ونزع منه كل داء وغل، ومن قرأها في ليلة أصبح مغفوراً له»[219]. «ومن دخل المقابر فقرأ سورة يس

---

[213] المسعودي كذا في النسختين وأيضاً في فضائل القرآن للغافقي «ص: 8» وقد جاء في خزينة الأسرار للنازلي «ص: 190» وتفسير روح البيان للبرسوي «جـ9 ص: 61» ابن مسعود بدل المسعودي. والمسعودي لعله: عبد الرحمن بن عبد الله بن عتبة المسعودي. أحد الأئمة الكبار والمتوفى سنة «60هـ ـ 679م» وقيل سنة «65هـ 684م». الميزان «جـ2 ص: 574» وتقريب التهذيب «جـ1 ص: 487». أو لعله: أبو حازم عمر بن أحمد المسعودي. المحدث الحافظ والمتوفى سنة «417هـ ـ 126م». سير النبلاء «جـ11 ص: 74 ـ 75» ـ معجم المؤلفين «جـ7 ص: 272». أما ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ فقد تقدمت ترجمته في الرسالة الثامنة ص: 228.

[214] الفتح: 1. والمراد قراءة السورة بأكملها. كما في «الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة للشوشاوي». ص: 388.

[215] أخرجه الغافقي في فضائل القرآن. ص: 80 عن المسعودي بلفظه.

[216] جزء من حديث أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده «جـ5 ص: 26» عن معقل بن يسار رضي الله عنه.

[217] جزء من حديث أخرجه الغافقي في فضائل القرآن. ص: 76.

[218] أخرجه الترمذي في سننه «جـ4 ص: 237» أبواب فضائل القرآن ـ باب ما جاء في يس. عن أنس بلفظ: «إن لكل شيء قلباً وقلب القرآن يس ومن قرأ يس كتب الله له بقراءتها قراءة القرآن عشر مرات».

[219] جزء من حديث أخرجه البيهقي في الشعب «جـ2 ص: 481» باب في تعظيم القرآن ـ فصل في فضائل السور والآيات. عن أبي بكر الصديق وأعقبه بقوله: منكر.

خفف عنهم وكان له بعدد من فيها حسنات»[220]. «ومن قرأها عند ميّت خفف الله عنه كرب الموت، ومن قرأها عند مريض لم يحضر أجله شفاه الله»[221]. وقال عليه السلام: «يس تدعى المعمة تعم صاحبها بخير الدنيا والآخرة، وتدعى الدافعة والقاضية تدفع عنه كل سوء، وتقضي له كل حاجة»[222] ويروى: «من قرأها نهاراً كان هو وأهله وماله وولده في أمان الله وكلئه ومن قرأها ليلاً كان في أمان الله إلى أن يصبح»[223]. ويروى: «من قرأها حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي، ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح»[224]. ومن قرأها في موضع نظيف خال أربع مرات لا يفرق بينها بكلام، ثم قال ثلاث مرات: سبحان المنفس على كل مديون، سبحان المفرج على كل محزون، سبحان من أمره بين الكاف والنون، سبحان من إذا أراد شيئاً(1) أن يقول له كن فيكون. يا مفرج الهموم، يا حي يا قيوم صلِّ على محمد، وافعل لي كذا. قضيت حاجته كائنة ما كانت. كل ذلك مع حسن الظن والنية وأن لا يدعو بإثم ولا قطيعة رحم. وقال ﷺ: «من قرأ سورة الواقعة كل ليلة لم تصبه فاقة»[225]. وسماها بسورة الغنى[226]. وقال صلى الله عليه وسلم: «من قرأ والتين

---

[220] أخرجه الغافقي في فضائل القرآن. ص: 74.

[221] أخرجه الغافقي في فضائل القرآن. ص: 76.

[222] جزء من حديث سبق تخريجه. بالهامش رقم «218».

[223] أخرجه عيسى بن سلامة في فضائل القرآن «ص: 9».

[224] أخرجه عيسى بن سلامة في فضائل القرآن «ص: 9».

[225] أخرجه البيهقي في الشعب «جـ2 ص: 491». باب في تعظيم القرآن ـ فصل في فضائل السور والآيات. عن ابن مسعود رضي الله عنه. وعزا ابن حجر في كتابه «الكافي» إلى الإمام أحمد القول: «بأن هذا حديث منكر». الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف لابن حجر ذيل الكشاف جـ 4 ص: 375.

[226] يشير بذلك إلى ما أخرجه الديلمي في الفردوس «جـ3 ص: 10» عن أنس عن النبي ﷺ قال: «علموا نساءكم سورة الواقعة فإنها سورة الغنى».

(1) في «ج» إذا أراد شيئاً قال له...

أعطي صحة اليقين، وجلبت له رزقاً ويسراً»[227]. ومنه سورة الإخلاص قال ﷺ: «من آتى منزله فقرأ الحمد لله والإخلاص نفى الله عنه الفقر وكثر خير بيته»[228] ويروى: «من قرأ سورة الاخلاص مرة حين يدخل منزله نفت عنه الفقر»[229]. وقال عليه السلام: «من قرأها ـ أي قل هو الله أحد ـ في كل يوم مائتي مرة محيت عنه ذنوب خمسين سنة إلا أن يكون عليه دين» رواه الترمذي[230]. ويروى: «من قرأ قل هو الله أحد إحدى عشر مرة بورك عليه»[231]. «ومن قرأها ثلاثين مرة في الصلاة بنى له الله ألف قصر في الجنة»[232]. «ومن قرأها حين يدخل منزله نفت عنه الفقر»[233] ومن قرأها ثلاث مرات حين يأوي إلى فراشه وكَّل الله به خمسين ألف ملك يحفظونه إلى الصباح. ويروى: «أن الله تعالى إذا نظر إلى المعاصي من العباد غضب فترجف الأرض وتضطرب السماء فتنزل ملائكة السماء فتمسك أطراف الأرض، وتصعد ملائكة الأرض فتمسك أطراف السماء، ولا يزالون يقرأون «قل هو الله أحد» السورة حتى يسكن غضبه»[234]. ومن ذلك سورة الكهف وطه وحم الدخان وتبارك الملك وق وعم يتساءلون والبروج والطارق والحواميم والمسبحات والمعوذات فقد ورد(1) فيها أحاديث كثيرة. وهذه الفضائل المشهورة لا ينالها أحد إلا بتعظيم المصحف والقرآن. وألا يتهاون بأمره فقد قال ﷺ: «ما آمن

---

[227] أخرجه الغافقي في فضائل القرآن. ص: 90.

[228] أخرجه الغافقي في فضائل القرآن. ص: 56.

[229] أخرجه الغافقي في فضائل القرآن. ص: 102.

[230] سنن الترمذي «جـ5 ص: 001» كتاب فضائل القرآن ـ باب ما جاء في سورة الإخلاص.

[231] أخرجه السيوطي في الدر المنثور «جـ6 ص: 414» باختلاف يسير.

[232] أخرجه النازلي في خزينة الأسرار «ص: 183» عن ابن عباس بلفظ: «من صلى ركعتين فقرأ فيهما قل هو الله أحد ثلاثين مرة بنى له ألف قصر في الجنة من ذهب...».

[233] سبق تخريجه.

[234] أخرجه النازلي في خزينة الأسرار «ص: 182» عن أنس رضي الله عنه باختلاف يسير.

(1) في «ن» نقد روي فيه أحاديث عشرة.

بالقرآن من استحل محارمه»[235]. وقال عليه السلام: «اقرأ القرآن ما نهاك فإذا لم ينهك فلست تقرأه»[236]. وقال بعض العلماء: أجرأ الناس على الله من قرأ كتابه، وخالف خطابه، وخان عباده، ونسي معاده. قال أبو سليمان الداراني: الزبانية أسرع يوم القيامة إلى حملة القرآن الذين يعصون الله تعالى منهم إلى عبدة الأوثان. والإخلاص لله في القرآن والإخلاص لله في كل العبادات هو ما قدَّمناه. ولا بد من الخشوع والتدبّر عند القراءة على وصف ما ذكرناه في التدبّر، وينبغي ترديد الآية(1) لذلك. والقراءة على ترتيب المصحف، ويكره أن يقرأه منكوساً. وهو: أن يبدأ من آخر القرآن وأشد كراهية أن يبدأ السورة من آخرها لو تصور، وأما تعليم الصبيان من آخره فحسن لسهولته. والذي نعرفه أن القراءة من المصحف أفضل من القراءة من حفظه لأحاديث وردت فيه[237]. ولأن القارىء نظراً استعمل جوارحه: عينيه، وفمه، ويديه، وحجره. وكان سيدي فتح الله أبوراس[238] يقول: القراءة من الرأس تنفي الخشوع. إلى أن قال: قال النووي[239]: وليس هو على إطلاقه بل إن كان القارىء من حفظه يحصل له من التدبر والتفكر وجمع القلب والبصر أكثر مما يحصل له من المصحف، فالقراءة عن الحفظ أفضل(2). وإن استويا فمن المصحف أفضل. فإن النظر إلى المصحف أيضاً عبادة، وحمله بالتعظيم عبادة. وينبغي لمن أراد القراءة نظراً أن يتوضأ، ثم يلبس أحسن ثيابه، ثم يأخذ المصحف مجللاً له، ثم يقبله ويضعه على وجهه، ثم على رأسه، ثم يقرأ. والجهر به أي بالقرآن [جائز وفاضل

---

[235] أخرجه الترمذي في سننه «جـ4 ص: 252» عن صهيب رضي الله عنه.

[236] أخرجه الديلمي في الفردوس «جـ1 ص: 433» عن أبي سعيد.

[237] الغافقي، فضائل القرآن. باب ما جاء في فضل النظر في المصحف والقراءة فيه. ص: 26.

[238] تقدمت ترجمته في الرسالة العاشرة. ص: 275.

[239] تقدمت ترجمته في الرسالة التاسعة. ص: 233.

(1) في «ج» ترديد الآيات.

(2) في «ج» فالقراءة من المصحف أفضل.

إن لم يخف الرياء[1]] لكن بشرط أن لا يؤذي غيره من مصلٍ أو نائم أو غيرهما، لأنه يتعدى نفعه إلى غيره، ولأنه يوقظ قلبه، ويجمع همه إلى الفكر، ويصرف سمعه إليه، ويطرد النوم، ويزيد في النشاط، ويوقظ غيره من نائم وغافل وينشطه. فمن حضره شيء من هذه النيات فالجهر أفضل. قال ﷺ: «إذا قام أحدكم من الليل فليجهر بقراءته فإن الملائكة وعمار الدار يستمعون لقراءته»[240] ومذهبنا الجهر بالقرآن بالألحان الطيبة، والتجويد والضبط، ومد الممدود، وقصر المقصور. وأفضل القراءة ما كان في المسجد لخبر: «ما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة، وغشيتهم الرحمة، وذكرهم الله فيمن عنده»[241]. وأفضل الوقت للقراءة في غير الصلاة: قراءة الليل. وأفضله النصف الأخير، وأفضل قراءة النهار بعد صلاة الصبح. قال شيخنا: لا ينبغي الإكثار من التلاوة للحافظ الماهر كختمه في ليلة أو ليلتين. قال ﷺ: «لم يفقه من قرأ القرآن في أقل من ثلاث»[242]. وأمر ابن عمر أن يقرأه في أربعين يوماً[243]. قال أبو إسحاق: فلا يجب أن يأتي أربعون على من

---

[240] أورده الغزالي في الإحياء وقال عنه مخرجه العراقي: «رواه بنحوه بزيادة فيه أبو بكر البزار ونصر المقدسي في المواعظ وأبو شجاع من حديث معاذ بن جبل وهو حديث منكر». المغني بذيل الإحياء «جـ1 ص: 250» كما أخرجه الغافقي بلفظ: «من صلى بالليل فليجهر... الخ..». فضائل القرآن للغافقي. ص: 22.

[241] جزء من حديث أخرجه مسلم في صحيحه «جـ17 ص: 21» بشرح النووي. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[242] أخرجه الترمذي في سننه «جـ4 ص: 267» أبواب القراءات، عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

[243] لعله يشير بذلك إلى ما أخرجه أبو داود في سننه «جـ2 ص: 56» كتاب الصلاة ـ باب تحزيب القرآن. عن عبد الله بن عمرو أنه سأل النبي ﷺ في كم يقرأ القرآن؟ قال: في أربعين يوماً. ثم قال: في شهر. ثم قال: في عشرين. ثم قال: في خمس عشر. ثم قال: في عشر. ثم قال: في سبع. لم ينزل عن سبع.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

يقرأ القرآن ولم يختمه لهذا الحديث. قال: وكان ﷺ يقرأه في سبع ليال. ثلاث سور حزب، ثم خمس، ثم سبع، ثم تسع، ثم احدى عشر سورة، ثم ثلاثة عشر، ثم المفصل[244]. وإذا ابتدأ القارىء من أثناء السورة يستحب له(1) أن يبتدىء من أول الكلام المرتبط بعضه ببعض، وإذا وقف فليقف على آخر الكلام المرتبط، ولا يتقيد في ذلك بالأحزاب، والأعشار، والأجزاء. فإنها قد تكون في وسط الكلام كالجزء الأول في النساء، وجزء التوبة، ونحوهما. فلا يبتدىء بذلك ولا يقف عليه لتعلقه بما قبله. وليجتنب اللغط، والضحك، والكلام في خلال القراءة إلا كلاماً يضطر إليه. ولا يعبث بيده وغيرها، ولا ينظر إلى محرم، ولا إلى ما يلهيه عن القراءة. وينبغي لمن عرض له ريح وهو يقرأ أو تثاؤب أن يمسك عن القراءة حتى يقضي ذلك ثم يعود إليها. ولا خلاف أن الرحمة تنزل، والدعاء يستجاب عند ختم القرآن.

**إخواني**: اجتهدوا في تلاوة القرآن لئلا يتخبل عنكم. قال ﷺ: «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تفلتاً من قلوب الرجال من الإبل في عقلها»[245]. وقال ﷺ: «لم أر ذنباً أعظم من سورة من القرآن أو آية أوتيها رجل ثم نسيها»[246] وقال ﷺ: «من قرأ القرآن ثم

---

[244] لم أقف عليه ولعله يشير إلى قول أوس بن حذيفة: «سألت أصحاب رسول الله ﷺ كيف تحزبون القرآن؟ قالوا: ثلاث وخمس وسبع وتسع وإحدى عشرة وثلاث عشرة وحزب المفصل وحده». عون المعبود شرح سنن أبي داود «جـ4 ص: 271» أبواب قيام الليل ـ باب تحزيب القرآن.

[245] أخرجه البخاري في صحيحه «جـ6 ص: 110» كتاب فضائل القرآن ـ باب استذكار القرآن وتعاهده. عن أبي موسى بلفظ «تعاهدوا القرآن فوالذي نفسي بيده لهو أشد تقصياً من الابل في عقلها».

[246] جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه «جـ4 ص: 250 أبواب فضائل القرآن. عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

(1) في «ج» وإذا ابتدأ القارىء من اثناء السوره ان يبتدىء من أصل الكلام.

نسيه لقي الله تعالى يوم القيامة أجذم»[247] قال أبو عبيدة[248]: وهذا إذا ترك تلاوته، وجفا عنه حتى نسيه. فأما الذي هو دائب في تلاوته حريص على حفظه إلا أن النسيان يغلبه فليس من ذلك في شيء. فقد كان ﷺ ينسّى الشيء من القرآن حتى يذكره[249]. وينبغي لمن نام عن ورده[250] أو مرض أن يقضيه كما يقضي الصلاة. فقد أجمع القوم على قضاء الورد فمن لم يقض فقد باء بغضب من الله ومأواه جهنم وبئس المصير. ومن ارتد عن طريقته فهو كالمرتد عن دينه.

وينبغي لحامل القرآن: أن يستغني به. قال ﷺ: ليس منا من لم يتغن بالقرآن»[251] يريد من لم يستغن. قال أبو عبيدة: وهي لغة للعرب فاشية. يقولون تغنيت بمعنى استغنيت. وقال ﷺ: «من قرأ القرآن فرأى أحداً أعطي أفضل مما أعطي فقد عظّم صغيراً وصغّر

---

[247] أخرجه أبو داود في سننه «جـ2 ص: 75» كتاب الصلاة ـ باب التشديد فيمن حفظ القرآن ثم نسيه. عن سعد بن عبادة بلفظ «ما من امرىء يقرأ القرآن ثم ينساه: إلا لقي الله عز وجل يوم القيامة أجذم».

[248] هو: أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمي بالولاء البصري. أحد أئمة اللغة والأدب ناهزت مؤلفاته المئتين منها «مجاز القرآن» و«معاني القرآن» و«إعراب القرآن». ولد في البصرة سنة «110هـ ـ 728م» وبها كانت وفاته سنة «209هـ ـ 824م». وفيات الأعيان جـ 2 ص: 105 ـ بغية الوعاة، ص: 395 ـ الأعلام جـ 7 ص: 272.

[249] لعله يشير بذلك إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه «جـ6 ص: 110» كتاب فضائل القرآن ـ باب نسيان القرآن وهل يقول نسيت آية كذا وكذا. عن عائشة قالت: «سمع رسول الله ﷺ رجلاً يقرأ في سورة بالليل فقال: يرحمه الله لقد أذكرني آية كذا وكذا كنت أنسيتها من سورة كذا وكذا».

[250] الورد في المصطلح الصوفي ما يقوم به المريد من الصلاة وقراءة القرآن والتسبيح وغير ذلك من أعمال التقرب إلى الله سبحانه وتعالى سواء بالليل أو بالنهار. ولتفصيل أكثر نظر: «قوت القلوب». لأبي طالب المكي جـ 1 ص: 168.

[251] أخرجه أبو داود في سننه «جـ2 ص: 74» كتاب الصلاة ـ باب استحباب الترتيل في القراءة. عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

عظيما»[252] فلا ينبغي أن يرى أن أحداً أغنى منه ولو ملك الدنيا برحابها. قال عبد الله[253]: من قرأ سورة آل عمران فهو غني. قال تعالى: ﴿وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾[254]. أي ما رزقك الله من القرآن خير مما رزقهم من الدنيا والله أعلم. أيها المريدون أوصيكم ونفسي: بإسقاط التدبير لأن الله تعالى قد تكفل لكم بذلك وقام به عنكم، وطلب منكم أن تفرغوا قلوبكم منه وتقوموا بحق عبوديته ووظائف تكليفاته فقط. وهو: أن يقدر العبد لنفسه شؤوناً يكون عليها من أمر دنياه على ما تقضيه شهوته وهواه، ويدبر لها[1] ما لا يليق بها من أحوال وأعمال، ويستعد لذلك ويهتم لأجله. وهذا تعب عظيم استعجله لنفسه، ولعل أكثر ما يقدره لا يقع فيخيب ظنه ويبطل سعيه. [ثم فيه[2]] من ترك العبودية، ومضادة أحكام الربوبية، ومنازعة القدر، وإضاعة العمر ما يحمل العاقل على تركه [واجتنابه[3]] وقطع مواده وأسبابه. قال سهل بن عبد الله: ذروا التدبير والاختيار فإنهما يكدران على الناس عيشهم. قال سيدي أبو الحسن الشاذلي: «إن كان ولا بد من التدبير فدبروا أن لا تدبروا»[255].

**واعلموا**: «أن التدبير على قسمين: تدبير محمود وتدبير مذموم. فالتدبير المحمود هو: ما كان تدبيراً بما يقرّبك إلى الله كالتدبير في براءة الذمم من حقوق المخلوقين إمَّا وفاء وإمَّا استحلالاً، وتصحيح التوبة إلى رب العالمين، والفكر فيما يؤدي إلى قمع الهوى المردي والشيطان المغوي. وكل ذلك محمود لا شك فيه، ولأجل ذلك قال

---

[252] أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد «جـ9 ص: 396» عن عبد الله بن عمر بلفظ: «من قرأ القرآن فرأى أن من خلق الله أعطي أفضل مما أعطي فقد صغر ما عظّم الله وعظم ما صغّر الله».

[253] هو: عبد الله بن مسعود. كما في فضائل القرآن للغافقي. ص: 58.

[254] طه: 131.

[255] ورد في كتاب «التنوير في إسقاط التدبير» لابن عطاء الله السكندري. ص: 3.

(1) في «ج» ويدبر منها ما لا يليق بها من أموال وأعمال.

(2) (3) ما بين الحواصر ساقط من «ج».

رسول الله ﷺ: «فكرة ساعة خير من عبادة سبعين سنة»[256]. والتدبير للدنيا على قسمين: تدبير الدنيا للدنيا. وتدبير الدنيا للآخرة. فتدبير الدنيا للدنيا هو: أن يدبر في أسباب جمعها افتخاراً بها واستكثاراً. وكلما زيد فيها شيئاً ازداد غفلة واغتراراً. وأمارة ذلك أن تشغله عن الموافقة، وتؤديه إلى المخالفة. وتدبير الدنيا للآخرة كمن يدبر المتاجرة [والمكاسب(1)] والغراسة ليأكل منها حلالاً ولينعم على ذوي الفاقة إفضالاً، وليصون بها وجهه عن الناس إجمالاً. وأمارة من طلب الدنيا لله تعالى: عدم الاستكثار والادخار والإسعاف منها والإيثار»[257].

**فائدة:**

**واعلموا:** أن بني إسرائيل لما دخلوا التيه ورزقوا المن والسلوى واختار الله تعالى لهم ذلك رزقاً رزقهم إياه، ليبرز من عين المنة من غير تعب منهم ولا نصب، فرجعت نفوسهم الكثيفة لوجود(2) إلف العادة، والغيبة عن شهود تدبير الله تعالى إلى طلب ما كانوا يعتادونه. فقالوا: ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ إلى قوله: ﴿بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ﴾[258]. وذلك لأنهم تركوا ما اختار الله لهم مما يليق لما اختاروه لأنفسهم. فقيل لم على طريق التوبيخ لهم: ﴿أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ فظاهر التفسير أتستبدلون الفوم والعدس والبصل بالمن والسلوى وليس النوعان سواء في اللذة ولا في سقوط المشقة. وسر الاعتبار أتستبدلون مرادكم لأنفسكم بمراد

---

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) في «ج» فرجعت نفوسهم الكثيفة ألف أنعامه والغيبة..

[256] أخرجه السيوطي في الجامع الصغير «ج2 ص: 219» بلفظ «فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة» وعزاه لأبي الشيخ في العظمة عن أبي هريرة رضي الله عنه. وأورده الشوكاني في «الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة». ص: 242.

[257] ابن عطاء الله السكندري، التنوير في إسقاط التدبير. ص: 28.

[258] البقرة: 61.

الله لكم؟ أتستبدلون الذي هو أدنى وهو ما أردتموه بالذي هو خير وهو ما أراد الله لكم؟ ﴿ٱهۡبِطُواْ مِصۡرٗا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلۡتُمۡۗ﴾. فإن ما اشتهيتموه لا يليق أن يكون إلا في الأمصار. وفي سر الاعتبار اهبطوا عن سماء التفويض وحسن الاختيار والتدبير منا لكم إلى أرض التدبير والاختيار منكم لأنفسكم موصوفين بالذلة والمسكنة لاختياركم مع الله وتدبيركم لأنفسكم مع تدبير الله. ولو أن هذه الأمة هي الكائنة في التّيه لما قالت مقال بني إسرائيل لشفوف أنوارهم ونفوذ أسرارهم. ألا ترى أن بني إسرائيل في ابتداء الأمر قالوا لموسى عليه السلام وهو كان سبب التّيه لهم: ﴿فَٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾[259] وقالوا في آخره: ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ﴾[260] فأبوا في الأول عن امتثال أمر الله، وفي الآخر اختاروا لأنفسهم غير ما اختار الله لهم. وكثيراً ما تكرر منهم ما يدل على بعدهم وطردهم عن مصدر الحقيقة، وسواء الطريقة في قولهم: ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ﴾[261] وفي قولهم لموسى عليه السلام وهم بعد لم ينشف بلل البحر من أقدامهم حين فرق لهم لما عبروا على قوم يعكفون على أصنام لهم فقالوا: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾[262] فكانوا كما قال موسى عليه السلام ﴿قَالَ إِنَّكُمۡ قَوۡمٞ تَجۡهَلُونَ﴾[263] وعبادة من عبد منهم العجل وغير ذلك وكذلك قوله: ﴿وَإِذۡ نَتَقۡنَا ٱلۡجَبَلَ فَوۡقَهُمۡ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٞ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعُۢ بِهِمۡ خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ وَٱذۡكُرُواْ﴾[264] الخ. وهذه الأمة نتق فوق قلوبها جبال

[259] المائدة: 24.

[260] البقرة: 61.

[261] النساء: 153.

[262] الأعراف: 138.

[263] الأعراف: 138.

[264] الأعراف: 171.

الهيبة والعظمة، فأخذوا الكتاب بقوة الإيمان فثبتوا لذلك وأيدوا لما هنالك [وحفظوا من عبادة العجل وغير ذلك(1)] لأن الله تعالى اختار هذه الأمة واختار لها وأثنى عليها بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾[265] وقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[266] أي عدولاً خياراً فقد تبين لك من هذا أن التدبير والاختيار من أشد الذنوب والأوزار. فإذا أردت أن يكون لك من الله اختيار فأسقط معه الاختيار، وإن أردت أن يكون لك بحسن التدبير فدع معه وجود التدبير. وإن أردت الوصول إلى المراد فذلك بأن لا يكون معه مراد. ولذلك لما قيل لأبي يزيد[267] ما تريد؟ قال: أريد أن لا أريد. فلم تكن أمنيته من الله ولا طلبته منه إلا سقوط الإرادة معه لعلمه أنها أفضل الكرامات وأجل القربات. وقد يتفق للمخصص(2) الكرامات الظاهرة وبقايا التدبير كامنة فيه. فالكرامة الكاملة الحقيقية إنما هي ترك التدبير مع الله والتفويض لحكم الله. وقد قال بعضهم: إن أبا يزيد ـ رضي الله عنه ـ لما أراد أن لا يريد فقد أراد. وهذا قول من لا معرفة عنده. وذلك لأن أبا يزيد إنما أراد أن لا يريد لأن الله تعالى اختار له وللعباد أجمع عدم الإرادة معه. فهو لا يختار معه شيئاً ولا يريده فهو في إرادته أن لا يريد موافق لإرادة الله له. [ولذلك(3)] قال الشيخ أبو الحسن ـ رضي الله عنه ـ وكل مختارات الشرع وترتيباته هو مختار الله ليس لك منها شيء فاسمع وأطع. وهذا موضع الفقه الرباني، والعلم اللدني، وهو أرض لتنزل علم الحقيقة المأخوذ عن الله لمن استوى.

---

[265] آل عمران: 110.

[266] البقرة: 143.

[267] هو أبو يزيد طيفور بن عيسى البسطامي. زاهد مشهور. له أخبار كثيرة وكلمات مأثورة ولد سنة «188هـ ـ 804م» وتوفي ببسطام وهي بلدة بين خراسان والعراق سنة «261هـ ـ 875م» الحلية جـ 10 ص: 33 ـ طبقات الأولياء ص: 398 ـ الأعلام جـ 3. ص: 235.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) في «ج» للمخلص.

(3) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

فأفاد الشيخ بهذا الكلام أن كل مختار للشرع لا يناقض اختياره مقام العبودية المبني على ترك الاختيار لئلا ينخدع عقل قاصر عن درك الحقيقة بذلك، فيظن أن الوظائف والأوراد ورواتب السنن وإراداتها يخرج بها العبد عن صريح العبودية لأنه قد اختار. فبيّن الشيخ ـ رحمه الله ـ أن كل مختارات الشرع وترتيباته ليس لك منها شيء، وإنما أنت مخاطب أن تخرج عن تدبيرك لنفسك واختيارك لها لا عن تدبير الله ورسوله لك فافهم. فقد علمت إذاً أن أبا يزيد ما أراد أن لا يريد إلا لأن الله أراد منه ذلك فلم تخرجه هذه الإرادة عن العبودية المقتضاة منه. فقد علمت أن الطريق الموصلة إلى الله هو محو الإرادة ورفض المشيئة حتى قال الشيخ أبو الحسن ـ رضي الله عنه ـ ولن يصل الولي إلى الله ومعه تدبير من تدبيراته واختيار من اختياراته. وسمعت شيخنا يقول: ولن يصل الولي إلى الله حتى تنقطع عنه شهوة الوصول إلى الله. يريد ـ والله أعلم ـ أن تنقطع عنه انقطاع أدب لا انقطاع ملل، أو لأنه يشهد إذ قرب إبَّان وصوله عدم استحقاقه لذلك واستحقاره لنفسه أن يكون أهلاً لما هنالك، فتنقطع عنه شهوة الوصول لذلك لا مللاً ولا سلواً ولا اشتغالاً عن الله بشيء دونه. فإن أردت الإشراق والتنوير فعليك: بإسقاط التدبير. واسلك إلى الله كما سلكوا تدرك ما أدركوا كما قيل: اسلك مسالكهم، وانهج مناهجهم، وألق عصاك فهذا جانب الوادي. ولنا في هذا المعنى في ابتداء العمر مما كتبت به لبعض إخواني: (الطويل).

أيا صاح هذا الركب قد سار مسرعا ... ونحن قعود ما الذي أنت صانع

أترضى بأن تبقى المخلف بعدهم ... صريع الأماني والغرام ينازع

وهذا لسان الكون ينطق جهرة ... بأن جميع الكائنات قواطع

وأن لا يرى ربّ السبيل سوى امرئ ... رمى بالسوى لم تخدعه المطامع

ومن أبصر الأشياء والحق قبلها ... فغيب مصنوعاً بما هو صانع

بوادره أنوار[1] لمن كان ذاهباً — وتحقيق أسرار لمن هو راجع
فقم وانظر الأكوان والنور عمَّها — ففجر التداني نحوك اليوم طالع
وكن عبده والق القياد لحكمه — وإياك تدبيراً فما هو نافع
أتحكم تدبيراً وغيرك حاكم — أأنت لأحكام الإله تنازع
فترك إرادة وكل مشيئة — هو الغرض الأقصى فهل أنت سامع
كذلك سار الأولون فأدركوا — على أثرهم فليسر[2] من هو تابع
على نفسه فليبك من كان طالبا — وما لمعت ممن يحب لوامع
على نفسه فليبك من كان باكيا — أيذهب وقت وهو باللهو ضائع

انتهى من كتاب التنوير في إسقاط التدبير للإمام شيخ مشايخنا سيدي أحمد بن عطاء الله قدس الله روحه[268]. وهذه المسألة[3] أساس طريق القوم بل هي جملته وكليته، والكلام فيها طويل عريض، وإنما اقتصرت فيها على هذا القدر اليسير من التنبيه لأن سيدي أحمد ابن عطاء الله رحمه الله أفرد فيها كتاباً سماه: «التنوير في إسقاط التدبير». أحسن فيه غاية الإحسان، وقرب الأمر فيه بحيث يستغنى به عمَّا صنف في هذه الطريقة من ديوان، فتحصيله متعين على كل مريد نجيب والله ولي التوفيق. أيها المريدون أوصيكم ونفسي: بالزُّهد في الدنيا ما دمتم أحياء. وهو: فراغ القلب ممَّا سوى الرب. قال سفيان الثوري، والإمام أحمد بن حنبل - رضي الله عنهما - الزهد قصر الأمل في الدنيا وليس هو أكل خبز الشعير ولبس العباء[269]. وقال الجنيد: هو خلو اليد من الدنيا وخلو القلب من طلبها[270]. وقال سفيان بن

(1) كذا في الأصل ولو قال: «بوادره نور لمن كان ذاهباً» لسلم البيت.

(2) في «ج» فليمشي.

(3) في «ج» وهذه المسماة أساس طريق القوم.

[268] التنوير في إسقاط التدبير ص؛ 16 ـ 18.

[269] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 115 ـ 116.

[270] ورد في الرسالة القشيرية. . ص: 116 ـ 117.

عيينة[271]: الزهد ثلاثة أحرف زاي وهاء ودال فالزاي ترك الزينة، والهاء ترك الهوى، والدال ترك الدنيا بجملتها. والزهد في اللغة: خلاف الرغبة. يقال: زهد في الشيء وعن الشيء زهداً وزهادة[272]. وحقيقته: أن تترك نفسك دنياك، وروحك عقباك، فيبقى سرك مع مولاك. وأما حقيقته الشرعية ففيها اختلاف كثير والراجح عند بعضهم: استصغار الدنيا بجملتها، واحتقار جميع شأنها. فمن كانت الدنيا عنده صغيرة هانت عليه وترك منها ـ زهداً فيها ـ كل ما لا قربة فيه مما يتنعّم به فيها من مطعم ومشرب وملبس ومسكن، وترك التلذذ بملاذها، والخلود فيها إلى الراحة، ولم يأخذ من ذلك إلا ما لا بدّ له منه لأن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، وهذا هو الزهد. وأما ترك ما يجب أخذه من قوام نفسه ومن تلزمه نفقته فمعصية يستحق عليها العقوبة. فالزاهد هو: المستصغر للدنيا المحتقر لها الذي انصرف قلبه [عنها(1)] لصغر قدرها عنده، فلا يفرح بشيء منها، ولا يحزن على ما فقده، ولا يأخذ منها إلا ما أمر بأخذه مما يعينه على طاعة ربه، ويكون مع ذلك دائم الشغل بذكر الله تعالى وذكر الآخرة. وهذا هو أرفع أحوال الزهد. فمن بلغ هذه المرتبة فهو في الدنيا بشخصه وفي الآخرة بروحه وعقله. قال الفضيل بن عياض: جعل الله الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد[273]. وقال ابن المبارك: الزهد الثقة بالله[274]. وقال عبد الواحد بن زيد: الزهد ترك الدينار والدرهم[275]. وقال أبو سليمان الداراني: الزهد ترك ما يشغل عن الله تبارك وتعالى[276]. وقال أبو عبد الله محمد بن محمد الرازي ـ يحكي

---

[271] تقدمت ترجمته في الرسالة الثامنة. ص: 226.

[272] الزاوي، مختار القاموس. ص: 281.

[273] القشيري، الرسالة القشيرية ص: 119.

[274] القشيري، الرسالة القشيرية ص: 117.

[275] القشيري، الرسالة القشيرية ص: 117.

[276] القشيري، الرسالة القشيرية ص: 117.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

عن ابن حنبل ـ إن الزهد على ثلاثة أقسام: زهد العوام وهو: ترك الحرام. وزهد الخواص وهو: ترك ما زاد على قدر الضرورة من الحلال أيضاً. وزهد العارفين وهو: ترك كل شيء سوى الله تعالى[277]. وقيل: إن من تكلم في الزهد ووعظ الناس، ثم رغب في دنياهم نزع الله حب الآخرة من قلبه. وقيل: إذا زهد العبد في الدنيا، وكّل الله به ملكاً يغرس في قلبه الحكمة. والحاصل: أن الزهد علامة كمال العقل والهداية، لأن العاقل يترك المنفعة العاجلة خوفاً من المضرة الآجلة، وينظر في عواقب الأمور بخلاف الجاهل. ولهذا قال بعضهم: ما خرج الزاهدون من الدنيا إلى الله بل إلى أنفسهم، لأنهم تركوا النعيم الفاني للنعيم الباقي. قلت: وهذا والله في زهد العوام والخواص، لا في زهد خواص الخواص، لأنهم زهدوا في الآخرة أيضاً حيث كان زهدهم ترك كل شيء. وقال يحيى بن معاذ[278]: الزهد يورث السخاء بالملك، والحب يورث السخاء بالروح[279]. وقال عليه الصلاة والسلام: «من زهد في الدنيا هانت عليه المصائب»[280] وقيل: الزهد في الحرام واجب وفي الحلال مندوب[281]. وقيل: الزهد في الحلال إنما يكون مندوباً في حق من

---

[277] ورد في الرسالة القشيرية باختلاف في بعض ألفاظه ص: 119.

[278] هو: أبو زكرياء يحيى بن معاذ بن جعفر الرازي. واعظ زاهد لم يكن له نظير في وقته له كلمات وجمل سائرة احتوت الرسالة القشيرية على بعض منها. توفي بنيسابور سنة «258هـ ـ 872م». الرسالة القشيرية ص: 414 ـ صفة الصفوة جـ 4 ص: 71 ـ الأعلام جـ 8 ص: 172.

[279] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 116.

[280] أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد «جـ6 ص: 301» عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه وكرم الله وجهه بلفظ «من اشتاق إلى الجنة سارع إلى الخيرات ومن أشفق من النار لها عن الشهوات ومن ترقب الموت لها عن اللذات ومن زهد في الدنيا هانت عليه المصيبات» وباختلاف في بعض ألفاظه أخرجه أيضاً ابن عساكر في تاريخه. تهذيب ابن عساكر جـ 4 ص: 289.

[281] القشيري، الرسالة القشيرية. ص: 115.

يعلم من حاله الصبر على العسر والشدة. وقيل: الأفضل أن لا يختار العبد ترك الحلال تكلّفاً أو اختياراً إذا رزقه الله، ولا يطلب فضلاً لا يحتاج إليه بل يتبع ما قسم الله. فإن رزقه الله مالاً حلالاً شكر، وإن لم(1) يوسع عليه صبر. فعلى هذا الشكر أليق بالغني والصبر أليق بالفقير. وقال أبو حفص: الزهد لا يكون إلا في الحلال ولا حلال في الدنيا فلا زهد[282]. وقال النصر أباذي[283]: الزاهد غريب في الدنيا، والعارف غريب في الآخرة[284]. وقيل: من صدق في زهده أتته الدنيا راغمة. ولهذا قيل: لو سقطت قلنسوة من السماء لما سقطت إلا على رأس من لا يريدها[285]. «وقال سفيان الثوري: لنعمة الله عليّ فيما زوى عني من الدنيا أتم من نعمته عليّ فيما أعطاني منها. وقال العلماء: وللزاهد في الدنيا علامتان: علامة في فقدها، وعلامة في وجودها. فالعلامة التي في وجودها: الإيثار منها. والعلامة التي في فقدها: وجود الراحة منها. فالإيثار شكر لنعمة الوجدان، ووجود الراحة منها شكر لنعمة الفقدان. وذلك ثمرة الفهم عن الله والعرفان. لأن الحق سبحانه كما قد ينعم عليك بوجودها كذلك قد ينعم بفقدها ـ أي بصرفها ـ بل نعمته في صرفها أتمّ. وقال أبو الحسن الشاذلي ـ رضي الله عنه ـ رأيت الصدِّيق رضي الله عنه في المنام فقال لي: أتدري ما علامة خروج حب الدنيا من القلب؟ قلت: لا أدري. فقال: علامة خروج حب الدنيا من القلب بذلها عند الوجد

---

[282] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 117.

[283] هو: أبو القاسم إبراهيم بن محمد النصر أباذي نسبة إلى نصر أباذ محلة من نيسابور شيخ خراسان في وقته محدث مؤرخ مشارك في كثير من العلوم. ولد بنيسابور وبها كانت وفاته سنة «367هـ» وقيل بل سنة «369هـ ـ 979م». تاريخ بغداد «ج6 ص: 169» ـ الرسالة القشيرية ص: 437» ـ طبقات الأولياء «ص: 26».

[284] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 116.

[285] ورد في الرسالة القشيرية. ص: 116.

(1) في «ج» وإن يسعد عليه صبر.

ووجود الراحة منها عند الفقد[286].

فقد تبين من هذا أنه ليس كل طالب للدنيا مذموم بل المذموم من طلبها لنفسه لا لربه. ولدنياه لا لآخرته. فالناس إذاً على قسمين عبد طلب الدنيا للدنيا، وعبد طلب الدنيا للآخرة». قال سيدي أحمد ابن عطاء الله: «سمعت شيخنا أبا العباس ـ رضي الله عنه ـ يقول: العارف لا دنيا له لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه. وعلى هذا يحمل أحوال الصحابة والسلف الصالحين رضي الله عنهم فكل ما دخلوا فيه من أسباب الدنيا فهم بذلك إلى الله متقربون، وإلى رضاه منتسبون، لا قاصدون بذلك الدنيا وزينتها ووجود لذتها، وبذلك وصفهم الحق سبحانه بقوله: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾[287] وقال في الآية الأخرى؛ ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ﴾[288] وبقوله تعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا﴾[289]. ونظائر هذه الآيات. وما ظنك بقوم اختارهم الله لصحبة رسوله ﷺ ولمواجهة خطابه في تنزيله، فما أحد من المؤمنين إلى يوم القيامة إلا وللصحابة في عنقه منن لا تحصى، وأياد لا تنسى لأنهم هم الذين حملوا إلينا عن رسول الله ﷺ الحكمة والأحكام، وبيّنوا الحلال والحرام، وفهموا الخاص والعام، وفتحوا الأقاليم والبلاد، وقهروا أهل الشرك والعناد. وبحق ما قال فيهم رسول الله ﷺ «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم

[286] ورد في لطائف المنن. ص: 119.

[287] الفتح: 29.

[288] النور: 36 ـ 37.

[289] الأحزاب: 23.

اهتديتم»[290]. وقد وصفهم الله في الآية الأولى بأوصاف إلى أن قال: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾[291] دلَّ ذلك من قوله سبحانه وهو المطلع على أسرارهم العالم بهم في سرهم وإجهارهم أنهم ما ابتغوا بما حاولوه الدنيا، ولم يقصدوا بذلك إلا وجه الله الكريم وفضله العميم. وقد قال سبحانه فيهم: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾[292]. فقد أخبر سبحانه أنهم لا يريدون سواه ولا يقصدون إلا إيَّاه وقوله سبحانه في الآية الأخرى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾[293]. إشارة إلى أنه قد طهّر أسرارهم وكمّل أنوارهم فلذلك لا تأخذ الدنيا من قلوبهم ولا تخدش وجه إيمانهم. وكيف [تأخذ(1)] الدنيا من قلوب ملأها بحبه، وأشرق فيها أنوار قربه؟ وقد قال سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾[294]. فلو كان للدنيا على قلوبهم سلطان لكان للشيطان على قلوبهم أيضاً إذ لا يمكن للشيطان أن يصل إلى قلوب أشرقت فيها أنوار الزهد، وكنست من أوساخ الرغبة. فقوله سبحانه: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ أي ليس لك ولا لشيء من الأكوان عليهم سلطان لأن سلطان عظمتي في قلوبهم يمنعهم أن يكون على قلوبهم سلطان لشيء دوني. فأثبت الحق سبحانه في هذه الآية أنهم لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله، ولم يقل عنهم أنهم

---

[290] أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم «جـ2 ص: 96» ووصف إسناده بأنه لا تقوم به حجة. كما ورد بألفاظ أخرى منها ما أخرجه ابن عدي في الكامل «جـ2 ص: 785» عن ابن عمر بلفظ: «إنما أصحابي مثل النجوم فأيهم أخذتم بقوله اهتديتم». والحديث كما يقول الألباني: «موضوع في كل رواياته». الألباني، سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة جـ 1 ص: 78 ـ 84.

[291] الفتح: 29.

[292] الكهف: 28.

[293] النور: 36 ـ 37.

[294] الحجر: 42 والإسراء: 65.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

لا يتجرون ولا يبيعون بل في الآية ما يدل على جواز البيع والتجارة من فحوى الخطاب إذا تدبرته تدبر أولي الألباب. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾[295]. فلو نهاهم عن الغنى لنهاهم عن التسبب المؤدي إليه وهو التجارة والبيع ألا ترى أنه قال: ﴿وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ﴾. فإيجابه الزكاة عليهم دليل على أن هؤلاء الرجال التي هذه الأوصاف أوصافهم قد يكون منهم أغنياء ولا يخرجهم عن المدحة غناهم إذا قاموا فيه بحقوق مولاهم. قال عبد الله بن عتبة[296]: كان لعثمان بن عفان[297] ـ رضي الله عنه ـ عند خازنه يوم قتل مائة ألف دينار وخمسون(1) ألف دينار وألف ألف درهم، وخلف ضياعاً بين أريس[298] وخيبر[299] ووادي القرى[300] ما قيمته مائتي ألف دينار. وبلغ ثمن مال الزبير[301] ـ رضي الله عنه ـ خمسين ألف دينار

---

[295] الأنبياء: 73 والنور: 37.

[296] هو: عبد الله بن عتبة بن مسعود الهذلي. كان كثير الحديث والفتوى وصاحب رؤية ورواية. توفي بالمدينة سنة «74هـ ـ 693م» شذرات الذهب جـ 1 ص: 82.

[297] سبقت ترجمته في الرسالة التاسعة. ص: 246.

[298] أريس أو بئر أريس: «بئر بالمدينة ثم بقباء مقابل مسجدها. قال أحمد بن يحيى بن جابر: نسبت إلي أريس رجل من المدينة من اليهود عليها مال لعثمان بن عفان رضي الله عنه». ياقوت، معجم البلدان. جـ 1 ص: 298.

[299] خيبر: ناحية على ثمانية برد من المدينة لمن يريد الشام ويطلق هذا الاسم على الولاية وتشمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير وقد فتحها النبي ﷺ سنة سبع للهجرة وقيل سنة ثمان. ياقوت، معجم البلدان. جـ 4، ص: 410.

[300] وادي القرى: واد بين الشام والمدينة كثير القرى افتتحه النبي ﷺ سنة سبع عنوة ثم صولحوا على الجزية. ياقوت، معجم البلدان. جـ4، ص: 345.

[301] هو: أبو عبد الله الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي. صحابي جليل واحد العشرة المبشرين بالجنة وابن عمة النبي ﷺ وأول من سل سيفه في الإسلام. أسلم صغيراً وشهد بدراً وأحداً وغيرها. قتل غيلة يوم الجمل بوادي السباع على سبع فراسخ من البصرة سنة «36هـ ـ 656م». الحلية جـ 1 ص: 89 ـ تهذيب ابن عساكر جـ 5 ص: 355 ـ الأعلام جـ 3 ص: 43.

(1) في "ن" وخمسمائة ألف دينار.

وترك ألف فرس وألف مملوك. وخلّف عمرو بن العاص[302] ـ رضي الله عنه ـ ثلاثمائة ألف دينار وغنى عبد الرحمن بن عوف[303] ـ رضي الله عنه ـ أشهر من أن يذكر وكانت الدنيا في أكفهم لا في قلوبهم صبروا عنها حين فقدت وشكروا [الله(1)] حين وجدت، وإنما ابتلاهم الحق بالفاقة في أول أمرهم حتى تكملت أنوارهم وظهرت(2) أسرارهم فبذلها لهم حينئذ لأنهم لو أعطوها قبل ذلك فلعلها كانت آخذة منهم، فلما أعطوها بعد التمكين والرسوخ في اليقين تصرفوا فيها تصرف الخازن الأمين [وامتثلوا قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِۖ﴾[304](3)]. ومن ههنا يفهم منعهم عن الجهاد أول الأمر يقول الحق سبحانه لهم: ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ﴾[305]. لأنهم لو أبيح لهم الجهاد أول الإسلام فلعل الذي هو حديث عهد بالإسلام لو أطلق لهم الجهاد أن يكون انتصاره لنفسه من حيث لا يشعر حتى كان علي رضي الله عنه إذا ضرب أمهل حتى تبرد تلك الضربة ثم يضرب عقبها فيكون في ذلك مشاركة من حظه، وذلك لمعرفته رضي الله عنه بدسائس النفوس وكمائنها. وعظيم حراستهم لقلوبهم وتخليص أعمالهم وإشفاقهم أن يكون في أعمالهم شيء لم يرد به وجه الله تعالى. فكانت الدنيا في أيدي الصحابة لا في قلوبهم ويدلل على ذلك خروجهم عنها وإيثارهم بها وهم الذين قال الحق سبحانه فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ

---

[302] تقدمت ترجمته بالهامش رقم «176».

[303] هو: أبو محمد عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي، من أجلّاء الصحابة وأحد العشرة المبشرين بالجنة شهد بدراً وأحداً وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ. ولد سنة «44ق هـ ـ 580م» وتوفي بالمدينة المنورة سنة «32هـ ـ 652م». الحلية جـ 1 ص: 98 ـ أسد الغابة ت1571 ـ الأعلام جـ 3 ص: 321.

[304] الحديد: 7.

[305] البقرة: 109.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) في الأصل: وتطهرت أسرارهم.

(3) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[306]. حتى إنه أهدي لإنسان منهم رأس شاة فقال: فلان أحق بها مني ثم قال الآخذ لها كذلك فما زالوا يتهادونها حتى عادت للذي أهداها أولاً بعد أن طافت على سبعة أو نحوهم، ويكفيك في ذلك خروج عمر[307] ـ رضي الله عنه ـ عن نصف ماله وخروج أبي بكر[308] ـ رضي الله عنه ـ عن ماله كله[309] وخروج عبد الرحمن بن عوف[310] عن سبعمائة بعير موقورة الأحمال[311] وتجهيز عثمان بن عفان[312] ـ رضي الله عنه ـ جيش العسرة[313] إلى غير

---

[306] الحشر: 9.

[307] تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 161.

[308] تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة. ص: 160.

[309] لعله يشير بذلك إلى ما أخرجه الترمذي في سننه «جـ5 ص: 277» أبواب المناقب ـ مناقب أبي بكر الصديق ـ عن زيد بن أسلم عن أبيه قال سمعت عمر بن الخطاب يقول: أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق ووافق ذلك عندي مالا فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن «سبقته يوماً» قال فجئت بنصف مالي. قال رسول الله ﷺ: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله وأتى أبو بكر بكل ما عنده فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ فقال: أبقيت لهم الله ورسوله. قلت: لا أسبقه إلى شيء أبداً».

[310] تقدمت ترجمته بالهامش رقم: 302.

[311] لعله يشير بذلك إلى ما رواه أبو نعيم في حليته «جـ1 ص: 98» عن أنس بن مالك قال: بينما عائشة في بيتها إذ سمعت صوتاً رجت منه المدينة، فقالت: ما هذا؟ قالوا: عير قدمت لعبد الرحمن بن عوف من الشام وكانت سبعمائة راحلة. فقالت عائشة: أما أني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبواً» فبلغ ذلك عبد الرحمن فأتاها فسألها عما بلغه فحدثته. قال: فإني أشهدك بأحمالها وأقتابها وأحلاسها في سبيل الله عزّ وجل.

[312] تقدمت ترجمته في الرسالة التاسعة. ص: 246.

[313] لعله يشير بذلك إلى ما أخرجه الترمذي في سننه «جـ5 ص: 278» أبواب المناقب ـ مناقب عثمان بن عفان رضي الله عنه ـ عن أبي عبد الرحمن السلمي قال: «لما حصر عثمان أشرف عليهم فوق داره ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن حراء [illegible] شهيد. قالوا: نعم. قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رسول الله ﷺ قال في جيش العسرة: من ينفق نفقة متقبلة والناس مجهدون معسرون فجهزت =

ذلك من [حسن[(1)]] أفعالهم وسني أحوالهم. وتضمنت الآية الأخرى وهي قوله سبحانه وتعالى: ﴿رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾[314]. الإخبار عنهم بسر الصدق الذي لا يطلع عليه أحد إلا الحق سبحانه وذلك ثناء عظيم وفخر جسيم لأن ظواهر الأفعال قد تلتبس فيها الأحوال فيما يرجع إلى علم العباد فتضمنت الآيات التزكية لظواهرهم وسرائرهم وإثبات محامدهم ومفاخرهم. فقد تبين من هذا أن تدبير الدنيا على قسمين: تدبير الدنيا للدنيا كما هو حال أهل القطيعة الغافلين. وتدبير الدنيا للآخرة كأحوال الصحابة المكرمين والسلف الصالحين. ويدلك على ذلك قول عمر ـ رضي الله عنه ـ إني أجهز الجيش وأنا في صلاتي. لأن تدبير عمر ـ رضي الله عنه ـ على المعاينة والمواجهة فهو إذاً تدبير لله فلذلك لم يكن قاطعاً لصلاته ولا منقصاً من كمالها. فإن قلت: قد زعمت أن ليس منهم من يريد الدنيا وأنزل الحق في شأنهم يوم أحد ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾[315] حتى قال بعض الصحابة[316] ـ رضي الله تعالى عنهم ـ ما كنا نظن أن أحداً منا يريد الدنيا حتى نزل قوله سبحانه: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ الْآخِرَةَ﴾. فاعلم وفقك الله للفهم عنه وجعلك من أهل الاستماع منه أنه يجب على كل مؤمن أن يظن في الصحابة الظن الجميل، وأن يعتقد فيهم الاعتقاد الفضيل، وأن يلتمس لهم أحسن المخارج في أقوالهم

= ذلك الجيش. قالوا: نعم. ثم قال: أذكركم بالله هل تعلمون أن رومة لم يكن يشرب منها أحد إلا بثمن فابتعتها فجعلتها للغني والفقير وابن السبيل. قالوا: اللهم نعم وأشياء عدّها».

[314] الأحزاب: 23.

[315] آل عمران: 152.

[316] هو الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود. الطبري، جامع البيان في تفسير القرآن. جـ 4 ص: 85. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن. جـ 4 ص: 237.

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

وأفعالهم وفي جميع أحوالهم في حياة رسول الله ﷺ وبعد وفاته. لأن الحق سبحانه لما زكاهم تزكية مطلقة لم يقيدها بزمن دون زمن، وكذلك تزكية الرسول لهم ﷺ بقوله: «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»[317] وعن هذه الآية جوابان أحدهما: منكم من يريد الدنيا [للآخرة(1)] كالذين أرادوا الغنيمة ليعاملوا الله بما يأخذونه منها بذلاً وإيثاراً. ومنكم(2) من لم يكن ذلك مراده إنما كان مراده تحصيل فضل الجهاد لا غير فلم يعولوا على الغنائم ولم يلتفتوا إليها. فمنهم الفاضل ومنهم الأفضل ومنهم الكامل ومنهم الأكمل. الجواب الثاني: أن للسيد أن يقول لعبده ما شاء وعلينا أن نتأدب مع عبده لثبوت نسبته منه، فليس كل ما خاطب السيد به عبده ينبغي أن ننسبه للعبد ولا أن يخاطبه به غيره إذ للسيد أن يقول لعبده ما شاء تحريضاً لعبده وتنشيطاً لهمته وقصده وعلينا أن نلتزم حدود الأدب معه. وإن تصفحت الكتاب العزيز وجدت فيه كثيراً. منها سورة «عبس» حتى قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ لو كان رسول الله ﷺ كاتماً شيئاً من الوحي لكتم هذه السورة. فقد تقرر من هذا أنه ليس إسقاط لتدبير الممدوح ترك الدخول في أسباب الدنيا والفكرة في مصالحها ليستعين بذلك على طاعة مولاه والعمل لأخراه، وإنما التدبير المنهي عنه هو التدبير فيها لها. وعلامة ذلك أن يعصي الإله من أجلها، وأن يأخذها كيف كان من حلها وغير حلها». ثم قال: «فائدة: اعلم أن الأشياء إنما تذم وتمدح بما تؤدي إليه. والتدبير المذموم ما شغلك عن الله وعطّلك عن القيام بخدمة الله وصدّك عن معاملة الله. والتدبير الممدوح هو ما ليس كذلك مما يؤديك إلى القرب من الله ويوصلك إلى مرضاة الله. وكذلك الدنيا ليست تذم بلسان الإطلاق ولا تمدح كذلك وإنما المذموم منها ما شغلك عن مولاك ومنعك الاستعداد لأخراك كما قال بعض العارفين: كل ما

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) في «ج» ومنهم من لم يكن مراده ذلك إنما مراده.

[317] الحديث سبق تخريجه، بالهامش رقم «289».

شغلك عن الله من أهل ومال وولد فهو عليك مشؤوم. والممدوح ما أعانك على طاعته وأنهضك إلى خدمته. وبالجملة ما وقع المدح به فهو ممدوح في نفسه، وما وقع الذم به فهو مذموم في نفسه. وقد جاء عن النبي ﷺ: «الدنيا جيفة قذرة مذرة». وقال ﷺ: «الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله وما والاه أو عالماً أو متعلماً»[318]. وقال ﷺ: «إن الله جعل ما يخرج من بني آدم مثلاً للدنيا»[319] فهذه الأحاديث تقتضي ذمها وتنفير العباد عنها. وجاء عنه ﷺ: «لا تسبوا الدنيا فنعمت مطية المؤمن عليها يبلغ الخير وبها ينجو من الشر»[320] فالدنيا التي لعنها رسول الله ﷺ هي الدنيا الشاغلة عن الله. ولذلك استثنى في الحديث فقال: «إلا ذكر الله وما والاه وعالماً ومتعلماً». فبيَّن عليه السلام أن هذا ليس من الدنيا وقوله عليه السلام: «لا تسبّوا الدنيا». أي التي توصلكم إلى طاعة الله ولذلك قال ﷺ: «فنعمت مطية المؤمن» فمدحها من حيث كونها مطية لا من حيث إنها دار اغترار ووجود أوزار. وإذا علمت هذا فقد فهمت أن إسقاط التدبير ليس هو الخروج عن الأسباب حتى يعود الإنسان ضيعة فيكون كلاً على الناس بتجريده فيجهل حكمة الله في إثبات الأسباب وارتباط الوسائط. وقد جاء عن عيسى عليه السلام: أنه مرَّ بمتعبد فقال له من أين تأكل؟ فقال: أخي يطعمني. فقال: أخوك أعبد منك. [أي أخوك وإن كان في سوقه أعبد منك(1)] لأنه هو الذي أعانك على الطاعة وفرّغك لها. وكيف يمكن

---

[318] أخرجه ابن ماجه في سننه «جـ2 ص: 1377» كتاب الزهد ـ باب مثل الدنيا. عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[319] أخرجه البيهقي في «الشعب» جـ 5 ص: 29 باب في المطاعم والمشارب ـ فصل في ذم كثرة الأكل عن الضحاك بن سفيان الكلابي. رضي الله عنه.

[320] أخرجه ابن عدي في الكامل «جـ1 ص: 304» عن [illegible] عن عبد الله رضي الله عنه. وأخرجه الديلمي في الفردوس. «جـ5 ص: 10» عن ابن مسعود بلفظ: لا تسبوا الدنيا فنعم مطية المؤمن هي عليها تبلغه الجنة وبها ينجو من النار».

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

أن ينكر الدخول في الأسباب بعد أن جاء قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[321] وقوله: ﴿وَأَشْهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾[322] وقوله عليه السلام: «أحل ما أكل المرء من كسب يمينه، وإن داود نبي الله كان يأكل من كسب يمينه»[323] وقوله عليه السلام: «أفضل الكسب عمل الصانع بيده إذا نصح»[324] وقال عليه الصلاة والسلام: «التاجر الأمين الصدوق المسلم مع الشهداء يوم القيامة»[325]. فكيف يمكن لأحد بعد هذا أن يذم الأسباب؟ لكن المذموم منها ما شغلك عن الله وصدّك عن معاملته. ولو تركت [هذه(1)] الأسباب وغفلت عن الله بالتجريد كنت مذموماً أيضاً. وليست الآفات داخلة على المتسبِّبين [فحسب بل قد تدخل على المتجردين كما تدخل على المتسببين ﴿لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ﴾[326]. بل قد يكون دخولها على المتجردين أشد إذ الآفات داخلة على المتسببين(2)] دخول في الدنيا مع عدم الدعوى منهم ظاهرهم كباطنهم مع اعترافهم بالتقصير ومعرفتهم بفضل المتفرغين لطاعة الله عليهم. وآفات المتجردين ربما كانت عجباً أو كبراً أو رياء أو تصنعاً أو تزيناً للخلق بطاعة الله استجلاباً لما في أيديهم. وقد

---

[321] البقرة: 275.

[322] البقرة: 282.

[323] لم أقف عليه بلفظه وقريب من معناه ما أخرجه البخاري في صحيحه «جـ2 ص: 4» كتاب البيوع ـ باب كسب الرجل وعمله بيده. عن المقدام عن رسول الله ﷺ قال: «ما أكل أحد طعاماً قط خيراً من أن يأكل من عمل يده وإن نبي الله داود كان يأكل من عمل يده».

[324] أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده «جـ2 ص: 334» عن أبي هريرة بلفظ: «خير الكسب كسب يد العامل إذا نصح».

[325] أخرجه ابن ماجه في سننه «جـ2 ص: 724» كتاب التجارات ـ كتاب الحث على المكاسب من حديث ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ.

[326] هود: 43.

(1) (2) ... الحواصر ساقط من «ج».

تكون الآفات اعتماداً واستناداً إلى المخلوق. وأمارة ذلك ذمه للناس إذا لم يكرموه، وعتبه إليهم إذا لم يخدموه. فالمنغمس في الأسباب مع الغفلة أحسن حالاً من هذا بكثير. أحسن الله منا النيات وطهر نفوسنا من الآفات بفضله [وكرمه(1)] انتهى من التنوير[327]. قال شيخنا: التجارة مطلوبة شرعاً وكذلك الفلاحة والفقاية(2) والتسبب فيها مطلوب. والتجارة هي: الاسترباح بالبيع والشراء، وقد كان ﷺ وأبو بكر، وعمر، وعثمان، وابن عوف، وطلحة[328]، وابن مهراق، وابن سيرين[329]، وابن أويس والزبير وعمرو بن العاص وابن كريز حزان(3) وكان العباس عطّاراً. وأبو سفيان وأيوب السختياني[330] يبيعان الجلود. ومالك بن دينار[331] ورّاقاً. إذ كل صناعة محمودة. وقد تسمى عبادة مع القيام بالفرض. قال حاكياً عن غيره: لا يبلغ

---

[327] التنوير في إسقاط التدبير. ص: 28 ـ 31.

[328] هو: أبو محمد طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي القرشي. من السابقين في الإسلام ومن الصحابة العشرة المبشرين بالجنة في دار الدنيا، ومن الذين ثبتوا مع رسول الله ﷺ يوم أحد مبايعين له على الموت وبلغت جراحاته يومها «24» جرحاً. ولد سنة «28ق هـ ـ 596م» وقتل يوم الجمل بجانب أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها ودفن بالبصرة وكان ذلك سنة «36هـ ـ 656م». الحلية جـ 1 ص: 87 ـ تهذيب ابن عساكر جـ 7 ص: 71 ـ الأعلام جـ 3 ص: 229.

[329] هو: أبو بكر محمد بن سيرين البصري الأنصاري بالولاء. إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. اشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. ينسب له كتاب «تعبير الرؤيا» و«منتخب الكلام في تفسير الأحلام» وليس له. ولد بالبصرة سنة «33هـ ـ 653م» وبها كانت وفاته سنة «110هـ ـ 729م» الحلية جـ 2 ص: 263 ـ تاريخ بغداد جـ 5 ص: 331. الأعلام جـ 6 ص: 154.

[330] هو: أبو بكر أيوب بن أبي تميمة كيسان السختياني البصري. سيد فقهاء عصره. تابعي من النساك الزهاد حفاظ الحديث الثقاة. روي عنه نحو «800» حديث. ولد سنة «66هـ ـ 685» وتوفي سنة «131هـ ـ 748م». الحلية جـ 3 ص: 3 ـ تهذيب التهذيب جـ 1 ص: 297 ـ الأعلام جـ 2 ص: 38.

[331] هو: أبو يحيى مالك بن دينار البصري الزاهد المشهور. أقام أربعين سنة لا يأكل من ثمار البصرة ولا يأكل إلا من عمل يده باستنساخ المصاحف وبيعها. =

(1) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

(2) كذا وردت ولم يتضح لي معناها.

(3) في «ج» وابن كريز خوازين. والمعنى لم يتضح لي وواضح أن كلمة بعدها قد سقطت وهي خبر كان وتقديرها فيما أرى «تجاراً».

أحد حقيقة الزهد حتى يكون فيه ثلاث خصال: عمل بلا علاقة، وقول بلا طمع، وعز بلا رياسة. ولله در القائل حيث قال: (البسيط).

لا دار للمرء بعد الموت يسكنها ... إلا التي كان قبل الموت بانيها

فإن بناها بخير طاب مسكنها ... وإن بناها بشر خاب بانيها

من كان همته الدنيا وبهجتها ... فعن قريب على رغم يخليها

فالنفس تطلب آمالاً لتدركها ... والموت دون الذي يرجو سيأتيها

فالعيد والعيد والأيام بينهما ... فالدهر ينشرها والموت يطويها

أموالنا لذوي الميراث نجمعها ... ودورنا لخراب الدهر نبنيها

أين الملوك التي في حرصها جمعت ... حتى سقاهم بكأس الموت ساقيها

والله لو قنعت نفسي بما رزقت ... من العيش إلاّ كان يكفيها[1]

لو كان في صخرة في البحر راسية ... صماً ململمة ملسا نواحيها

رزق قضاه إله العرش لانفلقت ... حتى تؤدي إليه كل ما فيها

حتى ينال الذي في اللوح خط له ... فإن أتته وإلا سوف يأتيها

ثم الصلاة على خير الأنام تقى ... وسيد الأنبيا وخير ما فيها

**قلت**: الموت حق، والتسبب مطلوب، والصبر درع لصاحبه، والصمت حكمة، والزهد علامة كمال العقل والهداية. لأن العاقل يترك المنفعة العاجلة خوفاً من المضرة الآجلة وينظر في عواقب الأمور بخلاف الجاهل. ولهذا قال بعضهم: ما خرج الزاهدون من الدنيا إلى الله بل إلى أنفسهم لأنهم تركوا النعيم الفاني لأجل النعيم الباقي.

(1) في «ج» من العيش إلا سيكفيها. ولو قال: «من قله العيش إلا كان يكفيها» لسلم البيت.

= توفي بالبصرة سنة «131هـ - 748م». الحلية جـ 2 ص: 357 - وفيات الأعيان جـ 1 ص: 440 - الأعلام جـ 5 ص: 260.

**قلت**: هذا والله في زهد العوام والخواص لا في زهد خواص الخواص لأنهم زهدوا في الآخرة أيضاً حتى كان زهدهم ترك كل شيء سوى الله تعالى. وقيل: الزهد قصر الأمل[332]. وقيل: من تكلم في الزهد ووعظ الناس ثم رغب في دنياهم نزع الله حب الآخرة من قلبه. وقيل: إذا زهد العبد في الدنيا وكّل الله به ملكاً يغرس في قلبه الحكمة وقال الشيخ شقيق بن إبراهيم البلخي[333]- رضي الله عنه - الزاهد هو: الذي يقيم زهده بعلمه، والمتزهد هو الذي يقيم زهده بلسانه. وسئل ما علامة صدق الزاهد؟ فقال: أن يصير يفرح بكل شيء فاته من الدنيا إلى أن قال: إذا كان العالم طامعاً وللمال جامعاً فبمن يقتدي الجاهل؟ انتهى. وقال الشيخ سيدي عبد القادر الجيلاني[334] - رضي الله عنه - من أراد الآخرة فعليه بالزهد في الدنيا، ومن أراد الله تعالى فعليه بالزهد في الآخرة. إلى أن قال: تأمل ما قالت الصحابة الأربعة الخلفاء رضي الله عنهم. قال أبو بكر الصديق - رضي الله عنه - (البسيط).

الموت باب وكل الناس داخله ... يا ليت شعري بعد الباب ما الدار

وقال سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (البسيط).

الدار دار نعيم إن عملت بما ... يرضي الإله وإن خالفت فالنار

وقال سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه: (البسيط).

---

[332] نسب هذا القول إلى كل من:

1 - سفيان الثوري.

2 - أحمد بن حنبل.

3 - عيسى بن يونس.

الرسالة القشيرية. ص: 116.

[333] تقدمت ترجمته بالهامش رقم: 68.

[334] تقدمت ترجمته في الرسالة الخامسة ص 164.

هما محلان ما للمرء غيرهما فانظر لنفسك أي الدار تختار

وقال سيدنا علي رضي الله عنه وأرضاه: (البسيط).

ما للعبيد سوى الفردوس منزلة وإن هفوا هفوة فالرب غفار

**قلت**: وفي التنوير: تأمَّل «لعلَّك تفهم من هذا الكلام الذي هو منزلة الزاهدين المتجردين والمتسببين في رتبة واحدة وليس الأمر كذلك ولن يجعل الله من تفرغ لعبادته وشغل أوقاته به كالداخل في الأسباب ولو كان فيها متقناً فالمتسبب والمتجرد إذا استوى مقامهما من حيث المعرفة بالله فالمتجرد أفضل وما هو فيه أعلى وأكمل. ولذلك قال بعض العارفين: مثل المتسبب والمتجرد كعبدين للملك قال لأحدهما اعمل وكل من كسب يديك. وقال للآخر: الزم أنت حضرتي وخدمتي وأقوم لك بما تريد. فهذا قدره عند السيد أجل وصنعه به ذلك على العناية أدل. ثم إنه قلّما تسلم من المخالفات أو تصفو لك الطاعات مع الدخول في الأسباب لاستلزامها لمعاشرة الأضداد ومخالفة أهل الغفلة والعناد. وأشد ما يعينك على الطاعة رؤية المطيعين وأشد ما يدخل بك في الذنب رؤية المذنبين كما قال عليه السلام: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»[335]

وقال الشاعر: (الطويل).

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

فإن كان ذا شر فجانبه سرعة وإن كان ذا خير فقارنه تهتدي[336]

---

[335] أخرجه الطيالسي في مسنده ص: 335 عن أبي هريرة رضي الله عنه.

[336] البيت الأول مع بيت قبله ينسبان لطرفة كما ينسبان لعدي بن زيد وهما:

إذا كنت في قوم فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

الشريشي، شرح مقامات الحريري. «جا ص: 193».

والنفس من شأنها التشبه والمحاكاة والتزيُّن بصفات من قارنها[1] والمضاهاة فصحبتك للغافلين معونة لها على وجود الغفلة إذ الغفلة ملائمة لها من أصل الوضع. فكيف إذا انضم إلى ذلك سبب مخالطة الغافلين؟ وقد تجد من نفسك أيها الأخ وفقك الله أنه لا يستوي حالة خروجك من منزلك وعودك إليه. أنت في حين خروجك تغلب عليك الأنوار وشرح الصدر والعزم على الطاعة والزهد في الدنيا فتجدك إذا رجعت لست كذلك ولا فيما هنالك وما ذاك إلا لدنس المخالطة وانغماس القلوب في ظلمة الأسباب. ولو كانت الأسباب والمعاصي إذا ذهبت ذهب أثرها لم تعوق القلوب على المسير إلى الله تعالى بعد انفصالها ووجود زوالها وإنما ذلك كالنار فربما انقضى الإيقاد وبقي السواد. ويحتاج المتسبب إلى شيئين علم وتقوى فالعلم يعلم به الحرام والحلال، والتقوى تصده عن ارتكاب الآثام. فأما حاجته للعلم فإنه يحتاج إلى الأحكام المتعلقة بالمعاملة بيعاً وسلماً وصرفاً وما يتعلق بذلك مع ما يحتاج إليه من أحكام الواجبات والفروض المعينات وغير ذلك. انتهى[337].

**واعلموا**: أن الزَّاهد الحقيقي إذا مدح أو سمع الثناء من الخلق عليه انقبض انقباضاً عظيماً، واستحىَ من الله أن يثنى عليه بوصف لا يشهده عن نفسه. والعارف إذا مدح انبسط شهوده بذلك من الملك لأن المريد الصادق هو الذي لا يشهد من نفسه صفة ممدوحة يستحق بها أن يمدح أو يثنى عليه، وإنما يشهد ذلك من ربه عزّ وجلّ. فإذا أثنى الناس عليه بصفة ليست فيه فيزداد بذلك مقتاً لنفسه واحتقاراً لها ونفوراً عنها ويقوى عنده رؤية إحسان الله تعالى إليه وشهود فضله في إظهار المحاسن إليه. وهذا الشكر به ينال المريد سلامته من السكون إلى ثناء العبيد.

(1) في "ت" بصفات من مقارنها.

---

[337] التنوير في إسقاط التدبير. ص: 31 ـ 32.

**واعلموا**: أن الزُّهاد في غيبة عن الله تعالى فهم لا يشاهدون إلا الخلق فإذا مدحوا أو أثني عليهم شهدوا ذلك من الخلق فانقبضوا عن ذلك لأنهم يخافون فوات نصيبهم من ربهم لأجل ما يتوقعون من الاغترار(1) بذلك. والعارفون حاضرون مع ربهم فهم لا يشاهدون معه غيره [فإذا مدحوا شهدوا الثناء من ربهم فانبسطوا لذلك وكان ذلك مزيد(2)] في حالهم ومقامهم لغيبتهم عن أنفسهم. كان بعضهم يمدح وهو ساكت فقيل له في ذلك. فقال: وما عليَّ من ذلك ولست أغلط في نفسي بل لست في البين والمجرى والمثني هو الله عزّ وجلّ. وقيل هذا المعنى في الخبر المروي «إذا مدح المؤمن في وجهه ربا الإيمان في قلبه»[338] وقال أبو طالب المكي[339] - رضي الله عنه - «وفيه طريق العارفين بأن يعلو الإيمان العلي إلى المولى الأعلى فيفرح بذلك لمولاه ويضيفه إلى سيّده الذي تولاه فيرد الصنعة إلى صانعها ويشهد من الفطرة فاطرها فيكون ذلك مدحاً للصانع ووصفاً للفاطر لا ينظر إلى وصفه ولا يعجب بنفسه» انتهى. ورأيت لابن عطاء الله قصائد في مدح شيخه أبي العباس المرسي - رضي الله عنه -[340]. قيل كان ينشدها كثيراً بين يديه ويقع ذلك منه موقعاً عظيماً وكان يستعيد منه بعضها ويقول له في بعضها: أيَّدك الله بروح القدس نحو ما كان يقوله رسول الله ﷺ[341] لشاعره حسان بن

---

[338] أخرجه الحاكم في مستدركه «جـ3 ص: 597» كتاب معرفة الصحابة - ذكر أسامة بن زيد حب رسول الله ﷺ. وأورده محمد ناصر الدين الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة» جـ 4 ص: 597».

[339] هو: «أبو طالب محمد بن علي بن عطية الحارثي المكي. فقيه صوفي زاهد من مؤلفاته «قوت القلوب» في التصوف و«علم القلوب». توفي ببغداد سنة «386هـ - 996م». تاريخ بغداد جـ 3 ص: 89 - وفيات الأعيان جـ 1 ص: 491 - الأعلام جـ 6 ص: 274.

[340] ابن عطاء الله، لطائف المنن. ص: 238.

[341] لعله يشير بذلك إلى ما أخرجه البخاري في صحيحه «جـ4 ص: 53» =

(1) في «ج» الأشرار.

(2) ما بين الحاصرتين ساقط من «ج».

ثابت[342]. مع أن حب المدح عندهم من الرذائل التي تشبه الفضائل. وهذا النظر والشهود الجمعي استقام لهم من مدحهم لأنفسهم وثنائهم عليها ما لم يستقم لغيرهم كما وقع لجماعة منهم. وقد روي في ذلك عن سيدي عبد القادر الجيلاني، وسيدي أبي الحسن الشاذلي، وسيدي أبي العباس المرسي رضي الله عنهم وغيرهم غير شيء مع أن ذلك معدود عندهم من الصدق القبيح، وما ذلك إلا لما ذكرناه. ولا يتأول ما وقع لهم من ذلك بما تأول به علماء الظاهر مدح يوسف عليه السلام لنفسه وثنائه عليها بغاية الحفظ والعلم[343] لعدم الحاجة إليه في هذا المقام والله أعلم. وعلامة الصدق(1) في حب المدح وإن كان صاحب هذا المقام لا يحتاج إلى علامة أن لا يكره ذم الناس له من حيث نسبة ذلك إليهم لأنهم مصرفون في قبضة القدرة فيسمح لهم، ويصفح عنهم، ولا يجد في قلبه عليهم، ولا يصل بشيء من الأذى إليهم. كما قيل: (الرمل).

رب رام لي بأحجار الأذى لم أجد بداً من العطف عليه
فعسى يطّلع الله على فرح القوم فيدنيني إليه[344]

وبالله التوفيق.

---

= كتاب الأدب ـ باب هجاء المشركين. عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف أنه سمع حسان بن ثابت الأنصاري يستشهد أبا هريرة فيقول: يا أبا هريرة نشدتك بالله هل سمعت رسول الله يقول: يا حسان أجب عن رسول الله ﷺ اللهم أيده بروح القدس، قال أبو هريرة: نعم.

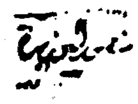
[342] هو أبو الوليد حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري، شاعر النبي ﷺ وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام، كان فحل الشعر شديد الهجاء، قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاثة كان شاعر الأنصار في الجاهلية ـ وشاعر النبي في النبوة ـ وشاعر اليمانيين في الإسلام. توفي سنة «54هـ ـ 674م». الإصابة ج 1 ص: 326ـ خزانة الأدب ج 1 ص: 111 ـ الأعلام ج 2 ص: 176.

[343] يشير بذلك إلى قوله عليه السلام لملك مصر: ﴿قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ يوسف: 55.

[344] ابن عباد، شرح الحكم. ج 1 ص: 110.

(1) في «ج» وعلامة الصادق.

ثلاثا وثلاثين كما قدمنا مجزئة او مجمعة ولا حسن الا مراد كما
جرى به عمل مشايخكم بعثنا ولم اذكر في الرواية الاولى النهبيل
والحوقلة وهي انتهى رواية انتهى ما وجد منها هذه النسخة
المباركة والحمد لله رب العالمين وكتب نصيحة
لمريده شيخي سعيد بن عبد الحميد الغدامسي وهي بسم الله
الرحمن الرحيم ما شاء الله لا قوة الا بالله الحمد لله الذي انطق
اللسان بالبيان. وهيأ لفهم الحق والعمل به من عباده كل صاحب
مخلص بالاسلام والايمان. وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه
والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين. سألت مني ايها المحب
ان انصحك وخير الوصايا وانفعها وصايا الله. التي اوصى بها عباده
في كتابه ووصايا رسول الله صلى الله عليه وسلم فعليك بالقبول لها
والاخذ بها تسعد. وترشد. وتفلح. وتنجح. ثم اني انصحك بان
تكون بمولاك مكتفيا وبه متعلقا. وبمكارم الاخلاق متخلقا
. وللدنيا مطلقا. ولنفسك من اسر الحظوظ مطلقا. ومن رفقها
معتنقا ولابواب الشهوات مغلقا. وللحق موافقا. وللصدق مرافقا.
وعلى باب الله واقفا. ولهوى نفسك مخالفا. وللاوامر ممتثلا وعلى
كل طاعة مقبلا. ولكل ما يشغلك عنه مجانبا. ولسنة نبيك عليه السلام طالبا.
وللمعاصي مباعدا. وللمقبلين عليه مساعدا. ولحرماته وشعائر
دينه معظما. وللاولياء المشغوفين بمحبته المشغولين بذكره منه
وللاحكام مسلما ومع الحق دائرا وعليه صابرا. ودم على تلاوة كتاب الله



---

نموذج من رسالة الأسمر إلى سعيد بن عبد الحميد الغدامسي من النسخة المرموز لها بـ (الأصل).

نموذج من رسالة الأسمر إلى سعيد بن عبد الحميد الغدامسي من النسخة المرموز لها بـ (ج).

صغيرة ونحوها ولا تغسل اليدين فيه والأولى أن يكون في طشت ونحوه
ولا يقعد فيه مريض أن خيف تلويثه والبصق فيه خطيئة كفارتها
دفنها في ترابه ومسحها فيه ونحوها أفضل والأولى ترك البصق وا
لحجامة فيه ولا يجوز أن خيف تلويثه إخواني اعتكفوا في المساجد
واكثروا من الذكر والفكر وأحيوا الليالي شهر رمضان بالصلاة والذكر
لكي تنالون الخير والأجر وربما تصادفون حينئذ ليلة القدر
التي خير من ألف شهر قال بعض الشيوخ أن الشيخ أبا الحسن
الحرالي قال منذ بلغت ما فاتتني ليلة القدر فصادفتها إذا كان
أول شهر رمضان يوم الأحد كانت ليلة القدر ليلة التاسع والعشرون
منه وإذا كان يوم الاثنين كانت ليلة القدر ليلة الحادي والعشرون
منه وإذا كان يوم الثلاثاء كانت ليلة القدر ليلة الرابع والعشرين
السابع
منه وإذا كان يوم الأربعاء كانت ليلة القدر ليلة العشرين منه
وإذا كان يوم الخميس كانت ليلة القدر ليلة الخامس والعشرين
منه وإذا كان يوم الجمعة كانت ليلة القدر ليلة التاسع عشر منه
وإذا كان يوم السبت كانت ليلة القدر ليلة الثالث والعشرين
منه انتهى وبالله التوفيق وكتب

لجماعة من أصحابه بسوس الأقصى وهي هذه بسم الله الرحمن الرحيم
وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما
كثيرا من العبد الفقير إلى الله عبد السلام بن سليم الفيتوري
الطرابلسي إلى الجماعة المحبين إلينا المنقطعة قلوبهم إلينا سيدي
سعيد

نموذج من رسالة الأسمر إلى أصحابه بـ (سوس الأقصى) من النسخة المرموز لها بـ (الأصل).

نموذج من رسالة الأسمر إلى عبد الحميد بن علي العوسجي من النسخة المرموز لها بـ (ج).

انك انت العليم الحكيم. الحمد لله رب البرية، الذي عم عباده بالدعوة
والوصية، وخص البعض منهم بالهداية والرحمة واستبد ذلك
للمشيئة الأزلية. قال الله تعالى: ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب
من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله، وقال تعالى: والله يدعو إلى دار
السلام ويهدي من يشاء إلى صراط مستقيم. وقال تعالى:
يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم. وصلى الله على نبيه نبينا
ومولانا [illegible] محمد وصحبه حماة الدين القويم. السلام عليك
ورحمة الله وبركاته أيها المحب الراغب، والمريد الطالب، وعلى كل
أخ في الدين بالجربة وعوسجة والزاوية إلى بلد [illegible] جبلة
وعلى كل صديق مواخي وحبيب في الله رب العالمين في مشارق
الأرض ومغاربها وبرها وبحرها وسهلها ووعرها وجميع
أقطارها وأكنافها. وكنت ابتغيت [illegible] أن أكتب لك
وصية تأنس بها وتنتفع بسببها، وقد أجبتك إلى ذلك، وإن
لم أكن أهلا لما هنالك، وإن لي في التماس هذا الأمر ولي في أسلافي
به الأسوة حسنة بالسلف المهتدين والخلف المقتدين، رضي
الله عنهم أجمعين، فالعقد كان الاستبصار والإبصار، من سيرهم
وأخلاقهم ونحو [illegible] الله بذلك في كتابه المجيد، الذي لا يأتيه
الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد. فأصله
تجده واضحا في سورة البلد والعصر والإنسان، واسترشد الله
واستعن به على التبليغ بإذنه حق ربوبيته ترشد وتعان، ولا حول

نموذج من رسالة الأسمر إلى عبد الحميد بن علي العوسجي من النسخة المرموز لها بـ (الأصل).

ومن لم يخرج للعلماء زادوا آلة الجهل والورع، ومن تلبس مع النساء زاده
الذنب والتسويف. إخواني إذا بلت لكم ناحية تشدد أحدا غسلوا عند
الرواح للجمعة ولا تكلموا أحدا وصلوا فيما من الصف الأول
فقه الركعة أربع تسليمات بالفاتحة وآية الكرسي ثم تبتهلون بها
إليها بعد الصلاة وتسألون حاجتكم فإنها تقضى وفي رواية ومعا قرب
لقضاء الحوائج يغتسل الإنسان عند الرواح للجمعة ولا يكلم أحدا ويصلي
فيما من الصف الأول ويصلي أربع تسليمات بالفاتحة وآية الكرسي حتى
يؤذن المؤذن فيتوسل بها ثم يسكت الخطيب والخطبة وإذا قضيت
الصلاة فلا يكلم ويتوسل بها إليها فإذا كملها آخر سبعين من الصلاة على
رسول الله صلى الله عليه وسلم ويصلي ويسأل حاجته فإنها تقضى بإذن الله
تعالى قال بعض الشيوخ إذا أردت لتتقلب الشر كله وتملك الخير كله ولا
يسبقك بابها ولو تمل الفضل فقل اللهم له الخير كله أسألك الخير كله
وأعوذ بك من الشر كله وإنك أنت الله الغني الغفور الرحيم أسألك بالهادي
محمد صلى الله عليه وسلم إلى صراطك المستقيم صراط الله الذي له ما في السموات وما
في الأرض ألا إلى الله تصير الأمور صحفية تشرح بها صدري وتضع بها
وزري وترفع بها ذكري وتيسر بها أمري وتنور بها قلبي وتقدس بها
سري وتكشف بها ضري وترفع بها قدري إنك على كل شيء قدير وفي رواية
أخرى تقرأ عقب الصلاة وتسأل وتقول اللهم إذ أمر كل شيء بيديك
على كل شيء فيا [illegible] كل شيء [illegible] بالدارات
[illegible] يوم [illegible] باخي الألطاف أسألك [illegible]
[illegible] أحد من خلقك الأمر [illegible]

جبار

نموذج من رسالة الأسمر إلى أصحابه بالزاوية الغربية من النسخة المرموز لها بـ (ج).

نموذج من رسالة الأسمر إلى أصحابه بـ (سوس الأقصى) من النسخة المرمو لها بـ (ج).



# المصادر والمراجع

**روعي في ترتيب المصادر والمراجع ما يأتي:**

1 ـ الترتيب الأبجدي بحسب أسماء المؤلفين مع التعريف ببعضهم تعريفاً موجزاً.

2 ـ الاعتماد في ترتيب أسماء المؤلفين على ما اشتهروا به من اسم أو لقب أو كنية.

3 ـ حذف «ال»، «ابن»، «أب» من الأسماء المبدوءة بها.

4 ـ ترقيم أسماء المصادر والمراجع بأرقام متسلسلة.

5 ـ استعمال بعض الرموز تجنباً للإطالة وبيانها كما يلي:

(أ) «ط» تعني الطبعة.

(ب) «تحـ» تعني تحقيق.

(جـ) «تر» تعني ترجمة وتعريب.

(د) «د.ت» تعني بدون تاريخ.

## أ ـ المصادر المخطوطة

**البرموني (كريم الدين بن ناصر الدين، ت بعد 1005هـ)**

1 ـ روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب صاحب الطار سيدي عبد السلام الأسمر

طرابلس: مركز دراسة جهاد الليبيين. رقم 821.

**الثعلبي (أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم، ت 427هـ)**

2 ـ الكشف والبيان في تفسير القرآن.

الرباط: الخزانة العامة. رقم 2078ك

**ابن حجر (أحمد بن علي، الحافظ، ت852هـ)**

3 ـ بذل الماعون في فضل الطاعون

الرباط: الخزانة العامة. رقم 2201د.

**زروق (أحمد بن أحمد بن محمد البرنسي الفاسي، ت899هـ)**

5 ـ الجامع لجمل من الفوائد والمنافع

الرباط: الخزانة العامة، رقم 2207د.

6 ـ شرح المباحث الأصلية

الرباط: الخزانة العامة. رقم 2284د.

**السنوسي (أبو عبد الله محمد بن يوسف، ت895هـ).**

7 ـ شرح الصغرى

الرباط: الخزانة العامة. رقم 2059د.

**السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، جلال الدين، ت911هـ).**

8 ـ جمع الجوامع

الرباط: الخزانة الملكية. رقم 3872.

**الغافقي (أبو عبد الله محمد بن أبي محمد عبد الواحد بن إبراهيم الغافقي).**

9 ـ فضائل القرآن

الرباط: الخزانة الملكية. رقم 6433.

## ب ـ المصادر المطبوعة

**ابن الأثير (أبو الحسن علي بن محمد الشيباني، ت630هـ)**

10 ـ أسد الغابة في معرفة الصحابة

دار الفكر. د.ت

11 ـ الكامل في التاريخ

تحـ: عبد الوهاب النجار

القاهرة: مطبعة الاستقامة. 1338هـ

**أحمد بن عطية الله**

12 ـ القاموس الإسلامي

القاهرة مكتبة النهضة المصرية. 1383هـ ـ 1963م.

**الألباني (محمد ناصر الدين).**

13 ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة.

بيروت: المكتب الإسلامي. ط4، 1398هـ

14 ـ صفة صلاة النبي ﷺ

بيروت. د.ت

**البخاري (الحافظ أبو عبد الله محمد بن أبي الحسن إسماعيل، ت256هـ)**

15 ـ صحيح البخاري «بحاشية السندي»

مصر: المطبعة الحلبية. 1372هـ ـ 1953م

**بسيوني زغلول (أبو هاجر محمد السعيد)**

16 ـ موسوعة أطراف الحديث النبوي الشريف

بيروت: عالم التراث. ط1، 1410هـ ـ 1989م

**ابن بشكوال (أبو القاسم خلف بن عبد الملك ت578هـ)**

17 ـ غوامض الأسماء المبهمة الواقعة في متون الأحاديث المسندة.

تحـ: عز الدين علي السيد ومحمد كمال عز الدين

بيروت: عالم الكتب. ط1، 1407هـ ـ 1987م.

**البغدادي (عبد القادر بن عمر، ت1093هـ)**

18 ـ خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب

القاهرة: المطبعة السلفية. 1351هـ.

**البغوي (أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء، ت516هـ)**

19 ـ شرح السنة

تحـ: زهير الشاويش وشعيب الأرناؤوط

دمشق: المكتب الإسلامي. ط1، 1390هـ ـ 1971م

**ابن بلبان (علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، ت739هـ)**

20 ـ الاحسان في تقريب صحيح ابن حبان

تحـ: شعيب الأرناؤوط

بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1408هـ ـ 1988م

**البيهقي (أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي، ت279هـ)**

21 ـ السنن الكبرى

الهند: حيدر أباد ـ الدكن ـ ط1، 1355هـ

22 ـ شعب الإيمان

تحـ: أبي هاجر محمد السعيد

بيروت: دار الكتب العلمية. ط1، 1410هـ ـ 1990م

**الترمذي (أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة، ت279هـ)**

23 ـ سنن الترمذي

تحـ: عبد الوهاب عبد اللطيف

دار الفكر. ط2، 1974م.

**ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف، ت874هـ)**

24 ـ النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة

القاهرة: دار الكتب المصرية. 1355هـ ـ 1926م

**التمبكتي (أبو العباس أحمد بابا، ت1036هـ)**

25 ـ نيل الابتهاج بتطريز الديباج

طرابلس: منشورات كلية الدعوة الإسلامية. ط1، 1989م

**ابن تيمية (أحمد بن عبد الحليم، ت728هـ)**

26 ـ أحاديث القصاص

بيروت: المكتب الإسلامي. ط2، 1405هـ ـ 1985م

**الجرجاني (السيد الشريف علي بن محمد، ت816هـ)**

27 ـ التعريفات

مصر: المطبعة الحميدية. 1321هـ

**ابن الجزري (أبو الخير محمد بن محمد بن الجزري، شمس الدين، ت833هـ)**

28 ـ غاية النهاية في طبقات القراء

عني بنشره: ج برجستراسر

مصر: مكتبة الخانجي. 1351هـ ـ 1932م

**ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي، جمال الدين، ت597هـ)**

29 ـ صفة الصفوة

تحـ: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعة جي

بيروت: دار المعرفة. ط2، 1399هـ ـ 1979م

30 ـ غريب الحديث

تحـ: عبد المعطي أمين قلعجي

بيروت: دار الكتب العلمية. ط1، 1405هـ ـ 1985م

31 ـ كتاب الموضوعات

تحـ: عبد الرحمن محمد عثمان

المدينة المنورة: المكتبة السلفية. ط1، 1388هـ ـ 1968م

**حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله، ت1067هـ)**

32 ـ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون

بغداد: مكتبة المثنى. د.ت

**الحاكم (أبو عبد الله النيسابوري، ت241هـ)**

33 ـ المستدرك علي الصحيحين

حلب: مكتبة المطبوعات الإسلامية. د.ت

**ابن حجر (أحمد بن علي، الحافظ، ت852هـ)**

34 ـ الإصابة في تمييز الصحابة

بيروت: دار صادر «طبعة مصورة عن طبعة دار السعادة بمصر سنة 1328هـ»

35 ـ إنباء الغمر بأبناء العمر

بيروت: دار الكتب العلمية. ط2، 1986م

36 ـ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة

تحـ: محمد سيد جاد الحق

مصر: مطبعة المدني. ط2، 1385هـ ـ 1966م

37 ـ تقريب التهذيب

تحـ: عبد الوهاب عبد اللطيف

بيروت: دار المعرفة. ط2، 1395هـ ـ 1975م

38 ـ تهذيب التهذيب

بيروت: دار صادر «مصورة عن طبعة حيدر أباد الدكن بالهند سنة 1325هـ»

39 ـ فتح الباري بشرح صحيح البخاري

بيروت: دار الفكر. د.ت

40 ـ لسان الميزان

بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات. ط2، 1390هـ ـ 1971م

**ابن حزم (علي بن أحمد، الظاهري الحافظ، ت456هـ)**

41 ـ جمهرة أنساب العرب

بيروت: دار الكتب العلمية. ط1، 1403هـ ـ 1983م

**ابن حنبل (أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني، الإمام، ت241هـ)**

42 ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل

بيروت: المكتب الإسلامي. د.ت

**ابن الخطيب (أبو بكر أحمد بن علي البغدادي، ت463هـ)**

43 ـ تاريخ بغداد

بيروت دار الكتاب العربي. د.ت

**الخطيب التبريزي (أبو عبد الله محمد بن عبد الله، ت741هـ)**

44 ـ الإكمال في أسماء الرجال «ملحق بكتاب مشكاة المصابيح للمؤلف»

تحـ: محمد ناصر الدين الألباني

دمشق: منشورات المكتب الإسلامي. 1382هـ ـ 1962م

**ابن خلكان (أبو العباس أحمد بن محمد بن إبراهيم، ت681هـ)**

45 ـ وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان

تحـ: إحسان عباس

بيروت: دار صادر. 1398هـ ـ 1978م

الدارقطني (علي بن عمر، ت385هـ)

46 ـ سنن الدارقطني

تحـ: السيد عبد الله هاشم يماني

القاهرة: دار المحاسن للطباعة. د.ت

**الدارمي (أبو عبد الله بن عبد الرحمن، ت255هـ)**

47 ـ سنن الدارمي

دار إحياء السنة النبوية. د.ت

**أبو داود (سليمان بن الأشعث بن سليمان الأزدي، ت275هـ).**

48 ـ سنن أبو داود

تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد

دار إحياء السنة النبوية. د.ت

**ابن الدباغ (عبد الرحمن بن محمد، ت696هـ)**

49 ـ معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان

تحـ: محمد ماضور

تونس: المكتبة العتيقة. 1978م

**دوزي (رينهارت)**

50 ـ تكملة المعاجم العربية

تر: محمد سليم النعيمي

الجمهورية العراقية ـ وزارة الثقافة والفنون. 1978م

**الديلمي (أبو شجاع شيرويه بن شهردار بن شيرويه، إلكيا، ت509هـ)**

51 ـ الفردوس بمأثور الخطاب

بيروت: دار الكتب العلمية. ط1، 1406هـ ـ 1986م

**الذهبي (محمد بن أحمد عثمان بن قايماز، شمس الدين، ت748هـ)**

52 ـ تذكرة الحفاظ

بيروت: دار إحياء التراث العربي. د.ت

53 ـ سير أعلام النبلاء

بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1405هـ 1984م

54 ـ ميزان الاعتدال في نقد الرجال

تحـ: علي محمد البجاوي

مصر: المطبعة الحلبية. 1382هـ ـ 1962م

**ابن رشد (أبو الوليد محمد بن أحمد، ت520هـ)**

55 ـ البيان والتحصيل والشرح والتوجيه والتعليل في المسائل المستخرجة

تحـ: محمد حجي

بيروت: دار الغرب الإسلامي. 1404هـ ـ 1984م

**الزاوي (الطاهر أحمد)**

56 ـ أعلام ليبيا

طرابلس: مكتبة الفرجاني. د.ت

57 ـ مختار القاموس

الدار العربية للكتاب. 83 ـ 1984م

58 ـ معجم البلدان الليبية

طرابلس: مكتبة النور. د.ت

**الزبيدي (محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسني، مرتضى، ت1205هـ)**

59 ـ تاج العروس من جواهر القاموس

بنغازي: دار ليبيا للنشر والتوزيع «مصورة عن طبعة المطبعة الخيرية بمصر سنة 1306هـ»

الزركلي (خير الدين)

60 ـ الأعلام

بيروت: دار العلم للملايين. ط6، 1984م

**الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، جار الله، ت538هـ)**

61 ـ أساس البلاغة

بيروت: دار صادر. 1385هـ ـ 1965م

62 ـ الفائق في غريب الحديث

تحـ: علي محمد البجاوي ومحمد أبي الفضل إبراهيم

مصر: المطبعة الحلبية 1364هـ ـ 1945م

**ابن الزيات (أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي، ت627هـ)**

63 ـ التشوف إلى رجال التصوف

اعتنى بنشره: أدولف فور

الرباط: مطبوعات أفريقيا الشمالية. 1958م

**الساعاتي (أحمد عبد الرحمن البنا، ت بعد 1371هـ)**

64 ـ الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني

بيروت: دار إحياء التراث العربي. د.ت

**السبكي (عبد الوهاب بن علي، تاج الدين، ت 771هـ)**

65 ـ طبقات الشافعية الكبرى

بيروت: دار المعرفة. ط2، د.ت

**السخاوي (محمد عبد الرحمان محمد، شمس الدين، ت902هـ)**

66 ـ الضوء اللامع لأهل القرن التاسع

القاهرة: مكتبة القدسي 1353هـ

67 ـ المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة.

تحـ: محمد عبد الله الصديق

بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1399هـ ـ 1979م

**ابن سعد (محمد بن سعد بن منيع البصري. ت230هـ)**

68 ـ الطبقات الكبرى

بيروت: دار صادر ـ دار بيروت. 1380هـ ـ 1960م

**السلامي (أبو المعالي محمد بن رافع، تقي الدين، ت774هـ)**

69 ـ الوفيات

تحـ: صالح مهدي عباس

بيروت: مؤسسة الرسالة. ط1، 1402هـ ـ 1982م

**السلمي (أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين، ت412هـ)**

70 ـ طبقات الصوفية

تحـ: نور الدين شريبة

مصر: دار الكتاب العربي. ط1، 1372هـ ـ 1953م

**السمعاني (أبو سعيد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت562هـ)**

71 ـ أدب الإملاء والاستملاء

بيروت: دار الكتب العلمية. د.ت

**السنوسي (أبو عبد الله محمد بن يوسف، ت895هـ)**

72 ـ شرح المقدمات

تحـ: يوسف احنانة

مجهول مكان وتاريخ ودار النشر

**ابن السني (أبو بكر أحمد بن محمد الدينوري، ت364هـ)**

73 ـ عمل اليوم والليلة

تحـ: عبد القادر أحمد عطا

بيروت: دار المعرفة. د.ت

**السيوطي (عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد، جلال الدين، ت911هـ)**

74 ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة

تحـ: محمد أبو الفضل إبراهيم

مصر: المطبعة الحلبية، ط1، 1348هـ ـ 1964م

75 ـ الجامع الصغير

القاهرة: المطبعة الحلبية. ط1، د.ت

76 ـ الخصائص الكبرى «كفاية الطالب الحبيب في خصائص الحبيب»

تحـ: محمد خليل هراس

مصر: دار الكتب الحديثة. د.ت
77 ـ الدر المنثور في التفسير المأثور
طهران: المطبعة الإسلامية. د.ت
78 ـ اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة
بيروت: دار المعرفة. ط2، 1395هـ ـ 1975م

**الشريشي (أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن القيسي، ت619هـ)**

79 ـ شرح مقامات الحريري
مكة المكرمة: دار الباز للنشر والتوزيع. ط1، 1399هـ ـ 1979م

**الشعراني (أبو محمد عبد الوهاب بن أحمد بن علي، ت973هـ)**

80 ـ الطبقات الكبرى
مصر: مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده. د.ت

**الشوشاوي (أبو علي الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي، ت899هـ)**

81 ـ الفوائد الجميلة على الآيات الجليلة.
تحـ: إدريس عزوزي
المملكة المغربية: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية. 1409هـ ـ 1989م

**الشوكاني (محمد بن علي بن محمد، ت1250هـ)**

82 ـ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع.
القاهرة: مطبعة السعادة. ط1، 1348هـ
83 ـ الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة.
تحـ: عبد الرحمن بن يحيى اليماني
بيروت: دار الكتب العلمية. ط1، 1380هـ ـ 1960م

**ابن الصباغ (محمد بن أبي القاسم الحميري)**

84 ـ درة الأسرار وتحفة الأبرار في أقوال وأفعال وأحوال ومقامات ونسب وكرامات وأذكار ودعوات سيدي أبو الحسن الشاذلي.
مصر: دار آل الرفاعي. حجازة قبلي ـ قوص قنا. د.ت

**الصفدي (خليل بن أيبك، صلاح الدين، ت764هـ)**

85 ـ نكت الهميان في نكت العميان

مصر: 1329هـ - 1911م

86 - الوافي بالوفيات

نشر: فرانز شتايز - بفيسبادن سنة 1394هـ - 1974م

**ابن الصلاح (عثمان بن عبد الرحمن، ت643هـ)**

87 - مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الإصطلاح

تحـ: عائشة عبد الرحمن «بنت الشاطىء»

مصر: مطبعة دار الكتب. 1974م

**طاش كبرى زاده (أحمد بن مصطفى، ت968هـ)**

88 - مفتاح السعادة ومصباح السيادة

حيدر أباد. 1329هـ

**أبو طالب المكي (محمد بن علي بن عطية، ت386هـ)**

89 - قوت القلوب

القاهرة: 1310هـ

**الطبراني (أبو القاسم سليمان بن أحمد، ت360هـ)**

90 - المعجم الصغير

تحـ: عبد الرحمن محمد عثمان

المدينة المنورة: المكتبة السلفية. 1388هـ - 1968م

91 - المعجم الكبير

الجمهورية العراقية: وزارة الأوقاف. د.ت

**الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير، ت310هـ)**

92 - تاريخ الأمم والملوك

دار القاموس الحديث للطباعة والنشر. د.ت

**الطيالسي (سليمان بن داود بن الجارود الفارسي البصري، ت204هـ)**

93 - مسند أبي داود الطيالسي

بيروت: دار المعرفة. د.ت

**ابن عباد (محمد بن إبراهيم، ت792هـ)**

94 ـ شرح الحكم العطائية

مصر: المطبعة الحلبية. د.ت

**عبد الباقي (محمد فؤاد)**

95 ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم

بيروت: دار إحياء التراث العربي «طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية سنة 1945م».

**ابن عبد البر (عمر يوسف بن عبد الله النمري القرطبي، ت463هـ)**

96 ـ الاستيعاب في أسماء الأصحاب. (بحاشية الإصابة)

بيروت: دار صادر «مصور عن طبعة دار السعادة بمصر سنة 1328هـ»

97 ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله.

المدينة المنورة: المكتبة العلمية. د.ت

**عبد الرزاق (أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، ت211هـ)**

98 ـ المصنف

تحـ: حبيب الرحمن الأعظمي

بيروت: ط1، 1390هـ ـ 1971م

**عبد القادر محمد القرشي**

99 ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية

حيدر أباد. 1332هـ

**عبد الله مصطفى المراغي**

100 ـ الفتح المبين في طبقات الأصوليين

بيروت: دار الكتب العلمية. ط2، 1394هـ ـ 1985م

**عبد المنعم الحنفي**

101 ـ معجم مصطلحات الصوفة

بيروت: دار المسيرة. ط1، 1400هـ ـ 1980م

العجلوني (إسماعيل بن محمد الجراحي، ت1162هـ)

102 ـ كشف الخفا ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس.
بيروت: دار إحياء التراث العربي. ط3، 1352هـ

**ابن عجيبة (أحمد بن محمد بن المهدي الحسني، ت1224هـ)**

103 ـ الفتوحات الإلهية في شرح المباحث الأصلية
تحـ: عبد الرحمن حسن محمود
مصر: عالم الفكر. د.ت

**ابن عدي (أبو أحمد عبد الله بن عدي الجرجاني، ت365هـ)**

104 ـ الكامل في ضعفاء الرجال
بيروت: دار الفكر. ط2، 1405هـ ـ 1985م

**ابن عراق (أبو الحسن علي بن محمد بن عراق الكناني، نور الدين، ت963هـ)**

105 ـ تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة.
تحـ: عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق
بيروت: دار الكتب العلمية. ط1، 1399هـ ـ 1979م

**العراقي (أبو الفضل عبد الرحيم بن الحسين: ت806هـ)**

106 ـ المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار «بهامش كتاب الإحياء للغزالي»
مصر: المطبعة الحلبية. 1358هـ ـ 1939

**ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله المعافري الإشبيلي، ت543هـ)**

107 ـ صحيح الترمذي بشرح الإمام ابن العربي «عارضة الأحوذي»
مصر: المطبعة المصرية بالأزهر. ط1، 1350هـ ـ 1931م

**ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسن، ت571هـ)**

108 ـ تهذيب تاريخ دمشق الكبير.
تهذيب وترتيب عبد القادر بدران
بيروت: دار المسيرة. ط2، 1399هـ ـ 1979م

**ابن عطاء الله (أحمد بن محمد السكندري، ت 709هـ)**

109 ـ التنوير في إسقاط التدبير

مصر: مكتبة ومطبعة عباس عبد السلام شقرون. د.ت
110 ـ لطائف المنن في مناقب الشيخ أبو العباس المرسي وشيخه أبو الحسن
القاهرة: مكتبة عالم الفكر. ط3، 1413هـ ـ 1992م

**العقيلي (أبو جعفر محمد بن عمر بن موسى، ت 322هـ)**
111 ـ كتاب الضعفاء الكبير
تحـ: عبد المعطي أمين قلعجي
بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1404هـ ـ 1984م

**ابن العماد (عبد الحي بن أحمد العكري، ت 1089هـ)**
112 ـ شذرات الذهب في أخبار من ذهب
بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. د.ت.

**العياشي (أبو سالم عبد الله بن محمد بن أبي بكر، تـ1090)**
113 ـ الرحلة العياشية «ماء الموائد»
طبعة مصورة بعناية الأستاذ محمد حجي
الرباط: 1397هـ ـ 1977م

**الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد، ت 505هـ)**
114 ـ إحياء علوم الدين
مصر: المطبعة الحلبية. 1358هـ ـ 1939م
115 ـ منهاج العابدين
مصر: المطبعة الحلبية. 1337هـ

**ابن فرحون (إبراهيم بن علي بن محمد اليعمري، برهان الدين، ت 799هـ)**
116 ـ الديباج المذهب في أعيان المذهب
القاهرة: مطبعة شقرون. ط1، 1351هـ

**ابن الفرضي (أبو الفرضي: أبو الوليد عبد الله بن محمد، ت403هـ)**
117 ـ تاريخ علماء الأندلس «تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس»
مدريد: نشر كوديرا 1890م

**فضل الله الجيلاني**

118 ـ فضل الله الصمد في توضيح الأدب المفرد لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري

القاهرة: المطبعة السلفية. 1378هـ

**أبو القاسم محمد الحفناوي**

119 ـ تعريف الخلف برجال السلف

تحـ: محمد أبو الأجفان وعثمان بطيخ

بيروت: مؤسسة الرسالة. ط1، 1402هـ ـ 1982م

**ابن القاضي (أحمد بن محمد بن أبي العافية المكناسي، ت1025هـ)**

120 ـ جذوة الاقتباس في أخبار مدينة فاس

الرباط: دار المنصور للطباعة والنشر والوراقة. 1973م)

**القاضي عياض (أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي السبتي، ت544هـ)**

121 ـ ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك

تحـ: محمد بن تاويت الطنجي

الرباط: مطبعة فضالة. د.ت

**القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري، ت671هـ)**

122 ـ تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن»

القاهرة: دار الكتب المصرية. 1369هـ ـ 1950م

**القشيري (أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري، ت465هـ)**

123 ـ الرسالة القشيرية

تحـ: معروف زريق وعلي عبد الحميد بلطجي

بيروت: دار الجيل. ط2، 1410هـ ـ 1990م

**القضاعي (أبو عبد الله محمد بن سلامة، ت454هـ)**

124 ـ مسند الشهاب

تحـ: حمدي عبد المجيد السلفي

بيروت مؤسسة الرسالة. ط2، 1407هـ ـ 1986م

**ابن قنفذ (أبو العباس أحمد بن حسن بن علي بن الخطيب القسنطيني، ت810هـ)**

125 ـ أنس الفقير وعز الحقير

تحـ: محمد الفاسي وأدولف فور

الرباط: منشورات المركز الجامعي للبحث العلمي. 1965م

**الكتبي (محمد بن شاكر بن أحمد، ت764هـ)**

126 ـ فوات الوفيات

تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد

القاهرة: مكتبة النهضة المصرية. 1951

**ابن كثير (إسماعيل بن عمر الدمشقي، عماد الدين، ت774هـ)**

127 ـ البداية والنهاية

القاهرة: مطبعة السعادة. 1351هـ

**كحالة (عمر رضا)**

128 ـ معجم المؤلفين

بيروت: دار إحياء التراث العربي. 1376هـ ـ 1957م

**كرم البستاني**

129 ـ شرح ديوان ابن الفارض

بيروت: دار صادر. 1376هـ ـ 1957م

**كنون (عبد الله)**

130 ـ النبوغ المغربي في الأدب العربي

بيروت: دار الكتاب اللبناني. ط2، 1961م

**أبو الليث السمرقندي (نصر بن محمد، ت373هـ)**

131 ـ تنبيه الغافلين في الموعظة بأحاديث سيد المرسلين

دار الفكر. د.ت

**ابن ماجه (أبو عبد الله محمد بن يزيد بن ماجه الربعي القزويني، ت273هـ)**

132 ـ سنن ابن ماجه

تحـ: محمد فؤاد عبد الباقي

مصر: المطبعة الحلبية. د.ت

**المتقي الهندي (علاء الدين علي المتقي بن حسام الدين الهندي، البرهان فوري ت975هـ)**

133 ـ كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال

بيروت: مؤسسة الرسالة. 1399هـ ـ 1979م

**محمد حجي**

134 ـ الحركة الفكرية بالمغرب في عهد السعديين

المغرب: منشورات دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. 1976م

**محمد مختار باشا**

135 ـ التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الافرنكية والقبطية.

تحـ: محمد عمارة

بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر. ط1، 1400هـ ـ 1980م

**مخلوف (محمد بن محمد)**

136 ـ تنقيح روضة الأزهار ومنية السادات الأبرار في مناقب سيدي عبد السلام الأسمر.

القاهرة: المطبعة الحلبية. ط1، 1378هـ ـ 1958م

137 ـ شجرة النور الزكية في طبقات المالكية.

بيروت: دار الكتاب العربي «مصورة عن الطبعة السلفية»

ابن أبي مريم (أبو عبد الله محمد بن محمد المليتي المدينوني، ت بعد 1014هـ)

138 ـ البستان في ذكر الأولياء والعلماء بتلمسان

الجزائر: 1326هـ ـ 1908م

**مسلم (الإمام مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، ت261هـ)**

139 ـ الجامع الصحيح

دار الفكر. د.ت

**المقري (أبو العباس أحمد بن محمد بن يحي التلمساني، ت1041هـ)**

140 ـ أزهار الرياض في أخبار عياض

صندوق إحياء التراث الإسلامي المشترك بين المملكة المغربية والإمارات العربية المتحدة. د.ت

141 ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب.

تحـ: إحسان عباس

بيروت: دار صادر. 1968م

**ابن الملقن (أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري، سراج الدين، ت804هـ)**

142 ـ طبقات الأولياء

تحـ: نور الدين شريبه

القاهرة: مكتبة الخانجي. ط1، 1393هـ ـ 1973م

**المناوي (محمد عبد الرؤوف بن تاج العارفين الحدادي، ت 1031هـ)**

143 ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير

مصر: المكتبة التجارية، ط1، 1356هـ ـ 1938م

144 ـ الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية.

مصر: 1957م.

**المنذري (أبو محمد عبد العظيم بن عبد القوي، زكي الدين، ت656هـ)**

145 ـ الترغيب والترهيب من الحديث الشريف

تحـ: محمد محي الدين عبد الحميد

دار الفكر: ط3، 1399هـ ـ 1979م

**ابن منظور (أبو الفضل محمد بن مكرم بن علي، جمال الدين، ت711هـ)**

146 ـ لسان العرب المحيط

بيروت: دار الجيل 1408هـ ـ 1988م

**النائب (أحمد حسين محمد بن عبد الكريم العسوس، ت1335هـ)**

147 ـ المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب

تركيا: مطبعة جمال أفندي. ط1، 1317هـ

**النازلى (السيد محمد حقى)**

148 ـ خزينة الأسرار

بيروت: دار الكتب العلمية. ط1، 1414هـ ـ 1993م.

**النباهي (أبو الحسن علي بن عبد الله بن محمد الجذامي المالقي، بعد 972هـ)**

149 ـ تاريخ قضاة الأندلس «المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا»

بيروت: المكتب التجاري للطباعة والنشر والتوزيع. د.ت

**النبهاني (يوسف بن إسماعيل. ت1350هـ)**

150 ـ جامع كرامات الأولياء

تحـ: إبراهيم عطوة عوض

بيروت: المكتبة الشعبية. ط2، 1394هـ ـ 1974م

**النسائي (أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب، ت303هـ)**

151 ـ سنن النسائي «بشرح السيوطي وحاشية السندي»

مصر: المكتبة التجارية. د.ت

152 ـ عمل اليوم والليلة.

تحـ: فاروق حمادة

بيروت: مؤسسة الرسالة. ط2، 1406هـ ـ 1985م

**أبو نعيم (أحمد بن عبد الله بن أحمد الأصفهاني، ت430هـ)**

153 ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء

بيروت: دار الكتب العلمية. د.ت

**النووي (أبو زكرياء يحيى بن شرف، محي الدين، ت676هـ)**

154 ـ الأذكار من كلام سيد الأبرار

بيروت: المكتبة العصرية. 1409هـ ـ 1989م

155 ـ تهذيب الأسماء واللغات

مصر: الطباعة المنيرية. د.ت

156 ـ شرح صحيح مسلم «المنهاج في شرح صحيح مسلم»

بيروت: دار القلم. ط1، 1407هـ ـ 1987م

**وجدى (محمد فريد)**

157 ـ دائرة معارف القرن العشرين.

بيروت: دار المعرفة. ط3، 1971م

**ياقوت الحموي (أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي، شهاب الدين، ت656هـ)**

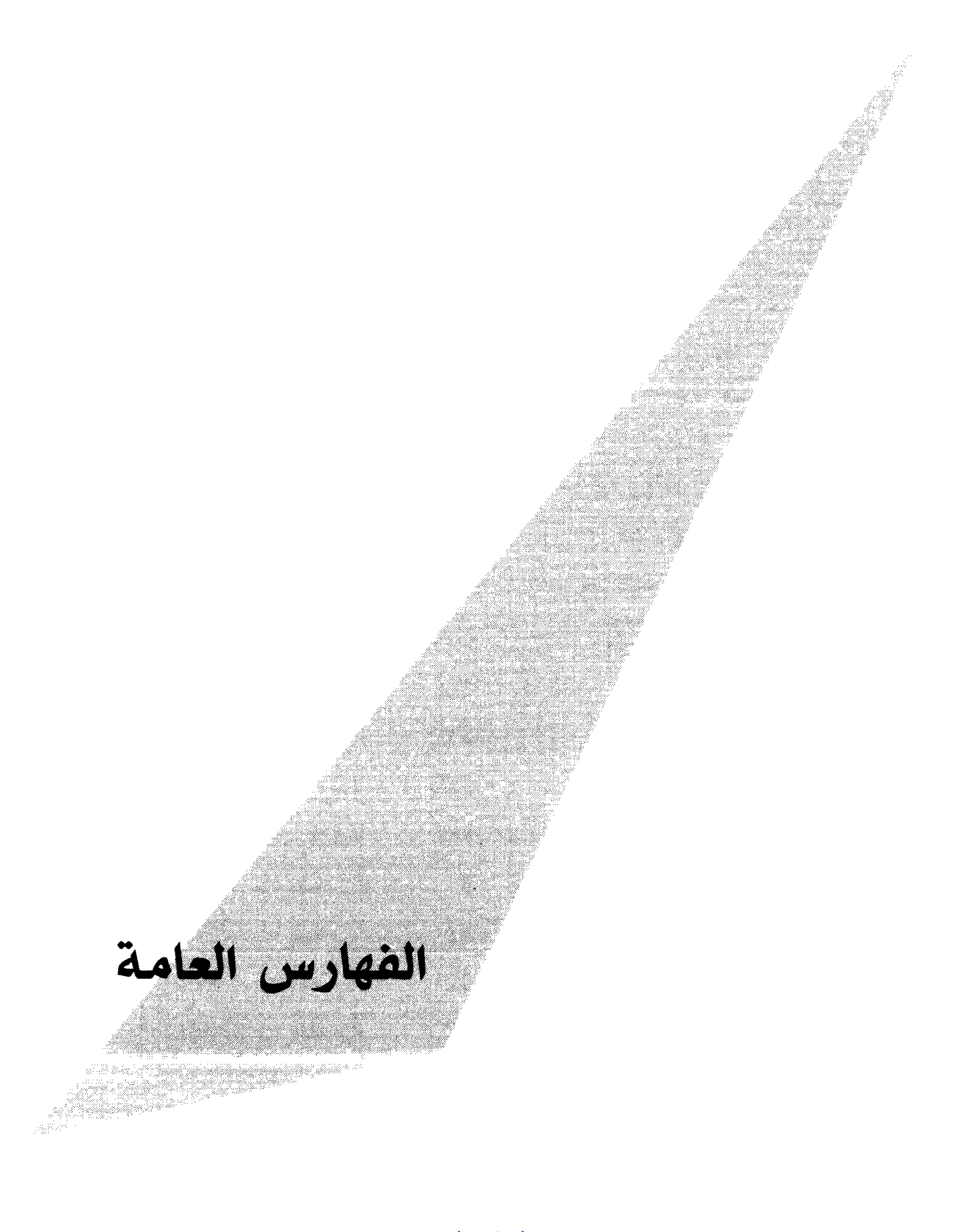
158 ـ معجم الأدباء «إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب»

مصر: المطبعة الحلبية. د.ت

159 ـ معجم البلدان

بيروت: دار الكتاب العربي. د.ت.





# الفهارس العامة



# فهرس الآيات القرآنية

# فهرس الأحاديث والآثار

## ـ أ ـ

— ب —



— ت —



— ث —

ـ ج ـ



ـ ح ـ



ـ خ ـ



ـ د ـ



ـ ر ـ



ـ س ـ

ـ ش ـ



ـ ص ـ



ـ ط ـ



ـ ع ـ



ـ ف ـ

## ـ ق ـ



## ـ ك ـ



## ـ ل ـ

## ـ م ـ

## - هـ -



## - و -

**ـ ي ـ**

# فهرس الأعلام المترجم لهم

**ـ ف ـ**



**ـ ك ـ**



**ـ ل ـ**



**ـ م ـ**

# فهرس القوافي

# فهرس المدن والأماكن والبقاع الواردة في المتن

# فهرس الفرق والقبائل والجماعات الواردة في المتن

# فهرس الكتب الواردة في المتن



# فهرس المحتويات

**الرسالة الرابعة:**



**الرسالة الخامسة:**



**الرسالة السادسة:**



**الرسالة السابعة:**



**الرسالة الثامنة:**



**الرسالة التاسعة:**



**الرسالة العاشرة:**



**الرسالة الحادية عشرة:**





# رسائل الأسمر

## عبد السلام بن سليم الإدريسي الحسني

# إلى مريديه

ظلت شخصية الشيخ عبد السلام الأسمر، عصيَّة على الباحثين لزمن طويل إذْ طالما نظروا إليه كظاهرة خارقة في الحياة الثقافية في ليبيا، حجبت كلَّ من عداه.

فهو عند أكثرهم لم يكن صوفياً بالمعنى العلمي وإن كان شخصية شعبية بامتياز، ويأتي هذا الكتاب ليكشف عن حقيقة الشيخ الأسمر وعن دوره في انتقاد الأوضاع السياسية والاجتماعية السائدة آنذاك، وإدراكه ضرورة القيام بعمل ما يستهدف إصلاح هذه الأوضاع، والخروج بالمجتمع من المتاهات والخرافات التي خلفها الفراغ السياسي والتردي الإجتماعي.

وهذه الرسائل التي تنشر لأول مرة- بعد أن أصبحت أصولها في حكم المفقود- جزء من مشروع كبير تناول زاوية الأسمر وإشعاعها الروحي والحضاري استغرق من جهد الباحث سنوات عدة. راميا من ورائه إلى تصحيح النظرة إلى رجل اختلف حوله العلماء والفقهاء والباحثون واتَّهموه بالشعوذة والادّعاء. واضعا إياه في مكانه الصحيح بين شيخيه أحمد زروق وعبد الواحد الدكالي، وفي مكانته كعالم صوفي فقيه رسم لأتباعه منهج حياة نجد معالمه في هذه الرسائل.




اوتوستراد شاتيلا - الطيونة، شارع هادي نصر الله - بناية فرحات وحجيج طابق 5
خليوي: 03/933989 - هاتف وفاكس 00961/1/542778 Email: szrekany@inco.com.lb

توزيع: دار أويا للطباعة والنشر والتوزيع والتنمية الثقافية. زاوية الدهماني. السوق الأخضر
هاتف: 3338571 - 4449903 - 00218.21/4448750 فاكس: 00218.21/4442758
ص. ب: 13498 طرابلس. الجماهيرية العظمى


ISBN 9959-29-121-9
9 799959 291218